

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



جامعة الشاذلي بن جديد

UNIVERSITE CHADLI BENDJEDI



جامعة الشاذلي بن جديد

UNIVERSITE CHADLI BENDJEDI

لسانيات سوسير في ضوء التلقي الجديد للمخطوطات --دراسة في التلقي المغاربي--

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل. م. د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

شعبة: الدراسات اللغوية

إشراف الدكتورة: مفيدة بن وناس

إعداد الطالبة: كافية بلهوشات

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
حسان عجمي	أستاذ محاضر أ	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	رئيسا
مفيدة بن وناس	أستاذ محاضر أ	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	مشرفا ومقررا
قدور كحالة	أستاذ محاضر أ	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	ممتحنا
عبد الحكيم سحالية	أستاذ محاضر أ	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	ممتحنا
رضا جوامع	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس	ممتحنا
عمار بعداش	أستاذ محاضر أ	جامعة 08 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022-2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مقدمة:

يظل فردينان دوسوسير Ferdinand de Saussure (1857م-1913م) أيقونة حادثة علمية وفكرية، وتظل لسانياته حاضرة مسيطرة لتطور اللسانيات، وقابلة لقراءات جديدة، فبعد مرور أكثر من مئة عام على وفاته لا يزال يثير القرائح، والدارسون يقرون بقوته على الثبات والصمود مقابل تطور اللسانيات الدائم.

لقد كان في مسار اللسانيات لحظة فارقة، يحدد من خلالها الباحثون ما قبل سوسير وما بعده في المناهج والدراسات، واللسانيون يقرون بأن محاضراته لعبت دورا تأسيسيا في تطور الفكر اللساني للقرن العشرين، ولا يزال سوسير يحير أذهان المفكرين، ويبعث على التجديد في كل صنوف المعرفة الإنسانية.

كان نص المحاضرات الذي لم يكتبه سوسير بنفسه المنفذ الوحيد لفكره، إلى غاية 1957 وهي السنة التي نشر فيها روبرت غودل (Robert Godel) أطروحته، التي نحى فيها منحى المقارنة الفيلولوجية بين نص المحاضرات والمصادر المخطوطة، علاوة على دفاتر الطلبة، تلى هذه الخطوة صدور الطبعة النقدية لرودلف أنغلر " (Rudolf Engler) ، فشكل هذان العمالان منعطفا حاسما في إعادة قراءة وترهين المشروع السوسيري، وذلك عن طريق إعادة النظر في أساليب التلقي وطرق التأويل.

هي دعوة إلى إعادة قراءة جديدة في لسانياته خصوصا بعد العثور على مجموعة من المخطوطات في مشتل البرتقال في 1996، تم تحقيق جزء منها ونشره في 2002 من قبل كل من سيمون بوكيه رودلف أنغلر، ومنذ ذلك الحين ما انفكت الدراسات الغربية والعربية تحاور فكر سوسير الأصيل وفق ما استجد من قراءات وتأويلات متنوعة تعمل على محو الصورة النمطية التي لطالما رسخت في ذهن المتلقي حول أدبيات لسانياته العامة.

وقد مكنت هذه التحقيقات من إقامة مسافة نقدية بين سوسير الأصلي الذي نجده في التحليلات النصية و سوسير البنيوي التاريخي الذي صنعه متن نشرة 1916م، وتم تقديم نظريته ومنهجه اللساني في صورة مغايرة تماما لما أراد لها صاحب المحاضرات.

من هذا المنطلق نعتزم في هذا البحث "قراءة الكتابات اللسانية المغاربية المعاصرة" وما

أنجز في رصد الحركة اللسانية في المغرب العربي في علاقته بالسوسيوية الجديدة، وسنعمد

على الباحثين اللسانيين المغاربة الذين أدركوا الأبعاد النظرية العامة لدراسة اللسان العربي

من منظور النظريات اللسانية المعاصرة وعرض مستخلصاتها لتتقين لنا طبيعة التلقي

المغربي للسانيات السوسيرية، ومن هذا الطرح اللساني شكلنا عنوان بحثنا وهو كآآتي:

لسانيات سوسير في ضوء التلقي الجديد للمخطوطات . دراسة في التلقي المغاربي .

ثمة جملة من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع دون غيره من المواضيع تمثلت

في جانبين من الأسباب الذاتية والموضوعية، أما السبب الأول فتمثل في رغبتنا في التعمق

في الحياة الفكرية والعلمية لشخصية غيرت منعطف الدرس اللساني، هذه الشخصية التي

طالما تم تقديمها عبر مسالك تأويلية متعددة، لذلك حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرف

على ملامح سوسير، وأن نكون في استماع مباشر له، وقراءة صادقة لفكره، أما السبب

الثاني فهو الرغبة في الاطلاع على المعرفة اللسانية السوسيرية الجديدة، والفكر السوسيري

في ضوء المخطوطات والكتابات المنشورة في اللسانيات المعاصرة، والتي هي من

الموضوعات الواهنة التي لا تزال تقام حولها العديد من الدراسات في الوطن العربي،

بالإضافة إلى إمعان النظر فيما استجد من نظريات لسانية حديثة، وما أنتج في مجال

البحث اللساني الغربي، كذلك الرغبة في رصد وتتبع الإصدارات اللسانية العربية التي احتفت

بالسوسيرية الجديدة وسعت إلى الكشف فيها والعودة إلى سوسير، فالدارسون يقرون

بخصوصية المنعرج السوسيري وقد عزى محمد الشاوش ومحمد عجينة هذه الخصوصية إلى أن

سوسير وجه اهتمامه أساسا إلى وضع الحدود وضبط المفاهيم وتطبيق مختلف الظواهر اللسانية.

ومن هذا المنطلق تم طرح إشكالية رئيسية مفادها: ما الجديد الذي تبين في لسانيات سوسير في الضوء التلقي الجديد لمخطوطاته؟، وكيف تفاعل وقدم اللسانيون المغاربة المعرفة اللسانية السوسيرية الجديدة في كتاباتهم المعاصرة؟، هل تمكنت اللسانيات المغاربة من تحقيق حدث التلقي الألسني لهذا النموذج عبر أدوات الفعل الترجمي والتمثيل المعرفي؟، ما هي طبيعة الاستمداد المعرفي للنموذج السوسيري الجديد من قبل اللسانيات المغربية؟ ونذكر بعض تقريرات هذه الإشكالية الرئيسية: ما مدى نسبة صدقية كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة" في التعبير عن الهوية الفكرية للأستاذ؟، ما هي أبرز الإشكالات العامة التي آثارها ترهين الفكر السوسيري من جديد؟، ما طبيعة التلقي المغربي لهذا التوجه الجديد؟، هل تمكنت اللسانيات المغربية من إطلاع القارئ العربي على الأدبيات المتداولة عن سوسير الحقيقي في مقابل صورة سوسير النمطي؟، هل تسمح هذه العودة بتجديد مفاهيم اللسانيات وإعادة تنظيم حقلها المعرفي؟، وتتفرع عن هذه الإشكالات الرئيسية تساؤلات عدة منها:

- ما هي أهم الفروق بين كتاب المحاضرات والمصادر المخطوطة التي ندرك من خلالها المعرفة اللسانية والفكر السوسيري الحقيقي؟، ما هو أثر اكتشاف المصادر المخطوطة على الدراسات اللسانية الغربية؟، وما التوجه الجديد في الدراسات الغربية على أثر السوسيرية الجديدة؟.

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بما جد في حقل الدراسات السوسيرية لأنه أضحى متاحا التعرف على فكر سوسير اللساني و السيميائي الأصلي من خلال ما استجد من بحوث استفاضت في تحقيق مخطوطاته، ومنها على وجه التحديد مخطوطاته المكتشفة، ومن مطامح الأطروحة إنفاذ النظر في لسانيات سوسير في سياق القراءات الجديدة لتوقعاته الأصلية، فنبين كيف تلقى المغاربة هذه المعرفة السوسيرية من خلال تتبع الكتابات اللسانية المغاربة المعاصرة، وما أنجز في رصد سوسير الجديد لبيان القيمة النظرية والمنهجية للكتابات اللسانية، أما الغاية الأخيرة فهي التنبيه والتوجيه على ضرورة الإقبال على مخطوطات سوسير الأصلية لكشف افتراضات و تصورات جديدة كامنة في الفكر السوسيري الموسع الذي يفتح آفاق جديد للمعرفة اللسانية.

تعد التساؤلات والأهداف السابقة عاملا محددًا لمنهج الدراسة، فطبيعة المدونة التي اشتغلنا عليها فرضت علينا الاستعانة بالمنهج التاريخي لتتبع سيرورة اللسانيات السوسيرية، والإعتماد على المنهج الوصفي المعزز بإجراءات التحليل والنقد، لأننا نسعى من خلال هذا البحث إلى دراسة التلقي المغربي للسوسيرية الجديدة من خلال عملية توصيف وتحليل هذه الكتابات، وتصنيف وتقويم محاورها والوقوف على مداخل سياقاتها المعرفية، والرؤى التي صدر عنها أصحابها عند تقديم هذه الكتابات، وهذا التتبع قد يكون طريقا لرصد المعالم الكبرى للسانيات العربية المعاصرة .

ولإنجاز هذه الأطروحة وضعنا خطة بينا من خلالها أركان هذه الدراسة التي جاءت مقسمة إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة.

جاء المدخل بعنوان: " وقفة مع الأسس المعرفية وأسرار الحياة الفكرية عند سوسير"

"عملنا فيه على تبديد الصورة النمطية التي طالما تم تقديمها على نفس المنوال في الكتابات العربية، عملنا على البحث عن سوسير وذلك بالولوج كخطوة أولى إلى عائلة آل سوسير ودورها في نبوغه المبكر وتوجهه نحو التقعيد المنهجي العلمي الدقيق، كما عملنا على دراسة الصدمات الفكرية التي جعلت الأستاذ هشل من الداخل، كما تطرقنا إلى الحقيقة المزيفة التي طالما ارتبطت بلسانياته العامة التي هي كما يروج لها نتيجة قطيعة ابستمولوجية مع كل أدبيات القرن التاسع عشر، ونظرا لشاسعة هذا المبحث الذي يتطلب الوقوف على كل السياقات التاريخية والمعرفية لاستجلاء الحقيقة كاملة، اكتفينا بأهم المصادر التي تشي بتأثير واضح في فكر الأستاذ.

أما الفصل الأول فجاء عنوانه كآتي: "محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها"، تناولنا في بادئ الأمر على تقديم المشروع الأصلي لأنطوان ميه وبول روغار الذي كان يهدف إلى تقديم ملاحظات الطلبة كما هي، وكان لا بد من إحاطة القارئ الذي هو في حيرة وفضول حول موضوع السوسيرية الجديدة عن خلفيات النشر من جمع لمصادر هذا الكتاب وإعادة ترتيب للمضامين وفق رؤية الناشرين الخاصة، كما عملنا على دراسة تلقي نشرة 1916 واثرها على مسار الدرس اللساني في الشرق الأقصى، هذا الاستقبال الذي لا نكاد نجد له أي ذكر في البحوث العربية، وختمنا هذا المبحث بالوقوف على طبيعة التلقي العربي لنص النسخة الشائعة، ولتحقيق هذه الغاية كان لا بد من الوقوف على ثلاث مراحل أساسية في اللسانيات العربية، تتمثل أولى هذه المراحل في النهضة الفكرية العربية، أما المرحلة الثانية فتتمثل في تأصيل اللسانيات العامة في الثقافة العربية، ووقفنا في المرحلة الأخيرة على أسباب تأخر ترجمة نشرة 1916 إلى اللسان العربي إلى فترة الثمانينيات.

وسعينا في الفصل الثاني الذي جاء عنوانه بـ "العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة" إلى الوقوف على قصة البحث الفيلولوجي الذي كانت بواده الأولى عندما قامت عائلة سوسير بتقديم مجموعة من مخطوطاته الأصلية إلى المكتبة العمومية بجامعة جنيف، وبيع جزء منها إلى مكتبة هوتون بهارفارد، وتم تحقيق جزء كبير منها من قبل رواد الحركة السوسيرية الجديدة، وكانت بداية هذا التحقيق الفيلولوجي من أجل العودة إلى الفكر الأصلي، وشاءت الأقدار في خضم هذه التحقيقات أن تظهر بمحض الصدفة مجموعة من

المخطوطات تم اكتشافها في مشتل البرتقال التابع إلى آل سوسير في 1996 والتي تقدم لأول مرة مسودة لكتاب كان يعكف سوسير على إنجازه في مجال اللسانيات العامة ليقنن به كل الفوضى التي عرفها درس اللساني عبر العصور السابقة، وبما أننا نتحدث في هذا الصدد عن سوسير آخر غير معروف من قبل، كان حري بنا التعمق في الإرث الأدبي الذي شغل العديد من الباحثين، وقدم لنا سوسير الوجه الآخر الذي درس بشكل ممنهج ودقيق مسائل في الحكاية الخرافية والأسطورة، والجناس التصحيفي...إلخ.

أما الفصل الثالث "التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة" قمنا بتخصيصه لدراسة تجليات التلقي الجزائري للمعرفة الجديدة، وذلك باستجلاء طبيعة هذا التلقي على مستوى التمثل المعرفي والفعل الترجمي، وكذلك طبيعة الاحتقاء بهذه المعرفة، المصاحب بالضرورة لعملية ترهين الفكر السوسيري الحقيقي، في أعمال كل من مختار زواوي وجيلي محمد الزين إلى غير ذلك، هذه الجهود التي قدمت لنا منظومة مفاهيمية مكنتنا من استيعاب الحركة السوسيرية الجديدة في جميع أبعادها وسياقاتها، وعملت على تقويض النموذج الكلاسيكي للنسخة الشائعة.

أما الفصل الرابع والأخير فجاء تحت تسمية " التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة" تقفينا فيه تجليات هذا التلقي الذي ابتغى إعادة تشكيل لكل المفاهيم الأساسية في اللسانيات العامة، وكسر التمثال الكلاسيكي الذي جسد فكر سوسير في مجموعة من الثنائيات المنعزلة، وكان حري بنا في هذا البحث التطرق ولو بشكل من العجلة إلى أهم الكتابات العربية التي مازالت عند حدود نشرة 1916 التي تحجب الكثير من أسرار المتن السوسيري، هذا الأمر الذي دفعنا إلى البحث عن الخلفيات التي حالت دون مواكبة المنجز الغربي كما هو معتاد ومسطر منذ القرن المنصرم، كما ناقشنا مسألة النقد القاسي الذي تعرض له شارل بالي وزميله على أثر هذه التحقيقات الفيلولوجية، وختمنا بتقديم وجهة نظرنا حول هذه الحركة التي تزعم وصولها إلى الفكر السوسيري الحقيقي.

وختمنا بتقديم وجهة نظرنا حول الدراسات والأبحاث التي سعت إلى الوصول إلى الفكر السوسيري الحقيقي.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة اكتملت بعد العودة إلى أهم المصادر والمراجع التي أعانتنا في استكمال الدراسة ومنها:

مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد.

مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر أصول.

مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات.

مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول.

- عبد القادر فهم شيباني، أسرار التأليف " هكذا سمعنا المعلم في الكتاب: محاضرات في اللسانيات العامة".

فردينان دو سوسير، في جوهري اللغة، تح: سيمون بوكي ورودلف أنغلر، تر: مختار زواوي.
-فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، تر: مختار الزواوي.

-محروس السيد بريك، التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء المخطوطات المكتشفة.

حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي - التلقي العربي للسانيات - .

وأما عن الدراسات السابقة، فقد استرشدت بأطروحة الدكتوراه الموسومة بـ " البنية

الحجاجية في الخطاب السوسيري - دراسة مقارنة بين المحاضرات والمخطوطات -" للدكتور

محمد الزين جيلي وهي دكتوراه مخطوطة، تم مناقشتها في جامعة باتنة -الجزائر-، 2016-

2017م، وبعض مقالاته، ومقالات أخرى معاصرة متخصصة تم ذكرها مع المصادر

والمراجع، وتحقيقا للتأريخ في تلقي السوسيرية الجديدة في الجزائر اذكر أن محمد الزين جيلي

رائدها الأول، فقد كان على إطلاع بالمخطوطات السوسيرية المكتشفة والمنشورة في 2002،

وتتوفر عنده نسخ منها، وبحثنا هذا يقر بفضلله وتوجيهه لنا صوب هذه الدراسة.

وقد واجهتنا صعوبات لاستكمال هذا البحث، تعلق أولها بطبيعة الموضوع، فهو جديد -

بالنسبة لي- وقد تطلب الوقت لجمع المصادر والمراجع والإحاطة بها، وكشف معارفها

والاستئناس بمادتها العلمية.

كانت المصادر والمراجع العربية والمترجمة معتبرة الحجم، غزيرة المادة، واجهتنا مسألة

الفعل الترجمي مع المراجع الأجنبية التي اهتمينا إليها من خلال الكتابات العربية لزواوي

وغلفان وجيلي وغيرهم من الدارسين، فتنبعنا النصوص المترجمة بالمقارنة بكتاباتهم عبر

مواقع ترجمة علمية موثوقة، مع تدقيق فاحص للترجمة من قبل أساتذة جامعيين مختصين

باللسان الفرنسي والإنجليزي.

كما أن حجم المدونة الكبير ألزم علينا مضاعفة الجهد لتقديم قراءة مناسبة تحيط بطبيعة الكتابات المغاربية الراهنة وفق ما استجد في أدبيات الفكر السوسيوي.

وفي الأخير أقر بفضل مؤطرة هذه الأطروحة الأستاذة الدكتورة مفيدة بن وناس، التي كانت نعم الموجه والمسدد طيلة فترة إنجاز هذا البحث، فلم تبخل بتوجيهاتها وملحوظاتها العلمية السديدة التي شيدت صرح هذه الدراسة المتواضعة، فلها مني أسمى آيات التقدير والاحترام على فضلها تدريسا وإشرافا وتوجها.

والشكر موصول للدكتور محمد الزين جيلي الذي قام بتوجيهنا صوب هذه الدراسة والبحث حول "السوسيرية الجديدة"، فله منا خالص التقدير والاحترام والعرفان بالجميل.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، لتكرمهم بقبول هذه الرسالة، وتكبدتهم عناء تقييمها، سائلة العلي القدير أن يمن علي بالإفادة من علمهم وتوجيهاتهم.

وأخيرا إن حقق العمل غايته، فالفضل لله أولا وأخيرا، وإن كان غير ذلك، فحسبي سعي لل غاية باذلة فيها منتهى القدرة ، وصادقة الجهد، وآمل من الله تعالى أن يوفقني إلى سواء السبيل.

تبسة في: 02-01-2023

مدخل
وقفه مع الأسس المعرفية وأسرار الحياة الفكرية عند
سوسير

● المبحث الأول:

نبذة تاريخية فكرية عن حياة سوسير

● المبحث الثاني:

الفكر السوسيري بين جدلية الامتداد والقطيعة مع
المحيط الثقافي

تمهيد:

اقتصرت البحوث اللسانية العربية على تقديم نفس الصورة النمطية للحياة الفكرية لفردينان دو سوسير، والباحث لا يجد فروقا سطحية بين مجموع الكتب التي عالجت مسيرة الأستاذ العلمية، فاكتفت بتقديم معلومات جافة مع تقديم أهم المنجزات التي نال بها شهرة واسعة في زمانه، حتى إن المسألة الأساسية وهي عزوفه عن نشر بحوثه وملاحظاته وإقدام طالبه على هذه الخطوة الجريئة، التي قدمت كشيء هامشي، رغم الغموض والضبابية التي ظلت تحول بين المتلقي اللساني العربي والسياق التاريخي والمعرفي لصراعات وصدمات سوسير في متاهات اللسان، سنحاول في هذا المدخل المقتضب الإجابة على مجموعة من الأسئلة التي أرقت الباحث العربي، وذلك بتسليط الضوء على متاهات طالما كانت منسية من ذكرياته، هذه النظرة ستساعدنا في بناء صورة تقريبية عن سوسير الطفل، وسوسير الشاب، وسوسير المفكر، وفهم مدى الأثر الهام الذي أحدثته الصدمة الألمانية في إشلال عملية الكتابة لديه.

هناك إشكالية شاعت كثيرا في أدبيات اللسانيات العربية حول حقيقة القطيعة الفكرية التي شيدها الباحث مع محيطه الثقافي، للوقوف على أصل هذا الافتراء الذي لا يستند إلى دليل دامغ، فلا وجود لمسافات قطيعة فكرية بين الأستاذ والحقول المعرفية السائدة في القرن التاسع عشر، بل هناك علائق فكرية كونت لنا النظرية السوسيرية.

المبحث الأول: نبذة تاريخية فكرية عن حياة سوسير:

أولاً- ترجمة موجزة لسوسير:

1- وقفة تاريخية مع آل سوسير ودورها في النبوغ المبكر:

قبل التطرق إلى الفكر السوسيوي، ارتأينا أولاً إعطاء لمحة موجزة عن عائلته بغرض الوقوف على الدور الأساسي الذي لعبته في توجيه فكره نحو مجال العلمية والموضوعية، تتحدر العائلة من أصول فرنسية عريقة، فالاسم الذي تحمله ذو علاقة كتابية باسم مدينة صغيرة في مدينة اللورين سولكسيرسير موزيلوت (Saulxurcs-sur Moselolle)، غادرت الأسرة في وقت مبكر منطقتها الأصلية واستقرت في جنيف، ويعود سبب هذه الهجرة إلى نشوب حروب دينية في فرنسا اندلعت في نهاية القرن التاسع عشر.¹

عرف عن آل سوسير شغفهم الشديد بالدراسات العلمية وكان أشهرهم جده هوراس بنديكت (Horace Benoît)، ويرجع المؤرخ ون اهتمام سوسير «بالجغرافيا الألبية» (نسبة إلى جبال الألب) إلى جده المذكور أعلاه، وهذا الأمر واضح في استخدامه للإستعارات التي تظهر فيها عناصر تلك الجغرافيا، وحديثه أيضاً عن جداول المياه، وعن منبع الرون الذي يذكره بالاسم: إن مسألة أصل الألسن ليس لها أهمية التي ينسبها الناس إليها، وهذه المسألة لم يعد لها وجود، إنها قضية تافهة شأنها شأن قضية منبع الرون، إن لحظة التكوين لا يمكن القبض عليها كما حدثت إننا لا نراها.²

ويذهب ميشال أريفيه (Michel Arrivé) إلى إقرار حقيقة وجود تأثير كبير بين تيودر (وهو جد دو سوسير) وبين بعض الفقرات الواردة في متون نشرة 1916م، وملح التأثير الذي لمسه هو في قضية إعطاء الأولوية للمنطوق على حساب المكتوب، وفي ذلك

¹ - ينظر: ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، تر: محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2009، ص45

² - ينظر: المرجع نفسه، ص46.

يقول تيودر في كتابه " في إملاء أسماء الأعلام والكلمات المقترضة " « يبدو في أيامنا أن الحرف يرغب في التفوق على الصوت... فالحرف ينبغي أن يمثل الأصوات التي نريد إحداثها أو المحافظة عليها، ينبغي أن يكون خادماً للسان ولا ينبغي أن يجبر الأصوات على أن تخضع للإملاء. »¹

يبرز موقفه صريحا في شأن هذه المسألة، ومن الواضح التهميش الكبير الذي يعطيه للرموز الكتابية، فهي لا تعد أن تكون إلا أداة خادمة للمظهر المنطوق من الاندثار، وقد وفق أريفيه عندما لاحظ تأثير سوسير بجده في هذه القضية، غير أن وجه التأثير كان في الفصل بين المنطوق والمكتوب وليس في التهميش والإقصاء، وقد تبنت المخطوطات المكتشفة وجهة النظر الصحيحة لسوسير في مسألة الكتابة والدور المهم الذي تؤديه في علم اللسانيات.

كان لسوسير ثلاثة إخوة وهم: هوراس، وليوبولد، ورينيه، وسنخص الحديث في هذا السياق عن كل من ليوبولد ورينيه وذلك راجع لتقاسمهما نفس الميول والشغف بالدراسات اللسانية مع سوسير، كان ليوبولد مولعا بالحضارة الصينية اشتهر بأعماله اللسانية التي ظهرت فيها بعض المفاهيم العنصرية، وخصوصا في كتابه "سيكولوجية الاستعمار الفرنسي في علاقاته مع المجتمعات الأصلية"، وقد افترض بعض المؤرخين أن مفاهيم ليوبولد حول خصوصية الألسن في علاقاتها بـ "الأجناس" أثرت بعض التأثير في مفهوم "اللسان" عند شقيقه فردينان وكان لهذا التأثير فعل عكسي، ففي الدروس لا وجود لمفهوم العرق بوصفه سببا في التغيرات الصوتية، ويبدو أن ضمير الغائبين "on" الذي يستخدمه فردينان ربما كان يخفي في ثناياه أخاه ليوبولد.²

¹ - المرجع السابق، ص 48.

² - يقول سوسير «قال بعضهم إن للعرق نزعات تحدد قبليا اتجاه التغيرات الصوتية، وهذه المسألة تتعلق بالأنثروبولوجيا المقارنة، لكن هل يتغير الجهاز المصوت من عرق إلى آخر؟، لا بل إنه لا يكاد يتغير من فرد لآخر.» ينظر: ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، ص 50.

كان لهذه النظرة العنصرية اتجاه بعض الألسن^{*}، والتي قويت أواصرها مع نظرية النشوء والارتقاء أثر عكسي في الفكر السويسري، فكان من بين الأوائل الذين نادوا بتساوي الألسن، وفكرة أنه لا وجود لأفضلية لسان على حساب الآخر وأن كلهم سواسية تحت راية اللسانيات العامة، وإذا كان نيلسون مانديلا أول رجل أسود قضى على جرثومة التمييز العنصري ضد السود، فإن محاضرات الأستاذ كانت الماء الذي اخمد هذه النيران.

أما الأخ الصغير له "رينيه" فقد سعى في احد كتبه إلى تقديم نفسه بوصفه رائد أخيه في التمييز بين الزمانية والآنية، لكن سويسر يتحدث باهتمام كبير دون أن يستشهد بأعمال أخيه.¹ عمل أريفيه على تنفيذ هذه الإدعاءات وذلك باعتماده على عدم وجود أي إشارة لتصورات رينيه سواء في نشرة 1916م، أو المخطوطات المكتشفة.

حاولنا في هذه الفقرات الموجزة الوقوف على أبرز أفراد آل سويسر الذين ساهموا بشكل أو بآخر في رسم ملامح تفكيره، وربما يفسر سعي سويسر الدؤوب إلى تحديد موضوع اللسانيات بغية الاستقلال بها عن شعاب العلوم الإنسانية، طبيعة التوجه العلمي الذي عاش في كنفه، فقد كان أغلب آل سويسر يشتغلون في مجال العلوم الطبيعية والتي من أهم سماتها الدقة العلمية والموضوعية البحتة في معالجة الظواهر، وقد اقتصرنا في هذا العرض الموجز على بعض آل سويسر الذين لديهم باع كبير في مجال الدراسات اللسانية، ولا بد من التنبيه إلى وجود أفراد آخرين كانت لهم جهود أسهمت في ثراء الدراسات اللسانية.

^{*} أشار إلى هذه المسألة قبل سويسر نفر من اللسانيين، كان في مقدمتهم اللساني الألماني همبولدت الذي لم يكن يرى في الألسن الهندية الأوروبية أي أفضلية على الألسن الأخرى، كما صارا على هذا النهج فون ديرحابانيش الذي وضح أنه لا وجود لما يسمى باللسان البدائي، وإن كل لسان كان مكتمل على نهج خاص به. ينظر: ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص60.

¹ - ينظر: ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سويسر، ص50.

2- وقفة مع ذكريات الطفولة والشباب والصدمات العلمية:

والآن سننتقل للوقوف على أهم المحطات الفكرية في حياة سوسير « كان 1857م عام اضطراب في جميع العالم، بما في ذلك سوسير، لكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى لويز دو سوسير التي لم تتأثر بالدمار، بالنسبة لها كانت سنة ابتهاج، احتفلت الأسرة بزواج أختها الكونتيسة، وفي نفس الوقت علمت لويز، التي لم تبلغ العشر ون بعد، أنها حامل بطفلها الأول، أنجبت ابنها يوم الخميس 26 نوفمبر، في جنيف، تم تعميده فردينان مونجين والاسم الثاني هو اسم سلفه القديم مونجين شول.¹»

ارتبط هذا التاريخ في المحافل اللسانية بولادة ثلاث من أبرز العلماء الذين سيكون لهم بصمة كبيرة في تغيير منابع نهر الرون، خاصة في مضمار الدراسات الإنسانية، ففي عام 1956م ولد زعيم مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد، وفي عام 1957 ولد مؤسس اللسانيات الحديثة، وشهد عام 1958 ولادة عالم الاجتماع دور كايم.

أشعل صديق العائلة اللساني أدولف بكيتيه (Adolph Pictel)، وهو صاحب كتاب "أصول هندية أوروبية"، في سوسير المراهق عشق الدراسات اللسانية، هذا العشق الذي سيصاحبه إلى آخر أنفاسه، سعى وهو في الثانية عشر إلى أن يثبت أن جميع الألسن تمتد بجذورها إلى أحد الأنساق المكونة من ثلاثة حروف صامتة أساسية، وأتم في سن الخامسة عشر تعلم اليونانية فضلا عن الفرنسية والألمانية والإنجليزية.²

¹-John E-Joseph, Saussure, Oxford University press, Certain, first Edition 2012, P101.

²- ينظر: جوناثان كلر، فردينان دو سوسير تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، تر: محمد حمدي عبد الغني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000، ص23. محمد حسن عبد العزيز، رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر، القاهرة، ص9.

انكب في هذه الفترة على مطالعة مؤلفات فرانز بوب، وجورج كورتيس، واهتم بالأفكار التي تدرس إعادة هيكلة الألسن الهند أوروبية وفي هذا الإطار يقول «بدأت بتعلم السنسكريتية في كتاب النحو لبوب، وبقراءة القواعد لكورتيس».¹

وفي عام 1872م اكتشف الحرف الخيشومي المصوت، هذا الاكتشاف الذي سيصبح في المستقبل ذكرى مؤلمة وخيبة أمل جديدة يتجرعها الأستاذ، فبعد أربع سنوات علم عندما وصل إلى لايبزيغ* أن الحرف "الخيشومي المصوت" كان موضوع بحث حديث لبروغمان (Brugmann)، وهو بحث أحدث صدى كبيرا في الأوساط العلمية.

هكذا أصبح ما كان يفكر فيه منذ عام 1872م ويعده من الحقائق الأولية التي لم يكن يجرؤ على الحديث عنها بوصفها شائعة جدا، هذا الشيء أصبح منذ وقت قريب اكتشافا مثيرا، وسوسير حين لم يكتب شيئا في الموضوع فإنه لم يكن قادرا على إثبات سبقه في هذا المجال، ولم يستطع بعد ثلاثين سنة مرت على هذا الحدث تقريبا أن يتمتع عن تسجيل حزنه العميق الذي سببته له ضرورة الرجوع إلى عمل باحث آخر فيما يرى أنه من اكتشافه.²

بدأ سوسير في 1876م رحلته في أروقة مركز الدراسات المقارنة، درس أولا لدى «كورتينوس وكتب عليه أن يشاهد شهادة عيان الخلاف الذي قام بين هذا الأستاذ والنحاة الجدد*، فتعرف على بروغمان واستهوف وغيرهما وكان يحضر مناقشاتهم ويساهم فيها وهو

¹ -لويك دوبيكير، فهم فرديناند دوسوسور وفقا لمخطوطاته مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، تر: ريماء بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2015م، ص277.

* لم يتردد سوسير على محاضراته كثيرا في جامعة لايبزيغ «ويُفسر لاحقا أنه لم يكن يريد أن يعتقد أنه قد اقتبس اكتشافاته الخاصة من أساتذة جامعة لايبزيغ.» المرجع نفسه، ص279. وربما يكون السبب أيضا قلة تردده على المدرجات، حسه النقدي الذي كشف عن القصور النظري للخطاب التاريخي.

² -اكتشف سوسير في أثناء قراءته لـ"هيرودوت" أن -a- في atal هي بديل حرف N الذي هو أكثر قدما، كانت ميزته أنه بين صامتتين، وأنه عبر هذه الصفة بترك المجال مفتوحا لنشوء a إغريقية لكنها كانت N كأى حرف N آخر، ينظر: ميشال أريفييه، البحث عن دو سوسير، ص51، 52.

* قامت مدرسة النحاة الجدد في الأساس ضد الأفكار المحافظة للسانيين القدامى، وكان من أبرز خصوم هذه الحملة كيرتيسوس، وقد تم إطلاق هذا اللقب عليهم كنوع من التهكم، غير أن أصحاب المدرسة رأوا في اللقب تعبير عمى تحمله

ابن 19 سنة، ورغم إعجابه بعلم الألمان وبدقتهم وتشددهم لإثبات الأحداث فإن طبعه الذي ركب عليه عدم اطمئنانه إزاء الأقوال الحازمة وشمولية ميولا ته العقلية وصبوته إلى الكمال في جميع أعماله، جعله لا ينسجم بهؤلاء الشبان الألمان.¹

كان شغله الشاغل في هذه الفترة منصبا على مشروع بحثي حول أحرف العلة في الألسن الهندوأوروبية وعنوانه "أطروحة في نظام الحرف المصوت البدائي في الألسن الهندوأوروبية" طبع سنة 1879، ونال بها في زمانه شهرة عظيمة، وقد أظهر هذا العمل نزعة استقلالية فوق المعتاد في المقاربة البحثية، ذلك أن الظواهر اللسانية قد عولجت في هذا العمل بوصفها كلا؛ أي في نظام على نحو بلغ مبلغ الثورة في المنهجية اللسانية.²

ظهر في هذا العمل ولأول مرة فكرة النظام، الذي يدرس النسق اللساني في شموليته، بدل الاقتصار على الجانب الصوتي، ونال شهرة واسعة في المجتمع اللساني، مما ساعده للوصول إلى هذه المكانة المهمة، عقليته التي جبلت على التدقيق في أدق التفاصيل، حيث ركز على العناصر ذات الطابع المجرد، والوظيفة النظامية التي تقيمها في شكل هيكل بنائي.

شرع بعد هذا المشروع الذي نال به درجة الماجستير على مشروع رسالة الدكتوراه، وكان موضوعها حول استخدام الجار المطلق في اللسان السنسكريتي، عنوانها بـ "حول استعمال حالة الجر المطلق في السنسكريتية"، وقدامها في 1880 وتم نشرها بعد عام من ذلك³، ويعلق ميشال أريفيه على هذا العمل بقوله «إنه تحليل دقيق للغاية للعلاقات التي تنشأ

أفكارهم من فتح جديد للساحة اللسانية، وكانت فكرتهم تقوم على أن كل التغييرات الصوتية، بوصفها عمليات ميكانيكية، تحدث في اللسان الواحد طبق قوانين لا تقبل الاستثناء، إذ يتطور الصوت نفسه في المحيط نفسه بالطريقة نفسها، ينظر: ميكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص94.

¹ ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، نقلا عن خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات. دار القصة، ط2، 2000، ص32.

² ينظر: ميكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص213، 212.

³ ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص32.

بين البنية النحوية المعروفة باسم " المضاف المطلق " والعلاقات الدلالية التي تستطيع هذه البنية التعبير عنها.¹

وربما يعزى عدم تقديم نسخة عربية مترجمة للرسالتين صعوبة فهم واستيعاب جميع المضامين الفكرية والسياقات التاريخية لقواعد اشتملت على العديد من الألسن الهندوأوروبية القديمة.

هذه الشهرة قصيرة المدى التي لمع فيها اسم فردينان دو سوسير في مدرجات الجامعات الألمانية انتقل إلى باريس، وذلك لعدم تلقيه لا الاحترام ولا القيمة الحقيقية لتصوراته خاصة من قبل النحاة الجدد، ووجد في المرحلة الباريسية أنفاسا لتمخضات هـ الابستمولوجية، وأذهانا استوعبت وقدرت أطروحاته، فأثر وتأثر وكان في مقدمة من أسهم في رقي أفكاره ميشال بريال، وامتدت الفترة الباريسية من (1880م-1891م)، تابع فيها سوسير دورات القواعد المقارنة لميشال بريال في مدرسة الدراسات العليا، الدورات التي قدمها بنفسه منذ عام 1881، وتميزت الفترة الباريسية بنشاطه العلمي الكبير، وكان له جمهور شغوف حريص على متابعة أعماله وكان في مقدمتهم أنطوان مايي.² كما ألقى محاضرات في القوطية، والألمانية القديمة العليا، واليونانية، واللاتينية، والليتوانية، وكان من بين طلبته في ذلك الوقت عدد ممن أصبح من أعلام الدرس اللساني الفرنسي، من بينهم دار مستيتر، وباسي، وغراموا، ومايي.³

قام خلال هذه الفترة برحلة إلى ليتوانيا، لم يكن سوسير دارسا للألسن الهندوأوروبية القديمة فقط، ولكنه لساني ميداني، إذ علم المتخصصون أنه قام برحلة إلى ليتوانيا لجمع شهادات مباشرة عن اللهجات اللتوانية، تختلف الآراء حول تاريخ هذه الرحلة، وضعها موريت بين مارس وسبتمبر لعام 1880م، بينما وضعها جورج ريدارد وغودل مابين عامي

¹-Michel Arrivé, Un Moment important dans l'histoire des sciences Humaines:l' ouvre de Ferdinand de Saussure,HAL archive ouvertes.2012. p5.

²-Michel Arrivé, Un Moment important dans l'histoire des sciences Humaines, p5

³- ينظر: روي هاريس، سوسير وفتحشتين فلسفة اللغة ولعبة الكلمات، تر: فلاح رحيم، جامعة الكوفة، بيروت، ص44.

1889م-1890 م ، وهو العام الذي حصل فيه سوسير على إجازة لمدة عام من مدرسة التعليم العالي.¹

بعد عقد من الازدهار والنشاط الفكري عاد سوسير إلى قوقعة الصمت، وقرر الرجوع إلى جنيف رغم كل الجهود العلمية القيمة التي أنجزها، رغم إلحاح زملائه وكبار اللسانيين بضرورة البقاء، غير أنه ظل مصرا على رأيه، ويفسر المؤرخ ون لحياته هذا القرار المفاجئ بأنه « نفور من طلب الجنسية الفرنسية التي كانت ضرورية لكي يخلف ميشال بريال في "كوليج دو فرانس" (college de France) »²، غير أنه تفسير ضعيف، لأن آل سوسير ينحدرون في الأصل من فرنسا فلا حرج في طلب الجنسية الفرنسية، وقد تضاربت التفسيرات في هذه القضية فمنهم من علل ذلك بمرض والدته، أو من أجل الزواج... إلخ، ويبقى الجواب الشافي عند سوسير.

بعد عودته إلى جنيف وبالتحديد في «عام 1896م توقف إنتاجه العلمي، ودخل في عزلة تامة، وأشار أنطوان مايي إلى أنه كان يعاني من عقدة النقص وفسر هذه العقدة بوسواس الكمال، واعتبر بنفنيست ودو مورو أنه انهار أمام إحساسه بعدم فهم الناس له، أما غودل فقد أشار إلى أن سوسير كان يكره تقديم محاضراته إذ أصيب بالاكئاب والحيرة والإحساس بعدم الكفاية.»³

ينبغي الإشارة في هذا المقام إلى أن الألم والتهميش الفكري الذي تلقاه من النحاة الجدد رافقه إلى آخر حياته، فقد بلغ الأمر بينه وبين أساتذته الألمان بخصوص ضرورة اعتماد المفهوم الإجرائي للنظام في التحليل الذي تبناه سوسير في رسالة الماجيستر، وعلى

¹ - André Rousseau, Saussure a paris((1880-1891: le cours de grammaire gotique, comptes rendus des Séances de l' académie des inscriptions et Belle-lettres,N1,2009,p491.

² - ميشال أريفييه، البحث عن دو سوسير، ص57.

³ - ربيعة العربي، سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة، 24 يونيو 2019، bilarabiya.net/7538.htm.

وجه الخصوص بينه وبين أستاذه أستهوف حدّ الإهانة والتحقير، مما دفع بنفنيست بوصف سوسير «بأنه العالم الذي تحرك بعد موته».¹

بالإضافة إلى الحزن والأسى الذي تاءن به حروف مذكراته حول سبقه في اكتشاف الحرف الخيشومي المصوت، والذي اقترن في المحافل اللسانية بكارل بروغمان، علاوة على الزواج التعيس الذي جعله يدمن الخمر، كل هذه الأسباب زادت من احتقان آلامه وتقادم حالة العزلة والخوف من الكتابة، وكاد أن ينسى الأستاذ من دفاتر الماضي لولا تعيينه كأستاذ في مقياس اللسانيات العامة بعد تقاعد جوزيف ويرثيمر، بعد أن كان يلقي محاضرات موضوعها الأساسي السنسكريتيّة وغيرها من الألسن الهندوأوروبية²، وجد الأستاذ في مدرجات جنيف أذهانا يقظة مدركة لأنوار نهضته، مستعدة لخلع كل ما كان من الحقائق المؤكدة التي أرستها الدراسات التاريخية المقارنة، وكان تاريخ هذه المحاضرات على النحو التالي:

- المحاضرة الأولى من جانفي 1907 إلى غاية جويلية 1907 حضرها من 5 إلى 6 طلبة.

- المحاضرة الثانية من نوفمبر 1908 إلى غاية جوان 1909 وحضرها 11 طالبا.

- المحاضرة الثالثة من أكتوبر 1910 إلى غاية 1911 وحضرها 11 طالبا³.

بعد وفاته في 22 فيفري 1913 متأثرا بسرطان الحنجرة، قام كل من شارل بالي وألبرت سشهاي بجمع المحاضرات في كتاب ونشرها في 1916م تحت عنوان محاضرات في اللسانيات العامة (le cours de linguistique générale).

¹-جيلي محمد الزين، البنية الحجاجية في الخطاب السوسيري- دراسة مقارنة بين المحاضرات والمخطوطات، أطروحة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة باتنة 1، 2016-2017، ص55.

²- ينظر: روي هاريس، سوسير وفتحشتين فلسفة اللغة ولعبة الكلمات، ص 210.

³-جيلي محمد الزين، البنية الحجاجية في الخطاب السوسيري، ص53،54.

ليس من الممكن اليوم الحديث عن حياة سوسير دون الإشارة إلى الدراسة التي صدرت مؤخرا (2008م و 2011م) بقلم كلوديا ميخيا كويجانو (Claudia mejiaQuijano)*، تتبعت فيها صاحبها تفاصيل مسار حياته استنادا إلى وثائق شخصية تتعلق بكتابات الشخصية والعلمية منذ أن كان فتى في الخامسة عشر من عمره، هي قراءة من منظور التحليل النفسي الفرويدي في سلوك سوسير وتصرفاته العامة والخاصة.¹ هي أول سيرة ذاتية تتناول حياة سوسير المراهق، وسوسير الشاب، وسوسير الوجه الآخر في ضوء التحليل النفسي، يكشف لنا هذا العمل عن خبايا تجربته، وقد ساهم تسليح الباحثة بأدوات الطب النفسي من نقل القارئ من عتبات الغموض إلى أبواب المفاجأة. خلصت الباحثة بعد تفكيك البنيات الذهنية والنفسية إلى كشف ملامح شخصية متوترة وقلقة تطفح بالتناقضات التي لا يطيق إنسان عادي تحملها، فسوسير رجل وقور ومحترم وملتمزم إزاء أسرته وعمله، ولكنه في الوقت ذاته خجول يعيش في جلباب أسرته بصفة عامة وفي جلباب أبيه بصفة خاصة، وغير قادر على مواجهة الآخرين (عدم رده على نقد أستهوف)، تعاطى في مراهقته ورجولته كل ملذات الحياة (شرب الخمر) لدرجة الإدمان. كان سوسير ممزقا بين تناقضات حياته الشخصية والعائلية، عاش صراعا صارخا بين ما كان يصبو إليه علميا، وبين ما قام به وأنجزه.²

هناك صراع تمزق لا يلتئم بين سوسير البرجوازي، وسوسير الباحث، وسوسير الأستاذ، كل وجه منهم زاد من شرارة صراعاته الداخلية، ممزق بين واقع يثير اشمئزازه وحلم لا يكتمل،

* كلوديا ميخيا كويجانو: دكتورة في اللسانيات العامة، تدرس حاليا في كلية الآداب وكلية الترجمة في جامعة جنيف، وعملت كباحثة في الطب النفسي للأطفال، وقد طبقت علم النفس والسيما على مجالات مختلفة منها: التحليل النفسي، علم أمراض اللسان، التحليل الحاسوبي للبيانات النصية... إلخ، نشرت مخطوطات مهمة عن سوسير، وعالجت في مقالات عديدة الكثير من قضايا الفكر السوسيري.

Claudia mejia Quijano, le cours d'une vie - portrait diachronique de Ferdinand de Saussure, fabuler la recherche en littérature, actualités <https://www.fabula.org>, 22-02-2022.

¹ Claudia MejiaQuijano, le cours d'une vie portrait - ينظر: نقلا عن مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في

سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2017، ص95.

² ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص95، 96.

مذبذب بين التزامات الطبقة التي ينتمي إليها والتي فرضت قيودها حتى في قرار زواجه وفي من يدخل قصر العائلة ومن لا يدخل، وبين ما يصب و إليه من الاستقلال بالدرس اللساني في واقع يهمل فكره، كل هذه القيود زادت من انطوائه على نفسه وعلى أفكاره.



وهذه صورة نادرة لسوسير في شبابه

3- مراحل تكوين فكر سوسير:

لا يمكننا فهم الخطاب السوسيري في هيكله النهائي دون تفحص البناء المرحلي الذي كان الأساس في تكوين المفاهيم والقضايا الأساسية لديه، إضافة إلى ما سبق سنتطرق إلى أهم اللسانيين الذين كانت لهم علاقة مباشرة في انتعاش مدونة البحث لدى الأستاذ.

اطلع سوسير على مؤلفات العالم الأمريكي وليام داويت ويتي (W.D.whitney)، الذي كان موافقا لتوجهه النقدي في كثير من المواطن، كانت العديد من مفاهيمه نقاط أساسية انطلق منها سوسير في التدليل على مشروع اللساني.

كما اطلع سوسير أثناء دراسته في لايبزيغ على أفكار فيلهلم فون همبولدت، الذي عمل من خلال محاضراته على إبراز المادة اللسانية التي تنتمي الى فترة زمنية بعينها، وهذا يعني ملاحظة الألسن في مظهرها الآني السينكروني.¹

غير أن هناك من يشكك في وجود صلة بين نظرية همبولدت والخطاب السوسيري، لكن المطلع على تاريخ الدراسات التاريخية المقارنة يلاحظ الفجوة الكبيرة التي أحدثتها نتائج بحوث رائد المدرسة الرومانسية، الذي رفض كل المسلمات وأفشى قصور مدرسة النحو المقارن والمنهج التاريخي، ولا يمكن أن يكون سوسير جاهلاً بفكر هذه الشخصية التي عرفت العديد من السجلات مع رواد النزعة التاريخية المقارنة، هذه السجلات التي ستكون قوام الخطاب اللساني لديه.

المرحلة الباريسية تعرف سوسير بـ "قاستون باري G.paris وهو من المشتغلين بالألسن الرومانية وعلم اللهجات، نقض فكرة اللسان الأم واللسان الولد، وهذا النقض في هذا التاريخ بمكان، وتظهر لنا هذه الأقوال في المحاضرات السوسيرية، حيث استشهد بها، كما كان سوسير على اطلاع بالإنجازات العظيمة التي حققتها مدرسة قازان في مجال الصوتيات، وأشاد بأفكارها وأكد أن اللسانيات الغربية قد نالها الضرر إذ لم تعرف عن عمله إلا الأقل القليل.²

انطلاقاً من ما سبق يمكن حصر البناء المرحلي الذي شكل لنا المحصول النهائي في ثلاث مراحل أساسية³ :

1- المرحلة العرفية: كانت مجمل الأفكار التي صاغها سوسير ضمن الإطار النظري لمذهب العرفية (الاصطلاح، الموضوعة، التواطؤ، الاتفاق) الذي ينسب إلى ويليام ويتني.

¹ - ينظر: ميكا أفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 66، 65.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 212.

³ - ينظر: جيلي محمد الزين، البنية الحجاجية في الخطاب السوسيري، ص 65، 67، 68.

2- المرحلة الوضعية: كانت التأملات والأفكار السوسيرية ذات الصلة بالنظرية العامة (الكليات) وقضاياها تعود إلى 1897م، وقد تميزت هذه المرحلة بطغيان المناهج والمصطلحات الوضعية.

3- المرحلة التأصيلية: وبداية من عام 1897 م تبدأ المرحلة التأصيلية إلى غاية المحاضرات.

كانت رسالة سوسير التبشيرية عصارة سنوات من التمخضات الفكرية، انصهرت فيها تصوراته مع أقطاب فكرية كثيرة، كان لهم نفس الطابع التجديدي، كان هذا البناء المرحلي يتم اشي في طور منتظم، كان في المرحلة العرفية متأثرا بالمفاهيم النظرية والمنهجية التي طرحها ويتني في مؤلفاته والتي تنظر إلى اللسان على انه ملكة اجتماعية، بعيدا عن النظرة البيولوجية، أما المرحلة الوضعية بدأت تلح عليه مع ظهور فلسفة أوغست كونت فكرة إقامة نظرية عامة تستوعب كل أبعاد اللسان البشري، أما المرحلة الأخيرة فقد تم الاصطلاح عليها بمصطلح "المرحلة التأصيلية" والتي كانت ختام هذه الرحلة الفكرية، غير أنه كما مر بنا سابقا فقد كان سوسير في هذه المرحلة قيد البحث والتدقيق في كل ما توصل إليه، فمفاهيمه كانت تتغير من سنة إلى أخرى، كما كان الجهاز المصطلحي يشهد من فترة إلى أخرى عمليات تعديلات شاملة، فكانت هذه المرحلة أقرب إلى مصطلح البحث من فكرة التأصيل و التحرير النهائي، لأن الأفكار لم تلتحم في صورتها النهائية في ذهنه، لذلك نجد أن المخطوطات المكتشفة كانت لا تخلو من الشطب وعلامات الاستفهام، والتردد.

ثانيا - أعمال سوسير المطبوعة والمخطوطة:

المعلوم لدى القارئ اللساني أن مؤسس الدرس اللساني الحديث كان قليل النشر لا الإنتاج، لم ينشر خلال مساره العلمي الطويل إلا نادرا، وكان من بين الأعمال التي حرص على نشرها رسالته في نظام الحرف المصوت البدائي في الألسن الهندوأوروبية، التي عالج فيها الظواهر اللسانية وفق منظور كلي يخضع لوحدة النظام، عرجا على منهج وآليات علماء

عصره، عالج في هذا العمل كما سبق أن أشرنا الصوت المختفي، والذي وضع له الرمز A، وعلل من خلال هذه النظرية العديد من القوانين الصوتية التي بقيت مبهمة أو لم تصل إلى درجة الدقة التي ترضي سلطان العقل.

وقد عاب سوسير الشاب في هذا العمل على علماء عصره اقتصارهم على الطرح النظري لتصوراتهم دون طرق أبواب التطبيق الصارم الذي يزيد من صفاء الصورة، وثبت قوانين النظرية، وفي ذلك يقول: تنقسم الآراء إلى ما لا نهاية، ونادرا ما قام اللسانيون بتطبيق صارم لأفكارهم، بالإضافة إلى ذلك ترتبط مسألة A بسلسلة من المشكلات الصوتية والصرفية، والتي يزال بعضها ينتظر الحل، والعديد منها لم يطرح حتى الآن، وسنضطر في سياق رحلتنا إلى عبور أكثر المناطق الغير مزروعة في اللسانيات الهندوأوروبية، وستظل قلة خبرتنا عائقا في كثير من المسائل... إن السؤال هنا ليس عن تكهنات بترتيب متعالي، بل بحث عن البيانات الأولية، التي بدونها يطفو كل شيء، كل شيء يكون تعسفي وغير مؤكد.¹

ويظهر لأول مرة مصطلح " وجهة النظر تخلق الموضوع " في هذا العمل، الذي أقر فيه سوسير بصعوبة الممرات وعتمة المتاهات في دهاليز الدراسات التاريخية المقارنة، دون الاتكاء على بيانات أولية تضيء درب الدارس اللساني.

وبرهنت الأبحاث الحديثة على صدق نظرية سوسير، حيث حدث في الألسن الهندوأوروبية استبدال للحركات القصار e/o/ø في مقاطع مثل (derk/dork/drk) من الكلمات اليونانية (derkomai/dédorka/édraKon)، وأكد سوسير ضرورة أن نفترض سلفا اشتغال نظام أصوات غير ذي قيمة معروفة اختفى فيما بعد (ويرمز لهذا الصوت المختفي بـ A) ووجود هذا الصوت في سياقات مماثلة جعل من الممكن وجود سلسلة مماثلة من البدائل: *dheA/*dhoA/dhA مشابهة للبدائل derk/dork/drk، وأدى اختفاء هذا

¹-Ferdinand de Saussure, mémoire système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes, tuber, 1879 ,p1.

الصوت الغامض A تبعا لقوانين الصوت الهندو أوروبي إلى إطالة متميزة في الحركات القصار المجاورة، وإلى ظهور حركة في موقع لم يسبق لها أن وردت فيها؛ أي فيما بين الصوامت لا من الحركة الصفرية Ø، (في اليونانية على سبيل المثال نجد العلاقة الآتية: (dhē/dhō/dhe:tithēmi/thōmos/thetōs)، وأصبحت هذه النظرية فيما بعد تعرف بـ " نظرية الحجرة"، وسبب هذه التسمية راجع إلى هاند ريكسن الذي اكتشف عن صوت حنجري، بعد فك رموز اللسان الحيثي، في المواضع التي ربط فيها سوسير بين الإطالة في الحركات القصار وبين ورد الصوت الغامض A.¹

كان لسوسير الشاب فضل السبق في هذا الاكتشاف رغم عدم توفر دليل قاطع على صدقية النظرية لديه في ذلك الوقت، وبسبب العزوف والتهكم الذي وجهته النظرية تراجع عن نشر أكوام من مخطوطاته.

أصدر في عام 1881م كتابا بعنوان " استعمال المضاف المطلق في اللسان السنسكريتي، وكانت هذ الرسالة نتيجة معرفته الشاملة بالنظام النحوي السنسكريتي، بالإضافة إلى النصوص الأدبية، ولا سيما الروايات النثرية والقصائد الشعرية المتوفرة في لايبزيغ، وكانت دراسته لهذا الموضوع بتشجيع من بوب، وهذا البحث عمل على بناء الجملة في السنسكريتيه، وتجدر الإشارة إلى أن قواعد بانيني كان لها دور كبير في تطوير الدرس اللساني الأوروبي، لأنه كان لا يتعامل مع اللسان على أنه حالات من التطور بل وحدة نظامية.²

سعى سوسير من خلال هذا البحث إلى دراسة موضوع استخدام المضاف المطلق في بناء الجملة السنسكريتيه، وذلك بعد دراسة شاملة وعميقة لنظامها للتأثير الذي مارسه على الألسن الآسيوية والأوروبية، والمفارقة العجيبة أن هذا العمل بالإضافة إلى رسالته في نظام

¹ - ينظر: ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص213

² - quoted:Ferdinand de Saussure, on the use of genitive absolute in Sanskrit, translated:Ananta ch sukla,common ground research networks,2018,pX.

الحرف المصوت البدائي في الألسن الهندوأوروبية الذي أنتجه في سياق الدراسات اللسانية التاريخية والمقارنة لم يحقق له الشهرة والمكانة التي كان يصب و إليها، بل كانت شهرته وميلاد فكره الحقيقي مع نشرة 1916.

نشر خلال حياته العدد القليل من المقالات وكانت في معظمها مسائل تتعلق بالدراسات التاريخية، ومنها مقال حول علم العروض¹

بعد وفاته تم جمع جميع منشوراته العلمية ومسوداته التي توفرت لدى الباحثين في ذلك الوقت في كتاب حمل عنوان "منشورات فردينان دو سوسير العلمية"، تم إصداره في عام 1922م، وإن أول شيء يجب التأكيد عليه بعد قراءة الكتاب هو أن سوسير عرف نفسه بشكل صريح على أنه متخصص في علم اللسانيات التاريخية ، كانت منشوراته تتعلق بالمعنى الصحيح للمصطلح في مجال اللسانيات التاريخية، يتكون هذا العمل من مسائل مختلفة حول القواعد التاريخية وعلم المعجم، وعلم الكلام، والكتابات باللسان الهند أوروبي من مثل: السنسكريتيه واليونانية واللاتينية والفرجية والألمانية القديمة و القوطية... إلخ، كان اهتمام سوسير الأساسي بتاريخ اللسان ومراحل تطوره، وكانت رسالة الدكتوراه تتجنب صراحة أي نهج مقارنة.²

لم يحظ هذا الكتاب بكثير من الاهتمام، ولذا فهو غير متوفر في كل المكتبات الجامعية، ولم تسنح الفرصة لسوسير لإنهاء مقال طويل عن ويتي، كان يحضره بمناسبة وفاته، وتم العثور على سبعين صفحة منه احتوت على ملاحظات ناقصة.³

أما مشروعه الذي أحدث قفزة نوعية على مجال الدرس اللساني ونال به شهرة سامقة، فقد نشره طالبه، وسنتوسع في هذه النقطة أكثر في مبحث "مشروع إخراج محاضرات في

¹ - ينظر: ميشال أرفيه، البحث عن دو سوسير، ص 19.

² - Pierre swiggers, modeler l'étude des signes de la langue: Saussure et la place de la linguistique, modèles linguistiques, 31juillet2016, p2.

³ - ينظر: بريجيت بارثشت، مناهج علم اللغة من هارمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، 2004، ص 85.

اللسانيات العامة"، أما تحقيق مخطوطاته فقد بدأ مع روبرت غودل حينما نشر سنة 1954
نصوصا من مخطوطات سوسير اللسانية

"Notes unedited de f.de Saussure cahiers Ferdinand de Saussure "

تناول هذا العمل مسائل الصوتيات، والصرف، وأصل الكلمة، وتاريخ الألسن القديمة¹.

كما قامت ماريا بامار شيز في 1995م بتحقيق ونشر مدونة في علم الأصوات

لسوسير، كانت ضمن المخطوطات المكتشفة في مكتبة هتون بهارفارد، كما أرفقت هذا

العمل بنشر مدونات في نظرية الصوت الأذلق في 2002 الموجودة في المخطوطات التي
استلمتها المكتبة العامة بجنيف.²

هذه الجهود التي تروم إلى إعادة تمثيل الفكر السوسيري عن طريق تحقيق مخطوطاته

التي تم تسليمها من طرف عائلته بالإضافة إلى دفاتر الطلبة، وجدت حزمة من مدونات

سوسير في بستان البرتقال في عام 1996م، عندما تم تغيير ملكية منزل عائلة سوسير،

وجدت وسط كومة ترابية من المحفوظات العائلية، متراكمة في جناح يسمى "orange"،

مخطوطة سوسيرية صغيرة في الجواهر المزدوج للغة، بالإضافة إلى بعض الملاحظات

التحضيرية للدورات الجامعية، قام كل من سيمون بوكيه ورودلف أنغلر بتنقيحها وإخراجها

إلى النور في سنة 2002.³

نالت هذه المخطوطة اهتمام واسع لما حوته من نضج فكري وبعد تعبيدي للظاهرة

اللسانية، وتم ترجمتها إلى العديد من الألسن.

كانت هذه أهم أعمال سوسير، وكما هو موضح فإنه طوال رحلته الشاقة لم ينشر إلا

القليل النادر، وكانت أهم مدوناته التي نال بها صيت واسع من تحقيق زملائه ودارسين

¹-Armand colin, les manuscrits de Saussure: une révolution philologique, cairn.INFO matières Àréflescion, N185, 2012, p4.

²- ينظر: لويك دوبيكير، فهم فرديناند دوسوسور وفقا لمخطوطاته مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، ص286.

³-Pierre-Yves Testenoire, les anagrammes de Saussure après un demi -siècle, Sorbonne université/histoire des théories linguistiques,p2

آخرين كانوا شغوفين بنهضته الفكرية، كان سوسير العالم الذي تحرك بعد موته، ولا يزال المستقبل يحمل في خباياه الكثير من أسرار هذه الشخصية الغامضة، التي في كل مرة تقايننا بالغاز وأحجيات لا تنتهي.

ثالثا-مكتبة سوسير:¹

العدد	الموضوع	المؤلفون المشهورون	النسبة	الكتب غير الموجودة رغم شيوعها
326	اللسانيات التاريخية المقارنة للألسن الهندية الأوروبية من بينها: 132 عنوانا في الدراسات الجرمانية 380،28%. تمثل بالنسبة للأصل أكثر من الربع، وتمثل بالنسبة للكتب التاريخية ما يقارب 40% و49%.		25%، 75%.	– les principes de H. Paul. –Essai de sémantique, de M.Bréal. (على أن المنشورات الحديثة 2002 تشير إلى إحالة سوسير إلى ميشال بريال) –Programme méthodes de A.secheha ye.
10	اللسانيات العامة	F.N.Fi nck(1910). Déférentes essais de Whitney. N.Kras zewski	2.15%	

¹ - جيلي محمد الزين، البنية الحجاجية في الخطاب السوسييري، ص62.

27	علم الأصوات التاريخي والوصفي وعلم الأصوات الاختباري.	-B.de Courtenay(1902). P. -Passy. E. Séivers(18 -81). J. -winteler.	%5,81	
101	-Recueils de mélanges et notes de la Maine de Saussure. مخطوطات			
المجموع: 464				

تبين لنا الدراسة الإحصائية لمحتويات مكتبة سوسير، أن اغلب اهتماماته الفكرية كانت حول اللسانيات التاريخية المقارنة، وأولى عناية كبيرة بالدراسات الجرمانية منذ سن مبكر، لم يقتصر فيها على الجانب النحوي أو الصوتي فقط بل تجاوز ذلك إلى الموروث الأدبي، وهذا ما ستتضح صورته معنى في الجانب الآخر لسوسير (الجناس التصحيفي و الحكاية الخرافية والأسطورة)، والغريب في إحصائيات هذا الجدول أن الكتب التي اطلع عليها في مجال اللسانيات العامة تحتل أقل نسبة، ويفسر هذا الأمر على أنه لم ينشغل بجدية تامة بهذا المبحث سوى في العقد الأخير من حياته الفكرية، بعد أن تولى تدريس هذا المقياس في جنيف، وإن كانت هناك محاولات جادة للتدوين في اللسانيات العامة قبل هذا التاريخ، غير أنه بدأ إلقاء المحاضرات، أما قبل هذه المرحلة فقد كان سوسير لساني تاريخي بامتياز.

الأمر الثاني المحير بشأن هذه المكتبة، خلوها من كلاسيكيات الأدب اللاتيني واليوناني والسنسكريتي.. الخ، وجميع المصنفات الأدبية التي تلت هذه الأعمال الإبداعية، رغم اعتماد الأستاذ عليها بشكل أساسي في المخطوطات المكتشفة، كما نلاحظ خلو المكتبة من مصنفات الفلسفة الوضعية*، والفلسفة الماركسية، ومصنفات علم الاجتماع لدور كايم، وكتب علم النفس، وكتب علم الاقتصاد.

يوضح الجدول أعلاه أن سوسير اقتصر اطلاعه على الدراسات التاريخية والمقارنة فقط، وهذا الطرح فيه شيء من عدم الصواب، فالمؤرخون الذين عملوا على تقصي جميع أطوار حياته العامة والخاصة وصلوا إلى حقيقة وجود تفاعل وتأثير كبير بين سوسير وكل المنجزات الفكرية والعلمية في عصره، وهو ما يتجاوز بكثير سطور هذه الدراسة الإحصائية، ويفسر الأمر على أن هذه المكتبة لا تمثل سوى جزء قليل من المكتبة العامة لسوسير، والتي قد تكون غرفة مظلمة في قصر عائلة آل سوسير.

كان سوسير على الرغم من هذه الإحصاءات على اطلاع بأهم المذاهب الفلسفية، بالإضافة إلى العديد من المجالات العلمية، يظهر ذلك من خلال المجالات التي يجري عليها قياس التمثيل حين يروم حمل الاستدلال في اللسانيات على العلوم الأخرى ومن العلوم المذكورة في المحاضرات نورد منها على سبيل التمثيل لا الحصر: الرياضيات (حساب اللوغاريتم)، والفيزياء (علم الإسقاطات)، والكيمياء (مركب الأكسجين والهيدروجين)، وعلم الفلك والجيولوجيا والانثربولوجيا¹، والتاريخ والقانون والاقتصاد السياسي، وعلم النفس الاجتماعي، إلى جانب دليل آخر تمثل في قائمة الكتب التي أعدها سوسير حينما كان

* تأسست الفلسفة الوضعية على يد الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت، وكانت مبادئ فلسفته مصدر روحي لجميع تيارات الحركة التقليدية وتيارات الفلسفة الاجتماعية، نشأت لتحرير العقول من علوم اللاهوت والميتافيزيقا، وذلك بتنسيق المجتمع بواسطة العلم، ومعرفة المبادئ الحقيقية التي عليها يرتكز التوازن الاجتماعي؛ أي بناء علم اجتماعي يتطلب تعميم الوضعية العلمية على جميع مظاهر الحقيقة وحتى على الوقائع السياسية، فأنشأ أوغست كونت صلة متينة بين التطور العلمي والتطور الاجتماعي. ينظر: بيبيردوكاسي، الفلسفات الكبرى، تر: جورج يونس، منشورات عويدات، بيروت، ط 2، 1977، ص 163، 164.

مشرفا على مكتبة كلية العلوم الاجتماعية في جامعة جنيف، والتي أوصى فيها بضرورة اقتناء كتب الفلسفة الوضعية.¹

المبحث الثاني - الفكر السويسري بين جدلية الامتداد والقطيعة مع محيطه الثقافي:

أولا- سويسر والدراسات التاريخية المقارنة*:

لفهم عصارة أفكار كتاب اللسانيات العامة، الذي دشّن به العالم السويسري أبواب القرن العشرين في الثقافة الغربية، لابد من مع اينة التربة التي شهدت كل التقلبات الفكرية والصراعات الابدستيمولوجية لهذا اللساني، فمهما بلغت قوة الثورة التي عصفت برفوف الدرس اللساني، ومهما كان حجم القطيعة التي أقامها مع معاصريه، لا يمكننا القول إلا أن الباحث هو مرآة عاكسة للسياق المعرفي الذي عاش في كنفه، ومهما بدت لنا المذاهب الفكرية بين سويسر ومعاصريه بعيدة، غير أن هناك دائما خيط رفيع يجمع بينهم، ويحق لنا أن نسأل في هذا السياق عن أهم سمات المحيط المعرفي الذي تمخضت أفكار الأستاذ في ضوءه؟.

امتدت أنوار عصر التنوير إلى بدايات القرن التاسع عشر، والذي يعتبر عند الكثير من المؤرخين طفرة حقيقية في تاريخ العلوم، كان موسم الحصاد لقرون من الثورات الفكرية والعلمية، وأصل العلم والتكنولوجيا تقدما واضحا «وعرفت العديد من العلوم تحولات نظرية قادت إلى ما يشبه الثورات في تصور القضايا وتصور الحلول، ومن هنا ظهرت المنجزات العلمية الكبرى في مجال البيولوجيا، والرياضيات والفيزياء، وعرفت العلوم الإنسانية بدورها

¹ - ينظر: جيلي محمد الزين، البنية الحجاجية في الخطاب السويسري، ص 63

*نشأت الدراسات المقارنة مع اكتشاف اللسان السنسكريتي، حيث بدأ لعلماء يقارنون بينه وبين الألسن الأوروبية، ويعد فرانتز بوب (1791-1869) مؤسس النحو المقارن، واستنتج قرابة اللسان السنسكريتي بالألسن الأوروبية الأخرى، واعتبره اللسان الأم، الذي انحدرت منه الألسن الأخرى. ينظر: عامر بن شتوح، الدرس اللساني ومساره التطوري، مجلة علوم اللسان، جامعة عمار ثيلجي، الأغواط، ع 7، ديسمبر 2014، ص 76

ظهور تصورات ومقاربات جديدة للسلوك البشري وللنسيج الاجتماعي في أبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية الانثروبولوجية»¹

مست هذه التحولات العلمية أقداح الدرس اللساني، فبعد قرون طويلة من القيود التي فرضتها العلوم الإنسانية عامة والحصون الفلسفية خاصة من رقابة فكرية على اللسان البشري، تبدل الحال مع بزوغ فجر العلوم الطبيعية والبيولوجية... إلخ، حيث بسطت مملكتها على كل المجالات المعرفية، وأصبحت محل احتفاء وتقدير من أغلب التخصصات العلمية، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى الدقة العلمية والموضوعية التي ألزمت بها استراتيجياتها البحثية، وقد أعجب الدارس اللساني كغيره من الدارسين بهذا الفرع العلمي، وقده وقده في تلك المقاييس المنتظمة والمبادئ المنهجية التي يقوم عليها بعيدا عن ضبابية المعيارية والأحكام المسبقة المفتقرة إلى دليل قاطع، وكما استحوذت على نفس آدم فكرة الخلود، سيطرت فكرة تقنين اللسان البشري على هدى العلوم الطبيعية على زعماء المدرسة الألمانية. يمكن أن نستدل على قولنا هذا بإنجاز كوفيير Cuvier 1817 في علم التشريح المقارن الذي كان منطلقا لغريم Grimm وبوب Bopp وشليجل Shegel لتقديم مجموعة من الاقتراحات التي تهتم ببيئة اللسان ووسائل وصفه، حيث انطلقوا من النظر إلى اللسان باعتباره كائن حي، بالإضافة إلى هذه التأثيرات، نجد التأثير الذي مارسه الجيولوجيا على الدرس اللساني في تلك الفترة، وخير مثال على ذلك مبادئ الجيولوجيا ليل 1830 Lyell التي مكنت لسانيني القرن التاسع عشر من صوغ المبادئ المنهجية التي خولت لهم تفسير التغييرات اللسانية.²

نفس الأمر يمكن أن نقوله عن الداروينية التي أثرت في فكر شلايشر Schleicher ودفعته إلى تأسيس مبادئه النظرية بربطها بمبادئ التطور كما بسطها داروين في كتابه أصل

¹ -مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر أصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص10، 11.

² - ينظر: ربيعة العربي، سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة

الأنواع 1859، فاللسان عند شلايشر من هذا الأفق كائن مستقل بذاته عن الإنسان وإن اتجاه تطوره محدود بقوانين بيولوجية عامة للتطور، فاللسان يولد ويعيش لفترة محددة ثم يهبط الحياة للسان آخر وهكذا يكون اللسان ذا شجرة سلالية.¹ كانت فكرة شلايشر تتلخص في رغبته في تأسيس شجرة سلالية للألسن الهندوأوروبية، وفق قاعدة اللسان الأم واللسان الولد.

كانت هذه النزعة العلمية التي تفشت كالنار في الهشيم في زعماء المدرسة اللسانية الألمانية خاصة، استجابة حتمية للتطور الكبير الذي عرفته المنجزات العلمية الكبرى التي كانت سائدة في تلك الفترة، فأصبح اللسان وفق هذه المقاربة كائن حي ينمو ويهرم ويموت في الأخير، ليرث لسان جديد مكانه، ورغم الانتقادات اللاذعة التي وجهت لزعماء المدرسة الألمانية غير أن هذا الجنون استمر إلى غاية ظهور مدرسة النحاة الجدد التي حدثت من انتشار اللسانيات المقارنة، بإلحاحهم على تفسير منطقي للتغيرات التي تؤدي إلى تغير البنية الصوتية أو الدلالية للسان، مع تجاوز الوصف الذي لا فائدة منه.

بالإضافة إلى هذا التأثير نجد التأثير الذي مارسه الفيزياء الميكانيكية على النحو المقارن وذلك باقتباس « فكرة وصف تاريخ تبدل الأصوات في اللسان، وفق قوانين تنطبق بالطريقة نفسها على سلسلة كاملة من الأمثلة بدلا من مناقشة كلمات منفصلة بسرد مستقل لكل حالة يعالج فيها المؤرخ (بالمعنى المألوف) الناس والأحداث»²

كما أثرت العديد من مباحث العلوم الإنسانية على الدرس اللساني، فاللساني الأمريكي ويتني على سبيل المثال استقى فكرة الطبيعة الاجتماعية للسان من العالم الاجتماعي سينسر

¹ - ينظر: ربيعة العربي، سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة، جورج موان، تاريخ علم اللغة حتى القرن العشرين، تر: بدر الدين قاسم، مطبعة جامعة دمشق، 1972، ص 218.

² - على سبيل المثال كان من أول هذه الاكتشافات التبدل الذي طرأ على الصوامت في اللسان الجرمانى الأول والذي يعرف بقانون غريم، وهو قانون يختصر مئات من مثل هذه الحالات في ثلاثة قوانين بسيطة، وكان فرانز بوب أول من استعمل كلمة Lautgesetz والتي تعني قانون الأصوات في عام 1824، حتى أن بوب قدم ما اسماء بالتفسير الميكانيكي للظاهرة الهندو أوروبية، ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة ملك سعود، السعودية، 1994، ص 4، 5.

ولانسنس، بالإضافة إلى التأثير الكبير الذي بسطته الفلسفة الهيجالية والكانطية على أفكار همبولدت ونظرية شلايشر.¹

كما ألقى المذهب النفساني بإشعاعاته على الفكر اللساني، فكان اللسانيان شتاينتهال H.Steinthal ولاتساروس M.Lazarus مرتكزان في تقديم دراستهما اللسانية على منجزات الدراسات النفسية، التي طورها عالم النفس آنذاك هيربرت Herbart «فتبنيا أفكاره الخاصة بالنظام الاستدعائي Associative للروح البشرية (بمعنى أن الأفكار التي يثيرها انطباع خارجي، تتطور تلقائيا واحدة تلو الأخرى في العقل البشري: فتنبثق فكرة عن أخرى وفقا لتداع غير مقصود، وفي نحوه النفسي: "النحو والمنطق، وعلم النفس، أسسها ووجوه الترابط بينها".²، وفي هذا المضمار نصادف أيضا فيكتور ايجر Victor Egger الذي كان متأثر بالمنطق النفسي لويليام جيمس William James «فكتابه الذي نشره الموسوم بـ "الكلام الداخلي" سنة 1881، هو في الأصل محاولة في علم النفس الوصفي المرتبط بالكلام غير المنطوق».³

إن التفاعل القائم بين فروع العلوم الإنسانية والدرس اللساني لم يتوقف لحظة عن التلاحق، وتعتبر الميزة التي ميزت الدراسات اللسانية في القرن التاسع عشر، هي الطفرة النوعية التي حدثت في مجال الفيزياء والعلوم الطبيعية... الخ، واعتبرت في تلك الفترة من العلوم النموذجية لما حققته على صعيد التجربة من نتائج مبهرة، فأصبحت مثال يحتذى به.

ثانيا-موقف سوسير من مدرسة بوب:

مسألة فكرية تطرح بعد هذه الرحلة القصيرة عن موقف سوسير من كل هذا التلاحم الحاصل بين اللسانيات والعلوم الطبيعية؟، مع أن الأستاذ في بداية مشواره الدراسي صقل

¹ - ينظر: ربعة العربي، سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة.

² - ميكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص73.

³ - المرجع نفسه، ص73.

ذهنه بأفكار مدرسة بوب المقارنة*، بالإضافة لتلقيه تكوينه اللساني بجامعة لايبزيغ، غير أنه كان مخالفا لخطى هذه المدرسة، ويمكن أن نوجز الاعتراضات التي جعلته يتخذ موقفا صارما من مجلدات المدرسة الألمانية في النقاط التالية:

1-لعل أول النقاط الأساسية التي اعترض عليها سوسير في مدرسة النحو المقارن عدم انطلاقها من مسلمات سليمة، ويتضح لنا هذا الموقف السوسيري من هذه الفقرة المستلة من المحاضرات التي كان يلقيها في مدرجات جنيف«إلا أن هذه المدرسة وإن كان لها فضل لا ينكر في فتح مجال خصب جديد، لم توفق إلى تأسيس علم اللسان الحق و لم يكن من مشاغلها قط أن تعنى باستخلاص طبيعة موضوع دراستها والحال أن أي علم من العلوم عاجز أن يتخذ لنفسه منهجا إن هو لم يقد بهذا العمل البسيط الأول.»¹ ورغم الانجاز السابق النظير الذي حققته مدرسة بوب المقارنة، غير أنها قامت بقفزات طويلة على أسس البحث المنهجي والذي من متطلباته الأولى تحديد موضوع الدراسة.

2-الهدف الثانية في مدرسة بوب غياب الهدف الرئيسي من قيام هذه الدراسة، الذي ينتقي بغيا به أسس البحث الذي يحدد منهج الدراسة من خلاله، يقول سوسير في هذا الصدد«إنهم لم يهتموا أثناء قيامهم بأبحاثهم، عن مغزى ما كانوا يقومون به من مقارنات بين الألسن وعن مدلول ما كانوا يكتشفونه من علاقات، ولقد كانت دراساتهم دراسة نحوية مقارنة ليس إلا، بدل أن تكون دراسة تاريخية.»²

* لم يكن سوسير أول من نقد مدرسة بوب، فقد عارض ويليام داويت كل الدراسات التي كانت دارجة في عصره، عارض شليجل الذي جعل من علم اللسان علما طبيعيا يفسره النموذج الدارويني، وعارض ماكس مولر الذي برع في الكتابة فيما كانت معالجة سطحية جدا، كما عارض فيما تبقى في ذلك الوقت من تأثير همبولدت، ونظريته التي ترى في اللسان ميتافيزيقا لعبقرية الشعوب والأفراد، واللسان في أصله واقعة اجتماعية وليدة المواضعة، تهدف لتحقيق التواصل. ينظر: دانيل مانيس، علم اللغة، تر: سهيل عثمان، عبدالرزاق الأصفر، الموقف الأدبي، ع135-136، 1982، ص14، 16.

¹ - فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: محمد عجيبة ومحمد الشاوش، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1895، ص20.

² - المرجع السابق، ص21.

لم توفق مدرسة بوب في التقييد للإجراءات التي يتطلبها البحث العلمي في كل تخصص، بل راحت تبجر دون بوصلة، ودون وجهة محددة، واقتصر علماءها في تلك الفترة على دراسة الألسن الهندوأوروبية فقط دون محاولة التوسع إلى دراسة عائلات لسانية أخرى، واتخذوا من اللسان السنسكريتي النموذج المثالي أو اللسان الأم الذي انحدرت منه اليونانية واللاتينية، وقاسوا من أفضه قيمة الألسن ودرجة صفائها.

3- لم يدركوا القيمة الحقيقية لظاهرة القياس ودورها في نقل اللسان من ثقافة إلى ثقافة أخرى، وفي هذا المقام يقول سوسير: لم يفهم الألسنيون الأوائل طبيعة ظاهرة القياس وكانوا يطلقون عليه اسم "قياس الخطأ"، فقد كانوا يعتقدون أن أولئك الذين استحدثوا honor في اللسان اللاتيني قد أخطؤوا في حق النموذج الأصلي honos، فكل صيغة تخرج عن النظام القائم هي في نظرهم شذوذ وانتهاك لحرمة صيغة مثلى، وهكذا اعتبروا الحالة الأصلية لسان حالة راقية مثلى من دون أن يتساءلوا حتى عن إمكانية أن تكون سبقت بحالة أخرى، فعدوا كل تتصل منها شذوذ.¹

4- كما انتقدهم لإهمالهم الملكة اللسانية وفي ذلك يقول «فلم يع العاملون بها أن العلاقة ثابتة تنعقد بين اللغة و اللسان، إحداهما تستلزم الأخرى، ولا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال»²، وأشار سوسير في طرحه لمفاهيم اللغة، اللسان، إلى أنه لا يتم إدراك جوهر كينونة كل واحد منهما إلا من خلال الهندسة التقابلية التي تقوم في الأساس على الترابط التكاملي بينهما، فلا يمكن الاهتداء إلى ضبط مفهومي حدود اللغة دون الوقوف على حدود اللسان، وهكذا انطلق سوسير في بناء مفهوم اللغة من رفض طروحات معاصريه .

5- بالإضافة الى غياب ضبط محدد لعامل الزمن في دراساتهم، ما أدى حسب سوسير إلى تتاح ميدانين اثنين معا هما الحالات الآنية والأطوار الزمانية؛ كان المقارنون يبحثون عن إثبات التوافق والتشابه بين الألسن مهما كان بعدها الزمني (فهو على هذا بحث

¹ - ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص245، 246.

² - مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2017، ص155، 154.

على المحور التطوري الزمني دون قيد)؛ أي بغض النظر عن الفترة الزمنية الفاصلة بينهما وقد أدى قصور تقدير عنصر الزمن إلى قيام اللسانيات التي باشرها بوب على أرضية مجهولة المعالم.¹

صحيح أن سوسير لم يكن راض على ما آلت إليه الدراسات اللسانية في القرن التاسع عشر، ولاكن في نفس الوقت يمكننا إنكار فضل هذه النقائص في إنارة جوانب كثيرة في بحوثه سواء على مستوى الموضوع، أو الغاية، أو المنهج، فكانت عثرات المدرسة الألمانية سلما ارتقى به سوسير لتععيد صارم للظاهرة اللسانية، وكانت بذرة الخطأ كالتفاحة التي سقطت على عالم الفيزياء نيوتن فألهمته فكرة الجاذبية، ورب ضارة نافعة.

ثالثاً- انعكاسات السياق الثقافي على الفكر السوسيوي:

إن النقد الذي وجهه سوسير إلى مدرسة بوب وكل من حذا حذوه لا يعني انه أقام بذلك قطيعة ابستمولوجية مع كل ما كان يدور حوله، فهو لم يصل إلى ذلك النضج الفكري بين ليلة وضحاها، أو وهو قابع في كهف عزلته، بل كانت المحاضرات والمخطوطات المكتشفة ثمرة ذلك التفاعل مع محيطه الثقافي، كان سوسير في تفاعل مستمر مع كل المستجدات العلمية، كان شغوفاً بالنتائج الحاسمة التي حققتها علوم الرياضيات والفيزياء، كان متابع لكل نظرية جديدة تطرح، ومن بين المدارس التي تأثر بها:

1- المدرسة الاجتماعية: أسس سوسير نظريته الاجتماعية في دراسة الوقائع

الاجتماعية على هدى المدرسة الاجتماعية لدور كايم، والتي قامت على فكرة أساسية مفادها أن النشاط الاجتماعي هو المؤثر والموجه الأول لحركة الأفراد، وما قرره بشأن الظاهرة الاجتماعية يصدق عند سوسير على اللسان²، لأنه ذو طبيعة اجتماعية يلزم مستعمليه بنظامه.

¹ - ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص130.

² - ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص301.

2- مذهب الإنضماميين: تأثر سوسير برواد التيار النفسي في القرن التاسع عشر، وهم

جون لوك ودافيد هيوم وجون ستيوارت ميل، من حيث طبيعة النفس البشرية المركبة التي تحكمها مجموعة من المشاعر المنظمة في ما بينها، حيث أن مجرد المساس بإحداها سيؤدي حتما إلى اختلال نفسي شامل، وهي الفكرة الأساس التي أثرت على منطق سوسير من خلال اعتباره السياق اللساني نظام مكون من وحدات لسانية مترابطة فيما بينها وتغيير أي مفردة سيدفع إلى تغيير السياق بأكمله.¹

3- مذهب الكل*: تشكل فكرة النظام مرتبط الفرس في الفكر السوسيري، بل هي العنوان

الأساسي الذي لابد من المرور به لفهم خلاصة نظريته، لأنها اللبنة الأولى التي شيد بها هذا الصرح اللساني، واستقى هذه الفكرة من المذاهب الفلسفية التي أثارت جدلا كبيرا في عصره، وهي الفلسفة الوضعية والفلسفة الماركسية، التي ارتكزتا فيها «تقديم المجتمع على الفرد، وأسبقية المؤسسة من حيث الوجود على الشخص الذي هو وليد الاجتماع والعمران، فالإنسان الحقيقي لا وجود له، إنما الموجود هو الإنسانية على حد تعبير "أغوست كونت (1857-1798) في كتابه (الروح الإيجابية)، وإن وجود الإنسان الاجتماعي هو الذي يسبب وعيه لا العكس، على حد قول كارل ماركس»²، ارتكزت فلسفة كونت وماركس على فكرة النسق، فكل وحدة تكتسب قيمتها وهويتها بعلاقتها داخل الكينونة الإنسانية، وقام الأستاذ بعملية إسقاط على اللسان البشري، واستخلص أن العناصر اللسانية لا قيمة لها في ذاتها بل وجودها في العلاقات النسقية التي تقيمها.

¹ - ينظر: يخلف فايزة، المبادئ البنوية السوسيرية، نقل عن فريال أوصف وأمال رقيبة، فردينان دي سوسير (قراءة في سيرة الرجل العلمية وأهم طروحه الفكرية)، كلية علوم الإعلام والاتصال، فضاء أكاديمي، 24-01-

<http://academic-space.blogspot.com>.2016

* ويجب هنا أن نلاحظ أن كونت وماركس ودور كايم وغيرهم، وإن كانوا تنبهوا على أهمية مفهوم الكل وأنه شيء زائد ومتجاوز لكل واحد من أجزائه، فإنهم لم يشرؤ إلى الجانب الأخطر لهذا المفهوم، وهو النظم نفسه؛ أي التأليف الذي يستلزم أن يكون لكل جزء داخل المجموعة صفات خاصة تشاركه فيها بعض الأجزاء وتغايره بها أجزاء أخرى. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص150.

² - حليلة بن عزوز، محاضرات على الخط: "اللسانيات البنوية"، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، العام الجامعي 2016-

2017، ص19.

4- مذهب القيمة : ذهب جان بياجيه وجيه سي بارينتي لافتراض تأثر سوسير في

مفهومه للقيمة بنظرية والراس الاقتصادية، فكما ادعا تأثره بدور كايم أكده أنه استوحى مبادئ الاقتصاد السياسي في تطوير مفهوم القيمة اللسانية من والراس، من الصحيح أن سوسير أشار بالفعل في المحاضرات التي ألقاها إلى الازدواجية بين الاقتصاد السياسي والتاريخ الاقتصادي الموجودة في الكتب المنشورة مؤخرا، بعد تأكيده على أن اللسانيات مثل الاقتصاد السياسي في إقامة علاقات بنظام التكافؤ بين الأشياء ذات الأنظمة المختلفة، ففي الاقتصاد السياسي هناك وظيفة وراتب وفي اللسانيات هناك دال ومدلول، وعليه فكل العلمين يعملان على نظام القيم، لذلك أصبح التمييز بين المحور الزماني والمحور التطوري يفرض نفسه على المنظر.¹

قلة المحاولات لتقديم أدلة قاطعة على هذا الافتراض ضعف من قيمة الطرح عند بعض الدارسين، ليس من الحقائق الثابتة أن سوسير أخذ هذا المصطلح من العلوم الاقتصادية، وفي ذلك يقول غودل: أما بالنسبة لمصطلح "القيمة"، نحن متأكدون تماما بأن سوسير استعاره من الاقتصاد، لكن التفسير الخاص الذي يعلقه على هذا التعبير هو بالتأكيد تفسيره، لأنه لا يمكننا أن ندعي أنه يوجد نص واحد من سوسير نفسه أو من ملاحظات المحاضرات التي أخذها طلابه تذكر أسماء دور كايم أو تارد أو والراس، إلذان إقتراحهما بياجيه وبيارنتي مؤرخا اللسانيات العامة على أنهم أثروا على سوسير، لأن الأستاذ كان بالتأكيد سيشير إلى أسمائهم ويعترف أنه اشتق منهم رؤى خاصة في نظريته اللسانية (كما فعل في حالة ويتني وعدد من العلماء الآخرين).²

هذه الحجة هزيلة الأركان من وجهة نظرنا، واتضح بعد الوقوف على حياة سوسير الشخصية والفكرية أنه كان مفكرا كثير الاطلاع على كل ما توصلت إليه أحدث الدراسات

¹-quoted: frideryk konrad, A critical evaluation of the evolution of saussurean principles and their relevance to contemporary linguistic theories, the degree of doctor, Simon Fraser university, 1971, p67,68.

²- quoted: frideryk konrad, A critical evaluation of the evolution of saussurean principles and their relevance to contemporary linguistic theories- ,p68,69,70.

في عصره، بل تجاوز ذلك إلى الموروث الكلاسيكي، كان الكنف العائلي الذي عاش في أجياله شديد الاهتمام بالدراسات العلمية، وكان من الأسباب المباشرة في وقوفه على كل المستجدات سواء في المجالات العلمية أو مجالات العلوم الإنسانية، وهذا ما تجلى لنا في ضخامة إنتاجية الأستاذ، كما أن سوسير تلقى رؤيته حول طبيعة اللسان بشكل حصري من الكتابات المعاصرة المكرسة لمعالجة المشكلات اللسانية، وكان لابد لفهم هذه الدراسات من الوقوف على منجزات العلوم الطبيعية والنظرية الداروينية.. الخ، لأنها المؤثر المباشر والفاعل الأساس في الدرس اللساني، فهل عدم عثورنا على إشارة أو كتب للنظرية الداروينية أو أي مرجع في مجال العلوم الطبيعية يؤكد عدم اطلاعه عليها، وهي كما هو معلوم العتبة الأساسية لفهم تصورات معاصريه؟.

هذا الأمر ليس من ضرور المنطق، من الأكيد أن سوسير الذي تعلم وهو في سن الخامسة عشر اللسان اللاتيني واليوناني والألماني والإنجليزي، واطلع على مدونات فرانز بوب وكورتوس، ونشر مقالات، كان على اطلاع بكل مستجدات عصره، وقول غودل بأنه اقترض فقط مفهوم القيمة من علم الاقتصاد، يفترض أيضا وقوفه على هذا المفهوم من كل جوانبه، والاطلاع على آخر جديد دونه في هذا الموضوع، فسوسير الذي كان على أتم الدراية بالأدب الأوروبي من الفترة الكلاسيكية حتى القرن التاسع عشر بتقصيه لظاهرة الجنس الصحفي من الشعر اليوناني واللاتيني إلى قصائد باسكولي، شاهد ملك على قراءته لنظريات والراس ودوركايم، فتطابق تصوراته في مجال الاقتصاد مع تصورات والراس في اللسانيات ليس من باب الصدفة، بل هناك عملية تأثير كبيرة اختفت معالم انبثاقها الأولى فقط ولم تمح آثارها.

الدليل على هذه الحقيقة نستشفها في نعي إرنست موريت (1861-1940) وهو تلميذ سابق وزميل لاحق لسوسير، والذي أشار إلى أنه أثناء إلقاء محاضراته حول اللسانيات العامة (1907) شغل وظيفة أمين مكتبة لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية في جامعة

جنيف¹، وفي هذا دليل على أن الأستاذ قد تعرض بالفعل من خلال التزاماته كأمين مكتبة، لكتابات تتناول العلوم الاجتماعية، وبذلك يكون على دراية بمبادئها وتطوراتها ونتائجها.

يذهب في هذا السياق جوهن جوزيف John E. Joseph إلى القول بوجود تأثير من هنري داميث على سوسير في مفهومه للقيمة، لأن هنري داميث كان يدرس الاقتصاد السياسي في كلية الحقوق بجامعة جنيف في الوقت الذي كان سوسير يأخذ دورات في هذه الكلية، كما أن هناك عدة نقاط اتصال بين القيمة في فكر داميث وفي محاضرات اللسانيات العامة، كما ربط المؤرخون بين المحاضرات وجهود رينيه دو سوسير، الأخ الأصغر لسوسير الذي أسس عملة دولية وذلك بالتزامن مع دوره في حركة الاسبرينتو، بتصورات سوسير للقيمة، فقد كان شقيقه رينيه (1868-1943) يرسل له مخطوطات من الولايات المتحدة الأمريكية لتحريرها قبل محاولة نشرها في مجلات الجمعية العلمية في جنيف، وكانت المقالة الأكثر إتقاناً مقالة طويلة بعنوان "القياس"، تضمنت اقتباسات موسعة من كتاب للألماني الأمريكي جون ب ستالو (1823-1900)، مثل: لا تعرف الأشياء إلا من خلال علاقاتها بأشياء أخرى.² وفي هذه الفكرة طرح مبدأ القيمة عند سوسير.

قام الدارس بعقد مقارنة لاثبات حقيقة وجود تأثير، وذلك بالمقابلة بين مفاهيم وتصورات داميث ورينيه في مجال الاقتصاد، بمقولات سوسير عن القيمة اللسانية، غير أن أغلب المؤرخين لحياة سوسير اتفقوا أنه كان متأثراً في هذه النقطة بالراس، ولما لا يكون سوسير قد الم بهم جميعاً وكانوا المنبع الذي بلور مفهوم القيمة عنده، خاصة وأن تحليل الدارسون تؤكد وجود تشابه كبير بين طروحات والراس وداميث ورينيه وما جاء به سوسير.

¹ - القيمة في التبادل خاصية تمتلكها أشياء معينة، لا تمنح ولا تؤخذ بحرية، بل تباع وتشتري، أي تستلم وتنقل مقابل أشياء أخرى بنسبة كمية محدد

quoted:frideryk konrad, A critical evaluation of the evolution of saussurean principles and their

relevance to contemporary linguistic theories, p70.

²-John E. Joseph, recherches sémiotiques semiotic inquiry Saussure, Association canadienne de sémiotique, volume s ,v34, N1,2,3,p190,200.

بحكم التشريع العلمية التي تربي سوسير في أوساطها، كان هناك نصيب كبير من أفكاره اللسانية محكم بسلاسل الدراسات العلمية، ويتضح ذلك في محاضراته في اللسانيات العامة، ففي حديثه عن الطبيعة التركيبية للوحدات اللسانية، يعتمد على المركبات الكيميائية لتوضيح الفكرة، وفي ذلك يقول «إن العناصر الأولى التي ينظر فيها الباحث في اللسانيات وتحض بعنايته ليست عناصر مركبة... وهي ليست شبيهة بالعناصر الكيميائية البسيطة أو تركيباً منها، بل هي شبيهة بمزيج كيميائي، من قبيل المزيج بين الآزوت والأكسجين في الهواء، بحيث أن الهواء لن يبقى هواء لو نزعنا منه الآزوت أو الأكسجين، ولا علاقة بين كثافة الآزوت والأكسجين الكائنة في الهواء، وأن تصنيف كل واحدة منها لا يتم إلا استناداً إلى العناصر الشبيهة له، وإن فكرة الهواء تنتفي لو انتقلنا من فكرة التصنيف، وإن التصنيف المزيج الناتج عنهما ليس متعذراً، عن المسائل التي جئنا على ذكرها هي الخصائص التي تميز الموضوع الذي يعنى به اللساني»¹

يتضح مما سبق أن الفكرة الشائعة والتي تصور لنا أن سوسير رفض كل ما تعلمه وعلمه، وأقام قطيعة فكرية مع مفاهيم ومصطلحات وأطروحات معاصريه، فكرة زائفة، والصحيح أنه بدأ من شك جذري، ونظر إلى اللسان على أنه ظاهرة معقدة للغاية، ينطوي في الآن نفسه على الحرية الفردية والإكراه الاجتماعي، يتأرجح بين التغيير والاستقرار، ومن هنا سعى إلى عرض مبادئ عامة.

انطلاقاً من حياة اللسان والمحيط الثقافي العام وأبعاده المتعددة حاولنا فهم الهندسة النظامية للسانيات السوسيرية في علاقاتها بالحقول المعرفية المعاصرة له في إطار جدلية الامتداد والقطيعة، ولا نزعم إطلاقاً بأننا في هذه الورقة البحثية المقتضبة درسنا الموضوع من جميع جوانبه، بل سعينا إلى حصر الاهتمام في أهم القضايا التي ستساهم في إيضاح

¹- مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص 157.

الصورة حول الإشكالات التي أثّرت حول الأستاذ، وبالتالي المساعدة في الحصول على انعكاس أصدق عن القضايا النظرية والمنهجية التي تعبر عنها تصوراتها.

الفصل الأول

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات
نشرها وتلقيها

المبحث الأول: مشروع إخراج المحاضرات وخلفيات
جمعها ونشرها

المبحث الثاني: النقد الغربي لكتاب محاضرات في
اللسانيات العامة

المبحث الثالث: تلقي كتاب محاضرات في اللسانيات
العامة في الشرق الأقصى

المبحث الرابع: التلقي العربي لكتاب محاضرات في
اللسانيات العامة

المبحث الخامس: ترجمة الكتاب إلى العربية ومراجعات
نقدية للترجمات

تمهيد:

إن الوقوف على أسس اللسانيات السوسيرية الجديدة والمصادر الأصول التي أصبحت مرجعا رئيسا لمناقشة فكر الأستاذ، يقتضي في مناطه الرجوع إلى بعض الخلفيات والمرجعيات التي كانت مغيبة عن المتلقي العربي من فكرة المشروع المستلب من بول روغار وأنطوان ميه، وطريقة جمع المحاضرات وما رافق هذه العملية من إخلال بالترتيب المنتهج واختزال وتحويل الكثير من مضامين النص الشفوي وغير ذلك من ملامح التضارب التي أصبحت ظاهرة في ظل الكتابات المكتشفة والتي مكنت الباحثين من الوقوف على حجم التعديلات التي كانت من اجتهادات الناشر، هذه الاجتهادات كانت السبب المباشر في تأخير انتشار محاضرات الأستاذ في المجتمع الغربي نتيجة النقد اللاذع والهجوم العنيف الذي تعرضت له على وجه الخصوص قضايا محورية في لسانياته العامة.

أملت علينا هذه الخطوة الطريق الذي سننتهجه في المبحث التالي والذي عملنا فيه على معالجة طبيعة تلقي المجتمع العلمي للنسخة الشائعة، لكن كسرنا الحاجز النمطي الذي قام بتقديم هذه القراءات في إطار مدارس لسانية معينة، وذلك بالبحث عن فكر الأستاذ في كتابات جديدة لا عهد للمتلقي العربي بها من قبل، وكان لا بد في هذا السياق من الوقوف على تلقي النسخة الشائعة من قبل الباحثين العرب.

المبحث الأول: مشروع إخراج المحاضرات وخلفيات جمعها ونشرها:

أولاً- مشروع أنطوان ميه وبول روغار:

لكواليس إخراج محاضرات في اللسانيات العامة نشأة معقدة نوعاً ما، ظلت مجهولة على المثقف اللساني ردحا طويلاً من الزمن، لم تكن كما هي مسرودة في أغلب الكتب اللسانية، بأن ومضة هذه الفكرة تعود إلى شارل بالي وألبرت سشهاي، وإنما كان هناك مشروع موازي للمحاضرات من تصميم اثنين من طالبي سوسير الممتازين وهما " أنطوان مايي" و " بول روغار" Paul-F.Regard، وهذه الحقيقة مثبتة تاريخياً، بنص الرسائل المسلمة التي تم العثور عليها في قلعة قوفلينز، وتم تسلمها بواسطة جاك فيليب دوسوسير.

لتوضيح ملامح الصورة أكثر حول خلفيات نشر المحاضرات، لا بد من العودة إلى عام 1913م، هذا العام الذي فقدنا فيه الأب الروحي والمؤسس الفعلي للدرس اللساني الحديث، كان عام حزن أمتد بظلامه إلى باريس، أعرب فيها كل من طلبته وزملائه... إلخ عن ذلك الألم والخسارة الكبير بفقدانهم هرم من أهرامات اللسانيات، ولم تسنح الفرصة لسوسير لتقديم نظرياته إلا للقلّة القليلة من المحيطين به، والتي قدرت فعلاً الحركة التجديدية التي جاء بها، وكان من بين أكثر الطلبة تأثراً بهذه الخسارة روغار، وهو لساني كان من بين الطلبة القلائل الذين واطبوا على حضور دروسه، كما أن رسالته في الدكتوراه كانت في البداية تحت إشراف الأستاذ فردينان دو سوسير، وقد أعرب في رسالة إلى السيدة ماري دوسوسير، عن حزنه الشديد بخسارة ليس أستاذاً فقط، بل ثورة معرفية كان ينهل منها.

بتاريخ 4 مارس 1913-باريس-

« سيدتي المحترمة للغاية...امتزجت دموعي بدموعك...منذ عام 1900م كان لي

امتياز أن أكون طالبا للبروفيسور فردينان دو سوسير، لقد ساعدني منذ البداية بالتشجيع

المحب والنصيحة الحكيمة، التي أعطاها لي بلطف لا يكل وإحسان متزايد...كانت دروسه

(ولا تزال) هي الوحيدة التي ألهمتني بثقة لا حدود لها وإعجاب لا حدود له...سأكون ممتن

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

للغاية أن تمنح لي فرصة الحصول على صورة لسيدي اللامع..سيبقى شخصه النحيل والتميز على قيد الحياة في ذاكرتي، لا يزال لي أن أخبرك أنني كتبت الكلمات التي أعلن بها البروفيسور أنطوان مايي لمستمعيه عن النبأ المؤلم ب وفاة أستاذة...سيدتي الفاضلة للغاية، اقبل هذه السطور الضعيفة التي يملها الاحترام الكبير والارتباط الحقيقي.¹

كان روغار من بين الطلبة الذين حضروا دروس الأستاذ، وفي وقت وفاة سوسير كان في باريس، يتابع دروس مايي، الذي كان على علم بوجود دفاتر محاضرات في اللسانيات العامة بحوزة روغار، ويبدو أن في حوار دار بينهما نشأت فكرة مشروع نشر الدفاتر .

ظهر في هذه الأثناء منافس قوي يريد اغتصاب حقوق تحرير ونشر المشروع منهما، وهو شارل بالي، ومن النقاط التي اعتمد عليها لتعزيز موقفه والإضعاف من قيمة المشروع المنافس، هو أن روغار كان يرغب في نشر نصوص الدروس كما هي مبنوثة في دفاتر ملاحظات الطلبة، رغبة منه في المقام الأول في الحفاظ على التصور الأصلي لفكر أستاذة، الذي يكن له التقدير والاحترام، كما أن فكرة إعادة صياغة الدفاتر قد تؤدي إلى تحور في التصورات، وقد صدق حدسه.

غير أن نتائج مشروع روغار يمكن التنبؤ بها، فتعدد المسالك التأويلية لكل مستمع لهذه الدروس سيؤدي إلى لبس مفاهيمي عند المتلقي، كما أنه سيحجب الكثير من أفكار الأستاذ، وفي ذلك يقول بالي في مقدمة كتاب المحاضرات: إن نشر جميع أجزاء المادة، كما هي عليه في أصلها، أمر يصعب تحقيقه – فالتكرار وهو أمر لا مناص منه في العرض الشفوي للدرس، وتداخل المادة، وتنوع صياغة المسألة الواحد ة، كلها تؤدي إلى إرباك في أسلوب الكتابة وتركيبه.²

¹ -Claudia Mejia Quijano, les cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure un projet de Paul - f.Regard et Antoine Meillet, universiade de Antioquia, vol29, N02, Novembre2016, p220.

² - ينظر: فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، درا أفاق عربية ، بغداد، ط1، 1985، ص6.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لم تكن فكرة المفاهيم التي قدمها سوسير في الدورات الثلاث مختصرة في ذهنه بصورة كاملة، بل كان فكره يتجدد مع كل درس يتحرك باستمرار في كل الاتجاهات، يقرب من الكمال لكن ينوء الأخير عنه، لذلك غلب على تحريرات الطلبة شرارة التضاد في الأفكار، التكرار، وهذا الأمر نتيجة حتمية لعملية النضوج والتطور لكل نظرية جديدة، فنيوتن، وأينشتاين، وديكارت.. إلخ، لم يصلوا إلى جوهر الموضوع بين ليلة وضحاها، بل مروا بإرهاقات فكرية، تذبذبوا بين الخطأ والصواب، وهذه المراحل نوع من الطقوس الفكرية التي يخضع لها كل مبدع يخلق من اللقاعدة قاعدة، ويولد من اللامنتظر المنتظر، كان نشر الدورات حسب بالي بشكلها الأصلي سيجعل هناك نوعا من التشويش والضبابية في المقاصد السوسيرية، ويظلم فكره، كان يرى أن مشروعه فيه تحرر من اختلافات المتون، والتذبذب المتأصل في الدرس المسموع.

من خلال هذه الثغرة استطاع شارل بالي التقليل من قيمة مشروع روغار أمام مبيه والسيدة دو سوسير، وفي ذلك يكتب بالي إلى مبيه وهو يعلم التأثير الكبير الذي يمارسه على السيدة دو سوسير، بحكم العلاقة المتينة التي كانت تجمعهم بزوجها الراحل، بتاريخ 13 ماي 1913 «أسارع إلى إبلاغك بما حدث، حتى لا يخلق أسلوب في التصرف أي سوء فهم. أنا شخصيا لم أتبع تعاليم سوسير في دروس في اللسانيات العامة، ولم أعرفها إلا من خلال الملاحظات الراسخة بشكل مثير للإعجاب لأحد طلابه، الذي استفد منه لمدة عامين، بمجرد أن علمت بالمشروع المثير للاهتمام الذي قدمه روغار، روحت أستفسر عند طلبته الآخرين، ولقد علمت من مصدر ثقة، من قبل شخص قرأ ملاحظات روغار، أن هذه الملاحظات، على الرغم من أمانتها، لا تعكس روح تعاليم الأستاذ، بل إنها تشوهها تماما في بعض الأماكن، لا يمكنني التحكم في صدق هذه المعلومات، لكنها تتفق مع انطباعي عن

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

أساليب السيد روغار الذي يميل إلى تتبع التفاصيل بدلا من إتباع الكل، كل هذا يعطى نبي وقفة جادة للتفكير.¹

من الواضح أن بالي حاول بكل الأساليب الحجاجية لإفشال قيام هذا المشروع، من خلال التشكيك في القدرات البحثية لزميله، لإنجاز مشروع ضخم بهذا الحجم. غير أن النقاط العمياء التي أشار إليها بالي في أسلوب زميله، كان ضحية لها هو وشريكه في المشروع، فعدم إلمامهما بتفاصيل حيثيات الطابع الخاص لكل دورة، والبناء الهيكلي المتكامل لبعض المصطلحات التي حملت في الدورة أكثر من مفهوم، أدى إلى تقديم مشوه للنشرة، كان لا بد من نظرة كلية وليس تتبع للتفاصيل، لإدراك المدلول وجميع أبعاد المفاهيم، كل هذا القصور طمس الكثير من وجهات النظر السوسيرية، وجاءت أفكار النشرة مختزلة أحيانا، ومنزاحة في مواضع أخرى عن مفاهيمها، وبمخالفة لتصورات الأستاذ.

نلاحظ أن مشروع روغار ومييه كان مؤهلا أكثر من سواه، لتقدم تصور أكثر إيفاء حول العقائد المنسقة بدقة، والتي تعيد النظام لهذا البحث الفوضوي، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى إطلاع روغار المباشر على هذا النسق المفاهيمي، الذي تظهر قيمته ككل، وثانيا أن رسالته في الدكتوراه كانت تحت إشراف سوسير، وقد عبر إلى السيدة دو سوسير عن ذلك الاتفاق الفكري والانسجام في وجهات النظر بينه وبين سوسير، بل حدثها أيضا عن تلك الحرية، وذلك الأفق التجديدي الذي سمح له الأستاذ بالتحرك فيه، عكس تلك القيود التي كانت تفرضها طبيعة التعليم في ذلك الوقت، وهذا التأثير الذي مارسه الأستاذ عليه واضح في متون رسالته الصادرة بتاريخ 1918، والتي كانت تتمحور حول قضية الآنية والزمانية.

¹ - K.Amacker, René, en collaboration avec Bouquet Simon, Correspondance Bally-Meillet(1906-1932), cahiers Ferdinand de Saussure, N43, 1989, p102, 103.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

ما ميز مشروع روغار بحق وقوفه على الطابع التجديدي في مشروع اللسانيات العامة وفهمه لدقائق التفاصيل، ومعيته لمراحل التطور في هذا البناء، وكما هو معلوم فإن الحركة السوسيرية الجديدة التي ظهرت في منتصف بدايات القرن العشرين، سعت جاهدة إلى إعادة تمثيل الفكر السوسيري، وذلك بنشر الدورات الثلاث في ثلاثة مصنفات منفصلة، يختص كل مصنف بدورة مستقلة يلتزم فيها بترتيب المحاضرات كما كانت تلقى، مع الاستعانة في ذلك بأجود الدفاتر، وكأن للقدرة كلمة أخرى مع مشروع روغار، الذي لم يستطع تحقيقه، وشاءت الأقدار أن يكون بعد طوال هذه العقود الخطة البديلة لتعديل العطب في نشرة 1916م.

أما بالنسبة إلى أنطوان ميه فقد كان كما هو معروف، انعكاس صادق لفكر الأستاذ في كثير من المواطن، فبشهادة الرسائل الموثقة بينهما نعلم أن سوسير قد أطلعاه على كل شاردة وواردة في بحوثه ووجهات نظريه إزاء العديد من القضايا اللسانية والأدبية، فيكون فضل سبق والحق لهما في هذا المشروع، عكس شارل بالي وزميله اللذان تلقيا هذه الأفكار من إسقاطات مختلفة، ومسالك تأويلية تختلف من حيث درجة الإدراك واستيعاب المسموع، فشتان بين الحاضر والغائب، وبين الشارب من منبع النهر وبين من يسقى من أطرافه، وهذه النقطة كانت من الأسباب الرئيسية في ابتعاد نشرة 1916م عن مقاصد المؤلف الحقيقي.

الأسباب التي أدت بتراجع ميه عن هذا المشروع هي المخاوف التي أبدتها السيدة دو سوسير، من هذا المشروع المتسرع، الذي قد يؤدي إلى أفق قراءات وتأويلات تتحرف عن مقاصد الفكر السوسيري، الذي كان حريصا أشد الحرص على مدارس المسائل اللسانية بعناية كبيرة، لدرجة عدم إقدامه على نشر جزء كبير منها*، وهذا ما توضحه سطور الرسالة

* كان سوسير حتى نهاية حياته رافضا لنشر أي شيء عن اللسانيات العامة، كان مصرا على أنه لم يصل إلى النقطة التي يشعر فيها بالثقة في أن مثل هذا النشر ممكن، أصر أن هناك الكثير من المشاكل التي لم يتم حلها بالنسبة له، وأن الشيء الوحيد الذي كان متأكدا منه هو أن كل ما تم نشره حتى الآن من قبل الآخرين كان في رأيه قليل القيمة

Quoted: Paul Bouissac, Saussure A. guide for the perplexed, continuum, britain, p116.

«سيدي الفاضل:

...والآن وقد سألني عدد من طلبته عن إمكانية البحث في مدوناته عما يمكن نشره، فإني لا أرى مبدئياً أي مانع لذلك، ولكنك تعلم سيدي الفاضل، وقد عرفت زوجي حق المعرفة، كم كان حرصه شديداً على كل مسألة كان يتناولها، وإني أعتقد أن نتريث قليلاً في نشر أي شيء، فما كنت قاطعة أمر لم يكن ليوافق عليه. ربما وجب النظر فيما دونه عنه طلبته لعلنا ننتهي إلى تكوين فكرة عامة عن إحدى محاضراته، ولكني أرى هنا أيضاً ألا نتعجل. أليس هذا رأيك أيضاً؟، قد يؤدي التسرع في نشر عمل ما إلى إفساده في حين قد يؤدي التريث فيه إلى الإجادة فيه..¹ «ماري دو سوسير تترتاص، 2، جنيف، الخامس والعشرون ماي 1913

المنعطف الذي أخذته الأمور تخطى الطالبان عن المضي قدماً في هذا المشروع، خضوعاً أولاً لرغبة السيدة دو سوسير، أما السبب الثاني حقيقة المخاطر الكثيرة التي تحف بالمشروع والتي قد تؤدي إلى مزلق فكرية تمحو أفكار الأستاذ، وهذا ما حدث حقيقة في نشرة 1916، فقد أحييت تعاليم الأستاذ وأسلوبه في التحقيق وكذلك قوته الفكرية ومنهجه إلى الخلفية، فأصبحت محاضرات في اللسانيات العامة صدى لصوت الطالب في كلام الأستاذ.

تخلى ميه وروغار عن فكرة المشروع لم يمنعهما من الإعراب عن مخاوفهما حول النهج الذي سيسلكه شارل بالي في تحقيق الدفاتر، فهو سيعمل على إعادة هيكليّة لدورات الدروس من خلال مزجها معاً، وتقديم التقسيم الأنسب حسب وجهة نظره، غافلاً أو متغافلاً أن لكل دورة طابعها الخاص، وأفق رؤى خاص يتمشى مع الديناميكية الفكرية للأستاذ.

¹-E. Benveniste, letters de Ferdinand de Saussure à Antoine Meillet.

نقلاً عن: مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص28.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

كان مشروع روغار يحرص على احترام الأساس المنهجي الذي يضم ثنائيات الدورات، عكس فكرة بالي التي تعمل على إعادة التدوير والصياغة لجميع هذه الدورات، مما أدى في كثير من المواضيع إلى محو المعالم العامة والأفكار الفرعية أيضا.

بعد صدور نشرة 1916 يكتب ميه، للإقرار بتدخل أطرف أخرى في هذه النشرة الملفقة إلى أستاذه وزميله، وفي ذلك يقول «اتخذ الناشران خطوة جريئة بدمج الإصدارات الثلاث في وحدة كاملة، وإذا جاز التعبير مع صيغ وأمثلة من كتاب فاردينان دو سوسير، الكتاب الذي لم يكتبه السيد، وربما لم يكن يفكر في كتابته أبدا، وبالتالي فإن ما يتم تقديمه للجمهور هو صياغة لأفكار فردينان دو سوسير حول اللسانيات العامة من قبل اثنين من طالبيه في جنيف، السيد شارل بالي والسيد ألبرت سشهاي... ليس هناك حاجة للدخول هنا في المراجعة التفصيلية لكتاب هو فقط إعادة صياغة لتعليم شفوي، حيث لا يعرف المرء ما إذا كانت التفاصيل التي سيتم انتقادها تأتي من المؤلف أو من الناشرين»¹.

أما روغار في مذكرته المعنونة بـ "دراسة حروف الجر في لسان العهد الجديد" يذهب للقول بأنه «على حساب عدد قليل من التكرارات، ألن يكون نشر ملاحظات الدورة قد حافظ بشكل أكثر إخلاصا لفكر فردينان دو سوسير»².

هكذا تمكن بالي في الأخير وبطريقة لا تزال مخفية من التأثير في قرار السيدة دو سوسير، واستمالة سشهاي إلى مشروعه وقلب موازين اللعبة، بعد أن كانت الكرة في ملعب روغار، كان بالي هو العقل المدبر بشكل كبير في الخطة المنتهجة من إعادة صياغة صفحات الدفاتر من (ترتيب، حذف، زيادة... إلخ).

¹-Meillet, Antoine, compte rendu du cours de linguistique générale,Bulletin la sociétélinguistique de paris,tome xx,1916,p32,33.

²- Regard ,Paul,xontribution à l'étude des prépositions dans la langue du Nouveau testament, Leroux, paris,1918,p11,12.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لا بد من الإشارة في هذا المقام إلى الخلافات التي سرعان ما نشبت بين بالي وزميله، حول الطريقة المتبعة في الإعداد لنشر المحاضرات، وعلى الرغم من أن بالي كان حريصاً على المضي في طريقة عمله وتصوره في الإعداد لها، فإن ششهاي تمكن في عدد من المسائل من فرض آرائه.

يجب أن نشير أيضاً إلى مسألة ذات أهمية بالغة في الظروف التي اتصلت بمشروع نشر كتاب المحاضرات، وهي ترتبط بطريقة شراكة بالي وششهاي في عملهما، لم يكن الإعداد للكتاب ينجز في إطار لقاءات دورية بينهما، بل إن صحة ششهاي ألزمته النزول إلى البداية طلباً للراحة، بينما استقر بالي في جنيف للإعداد لدرسه الافتتاحي بجامعة جنيف خلفاً لدو سوسير، ولذلك عادة ما كان الشريكان يتواصلان عن طريق التراسل.¹

ثانياً- مصادر الكتاب وترتيبه:

1- مصادر كتاب محاضرات في اللسانيات العامة:

كان لكتاب المحاضرات تأثير كبير على الدرس اللساني الحديث بصفة خاصة والعلوم الإنسانية أيضاً، وذلك راجع إلى جودة مفاهيمه وعمق تصوره للظاهرة اللسانية في أبعادها الكلية، وسنذكر في هذا المبحث الطلبة الذين اعتمد عليهم بالي وزميله في تحرير متون هذه النشرة، ونحن نعلم مسبقاً من مقدمة الكتاب أن سوسير لم يترك أي وثائق تعين الناشرين على تقديم تصور أصيل حول مواضيع تعاليمه، سوى القليل من الملاحظات، فقد كان يمزق كل الوثائق المتعلقة بالدورات اللسانية بعد الانتهاء من تقديم محتواها، وفي هذا السياق يقول الناشران «كنا نأمل أن نجد في مخطوطاته التي وضعتها السيدة دو سوسير، تحت تصرفنا، الصورة المخلصة أو الكافية على الأقل لهذه الدروس الرائعة؛ رأينا إمكانية إصدار منشور بناء على تطوير بسيط للملاحظات الشخصية لدو سوسير، جنباً إلى جنب مع ملاحظات الطلاب، كانت خيبة أملنا كبيرة، لم نجد شيئاً أو لا شيء تقريباً يتوافق مع دفاتر طلبته، دمر

¹-ينظر: مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص 30، 29.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

دو سوسير تدريجيا المسودات المتسعة التي تتبع فيها الخطوط العريضة لعرضه يوم بعد يوم.¹

دفع هذا الأمر كما هو موضح في مقدمة الكتاب الناشران إلى الاعتماد بشكل أساسي على سبعة من طلاب سوسير، الذين كانوا ملتزمين بحضور هذه الدورات، اعتمد شارل بالي وزميله في الدورتين الأولى (1906-1907)، والثانية (1908-1909) على دفاتر لويس كايلى، ولوبولد جوتيبوبول ريجارد وألبرت ريدلينجر، أما الدورة الثالثة (1910-1911)، وهي الأهم لأنها تقدم المبادئ والأساليب التي ينبغي انتهاجها في الدرس اللساني، تم الاعتماد في تحريرها على تدوينات السيدة سشهاي وجورج ديجاليي وفرانسييس جوزيف.²

تبقى الحقيقة مجهولة عن سبب اقتصار بالي وزميله على هذه الدفاتر فقط، فقد أثبتت تحقيقات غودل ومن تبعه، أن هناك العديد من الدفاتر التي كانت ثرية بصدى أفكار الأستاذ، ولعل من أهمها والتي ستمر معنى دفاتر إيميل قسطنطين التي تم الاعتماد عليها بشكل أساسي في إعادة تمثيل أفكار الأستاذ الحقيقية.

انطلق بالي في تصميم فصول الكتاب من الدورة الثالثة؛ لأنها هي التي تمثل العبقرية السوسيرية، في حين ترى كلوديا أن الدورة الأولى من المقرر الدراسي هي التي لها قيمة أساسية - لسانية وعلمية وثقافية-، ولم يتم التعرف عليها بشكل كامل، مقارنة بالمقرر الثاني الذي تتناول مقدمته الظواهر الاصطلاحية ال مهمة موجزة وواضحة وحاسمة، والثالث حيث تتشابه المبادئ العامة لتشكيل نظرية متماسكة، لم يحظ المقرر الأول باهتمام كبير، وذلك لأنه كان يتعامل مع ظواهر تاريخ اللسان، والذي تم التقليل من شأنه تماما في اللسانيات منذ منتصف القرن العشرين، ومع ذلك، بعد تحليل الدورات الثالث بعناية، أجرؤ على القول أن

¹-Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale (1916), publie par Charles Bally et Albert Sechehaye, Payot, paris, 1971, p5,6.

²-Ferdinand deSaussure,cours de linguistique générale, p6.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

هذه الدورة مثيرة للاهتمام، إن لم تكن أكثر من ذلك، إنها الأكثر فائدة لفهم طريقة سوسير وهي الأكثر اكتمالا، لأنه يكون بهذا المقرر الوحيد الذي عالج جميع القضايا دون استثناء.¹

2- ترتيب المحاضرات:

في سبتمبر عام 1906م، عندما تقاعد جوزيف فيرتهامر، الذي كان يدرس الموضوع لأكثر من 20 سنة، في كرسي اللسانيات، طلبت كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة جنيف بسويسرا من سوسير أن يتولى هذا المقياس بالإضافة إلى تخصصه الخاص، فكان عليه إضافة ساعتين إلى خطة عمله، قبل سوسير هذا العمل الذي سيكون تحديا كبيرا بالنسبة له، لأنه لم يدرس سوى ألسن معينة، لكنه طلب الوقت لذلك للإعداد لهذه الدورة الجديدة، والتي وفقا لأرشفيف الجامعة بجنيف، بدأت فقط في 16 يناير 1907 وانتهت في 2 يوليو من نفس العام، قام سوسير في الفصل الشتوي بتدريس فصل واحد في الأسبوع، يوم الأربعاء في الساعة 10 صباحا في الغرفة 46 من مبنى Bastions، وفي الفصل الصيفي بين 8 أبريل و2 يوليو، تم عقد فصلين في الأسبوع يومي الإثنين والثلاثاء على الساعة 10 صباحا في الغرفتين 46 و47 على التوالي.

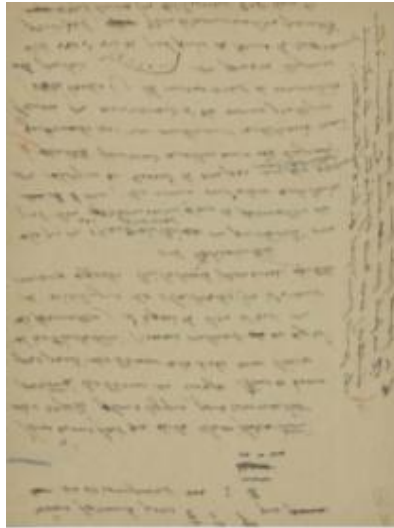
لم تكن جامعة جنيف مرموقة في ذلك الوقت، وكان عدد الطلاب الملتحقين بها قليلا جدا، مما لا يزيد عن أربعة طلاب تابعوا دورات سوسير العادية باللسانيين السنسكريتي والجرماني، أما مقرره في اللسانيات العامة فقد التحق به أربعة من سكان جنيف، وألماني، واثنان من البلغار، واثنان من الروس، و إسكتلندي، وإيطالي، وفرنسي، ووفقا للتسجيل ثلاثة طلاب فقط تابعوا الدورة في كلا الفصلين: ألبرت ريدلينجر، لويس كاييل، فيكتور مارتين، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لجامعة جنيف، ولم يتم العثور على ملاحظاته إلي الآن.²

¹-Claudia Mejia quijano, linguistique général de Ferdinand de Saussure. El primer euros introducción, entornos, Vol29, N02, Novembre 2016, p153.

²-Claudia Mejia quijano, linguistic général de Ferdinand de Saussure, p163, 164.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

توجد حاليا مجموعتان من الملاحظات حول ألبرت ريدلينجر ، تختلف بعض الشيء في المحتوى، وتم اكتشافها مؤخرا، والتي يبدو أن لا أحد يعلم عنها شيء في القرن العشرين، المجموعة الأولى من الملاحظات والتي تم أخذها خلال الدورة، تم التبرع بها في ديسمبر 2010، من قبل أحفاد ألبرت، بعد أن اتصلت بهم باربراوث، أمينة قسم المخطوطات بمكتبة جنيف، بعضها مكتوب بقلم الرصاص ولكن في الغالب بالحبر الأسود ومعظمها دون هوامش، مع وجود بعض المساحات الفارغة في النص، تم ت كتابة هذه الملاحظات بشكل غير متساو بسبب سرعة الكتابة، مما أدى إلى عدم إنهاء الطالب بعض الجمل، وكثرة الأخطاء الإملائية، ولاستيعاب معنى الخطاب السوسيري، نسخ كل شيء تمكن من سماعه، كما لو كان دون تمييز واع، ويشير استخدام المساحة على الصفحة إلى عدم إضاعة الورق ونسخ أكبر قدرا ممكن من الكلام المسموع.¹



الأمر المحير حقل أن ألبرت ريدلينجر كان هو المصدر الأساس الذي اعتمد عليه بالي وزميله في تأويل مقاصد الخطاب السوسيري، بل إن المصادر الجديدة التي عملت على تمثيل الفكر السوسيري، لم تستغن عن دفاثره، وإذ كولديا تصدمننا بأنه كان مجرد صدى صوت لما يلقيه الأستاذ، لا يفهم ولا يترجم الخطاب السوسيري، وكان للخطاب السوسيري

¹ - Claudia Mejia qui jano, linguistic généraldeFerdinandde,p165,166.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

أسلوب فريد غني ودقيق للغاية، لم يغب عن إدراكه المفاهيم المعقدة، لذلك عمل على استخدام أمثلة واضحة وأسلوب بسيط، يراعى الملكات الإدراكية لمستمعيه.

قام كوماتسو (Eisuck Komatsu) ضمن إطار السوسيرية الجديدة، بإعادة تحقيق ونشر الدورات الثلاث، كل في مؤلف مستقل، وحسب التسلسل الزمني لإلقائها، وكانت الدورة الأولى والثانية مأخوذة من دفاتر ألبرت ريدلينجر، أما الدورة الثالثة فقد اعتمد على دفاتر قسطنطين بشكل أساسي، توضح لنا فهرست هذه المؤلفات التسلسل الحقيقي لمنهجية سوسير في مقرره الدراسي، كان محور المقرر الدراسي الأول التطورات الصوتية، وما ينتج عن ذلك من تغير في الألسن.¹ كان سوسير في هذا المقرر ملتزمًا بمفردات المقياس، ولم يخرج عن عباءة اللسانيات التاريخية.

يختلف هيكل الدورة الثانية اختلافا كبيرا عن هيكل الدورتين الأولى والثالثة، لأنه خصص للوصف الملموس للألسن الهندوأوروبية، يوضح لنا هذا الأمر، بشكل غير متوقع، أن الدورات لم تكن تهدف في المقام الأول إلى تأسيس نظرية في اللسانيات العامة ولكن إلى وصف الألسن.²

يبرز لأول مرة في هذه الدورة أهمية المنظور السيميولوجي، الذي يجب أن تعالج في ضوءه أنساق العلامات، ومنها اللسان كمؤسسة إنسانية وتاريخية واجتماعية وثقافية، وعمل سوسير في دروس العام الثالث على تبيان المنظور النسقي والقيمي للسان، كنسق من القيم

¹-Ferdinand de Saussure, premier course de linguistique générale(1907)d' après les cahiers d'Albert Riedinger et Charles patois, edited translated by eisuke Komotsu& georgewolf, 1996,first edition, library of congress, Britain, p viil.

²--Ferdinand de Saussure, deuscome course de linguistique générale(1908-1909)d' apres les cahiers d'Albert Riedinger et charles patois, edited and translated by eisuke Komotsu & george wolf, 1997, first edition, library of congress, Britain, p vii.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

له قوانين اشتغال خاصة به ونظام انتقال وتطور يساير طبيعته.¹

يمثل المقرر الدراسي الثالث مرحلة النضج الفكري، قعد فيه للمفاهيم التي أحدثت نقلة في مساره العلمي، وبما أن هذا المقرر يعتبر أهم حلقة، قام الناشران بتقديم محتوياته في الفصول الأولى للكتاب، أما باقي التصورات فهناك ما تم نقلها إلى الأجزاء الهامشية.

ثالثا - الاختلالات التي وقع بها الناشران:

أزلت تحقيقات غودل (Godel) وأنغلر (Engler) خاصة لنصوص المخطوطات اللجام الذي أطبق صرير أفكار سوسير، وقيد صراعاته الإيستومولوجية، فكشفت تحقيقات أنغلر أن كل ركن من ثنايا نصوص نشرة 1916 مسكون بالشك، وأن كل ما كنا مقتنعين بأنه من بديهيات الفكر السوسيري ما هو في الحقيقة إلا سراب، فأفقدت نتيجة لذلك الأيدي الخفية التي كانت المسؤول الأول عن التقلبات الجينية لتصورات المتن السوسيري حقيقة جوهر نشرة 1916م «أبانت البحوث عن فشل شارل بالي و ألبرت سشهاي في بيان فكر دو سوسير، لأنهما ما حضر يوم ا درسا من دروس هذه المحاضرات، وما كانت كراسات الطلبة التي استعانا بها كفيلا بأن تعوض عنهم هذا النقص فليس المخبر كالمعاين.»²

بفضل الجهود التي بذلها أنغلر لإعادة تحقيق نشرة 1916م في سياق ما استجدى على الساحة اللسانية تم³ :

¹--Ferdinand de Saussure, troisieme course de linguistique générale(1910-1911)d'apres les cahiers d'Albert Riedinger et charles patois, edited and translated by eisuke Komotsu &george wolf,1993, first edition, library of congress, Britain, p viil.

²—مختار زواوي، سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص21.

³— ينظر: مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر

الأصول، أنساق، ع1، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، فبراير 2018، مج2، ص138.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

- تحديد هوية مصادر فقرات نشرة بالي 1916م، بتحديد أسماء أصحابها وصفحتها حسب دفاتر الطلبة، وفق تسلسلها الزمني ضمن المقررات الثلاثة؛ أي انتماؤها إلى دروس العام الأول أو العام الثاني أو الثالث.

- الإشارة إلى التطابق اللفظي بين نشرة بالي والمصادر الأصول المخطوطة والأمثلة كثيرة يتعرف عليها في الأعمدة بإشارة أنغلر إليها بالبند الغليظ .

- بسط المقاطع التي كان يتعين على بالي وزميله الرجوع إليها لإخراج طبعة 1916.

- الإشارة إلى الفقرات الواردة في نشرة بالي التي لم يتمكن أنغلر من التعرف على مصادرها أو توثيقها.

وتتجسد اللبانات التي أضافتها الأيدي الخفية للبناء السوسيري في:

1- عدم تجانس مادة الدروس:

من الحقائق الكاذبة التي كانت شائعة، أن الناشرين اعتمدا في تحرير متون النشرة على المحاضرات التي ألقاها سوسير في مقياس اللسانيات العامة فقط، غير أن تحقيقات أنغلر كشفت لنا أن الخرق السافر لثبوتية وصدقية العمل الفيلولوجي الذي قام به الناشران يتجلى في إضافتهما مواد من خارج مقررات دروس سوسير في اللسانيات العامة.

حيث اقتبسنا مقررات من مخطوطة بعنوان: ملاحظات من أجل كتاب في اللسانيات

العامة كتبها سوسير ما بين 1893 و1894، كما أقحم الناشران جزءا من الدروس التي

ألقاها سوسير حول اللسان القوطي ما بين 1881 و1890 بباريس حين استقدم لتدريس

اللغات الهندية الأوروبية القديمة بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، كما أن الحديث عن

الفونولوجيا والمقطع يرجع الجزء الكبير منه إلى مدونات بالي المختزلة Stenogrammes

للمحاضرات التي ألقاها سوسير حول المقطع بالجامعة الصيفية بجنيف 1897، كما ادمج

الناشران مواد أخرى لا علاقة لها بالدروس، مثل الدروس التي ألقاها سنة 1911 حول

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

اشتقاق اللسانيين الإغريقي واللاتيني، بالإضافة إلى نقل بعض الأفكار من مقال الذي أنجزه لتكريم العلامة اللساني ويتي.¹

ربما أراد الناشران من خلال خروجهما عن حدود نصوص المحاضرات، الإلمام بكل حيثيات فكر أستاذهما وتقديم أعماله الرائدة، والتي لم تتل المكانة العلمية التي تستحقها.

2- تغيير الترتيب الأصلي لموضوعات الدروس:

لعل أول عتبات انتحال بالي وزميله تبدأ «من صياغة الفهرسة وهو ما يعري بوضوح تلك التخمينات، فبعد مقدمة عامة أبعد ما تكون عن التقديم الحقيقي، ينتقل الكاتب إلى " المبادئ العامة " المتمركزة حول العلامة، لينقلنا الفهرس فيما بعد إلى فصول طويلة حول اللسانيات التطورية، لقد بدا في ضوء هذه الفهرسة بوضوح تردد المحررين بين إتباع الترتيب الكرونولوجي والترتيب المنطقي للموضوعات، لذا فإنه يمكن للقارئ أن يعثر في هذا النص تحت مقاطع من محاضرات بتواريخ متفاوتة.»²

يتضح مما سبق أن الناشرين كانا متذبذبين بين الالتزام بالتسلسل الزمني وفق المنظور السوسيري، الذي ألزم به دروسه لغاية يتوخى من خلالها تبلور اللسانيات العامة في أذهان مستمعيه على شاكلة معينة، ووفقا أيضا للتطور الفكري الذي كان يعيشه سوسير ويتجسد في نصوص محاضراته، وبين توجههما الذي أدى إلى عجن المحاضرات، وحجب الكثير من أسرار المتن السوسيري.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول، ص140.

² - عبد القادر فهم شيباني، أسرار التأليف " هكذا سمعنا المعلم في الكتاب: محاضرات في اللسانيات العامة"، مجلة أيقونات، ع6، الجزائر، 2018، مج6، ص14.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

قام الناشران أيضا بتقديم درس اللسان على تنوع الألسن، تم وضع الأولى في مقدمة الكتاب بينما تم تأخير الثانية إلى نهايات الكتاب، وينتج عن هذا انطباع بأن اللسان هو كائن موجود مسبق وقائم في ذاته.¹

وفق هذا الطرح أصبح الموضوع الذي أوله سوسير الأولوية التاريخية مهمش ا لصالح نسق مجرد، جاءت الكثير من الأفكار التأسيسية وكأنها مهمشة من قبل الأستاذ نتيجة تغيير الترتيب الأصلي.

3- إضافات الناشرين:

لعل أكبر جريمة اقترفتها أقلام الناشرين في حق أستاذهما خاصة وفي حق الدراسات اللسانية عامة، العبارة التي توحي بها عملهما وأصبحت صدى حروفها تتردد في كل المحافل العلمية اللسانية كمرادف وعاكس حقيقي لتوجه سوسير الصارم «إن موضوع اللسانيات الحقيقي هو اللسان في ذاته ولذاته».²

هذه العبارة التي جسدت لنا سوسير الصارم الذي وضع اللسانيات في برجها العاجي منعزلة عن كل السياقات الخارجية، متفوقة على لبنات نسقها فقط، لتكشف لنا الأنامل الفكرية المحققة للمخطوطات أن هذه أكبر أكاذيب نشرة 1916 «وهي العبارة التي يمكن الجزم بأنها من وضعهما، إذ ليس في المصادر الأصول لدروس في اللسانيات أو في غيرها ما يسمح بالقول بأن الأستاذ عبر عنها بهذه الصيغة أو بأخرى، ويؤكد بوكيه أن الجملة كانت رائجة لا عند فرانز بوب فقط، وإنما سنة 1883 عند مؤلفين معاصرين لسوسير في صيغة قريبة جدا: إن اللسانيات تدرس الألسن في ذاتها ولذاتها».³

¹-Quoted: Beata Stawarska, Saussure's philosophy of language as phenomenology undoing the doctrine of the course in general linguistic, university press OX ford the united States of America, 2015, 224.

²- فرديناند دو سوسير، فصول في علم اللغة العام، تر: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الإسكندرية، ص409.

³- مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير، ص142.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

تحكمت هذه الإضافات في توجيه تأويلات تصورات سوسير في اتجاه مخالف لسليقة أفكاره، كما أنها حددت مسارات تشكل اللسانيات الحديثة ردحا من الزمن.

4- تعديل المنظومة المصطلحية:

كان سوسير يعيش مخاضا اصطلاحيا؛ مترددا جدا في وضع مصطلح يعبر عن المفاهيم الاستشرافية التي ستحملها محاضراته، وكان في كثير من الأحيان غير مطمئن لجهازه المصطلحي، وكانت عملية قطف المصطلح تمر بعدد من عمليات التقليم والتعديل للوصول إلى المصطلح الذي يعبر عن دقائق المنظومة المفهومية عنده.

كان سوسير حذرا من أن يقع في العبث الاصطلاحي الذي أذاعه رواد المنهج التاريخي، لكن الناشرين لم تكن لهما أي تحفظات من إبدال هذا الجهاز المصطلحي الذي عانى سوسير في ضبط عنصر واحد منه، حما فكرية ومخاضا منهجيا، ودون أي حرج قاما بتعديل منظومته وفي هذا السياق يقول عبد القادر فهميم الشيباني « والظاهر للعيان في كثير من المواضع، تلك الاستبدالات الاصطلاحية لما جاء في ملاحظات الطلاب بشكل متوال ومخل، والتي يمكن تلخيصها في الجدول الآتي:¹

إبدالات المحررين	مصطلحات الطلاب
Substance acoustique	Substance phonique
Sonorite linguistique	Chaine phonique
Suite a coutiaue	Tranche phonique
Unites irreductibles	phoneme/Elements phonique

¹ - عبد القادر فهميم شيباني، أسرار التأليف" هكذا سمعنا المعلم في الكتاب، ص14.

5- الحذف: دلالاته وأبعاده:

قلمت أيادي بالي وزميله العديد من فقرات نصوص المتن السوسيري، التي كانت بحوزتهما معتبرين أن العديد من الأمثلة لا تعدو إلا تكرار لما سبق ذكره، غير أن ما كان غائبا عن بالي وزميله أن سوسير كان يعالج من أفق هذه الأمثلة المكررة ظواهر معينة في الدرس اللساني، ولم يأت على ذكرها اعتباطا أو من باب الاسترسال في الشرح « ويعتبر أبرز ما حذفه الناشران مقدمة دروس العام الثاني التي تتضمن الخطوط العامة لمشروع سوسير حول السيميولوجيا، ويبدو أن الناشرين لم يدركا طبيعة الفجوة الحاصلة بين ما عرضه سوسير في محاضرات أخرى وما جاء في المقدمة التي تشكل جوهر تصوراتته»¹

6- التحولات الغائبة:

المطلع على بدايات إلقاء سوسير لمحاضراته في مدرجات جنيف، سيلاحظ ذلك النضج الفكري مع كل درس جديد، وتلك الأسئلة التي بقيت في الغالب معلقة، صامتة، وذلك التناقض بين صفحات الطلبة، وذلك التردد بين جسور الشك واليقين، كان سوسير طوال فترة إلقاءه لمحاضراته التي امتدت لخمس سنوات، باحثا وليس مؤسس كما كان يصور، كانت دروسه تختلف من عام إلى آخر مما يجسد بالملاموس ديناميكية فكرية متحولة باستمرار، عكست لنا المخطوطات فكره وتساؤلاته المستمرة.

غير أن الناشرين تجاهلا هذه الزوبعة الفكرية، وفي هذا السياق ندرك مثلا التغيير الذي طال تعريف اللسانيات، إذ اتبع سوسير طريقتين مختلفتين واصفا الأولى بالخارجية والثانية بالداخلية، فحدد في دروس العام الأول اللسانيات بالسلب مستخلص مظاهر التعارض بينها وبين علوم أخرى، وكان التعريف الخارجي إبراز اللسانيات والتركيز على موضوع المعارف التي تشترك معها، أما في دروس العام الثاني فتعتبر أن الطريقة الخارجية

¹ - مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير، ص144.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

أو التحليلية غير مجدية لأنها لم توصل يوماً إلى شيء مفيد، مقترح الانطلاق من طبيعة اللسان الداخلية كسمة نوعية مميزة لتحديد اللسانيات.¹

كان سوسير يحاول في البداية ومن أفق اللسانيات التاريخية تخلص اللسانيات من شوائب العلوم الأخرى، التي تدعي الحق في أصولها وفروعها من مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة... إلخ، عمل على الفصل بين موضوعاتها وطبيعة اللسانيات، سوى أن هذه الطريقة كانت قاصرة عن تحديد وضبط ماهية اللسانيات، لذلك انطلق من طبيعة اللسان الداخلية لتحديد وضبط الموضوع.

قدمت لنا نصوص نشرة 1916 منظومة فكرية لملاح لساني اكتسح الغبار أركان مقولاته، لساني جاف صارم إزاء الكتلة اللسانية، سوى أن المخطوطات أزلت هذا الغبار الذي عتم فكر سوسير المحاضرات، وأعادت نقش ملاح ذلك اللساني المتردد من تحرير رسالة علمية، ذلك اللساني الذي يتجرع كأس القلق والتساؤل المستمر حول المادة الزئبقية التي هي اللسان، ذلك المفكر الذي كان يعاني طوال رحلته الفكرية زوبعة مرضية أقضعت مضجعه وأرقت مداده.

هذه النظرة الخاطفة في المخطوطات التي أعادت لنا الأصل الضائع من فكر سوسير، وكشفت عن تدخلات الناشرين في تحويل محتويات الإنتاج الطلابي، الذي هو في الأصل انعكاس تقريبي إلى حد ما للعرض التقديمي الشفوي، لنا أن نسأل: من هو المؤلف الحقيقي للمحاضرات في اللسانيات العامة؟، ولعل الناشر ينهما أول من فكر في هذه الإشكالية عندما تسألاً عمى إذا كان بإمكان القارئ التمييز بين الأستاذ والمترجمين لأفكاره.² ومنه نتوصل إلى حقيقة أننا أمام نصين بل أمام أكثر من مؤلف، يظهرون في انعكاس واحد.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 149.

² - ينظر: فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص 7.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

هذا الأمر الذي دفع بميلخا للقول بأن كل وكيل يتدخل في وقت أو آخر سيكون مؤلفا للنص الناتج عن العمليات المنفذة على المصادر التي كانت ملكه، وبالتالي سيكون قسطنطين مؤلف للملاحظات.¹

بموجب هذا الطرح سيكون كل طالب حضر الدروس هو المؤلف لملاحظاته الخاصة والمستقلة، غير أن هذا الطرح فيه شيء من الغلو الكبير، فالمادة الملقاة على الأسماع والأذهان واحدة في جميع الدفاتر، سوى أن الصيغة في التعبير عن هذه الأفكار هي التي كانت تخضع للتغيير نوعا ما، لقصور الأذهان أحيانا على إدراك مغزى الأستاذ، غير أن هذا الأمر لا يعني أن كل من أعاد صياغة ما يرتل على سمعه مؤلف لهذه الأفكار، وإنما ارتضينا القول بأن بالي وزميله زحما الأستاذ في بحثه، لأن الرغبة الأولى كانت نسج المحتويات بأمانة، غير أن غيابهما عن حضور المحاضرات واستقبال هذه المادة من مصادر متنوعة، ساهم في زيادة الفجوة بين قصد سوسير وتأويلهما الخاص، كان عملهما انعكاسا لسوسير واحد، في حين كنا أمام أكثر من سوسير، فلا يوجد خلق من عدم ولكن إعادة تكوين للخطاب الذي ألقاه الأستاذ.

يقول كوماتسو في هذا السياق عن صنيع الناشرين: إن أهم أفكار سوسير حول اللسان تم نقلها في النهاية إلى الأجيال القادمة فقط من خلال عملية معقدة من إعادة الكتابة والتعديل من قبل أشخاص آخرين، عند قراءة النشرة نلاحظ أن هناك شيئا مصطنعا وغير متجانس حول تكوينه، ما هو مصدر هذا الانطباع؟، يأتي من حقيقة أن الكتاب بأكمله ليس مقطوعا من نفس القماش، غالبا ما يقارن النص بالنسيج، يبدو أن التصميم المنسوج على السطح الذي يرى من مسافة بعيدة أن له نفس اللون، وعند الفحص الدقيق يتم الكشف عن خيوط من ألوان مختلفة.²

¹-E-stanislaosofia,qui est l'auteur du cours de linguistique générale?,éditeur Association canadienne de sémiotique,N1-2-3,2014, vol34, p25.

²--FerdinanddeSaussure,troisieme course de linguistique générale(1910-1911), p vii.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

رغم مواطن القصور وكثرت الشتات الذي اعترى أبواب نشرة 1916 ووابل الانتقادات التي وجهت لأستاذ جنيف، بسبب تصرف حبر الناشرين في العديد من أجزاء الكتاب، إلا أنه لا يمكن بحال من الأحوال إنكار فضلها في إخراج هذا الكنز اللساني من كراسات الطلبة إلى النور، كما أنهما أعلنّا في مقدمة الكتاب تحملهما المسؤولية الكاملة أمام النقاد، ولا بد لمن أراد الاهتداء إلى الفكر السوسيري، أن يتلقى نشرة 1916 في ضوء أصول المصادر ليعرف ما هو من حبر سوسير وما هو من أثر تعديلات الناشرين.

المبحث الثاني: النقد الغربي لكتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"

اقتترنت الرسالة التي حمل لها سوسير في مطلع القرن التاسع عشر بفكره قرابة النصف قرن، فكان كتاب محاضرات في اللسانيات العامة الذي قام كل من بالي وسشهاي بإخراجه لنور عام 1916م النافذة الوحيدة الموصلة لفكر سوسير، وقد باشرت هذه النشرة التي أصبحت في عيون العالم مرادفاً لفكر سوسير رحلة تمخضاتها الإبتستمولوجية في أدبيات اللسانيات في مرحلة استفحلت فيها النزعة المقارنة وأشبعَت العقول الفكرية بالمذهب التاريخي، فلم تلق النشرة في العقود الأولى لنشرها المكانة العلمية التي تليق بفكر صاحبها. يذهب مختار زواوي للإشارة إلى أن تلقي فكر سوسير في الساحة الغربية قد مر بأربع مراحل «مرحلة أولى تشمل العقود الثلاث الأولى من القرن العشرين، ومرحلة ثانية تبدأ بانعقاد المؤتمر العالمي الأول للسانيين لعام 1928، وتمتد حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم تليها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتنتهي ببداية المرحلة الرابعة التي تتزامن مع بداية إخراج مخطوطات سوسير الأصلية إلى الناس وتحقيقها»¹

لم تتل النشرة في العقود الثلاثة الأولى استحسان الأذواق الفكرية لجمهور اللسانيين، ويعزى ذلك إلى تمجيدهم للدراسات التاريخية المقارنة، وكانت المرحلة الأولى من أكثر المراحل انتقاداً للنشرة، وكانت من أكثر قضايا المتن إثارة للجدل موضوع اللسانيات، والفصل

¹ - مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص223.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

بين الدراسة الآنية و الزمانية، بالإضافة إلى التمييز الحاسم الذي أقرته النشرة بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، فلم تتقبل سليقة اللسانيين الكثير من طروحاتها، وهذه الأمور من مكونات الطبيعة البشرية التي ترفض كل خروج أو كسر لما هو معتاد ومسطر.

أولاً-النقد السويسري:

كان لبالي وزميله اعتراضات على نقاط أساسية في متون الكتاب، لم يكن بالبالي راضياً على كل هذه الصبغة الذهنية المجردة التي كما توهم منحها سوسير للسان، فعمل على تأسيس مشروع الأسلوبية التعبيرية، وسعى من خلالها إلى تشييد لسانيات الكلام لتكون في صرحها العلمي موازية للسانيات العامة، فركز على الكلام في أسلوبيته باعتباره السبيل السليم لدراسة اللسان العلمي على سجيته دون أي جدران للمعيارية أو ضبابية للتصنع، يرى بالبالي «أن أستاذه قد بالغ في إعطاء اللسان كل هذه الصبغة الذهنية، بجعله نتيجة الحكمة الجماعية، وفي رأيه أن هناك صراعاً دائماً بين كلام الأفراد وبين النظام اللساني الذي يمكن أن يرضي الجميع. فاللسان المنظم العادي الثقافي، يكفي في نقل الأفكار وفهمها، ولكن الكلام من ناحية أخرى يقف في خدمة الحياة العملية؛ فما يعبر عنه الكلام فهو الإحساس والرغبة والعمل، وإنتاج الكلام عاطفي ذاتي في الغالب، وفي هذه الحرب الحضارية بين الكلام واللسان ينجح الكلام دائماً في إدخال بعض جنوده إلى القلعة المحاصرة؛ هذه الجنود هي الكلمات أو الصيغ المتحدثة بعاطفة.»¹

عمل بالبالي من خلال مشروعه على ترسيخ فكرة أن العملية الكلامية بكل مقوماتها ليست عنصراً سلبياً في النظام اللساني، فهناك حالة من الصراع بين اللسان الذي يمثل القيم الثابتة وجذور الهوية، وبين النشاط الكلامي الراض لكل معيار ثابت يحد من التطور والانصهار، ومن هنا يحدث شكل من التعالق والاصطدام بين النظاميين.

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990، ص37.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

الواقع يثبت أن هناك حالات مع أنها قليلة ونادرة إلا أن الفرد المتكلم يستطيع أن يدخل جنوده إلى حصن النظام اللساني، فمع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي في كل أنحاء المعمورة، وكذلك مع التزايد المستمر لحالات هوس العامة بالمشاهير، الذين أصبحوا النموذج المثالي للإنسان المتحضر، والذين تمكنوا من خلال مكانتهم الاجتماعية من إدخال رموز، أو كلمات، أو ملابس غريبة، أو حركات معينة.... إلخ وفرضها على جمهور المتكلمين الذين أصبح الأغلبية منهم ينجذب إلا كل ما هو غير مألوف ويكسر أفق كل معتاد، بالإضافة إلا أن هذه الظاهرة كانت متفشية في العصور السالفة من خلال تبني طبقة المثقفين لعبارات الأدباء والشعراء التي تترك عقب عطرها في ذاكرتهم.

بالنسبة إلى سشهاي لم تعجبه فكرة التماثل الذي عقده سوسير بين اللسان ونظام لعبة الشطرنج، وفي ذلك يقول « كان سوسير يحب القول أن اللسان في حالة معينة شبيه بوضع في لعبة شطرنج، فإذا ما تحركت إحدى القطع تأثر بذلك التوازن القائم بين القطع، وكذا جميع القيم نظرا لما بينها من التعاضد، إلا أنه إذا كان لاعب الشطرنج يحسب حركاته لتحقيق هدف معين، فإن التحقق الذي يحدث في اللسان توازيا جديدا يتم من دون قصد، عن طريق حادث مجاني.¹»

ثانيا- النقد الفرنسي:

كان أول من أعمل فكره في نقد النشرة حسب التسلسل التاريخي للمؤرخين في التلقي الفرنسي، أنطوان ميه آخذا على سوسير إقصاءه للكلام من حقل تحريات اللسانيات، وحصر موضوعها في اللسان "langue" والاستغناء عن باقي الوقائع اللسانية الأخرى وهو

¹ - ماري آن بافو جورج إلياسر فاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012، ص141، 142.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

تصور يتنافى، في نظره، مع ما انفكت تقرره الدراسات الصوتية آنذاك فهذه الأخيرة ليتمكن لها أن تزداد قربا من اللسان إلا من خلال مدارس دقيقة وممعنة في تفاصيل الكلام.¹

المسائل الأخرى التي عاب ميه فيها على سوسير هي عدم إيلاؤه مكانة مناسبة من مشروعه لدراسة مسألة التحولات اللسانية « فقد بدا له أن دو سوسير عمد إلى فصل التحول اللساني عن الظروف الخارجية التي تتحكم فيه.»²

بعد هذا النقد يعود للإقرار بأن الكتاب الذي ألقاه بالي وزميله من ملاحظات الطلبة بعيد عن الاكتمال، بل هو بالأحرى سلسلة من الآراء الناتجة عن التدريس الشفوي، وفي ذلك يقول « ليس من شأننا هاهنا التفصيل في نقد محتوى الكتاب الذي لا يعدو أن يكون مجرد اقتباس لتعليم شفوي عابر، لا نعلم ما إذا كانت تفاصيله التي تعرضت للنقد من تأليف المؤلف أو مصدرها الناشرين.»³

بحكم العلاقة المتينة التي كانت تجمع سوسير بطالبه وزميله، كان الأخير لديه فكرة عن تصورات أدبيات لسانيات صديقه، وتصور أيضا عن التقلبات الجينية التي كان يتخبط بها، وليس أدل على ذلك من عبارات التردد وعلامات الاستفهام وجمل التعجب التي بصمت مسوداته، فكان ميه مدركا في قرارة نفسه أن كثيرا من مسائل نشرة 1916م لا تعبر بصدق ولا تعكس بأمانة فكر صاحبها، بقدر ما تكشف عن ديناميكية فكرية لقلم الناشرين، وهذا الحدس نتيجة تلقي ميه أفكار مشروع اللسانيات العامة من سوسير قبل تاريخ إلقاء المحاضرات.

يقول الطالب لم أسمع قط المحاضرات لكن أفكارها تم معالجتها في وقت مبكر جدا، كما نعلم فإن المذاهب التي قام بتدريسها في مقياس اللسانيات العامة، هي التي كانت

¹ - ينظر: مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص50، 49.

² - المرجع نفسه، ص50.

³ - المرجع نفسه، ص51.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

مستوحاة بالفعل من تدريس القواعد المقارنة، التي قدمها قبل عشرين عاما في مدرسة الدراسات العليا والتي تلقيتها.¹

اشتغل سوسير كما مر بنا سابقا بفكرة النظام والمنهج الآني بزمن طويل قبل البدء في إلقاء المحاضرات، وهذا ما دفع ميه إلى التشكيك في مصداقية أفكار هذا الكتاب، لأنه اطلع ولو بشكل جزئي على هذه التصورات، وقد جاء عمل غودل ليضفي المصداقية على حدسه.

أما في القراءة النقدية لغيوم، فقد عارض التقسيم الذي أقامه سوسير بين اللسان والكلام، فقد بدا له هذا التعارض غير مبرر بالشكل الكافي، وذلك راجع إلى سببين²:

1- لا يأخذ بالاعتبار الصلة التي يقيمها كل مصطلح من المصطلحين مع نظام التفكير من جهة، ونظام الخطاب من جهة أخرى.

2- لا يتيح وصفا مرضيا للفعل اللساني في كليته.

لا يكتف غيوم بالنقد بل يذهب إلى وضع البديل، فلانتقال بشكل سليم من لسانيات اللسان إلى لسانيات الكلام، لابد من تحديد أي نمط من الآليات يشمل الكلام، فإن الكلام، الذي ليكون ماديا في مستوى اللسان يصبح ماديا في مستوى الخطاب، ما لم يظل هذا الأخير داخليا.³

إذا كان سوسير أقام تقسيمه على أساس أن لسانيات اللسان نسق مجرد من القواعد، ولسانيات الكلام هي التجسيد الفعلي له، فإن غيوم أقام تقسيمه من منظور نظام الكلام؛ أي فكرة الاستعمال، ويكون غيوم بذلك ركز على الجانب المادي (الاستعمال) واللامادي (الفكرة).

¹-Conrad Koerner, Meillet, Saussure et la linguistique générale histoire épistémologie langage, université d'otaaaw, N2, juillet 1988, vol 10, p63.

²-ماري آن بافو جورج إلياسر فاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية ، 165.

³- ينظر: المرجع السابق، ص 165.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

حذا جيل فندريس «حذو أستاذة أنطوان مايي، كما فعل غوستاف غيوم، في رد عدد من المسائل النظرية الذي أعده سنة 1921 عن كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر مفهوم الكلام، إذ على الرغم من أهمية إقراره بتميز دو سوسير بين اللسان والكلام فإن الخصائص التي استعان بها دو سوسير في هذا التمييز لابد من إعادة النظر فيها.¹

اجتهد في تأصيل البعد الاجتماعي للسان، وفي ذلك يقول: في أحضان المجتمع تكون اللسان، واللسان وهو الحقيقة الاجتماعية بأوفى المعاني، ينتج من الاحتكاكات الاجتماعية؛ هذه هي أم المسائل.²

هذا الجانب أيضا من التلقي الفرنسي لنشرة 1916م، يحدثنا أندري مارتينييه (André Martine) رائد اللسانيات الوظيفية، عما تثيره قضية اللسان والكلام من التباس إجرائي، وبتر للعمق التحليلي، كما تكشف عن ثغرات في المتن السوسيري، وفي هذا الإطار يقول «إن التمييز الضروري جدا بين اللسان والكلام يمكن أن يؤدي إلى الاعتقاد بأن للكلام نظاما مستقلا مما يجعلنا نتصور وجود لسانيات الكلام في مقابل لسانيات اللسان، غير أنه يجب أن نكون مقتنعين بأن الكلام يعمل فقط على ترسيخ نظام اللسان، فلا يمكننا معرفة اللسان إلا من خلال الكلام والسلوك الذي يحدده لدى المتكلمين.»³

كان مارتينييه مدركا للقيمة النظرية والمنهجية التي تحتلها لسانيات الكلام من بناء لسانيات اللسان خاصة والدرس اللساني عامة، فرغم أنه اعتمد على الكثير من مسائل النشرة لتأسيس نظريته الوظيفية، إلا أن ذلك لم يمنعه من إبداء تحفظه من بعض النقاط الواردة فيها.

¹ - ينظر: مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص53.

² - ينظر: ج. فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1950، ص10.

³ - André Martinet, éléments de linguistique générale, Armand colin, pairs, 1980, 2, p25.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

أما اللساني الفرنسي إميل بن فنيست (Benveniste) فكما هو معلوم تلك القضية التي شنها على سوسير وكل من سلك مذهبه في القول بالعلاقة الاعتباطية بين المفهوم والصورة السمعية*، وسعى إلى إثبات الترابط الوثيق بين الدال والمدلول، فاللفظ حسب يطاق ما يدل عليه في العالم الخارجي.

في هذا المقام يذهب للإقرار بأن العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية بل هي على العكس من ذلك ضرورية، فالرابط ليس تعسفي على العكس من ذلك ضروري، فالمفهوم المشار إليه (baeuf) هو بالضرورة مطابق في وعي للمجموعة الصوتية (الدال) bof، كيف يمكن أن يكون خلاف ذلك؟، تم طبع الاثنين في ذهني؛ يستحضران بعضهما البعض في جميع الظروف، يوجد مثل هذا التعايش الوثيق بينهما، فإن مفهوم (baeuf) يشبه روح الصورة الصوتية bof.

لا يحتوي العقل على نماذج فارغة ومفاهيم غير مسماة، ومنه فإن الدال هو الترجمة الصوتية للمفهوم، والمدلول هو النظر العقلي للدال، يضمن هذا التماثل الجوهرى للدال والمدلول الوحدة البنوية للعلامة اللسانية.¹

العقل لا يستسيغ ولا يقبل الأصوات التي لا تحمل تمثلاً أو شيئاً يمكن معرفته، فلو كان الأمر كذلك؛ أي وجود أصوات لا تدل على شيء ولا تحمل مفهوماً يمكن التعرف عليه تصير غريبة ومجهولة.²

غير أن هذا التماثل الذي يقيمه العقل بين الصوت والمفهوم هو في ملامح انبثاقه وتشكله الأولى كان تعسفي، وهذه الحقيقة يمكننا نكرانها بحال من الأحوال، فتعدد الألفاظ للمعنى الواحد واختلاف اللفظ من لسان إلى آخر يؤكد ما ذهب إليه سوسير.

* المقصود بالصورة السمعية عند سوسير ليس الجانب المادي للصوت، وإنما هو الأثر النفسي الذي يتركه الصوت فينا.

¹-Benveniste, problèmes de linguistique générale, p52.

²- ينظر: حسين بن عبد السلام، إشكاليات فلسفية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2007، ص46.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

القول في هذا الباب بالعلاقة الطبيعية أو الانفعالية، فهما لا يمثلان سوى جزء صغير من الكتلة الجبلية المبهمة من هذا الترابط أو القيد التعسفي، وإن كانت العلاقة تبدو طبيعية في ظاهر الأمر وللوهلة الأولى، فهذا راجع إلى كثرة الاستعمال حتى توهم ذهن المتكلم والسامع أن هذه الأصوات خلقت متلازمة بقيد أزلي مع المفهوم الذي تعبر عنه، فيقيم دون وعي منه جسور وهمية بين بعدين لا يجمع بينهما غير التعسف، فيتوهم في لفظ أسود إحياء بمفهوم الموت، الحزن، المجهول، الغموض، الشر.... إلخ، حتى أصبح هذا اللون في كثير من الثقافات لباساً للحداد، بل وصل الأمر بالبعض إلى التشاؤم من كل حيوان أسود، والربط بين رؤيته وحدث الأمور السيئة، والليل رغم ظلامه الأزلي جاء في مواضع كثيرة في القرآن الكريم بمعنى الراحة والسكون للأبدان والأنفس، قال تعالى «هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه».¹

أجاب سوسير على من يعترض على فكرة الاعتبارية بوجود أصوات تختار لكونها تقليداً للصوت المختار، كألفاظ مثل wow بالإنجليزية، foug و wau بالألمانية، و bau بالإيطالية، وau بالعربية، على الرغم من كون هذه الحالات قليلة، إلا أنها تحتوي أيضاً جوانب اعتبارية، فهي لا تعدو أن تكون اختياراً لمحاكاة تقريبية شبه متفق عليها بين "الألسن"، ولكنها ما إن تقحم في لسان ما، حتى تخضع له صوتياً وصرفياً، كما تخضع المفردات الأخرى له. فمفهوم "ثور" هو إجباري مماثل في ضميري للمجموعة الصوتية (ث و ر) وكيف لا، فالاثنتان رسخا في فكري، والاثنتان اتسعا ذكرهما في كل حالة، بحيث يوجد تكامل عميق بينهما؛ حتى أنا مفهوم الثور يمكن اعتباره كروح للصورة السمعية (ث و ر).²

في العرف العام هذه الألفاظ هي أسماء ملتصقة بالمسمى في واقعهم المعاش، يقول جورج مونان «العلامة اللسانية هي تقسيم الواقع عن طريق التواضع لا غير، فهي بمعنى

¹ - سورة يونس، الآية 67.

² - ينظر: وائل نجمي، جذور الحداثة النقدية: مبادئ (دو سوسير) في الألسنية العامة، مدونة نجمي الثقافية، 26-02-

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

الاتفاق والاصطلاح، عكس المفهوم العفوي لدى المتكلم الذي يرى العلامة اللسانية كأنها اسم للواقع.¹

هذه الفكرة ليست وليدة الفكر السوسيري، بل سبقت أمم إلى مناقشة حقيقتها بشكل مستفيض، وكان التجديد السوسيري على مستوى المصطلحات والضبط المفاهيمي، وليس على مستوى البناء والمبحث، وقد عولجت هذه القضية من قبل علمائنا بشكل مفصل ودقيق، ومن ذلك قول عبد القاضي عبد الجبار في كتابه "المغني" «إن الاسم إنما يصير اسماً للمسمى بالقصد، ولولا ذلك لم يكن بأن يكون اسماً له أو لغيره، وهذا معلوم من حال من يريد أن يسمي الشيء باسم، لأنه إنما يجعله اسماً له بضرب من القصد، يبين ذلك أن حقيقة الحروف لا تتعلق بالمسمى لشيء يرجع إليه، كتعلق العلم والقدرة بما يتعلقان به، فلا بد من أمر آخر يوجب تعلقه بالمسمى، وليس هناك ما يو جب ذلك فيه سوى القصد والإرادة.»²

ثالثاً-النقد الألماني:

إذا ذهبنا إلى مركز الدراسات التاريخية المقارنة، فقد كان رد الفعل أقوى بكثير فابن عاصمة برلين، والمتشبع بالفكر الفيلولوجي، المترعرع في حضن النحاة الجدد، يرفض تعاليم أساتذته ويلفظ ما تلقاه فكره من منابع عاصمة الدراسات التاريخية المقارنة، ويدعو في نشرته إلى أفول نجم هذه الدراسات، واضمحلال سطوتها على الفروع اللسانية، نتيجة لذلك تلقت نشرة 1916م نقداً قاسياً من أنامل الفكر الألماني، وفي مقدمتهم إيغو شوشار (H.Schuchardt) الذي يعتبر أول من أعد تقريراً عن محتوى النشرة تناول فيه نقد لثنائيات سوسير، خاصة في قضية تمييزه لسانيات اللسان عن لسانيات الكلام وعزله المنهج الآني عن المنهج الزماني.

¹ - جورج مونان، تاريخ علم اللغة من نشأتها حتى القرن 20، تر: نجيب غزاوي، دمشق، مؤسسة الوحدة، ص106.

² - أبو الحسن القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: خضر محنيها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ص160.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

« عاب شوشار على كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة عدم احتوائه على تعريف واضح للسان "langue" ومن ثم فإن تمييزه عن الكلام لا أساس له في حقائق الأمور، بل إن اللسان في نظره، مرادف للكلام.»¹

تميز موقفه اتجاه النشرة بالكثير من البصيرة، ومع ذلك فإنه في قضية الفصل بين لسانيات الكلام ولسانيات اللسان، رأى أن سوسير الملقب بدأ من نهاية الحلقة، وعكس تفاصيل القضية، فكان الأصل والأجدر أن يبدأ بما هو ملموس وليس بما هو نسق مجرد، وفي هذا السياق يقول «لم يبدأ سوسير (دراسته) من حيث ينبغي أن يبدأ؛ أي التمثيل الوحيد للملموس الذي هو في المتناول هنا، أقصد اللسان الفردي، أما اللسان العامي فهو شيء مجرد مثل الروح الجماعية مقابل الروح الفردية.»²

غير أننا نلاحظ أن هذا التسلسل المنطقي ينطبق على فهم المستعمل العادي لنظام لسانه، فهو لا يمسك منه ولا يرتسم أمام نظريه سوى الكلام، أما المخزون الذهني والقوانين التي يلزم بها النظام مستعمليه تبقى عملية مجردة في أغلب الأحيان لديه، أما بالنسبة إلى الدارس المتخصص في مجال هذا العلم، فهو على أتم اليقين بأن سوسير على صواب في تقسيمه، لأنه بدا من الكيان الكلي الذي بموجبه يتحقق الكيان الفردي، ويتجسد على أرض الواقع، فبدأ من الأعم وانتهى إلى الخاص.

أما في قضية عزل النشرة المنهج الآني عن المنهج الزماني، فهو مجرد وهم وخطإ إجرائي لا غير حسب شوشار حيث يقول «بينما كان تحديد الوقائع الآنية بواسطة السانكرونية، فإن المغاير هو الذي يبدو أنه يفرض نفسه، حيث تعرف حالة لسانية مطلقة ما بغياب التغيرات» وعليه يتم انتقاء كل تعارض بين السانكرونية والدياكرونية.»³

¹ - مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص. 56.

² - ماري آن بافو جورج إلياسر فاتي، النظريات اللسانية الكبرى، ص. 140.

³ - المرجع السابق، ص. 140.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

شوشار من أهم اللسانيين الألمان الذين كان لهم إسهام كبير في ازدهار الدراسات التاريخية، ندرك سبب هذا الموقف المتعصب نوعاً ما إلى الوقائع الآنية، لكن إن كانت الوقائع الآنية يمكن إدراك الحالة اللسانية التي هي عليها سوى بإسقاطات على المنهج الزمني، فإن الأخير ما هو في الأصل غير دراسة لواقعة لسانية وفق منظور آني، يتم تجميعها مع غيرها في عقد واحد.

إن كان اللساني الألماني شوشار تميز بالبصيرة في مسألة اعتراضه على قضية الفصل وتفضيل ثنائية على حساب الأخرى، فإنه جانب الصواب في تعصبه لأفكار عصره دون محاولة الاطلاع برؤية محايدة.

رابعاً - النقد الإنجليزي:

أثناء التلقي الإنجليزي نصطدم بالأقلام النقدية لمؤسس النظرية السياقية جون فيرث (Jun Firth) والذي يذهب للقول بأن النظرية السوسيرية غالت في تهميش لسانيات الكلام وعزل لسانيات اللسان عن الحدث الاجتماعي « يرى فيرث أن اللغة تدرس باعتبارها جزء من عملية اجتماعية، ولا يرى للسان وجود ذهني مختلف¹ عن الكلام الفعلي الفردي، فالفرد وإن كانت له شخصيته المستقلة المتميزة عن غيره، إلا أنه يشترك معها في أمور كثيرة. »¹

ليمكن إنكار الأثر الذي خلفته إشعاعات نشرة 1916 على توجهات فيرث اللسانية، إلا أنه كان رافضاً لعزل اللسان عن حضنه الأول الذي تمخض من رحمه، فهو المعول عليه في إدراك سياقات المعنى.

¹ - صلاح كزارة، علم اللغة الحديث، بدايات وتطور، جامعة حلب، تاريخ النشر 2009-02-21،

[https:// www.aifa-seeh.com](https://www.aifa-seeh.com)

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

دقت أنامل فكرية كثيرة في مسألة التمييز بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام وإقصاء الأخيرة من مجال البحث اللساني، وتعد هذه القضية من أكثر نظريات النشرة إثارة للقرائح النقدية والمسيلة أيضا للمداد القاسي في حق المتن السوسيرية .

خامسا-النقد الروسي:

كان أكثر من استوعب أفكار نشرة 1916 ممثلوا الفكر الروسي، كانت القرائح الأدبية متعطشة إلى كسر قيود الدراسات الألمانية وإزالة خرقها البالية على حد تعبيرهم من الجسد اللساني، فوجدت حلقة موسكو وحلقة براغ ضالته المنشودة في ثانيا صفحات نشرة 1916، وكان رومان جاكبسون (RomanJakbisun) من أكثر اللسانيين الروس تحمسا وإعجابا لمحتوى النشرة، التي كانت استجابة للتصورات الجديدة التي كان يتطلع لها في شق منهج جديد في دراسة الوقائع اللسانية والأدبية.

غير أن جاكبسون لم يكن يستأنس لكل سطور النشرة، وهذا ما دفعه إلى إفراد كتاب عنوانه بـ "بؤس البنيوية" خصص فيه الحديث عن النظرية السوسيرية التي عدها الشخصية الرئيسية لهذا المصنف، يقول في إحدى فقرات الكتاب « من الواضح الآن ومنذ الأربعينيات بالنسبة لجاكبسون، أن ثمة نقاط ضعف تبلغ من الشدة ما يكفي للقول بمجرد إلقاء نظرة سريعة على ذلك النموذج، إنه عاجز منطقيا عن تقديم نظرية وافية في الألسن البشرية، وأنا أدعو هذا النوع من نقاط الضعف الجوهرية "بؤسا منطقيا"، وهذا البؤس المنطقي هو الذي جعل من المستحيل على نموذج اللسان البنيوي أن يفي بالغرض في الميادين الأخرى، كالأنثروبولوجيا، والتحليل النفسي، وغيرهما من الميادين التي تم استخدام هذا النموذج فيها خاصة في فرنسا.»¹

¹ -ليونارد جاكبسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، تر: ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، سوريا، ط2، 2008،

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

يسترسل في شرح نقاط الضعف في النظرية السوسيرية « لا يشتمل على تصور واف للنحو أو التركيب؛ وفي أن فكرته عن المقولة الأساسية في هذا النموذج، وهي الدالول، فكرة مضطربة مشوشة، والأهم من كل هذا تصور هذا النموذج بوصفه " نظاما من التقابلات المحضة دون أي حدود إيجابية ثابتة "، ولا شك أن هذه النظرية تبدو لبعضهم جذابة، غير أنه من السهل أن نبين أنها مستحيلة بالنسبة لأي نظام عملي من الدواليل.»¹

إن مبدأ الاختلاف الصرف الذي يبنيه سوسير على مبدأ اعتبارية العلامة هو ما يثير القلق، وذلك لأن الإقرار بكون العلامة لا تتحدد قيمتها إلا بكونها تخالف كل العلامات الأخرى، يؤدي إلى الكثير من الخلط والتشويش عند محاولة الوقوف على معنى "كلمة" ما، حتى لو كانت هذه الكلمة بسيطة ككلمة الخالة مثلا، إذ طبقا لمنطق سوسير سنضطر إلى تعريفها بأنها كما يذكر جاكبسون ليس أبا، أما ليس، أختا ليس، فيلا ليس، نمرا ليس.... إلخ، إلا أن يتم استنفاد جميع الخيارات اللسانية المتاحة، وبهذا تكون ساعتها قد عرفنا كلمة "خالة"، وواضح أن ذلك بهذه الطريقة أمر مستحيل منطقيا.²

إن فكرة الاختلاف هي من أبرز النظرية السوسيرية، يذهب فيها إلى الإقرار بأن اللسانيات تدرس الكلمات (الدوال) لا المدلولات التي تركها لعلم المنطق والدلالة، حينما تأمل سوسير في الكلمات وهي منفصلة عن معانيها أو عالم الأشياء وجد أن الاختلاف هو ما يمنح الكلمة معناها، مثلا: لدينا كلمتا شجرة ومروحة، إذا صرفنا النظر عن الأشياء التي تشير إليها هذه الكلمات، ما الفرق بين الكلمتين هنا؟، الجواب هو الاختلاف، الشجرة لها معنى أو بالأحرى وظيفة لأنها تختلف صوتيا عن المروحة فقط، والمروحة لها وظيفة لأنها فقط ليست شجرة، وهلم جرا بين كل الكلمات، وهذا يعني أن الكلمة لا تنطوي على معنى

¹ - المرجع نفسه، ص 27.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 316، 317.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

داخلي أو جوهري، بل إنها تكتسب وظيفتها في الترميز أو التدليل، لأنها فحسب تختلف عن باقية الكلمات الأخرى.

كل عنصر لا يكتسب قيمته سوى بتقابل مع غيره من العناصر اللسانية، إنها فكر مزعجة إذا طبقناها على الإنسان، فهل الإنسان ليس له (ماهية ذاتية) وأن ماهيته الوحيدة هي اختلافه عن غيره؟¹

رغم الغلو والتعقيد الذي يجده المتمعن في قول سوسير بفكرة التقابل بين العلامات اللسانية، وأن كل كلمة مهما كانت بسيطة لا يتم الوقوف على دلالتها إلا بما يميزها عن غيرها من الكلمات المقابلة لها في الاستخدام، وما يجده الدارس من مشقة وتشويش في تطبيق هذه الفكرة، غير أن القصور الحقيقي هو إهماله لكيونة العلامة اللسانية من الداخل، والتي هي المعيار السليم لتحديد المفارقات بين الوحدات، وليس ضبط هذه الحدود من الخارج.

على سبيل المثال عندما نقوم بتقديم كلمة غريبة للمتلقي العربي، أقوم بشرح ماهيتها وما تتميز به من مقومات، مثل لفظة الكارما، وهو مصطلح بوذي يعني دورة الخير والشر، أقوم في هذه الحالة بتقديم تصور لمفهوم هذه الكلمة، ثم أبحث إن أمكن عما يقارب مدلولها في الموروث الديني، وليس بتقديم مقابل خلافي لها وهي في الأصل غامضة الكينونة في الأذهان، وينطبق الأمر من داخل العلامات اللسانية في نفس اللسان، فعندما أقول "أنثى" أدرك ما يحمله هذا اللفظ من شحنات فسيولوجية، ونفسية، وثقافية.. إلخ، وعندما أقول ذكر يتم حدوث نفس العملية على التوالي في ذهني، وهنا أكون قد قمت بتحديد المعنى في ذهني على أساس ماهية الشيء وليس على أساس الاختلاف والتقابل.

¹ - ينظر: شايع بن هزال الوقيان، البنيوية ومبادئ الاختلاف، عكاظ، 2015-02-05،

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

يونس محمد علي فهو يوافق الطرح السوسيري لأنه عندما نقارن بين نظام الألوان في اللسان الياباني والعربي، نجد أن اللون الأزرق تتحدد علاقته بغيره من الألوان، وهكذا فإن الأزرق في العربية يعني ما ليس أخضر، وليس أحمر، وليس أبيض.. إلخ، وهذا التعريف يختلف في اللسان الياباني؛ لأن اللون الأزرق وهو ما يعبر عنه اليابانيون بكلمة (أوي aoi) يطلق على ما نصفه في العربية بالأزرق، والأخضر معا، لذلك يمكننا القول بأن الأزرق في العربية يقابل (أوي aoi) في اليابانية، وبناء على ذلك يمكن القول: أن تحديد كل لون في نظام الألوان يخضع لعلاقته بالألوان الأخرى، وهو يعني أننا نتعامل مع بنية متميزة، كما أن كل العوامل الخارجية بما في ذلك ما تشير إليه الألوان في العالم الخارجي ليس له صلة مباشرة بتحديد ما يعنيه اللون الأزرق في اليابانية، أو العربية، بل المحدد الجزء بغيره من الأجزاء.¹

احتل نقد سوسير مكانة مركزية في الماركسية وفلسفة اللغة، وكان من بين أهم من نقده فولوسينوف، وذلك في مسألة فصله بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، والمنهج الآني والمنهج الزماني، ورفض مفهوم اللسان كنظام لطابعه المجرد، واقترح تحليل ظاهرة اللسان من المنظور التاريخي الاجتماعي، باعتباره في ديناميكية وتطور مستمر.²

اللساني الروسي ميخائيل باختين (Mikhaiyl Biakhitin) فقد تصدى لأصحاب النزعة الموضوعية الموهلة في التجريد والتي تقصي الأفراد المتكلمون وإبداعاتهم في استخدام النسق اللساني محتدين في ذلك بثنائية سوسير التي أصبحت عند الكثير من الدارسين من المسلمات البديهية التي لا يتخللها الشك.

¹ - ينظر: محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص66.

² - Inna ageava, lagritique de Ferdinand de Saussure dans le marxisme et philosophie du langage de V.N volosinov et le conteste de la réception des idées saussuriennes dans les années 1920-1930 en Russie, cahiers de l'isla, n26, 2009, p73.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

يؤكد باختين على أن الثنائية السوسيرية التي تقيم جسور وهمية بين ما هو فردي و ما هو اجتماعي تمثل نواة الوهم لسوسير والاتجاه الموضوعاني المجرد، فالذات الواعية لا تستعمل اللسان على أنه نظام من الصيغ المقعدة، بل أن الواقع يثبت أن الفرد المتكلم ينتقي من هذا النظام ما يحتاج إليه في حياته اليومية فالذي يهتم به مفعّل الكلام ليس الصيغ المجردة بل ما يمكن الصيغة اللسانية من الورد في سياق معين، الشيء الذي يجعل منها دليلاً تاماً وافياً بالمرام في شروط مقام محسوس معين.¹

أما نيكولاي كوندراشوف (Nicolay Kzndrashzf) أنقذ مسألة العزل السوسيري بين الآنية والزمانية « إن مثل هذه الدراسة المنهجية للسان التي أثارتها ردة الفعل على المذهب الذري (القول بأن الكون مكون من ذات) وتناول النحاة الجدد (الشباب) غير النظامية للسان نفسه ونسلم به لكنه من الناحية النظرية، طبعاً، صيغة خاطئة للمسألة المرتبطة بخرق القوانين الديالكتيك ويؤدي إلى المعالجة اللاتاريخية لقوانين اللسان »².

ختمه التلقي الروسي بتذبذب بين مدبر على مجموعة من القضايا الجوهرية في نشرة 1916 ومعرضاً في الآن نفسه عن مسائل لا تتوافق والسليقة الفكرية.

سادساً-النقد الدنماركي:

الدنماركي اللساني لويس يلمسليف (louis Hjelmslev) زعيم المدرسة الغلوسيماتية الذي يعتبر أكثر من استوعب المفاهيم الإجرائية لنشرة 1916 م، كما اعتبره العديد من الدارسين الوريث الحقيقي للفكر السوسيري «لقد كان أثر دوسوسير في كتابات يلمسليف عميقاً وأسهم في بلورة نظريته اللسانية، ولئن كان اسم دوسوسير أكثر أسماء اللسانيين توارداً في كتابه المؤسس "مقدمات لنظرية في اللغة"، فإن النظرية التي صاغها دوسوسير تعدّ

¹ - ينظر: ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، تر: محمد البكري، يمنى العيد، دار توبقال، المغرب، ص 81، 90.

² - ماريا روزنفيلد، نقاشات وأراء حول كتاب فرديناند دي سوسير (دروس في علم اللغة العام)، تر: تحسين عزيز رزاق،

مؤسسة نور للثقافة والإعلام، 16-03-2018، article.www.alhoor.se

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

في نظر يلمسليف النظرية الوحيدة التي يمكن الاستناد إليها من أجل صياغة نظرية في اللسان وأن صاحبها هو الرائد الوحيد في هذا الميدان.¹

اتخذ يلمسليف من نشرة 1916 أرضية لبناء وصياغة نظريته اللسانية، وتعد تصوراته تفصيلا لأطروحات سوسير المحاضرات، إلا أن أكثر اللسانيين إعجابا وحماسا لفكر سوسير آخذ عليه بعض المزالق الفكرية « إذ أن لويس يلمسليف أحيانا يحول إلى سخافة فكره حول الطبيعة التقابلية للقيمة اللغوية.² »

كما عاب جاكبسون أيضا هذه الثغرة الفكرية في المتن السوسيري، والتي بموجبها يصبح النظام اللساني مجموعة من التقابلات المحضة، دون أي مراعاة للحدود الإيجابية الثابت.

أشار إلى القصور المفهومي في الضوابط التي وضعها سوسير لمصطلح اللسان «إن مفهوم اللسان عند دوسوسير في إطار ثنائياته لسان - كلام يبدو حسب لويس يلمسليف غير دقيق تماما وبالتالي لا يصلح ليكون مفهوما عمليا وأساسيا في النظرية اللسانية التي يتوخى بناؤها.³ »

لم يكن الجهاز الفكري ليلمسليف هاضما لكل صيغ المعمار المفاهيمي لمتن نشرة 1916م، والذي يعد منعرجا عن النظرية اللسانية العلمية في العدد من المسائل، خاصة في إقصاء النشرة للسانيات الكلام.

أوتو يسبرسن (Otto Jespersen) رفض الثورة العلمية التي حملتها النشرة لبداءيات القرن العشرين، معربا عن رفضه الشديد لأطروحاتها خاصة التصور الذي يقيم حدودا وهمية

¹ -مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص57.

² - ماريا وزنفيلد، نقاشات وأراء حول كتاب فردينان دويسوسير (دروس في علم اللغة العام).

³ - لمية قداش، لسانيات دو سوسير بين التمثل الغربي والتلقي العربي، دراسات معاصرة، ع1، المركز الجامعي

تيسمسيلت، الجزائر، أبريل، 2020، مج4، ص153.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام؛ فاللسان لا يتحقق إلا من خلال أفعال الكلام، وكل من حاول إقامة حدود فاصلة بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام تبقى حدود وهمية، مجرد تصورات، فالواقع يثبت العكس فالأفراد المتكلمون في تجسيدهم لعملية الكلام ينهلون من الرصيد اللساني الذي يوفره لهم النسق اللساني، فكل منهما يكمل الآخر وكل منهما يتجسد من خلال العلاقة التلاحمية التي تجمعهما.

يقول يسبرسن (Jespersen) في هذا المعرض «هما في حقيقة الأمر جانبان لشيء واحد وكلام الفرد ليس شيئاً منفصلاً عن لسان الجماعة إنه مثل أو صورة لها، فالكلام وإن كان نشاطاً فردياً إلا أنه يرتبط بعنصر اجتماعي هو الإفهام، ومفردات اللسان المعين هي جميع ما ينطق به كل أفراد من ألفاظ مهما اختلفت درجة شيوعها والأمر كذلك بالنسبة للتركيب ومخارج الحروف.»¹ ويضيف إلى هذا التقرير أيضاً قوله «فالموجود فعلاً هو النشاط الإنساني الذي يقوم به فرد من الأفراد.»²

انطلاقاً مما سبق يمكن تشبيه اللسان دون فك الكلام، بالآلات دون الوقود فرغم أنها كاملة متقنة في صنعها إلا أنها تبقى جامدة في حالة سكون، و الكلام بمثابة الوقود الذي يعطي الدينامكية للسان ليقوم بدوره ويحقق الغاية الذي وضع من أجله، ولقد خلص يسبرسن (Jespersen) إلى الإقرار بأن النشرة لا يليق بها أن تتعت بكتاب محاضرات في اللسانيات العامة «ليس ثمة شيء ذي أهمية كبيرة يذكره الكاتب بشأن التركيبات والأسلوب، وكل ما يقول به بشأن حدود اللهجات يمكن إعادة النظر فيه لا محالة في أبحاث تفصيلية مقبلة، ويمكننا أن نخلص إلى القول بأن الكتاب لم يستنفذ اللسانيات العامة ولا نعتقد أن كاتبه كان يروم ذلك.»³

¹ - عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1987، ص29.

² - المرجع نفسه، ص30.

³ - مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص60.

سابعا-النقد الأمريكي:

بالنسبة إلى النقد الأمريكي فقد كان نقطة تحول في مسار الدرس اللساني، فكما أن أسس النظرية السوسيرية انطلقت من قصور الدراسات التاريخية المقارنة في تلك الفترة عن إلمامها بجميع إشكاليات المسألة، فإن تشومسكي أسس الثورة اللسانية الثانية في القرن العشرين على أنقاض المدرسة البنيوية التقليدية، فهو يرى أنها «تهتم بالتحليل الشكلي للسان، دون الالتفات إلى المعنى، أو إلى القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوينه الجمل، وهو ما يوصف بالكفاءة اللسانية، ولم تلق البنيوية الحظوة بعد مسيرتها الطويلة، لأنها اكتفت بدراسة البنى السطحية دون العميقة وقوانينها».¹

اقتصرت البنيوية على وصف العناصر التركيبية للنظام وهي من البديهيات، دون محاولة سبر أغوار المعنى، الذي أهمل من جل المدارس اللسانية بتأثير من أفكار النشرة، بالإضافة إلى عدم إيلائها عناية بالكفاءة اللسانية عند المتكلم والسامع، والتي تمكنهما من إنتاج وفهم عدد لا محدود من الجمل، وهذا أمر طبيعي، فإذا كانت لم تهتم بل أقصت الكلام من درسها، فهل ستهتم بلبناته؟.

اهتمامها بعناصر النظام الشكلية اقتصرت على البنية السطحية وأهملت البنية العميقة، وعجزت نتيجة هذا النقص عن وضع قوانين تشمل الظاهرة اللسانية في جميع أبعادها.

قام تشومسكي بانتقاد النموذج التوزيعي والنموذج البنيوي في مقوماتهما الوضعية المباشرة، باعتبار أن هذا التصور لا يصف غير الجمل المنجزة، وبالفعل يمكنه أن يفسر عدد كبير من المعطيات اللسانية، مثل الالتباس، والأجزاء غير المتصلة ببعضها البعض،

¹- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، السطيف، الجزائر،

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

فوضع هذه النظرية لتكون قادرة على تفسير ظاهرة الإبداع لدى المتكلم، وقدرته على إنشاء الجمل لم يسبق أن وجدت، أو فهمت على ذلك الوجه الجديد.¹

المطلع على الجهود التي عملت على تمثيل الفكر السوسيري في ضوء المخطوطات المكتشفة، سيدرك أنه اهتم بـ "الكلام"، وبالدور الذي يضطلع به الفرد المتكلم في هذه السلسلة.

في سياق التلقي الأمريكي نجد مانيس دانييل (ManesDaniel) الذي وافق مذهب سوسير في تمييزه بين لسانيات اللسان و لسانيات الكلام، أما اعتبار اللسان منارة هذا العلم، والموضوع الأسمى دون اعتبار لمنزلة الكلام فيه، فعلق على ذلك بقوله « إن اللسان ليس بالشرح المشخص، ولا يقع بالتالي تحت الملاحظة العلمية، ونحن في حاجة إلى استخلاصه من الكلام، وهذا بدوره لا يوجد، ولا بفضل وجوده الضمني الذي يحدد كل صيغة »²

رغم الثورة الكوبرنيكية التي أحدثتها النشرة 1916 على دستور الدرس اللساني، إلا أن ذلك التناقض الصارخ بين فقراتها، والمجزرة الإقصائية التي اقترفتها في حق لسانيات الكلام حالة دون إعطاء صاحبها المكانة العلمية التي يستحقها فكره في الخريطة المعرفية لعلوم اللسانيات.

ما هو ملاحظ فإن أغلب الانتقادات تأسست على فكرة الفصل التام بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام من جهة وبين الآنية والزمانية من جهة أخرى، ونحن نتفق مع من سلك هذا المذهب في الهجوم اللاذع على النشرة، وذلك وإن كان سوسير الملقق حسبهم أصاب في تقسيم بينية كانت تدرس من قبل كقطعة واحدة في حين تستعمل بإجراءات مختلفة دون وعي من الدارس اللساني بالرهانات النظرية الدقيقة الفاصلة بينهم، غير أن عملية الإقصاء ورفع منزلة عنصر على حساب التقليل من قيمة العنصر المقابل له، هو

¹ - ينظر: محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، 2001، ص76.

² - عبد الجليل مرتاض، مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، منشورات ثلاثة، الأبيار، الجزائر، ص116.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

السبب الرئيسي في تأخر استقبال هذا الكتاب، فهو لم يبين جديد نظريته على أسس قديمة، بل أسس لعقيدة تصوب ذلك التنظيم القواعدي الهش.

المبحث الثالث: تلقي كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة" في الشرق الأقصى

سنتناول في هذا المبحث كيفية ترجمة واستقبال نشرة 1916 في دول الشرق الأقصى في آسيا (اليابان، كوريا، الصين)، بالإضافة إلى إبراز حجم إسهامها في تأسيس الدرس اللساني بشكل منهجي وموضوعي، وأردنا من خلال وقوفنا على استقبال النشرة في هذه الدول الآسيوية، التطرق إلى الملامح التاريخية التي في ظلها تطور الدرس اللساني، كما أن هناك سبباً ثانئياً وهو فقر الكتب اللسانية العربية من تأثير أفكار سوسير على الدرس اللساني في الشرق الأقصى، فقد تم تهمة إنجازاتهم من صفحات الدارس العربي، سوى من إشارات عابرة حول سنة الترجمة والمترجم، ويعود هذا التهميش حسب رأينا إلى عاملين وهما:

- 1- اهتمام الدارسون العرب - مهما اختلفت مشاربهم الفكرية- بإنجازات الحضارة الغربية، فهي إلى الآن ما زالت تمارس تلك الهيمنة الفكرية على نصوصهم، رغم أن دول الشرق الأقصى لا تقل في شيء من حيث التمدن والتحضر العلمي والثقافي.
- 2- أما العامل الثاني هو اختلاف اللسان الأم، فكما هو معلوم فإن هذه الألسن تتميز بصعوبة قواعدها، وهو السبب الذي نفر الباحث العربي من الخوض في مسالكها الوعرة، كما أن أغلب المتخصصين في مجال اللسانيات لديهم إلمام كبير باللسان الفرنسي والإنجليزي على وجه الخصوص.

تجاوزنا الاستقبال الغربي لهذه النشرة، لأنه موجود باستفاضة في الدراسات العربية، غير أننا سنخرج في هذا السياق إلى التلقي التركي وذلك راجع لقلة الدراسات حوله.

أولاً- التلقي الياباني:

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

الدارس الياباني من السابقين الأوائل الذين سارعوا إلى تقديم ترجمة لكتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وكان اللساني الياباني " هيديو كوباباشي (Hideo Kobayashi)* أول من قدم ترجمة للكتاب في عام 1928م، بالتعاون مع أوكاشوين تحت عنوان " مبادئ اللسانيات"، وبعد مرور اثني عشر عاماً راجع كوباتاشي ترجمته وأعاد نشرها مع الناشر إيوانامي في عام 1940م، وفي 1972م نشر ترجمته الثالثة والأخير، ونشرت هذه الطبعة الثالثة من الترجمة اليابانية باستمرار 50 عاماً.¹

أعاد كوباتاشي ترجمة محتوى النشرة أكثر من مرة، وإذا لاحظنا أول ترجمة له فقد قام بها في سن صغير وهو في مرحلة البكالوريوس، لذلك لم يوفق في كثير من الأحيان إلى إدراك مقاصد الفكر السوسيري، وهذا الأمر دفعه بعد عقد من الزمن إلى العمل على إعادة ترجمة محتوى النشرة بشكل دقيق وأكثر احترافية، وسنرى فيما بعد أن سوء فهمه لأفكار النشرة أدى بتوكييدا إلى صياغة نظرية علمية لللسانيات تأسست على نقد أفكار سوسير كما جاءت في الترجمة اليابانية.

قد مر استقبال النشرة في الدرس الياباني بأربعة مراحل أساسية وهي:²

¹ - هيديو كوباباشي: قام بترجمة كتاب محاضرات في اللسانيات العامة وهو في مرحلة البكالوريوس، عين في عام 1919م أستاذاً مساعداً في جامعة إمبيرال في كيجو (كوريا)، وفي عام 1945 عاد إلى اليابان، وفي عام 1946 دافع عن رسالة الدكتوراه الخاصة به في الأسلوب، وقام بترجمة أعمال شارل بالي، وهنري فراي، وكارل فوسلر، ولويس يسليف. Sung do kim, les problèmes de la traduction cours de linguistique générale dans le monde de l'écriture chinoise: terminologie, épistémologie, réception, le cours de linguistique générale: réception: conspiration, diffusion, tradition, université de lausanne, N57, 2018, p89. Sung dokim, les problèmes de la traduction cours de linguistique générale edizionica Foscari, venezia, 2020, p7.

² - عام 1927 التحق كمساعد في جامعة إمبيرال في كيجو، كما أمضى عامين في فرنسا كمساعد، وفي عام 1943 حل محل هاشيموتو شينكييتشي كرئيس له في جامعة إمبيرال في طوكيو، والتي تركها في عام 1961، واستمر في التدريس في

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

1- إدخال الفكر السوسير من خلال ترجمة " محاضرات في اللسانيات العامة " في عام 1928.

2- من الأربعينيات إلى الستينيات: جدل توكيدا ضد أفكار سوسير.

3- من الستينيات إلى الثمانينيات: إدخال البنيوية، وبداية العمل اللساني.

4- من التسعينيات إلى 2003، التعمق في دراسة المخطوطات.

كانت المرحلة الثانية من أكثر المراحل شهرة وتأثيرا في مجال اللسانيات اليابانية، وعرفت بعبارة " موتوكي توكيدا ضد سوسير، حيث رفض الكثير من اللسانيين العديد من طروحات الجهاز الفكري لسوسير، وأسسوا من انتقادهم نظرية علمية تتوافق مع مقومات وخصائص اللسان الياباني.

ظهر توكيدا أول مرة ورسخ مكانته بالفعل في عام 1925م برسالة بعنوان " تنمية الوعي اللساني الياباني: أهداف وأساليب البحث في اليابان"، موضوع الرسالة هو في الواقع تاريخ الفكر اللساني في اليابان، وهو يرى أنه ما يحفز بالفعل ليس الانخراط في الماضي، بقدر البحث عما يمكن أن يكن أساسا في هذا الماضي، يذهب إلى أن النظريات اللسانية الغربية تم تقديمها على وجه التحديد كنظريات وأساليب موجودة مسبقا لملاحظة ودراسة اللسان اليابان، ثم تم ملاحظة ووصف هذا اللسان وفقا لهذه النظريات التي تم تطويرها دون اتصال به.¹

إذن فأول ملامح الرفض للنشرة هو أن قالبها صنع وفق خصائص الألسن الهندو أوروبية، أما توكيدا فأكد أن الأصح تتبع التطور الفكري للسان الياباني؛ أي الاستكشاف

جامعة واسيدا في طوكيو لبضعة سنوات أخرى، وتوفي في 1967.

Sung do kim, les problèmes de la traduction cours de linguistique générale, p11.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

المنهجي للماضي لإضفاء عمق تاريخي عليه والوقوف على ماهيته، أما النشرة فإنها تقرض قالباً معيناً يجب على كل دارس أن يحشو موضوع دراسته فيه، دون مراعاة للتباعد الكبير بين الأسر اللسانية، بل والألسن فيما بينها أيضاً، فما تستسيغه الألسن الهندو أوروبية يمكن تطبيقه على اللسان الياباني الذي يختلف عنها تاريخياً، وتركيبياً، ... إلخ، قدمت اللسانيات العامة نفسها على أنها نظام مطروح مسبقاً لدراسة الألسن، ولكن لا بد من التعامل مع كل لسان على أنه حالة فريدة مستقلة وهوية مكتملة.

كانت الفكرة المركزية لدهوالمسيطرة على جميع أبحاثه، هي تحديد طبيعة اللسان، فكان يرى بأن اللسان نشاط لشخص يتحدث، مما يعني أن "اللسان" موجود فقط كفعل فردي.¹

مع أن توكيدا استقد كثيراً في ضبط منهجيته في دراسة اللسان الياباني، وإدراك طبيعته بشكل أكثر وعي من ذي قبل، في جانب بنائه وتقسيماته من كتاب المحاضرات، إلا أنه اشترك حول الإجماع في قضية نقد الفصل الثاني من النشرة والذي يهمل التجربة الفردية، التي تضيفها كل ذات على لسانها.

توصل إلى هذه الحقيقة بعد أن أدرك قصور الدراسات اللسانية في هذا الجانب، قرنت الدراسات الغربية في القرن التاسع عشر بالكائن الحي، أما سوسير فردها إلى الحدث الاجتماعي باعتبارها من إنتاجات الفكر الإنساني، و إن كان توكيدا اتفق مع سوسير في مجانية الدراسات التاريخية والمقارنة سبيل الصواب بمعاملة اللسان على أنه كائن عضوي، غير أنه يرى أن السبيل الوحيد لفهمه هو الاستعمال اليومي من قبل الأفراد، فاللسان نشاط فكري يعبر به المتحدث عن ذاته وأفكاره، ويفهمه المستمعون، فاللسان وإن كان نتيجة

¹-Catherine farinier, tokida contre Saussure, pour une théorie du langage comme processus Larousse, N16,1982, p72,74.Sungdokim, les problèmes de la traduction cours de linguistique générale, p7.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

تمخضتاجتماعية وتاريخية.. إلخ، غير أن الكلام في نشاطه الفردي هو الشيء الوحيد الذي يمكن ملاحظته، وليس ذلك النسق الذهني المجرد.

نلمح في هذا التصور الأسلوبية التعبيرية لشارل بالي، التي سعت إلى مقارنة الدرس اللساني من أفق الكلام الفردي المتمثل في الكلام اليومي، لأنه الوجه الحقيقي الذي يمكن الدارس من الوقوف على خواص لسان معين، ولعل الترجمة المبكرة لأعمال بالي أسهمت في تشكيل رؤية توكييدا حول فحوى الظاهرة اللسانية، ويكون بذلك الكلام فعل تعبيرى مثل الرقص والرسم تماما.

يكون مفهوم اللسان عند هتوكييداهو أولا وقبل كل شيء ، الشكل الذي تتخذه عملية التعبير عن الذات، اللسان هو نفس النشاط الذي يتم من خلاله التعبير عن محتوى الفكرة من خلال وساطة الصوت أو الإشارة المكتوبة... إلخ، يوجد اللسان عندما يعبر الناطق عن فكره بمساعدة الأصوات والإشارات المكتوبة، وعندما يسمع صوتا أو يقرأ إشارة مكتوبة، وهذا يوقظ فيه المعنى، لكن من المستحيل تماما أن نلاحظ كموضوع للدراسة "أصوات لها معنى" ، يمكن أن يكون موضوع الملاحظة هو النشاط نفسه فقط، ليتمكن تصور اللسان بمعزل عن الشخص الذي يمارسه ، يجب فهم اللسان على أنه عملية نفسية.¹

ينتقد توكييدا هنا بشدة فكرة سوسير بربطه مفهوم اللسان بالعلامة اللسانية، وفي نظره أن المفهوم أعمق من علاقة بين مفهوم وصورة صوتية، ليتمكن حصر النشاط اللساني فيما هو نفسي أو فسيولوجي أو فيزيائي فقط، فنحن نقوم عند ذلك بدراسته والحكم عليه من زاوية معينة، بل يجب دراسة ذلك النشاط الذي تعبر به الذات الواعية عن موضوع متجانس كما هو على فطرته.

كان خطأ سوسير أنه درس اللسان من منظور المراقب من بعيد وليس كعنصر من الذات الواعية في هذا النشاط، فإن أول شيء يجب فعله هو معرفة الظروف التي يمكن أن

¹-Catherine fernier, tokida contre Saussure, p75.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

توجد فيها تجربة اللسان، وتأخذ توكييدا مقارنة، فإذا لاحظنا منزلا مكتملا، فكل ما يمكننا دراسته هو الهيكل: المخطط وتوزيع الغرف، هذا ما يحدث عند سوسير، بملاحظة اللسان النهائي، لا يرى إلا الصوت ويتخيله، لكن ما هو المنزل بالضبط؟، لمعرفة ذلك، يجب علينا أيضا دراسة الظروف التي بني فيها: الأرض التي تحدد بنيته، والشخص الذي يصممه، والشخص الذي يسكنه، لأنه وفقا لاحتياجاته تأخذ هذا أو ذاك، والأهم من ذلك كله، أن المنزل لن يكون له معنى إذا لم يسكنه أحد، هذه العناصر الثلاثة ليست مكونات مباشرة للمنزل، ولكن الشروط اللازمة لوجوده، والشيء نفسه ينطبق على اللسان، هناك علاقة ثلاثية بين ثلاثة شروط: الموضوع، المادة، الوضع. هذه العلاقة التي تمنح اللسان تنوع أشكاله.¹

كأن سوسير حسب هذا التوصيف كان المنظر والمراقب من بعيد لهذا المنزل اللساني، وعمل على تأسيس مفهوم اللسان وفق الشكل النهائي متغاضيا عن المراحل التي أسست للهيكل النهائي، وهو حسب الصوت زائد المفهوم، وبصنيعه هذا يفصل المقطورة عن باقي عربات القطار، مما يحجب الكثير من التفاصيل التي لا بد منها لضبط حدود الكيان اللساني، وكان الأصح حسب وجهة نظر توكييدا - التي تلقت هذه الأفكار عبر الترجمة الأولى من النسخة اليابانية- السؤال عن ماهية اللسان بالضبط؟، هل هو الصوت أو المفهوم؟، هل هو اتحادهما معا في شكل علامة لسانية؟، هل دراسة اللسان محصورة فقط في الجانب النفسي؟، أو هو في الأصل عنصر من عناصر الثقافة؟.

لا بد من الوصول إلى الجواب الصحيح انطلاقا من دراسة المادة، الموضوع، الوضع؛ أي الذات والموقف والمادة، هذا هو الأهم والأصح دراسة مادة البناء الوظيفي، طريقة التكوين والتصميم، وكيفية الإنتاج والاستعمال والإدراك من طرف الذات الواعية، وليس تسجيل الملاحظات حول المظهر الخارجي والنهائي للهيكل اللساني، وعليه فإن كان سوسير

¹ -المادة وهي خارجة تماما عن اللسان، ولكن اللسان موجود فقط من خلال وظيفته في التعبير عن المادة، تماما كما أن العربية موجودة فقط من خلال وظيفتها في نقل المسافرين، أما الموضوع فهو الذي يؤدي فعل التعبير من خلال اللسان، وأخيرا الوضع وهو مجمل السياقات الزمانية والمكانية.. Catherine fernier, tokida contre Saussure, p75

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

درس اللسان من أفق المشاهد للشروط الأخير من المباراة، فإن توكيد درسه كجزء من هذا الحدث، فكان المهاجم، والمدافع والحارس، والحكم.

لقد أساء توكيدا فهم المقاصد السوسيرية، لأن الأستاذ لم يقل في محاضراته بأن اللسان مجرد علامة لسانية، تقوم على اتحاد الدال بمدلوله، بل هي حسب «نظام من الإشارات، جوهره الوحيد الربط بين المعاني والصورة الصوتية».¹

كان أول الردود التي توجهت بالنقد لتوكيدا في هجومه اللاذع على أفكار سوسير "ساتوكيوجي" والذي يقول في هذا المقام «إن اللسان يتجسد بالفعل في أعمال فردية، ومع ذلك فهو ليس فعلا فرديا مستقلا، يجب أن يكون هناك شيء اجتماعي وموضوعي من أجل جعل الأفعال اللسانية الفردية تحدث، ليتمكن للفرد الجمع بين الصوت والمفهوم بشكل تعسفي، هناك حاجة إلى وظيفة أنماط معينة للجمع بين الصوت والمفهوم، وهذا النمط ليس فرديا ولا شخصا».²

خاض الكثير في هذا المضمار، ودار جدل كبير بين المناصرين للتوجه السوسيري، والمؤيدين لحزب توكيدا، غير أن لحظة الحقيقة الحاسمة كانت مع ميوانو بوهارو، الذي درس تفاصيل القضية جيدا، وخرج بنتيجة مفادها أن كل هذا النقد من توكيدا إلى سوسير ما هو إلا نتيجة سوء فهم، وفي ذلك يقول «بصفتي شخص يدرس اللسانيات فقد كنت مهتما بمدى أهمية نظرية سوسير في التأثير على الدراسات اللسانية الحديثة، لقد جذبت أيضا إلى انتقادات توكيدا إلى سوسير، وكيف أثر ذلك في مجال اللسانيات اليابانية، لذلك بدأت في دراسة نظريتها وبمجرد أن بدأت فوجئت تماما، لا يوجد شيء مشترك بين النظرية اللسانية

¹-Catherine farnier, tokida contre Saussure, p77. Masako mailto, tokieda slanguage process theory, submitted to the department of linguistics for the degree of Mphil at the school of oriental and frican studies university of London, proquest, January, 2006, p33.

²-Miwa Nobuharu, Saussure fuzai no Saussure rōnsō gengo kateisetu rōnsō nikeru Saussure, p34,35.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لسوسير وما ينتقده توكييدا كنظرية لسانية، إن انتقاد توكييدا لسوسير مبني بالكامل على سوء فهم، أساء توكييدا فهم مفهوم اللسان، لم يأخذه على أنه نظام بل علامة.¹

تذهب ميوا إلى أبعد من ذلك، وتحاول التخمين في الأسباب التي أدت إلى تعقيد المسألة بين توكييدا ومقاصد النشرة، فتفرض بأن توكييدا درس اللسانيات العامة بالكامل تقريبا من الترجمة اليابانية لكوباياشي، ومن خلال المناقشات مع كوباياشي في جامعة كيجو الإمبراطورية، تم التأكد من أن المترجم نفسه لم يفهم اللسانيات العامة لسوسير بشكل صحيح.²

سعى الدرس الياباني إلى تقديم نسخة مترجمة للنشرة، لمواكبة هذه الطفرة التي أحدثها تصور سوسير في المجتمع الغربي، غير أن عدم الحرص على اختيار مترجم متمكن من لجام اللسان الفرنسي وملم بكل السياقات التاريخية والفكرية، بل اللجوء إلى طالب لا يزال في مرحلة البكالوريوس لتقديم ترجمة لعمل بهذا الحجم، كان من الأخطاء الفادحة التي جنت على الدرس الياباني، ولو أنهم تمهلوا في اختيار مترجم متمكن يعرف أين يصوب سهمه كما حدث في الترجمة الإيطالية مع دومورو، لم تكن هناك مرحلة في الدرس اللساني الياباني اسمها "توكييدا ضد سوسير".

ثانيا-التلقي الكوري:

بالنسبة إلى الترجمة الكورية فإنها ظهرت متأخرة نوعا ما، ويعود هذا الأمر إلى أن كوريا كانت تعيش حقبة استعمارية، وسنرى فيما بعد، الانعكاس الإيجابي للمستعمر الياباني على الدرس اللساني الكوري.

¹ - فردينان دو سوسير، علم اللغة العام، ص33.

² - quoted: k. Bourdaghs, the linguistic turning contemporary Japanese literary studies politics, language, textuality, university of Michigan center for japanese studies, the United states of America, 2010, p121,122.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

تمت أول ترجمة للنشرة في عام 1973م، من قبل وون كيو أو هو، أعقبها Seung eun choi بعد عشرين عاما وتحديدا عام 1997م بترجمة أخرى، أما ترجمة الثالثة فكانت في 2008 م، وتم اقتراحها بواسطة hyun kyon kim، ومع ذلك واعتمادا على عدد المطبوعات من بين هذه الإصدارات الثالثة المختلفة كانت ترجمة تشوي هي الأكثر قراءة، في حين أن الترجمة الأولى نفذت منذ فترة طويلة، والثالثة لا تزال غير معروفة للجمهور.¹

هذا أمر طبيعي فالترجمة الأولى دائما ما تكون معقدة نوعا ما، لا تستساغ تراكيبها، بعيدة عن التصور الأصيل لفكر صاحبها، ونحن نتصور هذا الأمر انطلاقا من الترجمات العربية، فكلما تأخر زمن الترجمة يلاحظ الدارس اللساني نوعا من الفوضى في ضبط المفاهيم وتقديم مفاتيح هذا العلم، كما أن طريقة التعبير وصياغة الألفاظ لتقديم الفكر السوسيري تختلف من ترجمة إلى أخرى، وكأن القارئ بإزاء أكثر من نشرة، ويعود ذلك إلى القصور في الإدراك والإلمام بحوثات اللسانيات العامة، لذلك كلما كانت الترجمة التي بإزائها الباحث متأخرة كانت مستعصية على الفهم ومرهقة في إيصال الفكرة لأغلب الأكاديميين، فكل ترجمة جديدة تولد لإدراك عثرات الترجمة السابقة لها.

يعود سبب شهرة ترجمة تشوي واحتلاله الصدارة من حيث نسبة الاطلاع في كوريا، تمكنه من النقل الجيد والأمين للنشرة، فقد ظهر عمله بعد عشرين سنة من الترجمة الأولى، وهي فترة أكثر من كافية لفهم والإحاطة بكل سياقات الفكر الغربي عامة واللسانيات السوسيرية بشكل خاص، فليمكن الوقوف على فحوى النظرية السوسيرية إلا من خلال وضعها في سياقها التاريخي الذي كان عبارة عن امتداد وقطعة في نفس الوقت.

يمكننا إضافة ثلاث ترجمات كورية تتعلق بالمحاضرات في اللسانيات العامة، تم نشر الترجمة الجزئية للدورة الثانية من قبل بانج هان كيم كملحق لكتابه في عام 1986، ويجب

¹-Sungdokim, les problèmes de la traduction cours de linguistique générale, p9.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

أن نذكر أيضا الترجمة الكورية لكتاب "كتابات في اللسانيات العامة" التي أعدها يونغ هو تشوي وهيون كيون كيم، وترجمة الدورة الثالثة من قبل S.d.kim se في عام 2017.¹

يلاحظ أن التلقي الجديد للسوسيرية الجديدة في سياق المخطوطات المكتشفة تم في زمن متأخر، بالنسبة إلى تاريخ نشر أعمال غودل وأنغلر ودومورو.. إلخ، وكان هذا دأب مختلف الترجمات الجديد التي اهتمت بالمخطوطات، حيث كانت قريبة العهد من هذا التاريخ، ومن المرجح أن يكون ذلك بسبب عزوف أغلب الدراسات اللسانية عن أفكار الكتاب، بعد أن وجدوا في اللسانيات التوليدية التحولية ما يغنيهم عن صرامة المنهج البنيوي وقصوره عن تفسير العديد من انشغالات الباحثين، علاوة على ذلك فإن البحث الأكاديمي كان شغوبا ببحوث وإنجازات المجتمع الأمريكي والتي تمكن اللسانيون من الاطلاع المباشر دون وساطة التحقيق أو الترجمة.

لفهم حيثيات الاستقبال الكوري يجب توضيح السياق التاريخي الذي تميز بالاستعمار الياباني وتأسيس جامعة إمبريال في كيجو، وهي الجامعة التي درس فيها كوباتاشي وتوكييدا، وكان أكثر من نقلة له حمى اللسانيات السوسيرية هو اللساني الكوري سو كيونغ كيم، وهو من ساهم مع كوباتاشي في تحسين الطبعة الأولى، كما وضع كتاب "قواعد اللسان الكوري"، بالإضافة إلى كتاب في "أسس نظرية اللسانيات الاشتراكية" عام 1940، ويجب أن نذكر لساني كوري آخر وهو إيونج هو يو والذي اهتم باللسانيات الغربية، وعمل على وصف النظرية السوسيرية ومفاهيمها بالتفصيل، كما يمكن أن نذكر لسانيين مشهورين وهما ري سونج نيونج وري هي سيونج، تميز عملاهما باستخدام معجم للمصطلحات السوسيرية وعلاوة على ذلك ومن أجل تكوين الأسس المنهجية المعرفية لعلم اللسان الكوري فإنهما يشيران إلى تأملات سوسير.²

¹-Sungdokim,les problèmes de la traduction cours de linguistique générale,p9.

²-Françoise gadet, après Saussure, greative Commons, centre national de la recherche scientifique, N40, paris, 1989, p2.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

ساهم هؤلاء اللسانيون بالإضافة إلى الكثير غيرهم من التأسيس إلى الدرس اللساني الكوري.

ثالثا-التلقي الصيني:

تمت ترجمة كتاب محاضرات في اللسانيات العامة إلى اللسان الصيني ثلاث مرات، تمت الترجمة الأولى في عام 1963م، لكنها لم تنشر حتى عام 1980، وذلك بسبب الوفاة المبكرة للمترجم واندلاع الثورة الثقافية، ومترجمها هو اللساني الصيني جاومين جكاوي، أما الترجمة الثانية فكانت في عام 2009 وهي تستند إلى ترجمة باسكين الإنجليزية.¹

عليه تكون الترجمة الصينية أسبق تاريخيا من الترجمة الكورية وإن تأخرت عنها في النشر، ولم تشذ الترجمة الأولى عن سبقتها (اليابانية و الكورية)، في عسر فهم وإيصال الفكر السوسيري ووجهت لها نتيجة ذلك العديد من الانتقادات ومنها:

1-صعوبة الأسلوب الذي ينأ عن توضيح نظريات سوسير، وذلك يرجع إلى رغبة المترجم في نقل النص الأصلي بأمانة، دون حتى تغيير في بنية الجمل، والتي في حالة اللسانين المختلفين الفرنسي والصيني مهمة ليست سهلة.

2-قام goo Mingkai بإساءة تفسير بعض المصطلحات، وبلغت نقاد هذه الترجمة الانتباه إلى حقيقة أن هذه النسخة الصينية نشأت خلال المرحلة الأولى من البحث في أفكار سوسير في الصين، ومع ذلك تميزت هذه المرحلة بمقاربة نقدية اتجاه النظرية السوسيرية، التي نتجت عن سوء فهم كان سببه الترجمة اليابانية والوضع السياسي في ذلك الوقت.²

¹-Katarzyna grych, le cours de linguistique générale en chene: le cas de la terminologie Saussurienne traduite pargoo Mingkai, Krakow, avalon, 2020, p11,13.

²-Katarzynagrych, le cours de linguistique générale en chene, p11.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

إن حرص المترجم على الأمانة العلمية من خلال النقل الحرفي هو من أكبر الأخطاء التي يرتكبها المترجم في حق النص الهدف، فالأصل هو نقل المفهوم الذي يحمل كيان الفكرة، وليس التقيد اللفظي بما هو موجود في النص الأصلي، فإن فعل ذلك يؤدي إلى حجب الكثير من أسرار ومقاصد النظرية السوسيرية، لا بد أولاً من الفهم الجيد لأفكار النشرة واستيعابها بكل أبعادها، ثم العكوف على ترجمتها مع مراعاة خصوصية كل لسان.

أما بالنسبة إلى مشكلة المصطلح فقد عانت منه أغلب الترجمات، والترجمة العربية على وجه الخصوص وذلك لكثرة البلدان الناطقين بلسانها، مما أدى إلى ظهور ظاهرة تعرف بـ "فوضى المصطلح"، فهناك من يعمد إلى التعريب، وهو وإن دل فإنه يدل على ضعف تمكن المترجم من الإلمام بحديثيات الموضوع الذي هو بإزائه، وهناك من يعمد إلى إيجاد بديل في التراث اللساني متغاض عن الحدود الزمانية والسياقات الاستيمولوجية، وهناك من يعمد إلى الترجمة حسب اللفظ أو المعنى ويقدم الحجاج على دقة ترجمته في هذا الباب، وكل هذا يؤدي في نهاية المطاف إلى إشكالية ضبط المصطلح، لذلك كانت عملية تحديد مصطلح يعكس فحوى المفهوم الذي هو بإزائه من أكبر العثرات في طريق الترجمة في كل زمان ومكان.

كانت أفضلهم الترجمة الثانية، ولكن بسبب الانحرافات الكثير عن النص الأصلي، والترجمة غير الصحيحة لبعض المصطلحات الرئيسية، لم يكن هذا الإصدار شائعاً جداً، أما الترجمة الثالثة كانت مصنوعة من ترجمة أخرى لذلك لم يتم قبولها في المجتمع العلمي الصيني.¹

إن تأخر صدور الترجمة الصينية إلى ثمانينيات القرن المنصرم، غير أن أفكار سوسير بدأت تتغلغل في كيان الدرس الصيني منذ الثلاثينيات وذلك بفضل chen wan و fang guantao، تلقى تشين تعليمه في اليابان، وهناك سمع بالترجمة اليابانية

¹-Katarzynagrych, le cours de linguistique générale enchene, p11.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لكتاب المحاضرات وعكف على تعلم مبادئها، وتلقى Fang guantao تعليمه في فرنسا حيث تعرف على طلاب سوسير، كما أن هناك في كتب الباحثين إشارات للأفكار السوسيرية، لكن دون الرجوع الكامل إلى كتاب المحاضرات، وفي الخمسينيات من القرن الماضي تم نشر كتابين جامعيين في اللسانيات العامة في الصين كان مؤلفهما Goa Minkai وCengisciang، في كلا الكتابين تم إدراج مقتطفات طويلة من كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة، ووصفت النظرية اللسانية لسوسير بدقة، وبل وانتقدت في بعض الأماكن.¹

عليه تكون كلا من اللسانيات الكورية واللسانيات الصينية اعتمدتا بشكل أساسي على الترجمة اليابانية لكوباتاشي، وهي كما مر بنا سابقا لم تحط بكل جوانب النظرية السوسيرية، وكان قصور مترجمها عن الاستيعاب الجيد لأفكار النشرة سبابا مباشرا في سوء الفهم لدى توكييدا وغيرها الكثير سواء في الدرس الياباني، أو الكوري، أو الصيني.

كان تشين أول من عمل على ترجمة مصطلحات اللسان والكلام وأكد على ضرورة التمييز بينهم، وكان لمفاهيم مثل الدال والمدلول والآني والزمني تأثير عميق على أسس قواعد اللسان الصيني، كما نشر Cankun Gui مقالا بعنوان "مقدمة موجزة للنظرية الغربية لسوسير"، كان أول مقال يقدم أفكار سوسير بطريقة منهجية وموضوعية.²

غير أن هناك من اللسانين الصينيين من لم يكن راضيا عن كل أفكار النشرة، وكانت من أكثر القضايا إثارة للجدل في النهج اللساني في المجتمع الصيني، الطبيعة التعسفية للعلامة اللسانية، انتقد أنشي شيل بشدة فكرة النظام العشوائي في اختيار الألفاظ، وأكد على اتحاد وترابط الإشارة بالمعنى، كما سلك وانغ (Wang) نفس الطريق، ورأى أن العلامات

¹ - Katarzynagrych, le cours de linguistique générale en chine, p13.

² - idem, p13.

اللسانية ليست تعسفية ولكنها أيقونية* في طبيعتها.¹

يرى وانغ أن العلاقة بين الألفاظ وما تدل عليه من معان، هي علاقة مشابهة وليست علاقة تعسفية، فالعلامة اللسانية تدل وتعبر عن موضوعها عن طريق المشابهة.

أساءت اللسانيات الصينية فهم علاقة التلازم بين الدافع والتعسف في النشرة، فسوسير أكد على أن التعسف والدافع ليسا متعارضين، فالتعسف يمكن تقسيمه إلى نوعين: تعسف مطلق وتعسف نسبي.²

إن كان سوسير أكد على الطابع التعسفي المطلق إلا أنه أشار في المخطوطات المكتشفة إلى أن الدافع التواصل يحد من نسبية التعسف بدرجة معينة، كما أن هناك العديد من الانتقادات التي وجهت لأفكار النشرة وهي في الغالب انتقادات تمخضت عن سوء فهم لأبعاد المصطلحات والمفاهيم.

يحدد لنا Zhang shaojie أسباب سوء قراءة سوسير في اللسانيات الصينية فيما يلي:³

1- يتعلق بتأثير الظروف الثقافية والسياسية (بسبب اندلاع الحرب الثقافية، تم العزوف عن فكر سوسير فترة من الزمن).

* الأيقون Icon: «هي العلامة التي تشير إلى الموضوعية التي تعبر عنها عبر الطبيعة الذاتية للعلامة فقط، وتمتلك العلامة هذه الطبيعة سواء أوجدت الموضوعية أم لم توجد، صحيح أن الأيقون لا يقوم بدورها ما لم يكن هناك موضوعية فعلا، وليس لهذا أدنى علاقة بطبيعتها من حيث هي علامة، وسواء أكان الشيء نوعية، أو كائنا موجودا، أو عرفا، فإن هذا الشيء يكون أيقونا لشبيهه عندما يستخدم كعلامة له.» سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، ص142.

¹-Katarzynagrych, le cours de linguistique générale en chine, p17,18.

²-idem, p19.

³-chiara romagnoli, new developments of chinese interpretation of Ferdinand de Saussure linguistic thought, creative commons, Roma university, rome italy, 2019, vol4, p119.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

2- يجب أن يؤخذ نظام التعليم الصيني في الاعتبار، وعلى وجه الخصوص عدم الكفاءة في اللسان الفرنسي، الذي يمنع العديد من العلماء الصينيين من قراءة المصادر الأصلية.

3- يعتمد العلماء الصيني ون بشكل أساسي على الكتاب، دون مراعاة للمصادر الأخرى، أو الدراسات التي كتبها العلماء الغربيون.

بدأ تفسير الأفكار السوسيرية في الصين في وقت متأخر عن الغرب، وإلى جانب الصعوبة الجوهرية التي تمثلها المحاضرات حتى بالنسبة إلى القارئ الغربي، كان على العلماء الصينيين مواجهة التعقيدات الإضافية المستمدة من الخلفيات الثقافية واللسانيات المختلفة، فضلا عن العقبات التي تفرضها الظروف السياسية، ولم تكتف المحاولات الأولى بتقديم القراءة الأولى للنص، ولكنهم مالوا أيضا إلى تطبيق أفكار سوسير على أبحاثهم اللسانية.¹

رابعا-التلقي التركي:

تمت ترجمة كتاب المحاضرات بواسطة اللساني بيرك فاردار (B.Vardar)، وتم نشره في مجلدين في عامي 1976 و 1978م، وقام فاردار بإضافة مقدمة من ثماني صفحات للنص المترجم تعرف بـ "اللسانيات السوسيرية ودورها في اللسانيات العامة"، ويحدد في مقدمته أن علم اللسانيات في القرن العشرين يبدأ ويتطور من هذا العمل، ويتم تجديد جميع فروع علم اللسانيات وكذلك جميع العلوم الإنسانية من هذا العمل، لأن الكتاب المعني

¹ - Chiaraa romagnoli and pei wen, anew Chinese tradition al of the "cours de linguistique générale, librairie Droz, N60, p191.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

أصبح الوسيلة الرئيسية للتعبير عن التحول الجذري الذي يمكن للمرء أن يسميه ثورة سوسير.¹

تجدر الإشارة إلى أن الفترة التي أجرى فيها فاردار الترجمة، لم يكن هناك مصطلحات لسانية ثابتة في اللسان التركي، بالإضافة إلى ذلك، فإن اللسانيات كنظام بحثي نادر الوجود في التركية.²

ليمكن فهم هذا الاضطراب اللساني التركي، وفقره الشبه تام من نظام لساني، إلا إذا تم وضعه في سياقه الاجتماعي والسياسي والتاريخي واللساني، لإدراك سبب هذا التأخر الكبير في تأسيس بنية تحتية للنسق اللساني من جهة ومن جهة أخرى معرفة الظروف الصعبة التي فيها تم ترجمة واستقبال النص الفرنسي لسوسير.

لا بد من العودة إلى تاريخ 1923م الذي يمثل انهيار الإمبراطورية العثمانية وتأسيس الدولة التركية، كانت الإمبراطورية العثمانية متعددة الأعراق والألسن، تضم عدة شعوب، أتراك، أكراد، أرمن... إلخ.³

في ظل هذا المشهد غير المتجانس حاولت القومية التركية تأسيس دولة قومية واحدة يجمعها لسان واحد، وثقافة واحدة، فقامت بفرض الاستخدام الحصري للسان التركي في المدارس والجمعيات والمطبوعات، كما تم دعم عملية بناء هوية وطنية جديدة من خلال البحث العلمي الزائف في اللسان التركي والتاريخ، ولهذه الغاية تم إنشاء معهدين وهما: معهد التاريخ التركي (1930)، ومعهد اللسان التركي (1932)، نظمت هذه المعاهد حوالي عشرة

¹-Vardar, sunwç, Ferdinand de Saussure,"genenl dilbilim dersleri, sündüz öztürk kasar, la traduction turque du cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure, parB.varad: une version esemplaire d'un maître- traducteur, p75, 91.

²- Vardar, sunwç, Ferdinand de Saussure,"genenl dilbilim dersleri, p75.

³- Mehmet, Ali Akinci, salih Akin, la réforme linguistique turque, glottopol revue de sociolinguistique, université de rouen, N1, janvier 2003, p77.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

مؤتمرات مكرسة للتاريخ واللسان التركي، المواضيع المطروحة في المؤتمرات تجعل الثقافة واللسان التركي هو أصل كل الحضارات وجميع الألسن.¹

كان الحل الأنسب حسب القومية التركية لتوحيد هذه الأعراق المختلفة وهذه الألسن المتباينة، فرض استعمال اللسان التركي في كل المراكز والهيئات التعليمية، ليصبح لسان الثقافة والعلم، ومن ثم يزحف إلى طبقة الجماهير الشعبية، وقد سلكت العديد من الدول الاستعمارية هذه الخطة وذلك بتعميم لسان المستوطن، ثم عمدت القومية التركية بعد هذه الخطوة إلى تزيف تاريخ حضارتها وأصول نظامها اللساني، لقمع كل من تسول له نفسه أن يثور على مهد الحضارات وأصل الألسن، وإن كانت في هذا التزيف نهجت سبيل اليهود في قولهم بأن اللسان العبري هو أول لسان تكلم به على الأرض، وقد أثبتت الدراسات اللسانية في القرن التاسع عشر زيف هذه الكذبة.

كان المحرك الأساسي لكل هذه الحركة الإصلاحية -كما تبدو- هو الرئيس الجديد للدولة التركية" مصطفى كمال آل تاتورك"، الذي عمل على تصفية معالم الحضارة واللسان العربي من نخاع الثقافة التركية بكل شكل وتحت حجج واهية، غرضها الأساسي فصل الدين عن الدولة وتغريب المجتمع عن الثقافة الإسلامية، والانفصال عن العهد العثماني، وفتح الآفاق أمام الحضارة الغربية، كل ذلك تحت شعار إقامة جمهورية تركية، وهذا ما يبدو من خطته «فكان أو ما قام به كمال آل تاتورك في خطته للقضاء على التأثير الكبير الذي يمارسه اللسان العربي على الثقافة التركية هو إلغاء استخدام الأبجدية العربية واستبدالها بالأبجدية اللاتينية في عام 1928م، وهذه الخطوة تشهد على الراديكالية الكمالية في مسائل الإصلاح، ثم عمد بعد ذلك إلى مشروع تنقية المعجم في 1932م، وذلك كله تحت فكرة أن الارتباط بين الشعور القومي واللسان قوي جدا، فسعت المجامع اللسانية في هذه الفترة إلى استخدام موارد خاصة باللسان التركي لإثراء قاموسها بهدف إيجاد مترادفات تركية بحتة

¹-idem, p77.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لجميع الكلمات المستعارة وخاصة العربية والفارسية في قاموس اللسان التركي، من خلال الاستفادة من الوثائق التركية القديمة واللهجات الأناضولية التركية وتلك المستخدمة في التركية، بإحياء الكلمات التي سقطت في الإهمال.¹

عليه ففي الوقت الذي كانت تمارس فيه نشرة 1916م نفوذها على العالم، كان الدرس اللساني التركي في حالة استنفار لتوحيد نظام لساني يكون واجهة للجمهور التركي، فاللسان الوطني يلعب دورا رائدا في تنمية الشعور القومي، وهذا الأمر يفسر لنا جهود فارادار في وضع قاموس لساني قائم على الكلمات التركية الأصلية، فقد كان في كل هذا متأثر بحركة التطهير التي قررتها مراكز القيادة، ولفهم طبيعة وعمق التأثير الذي مارسه النشرة والظروف الصعبة التي تمت فيها الترجمة لا بد من الاطلاع على الرائد والمؤسس لهذا المشروع.

1- بيريك فارد شخصية متعددة الجوانب:

تلقى بيريك وهو شخصية رائعة من المثقفين الأتراك تعليما ناطقا بالفرنسية منذ البداية في مؤسسة مرموقة جدا في تركيا، درس في جامعة إسطنبول في قسم اللسان الفرنسي وآدابه، تلقى تعليمه تحت رائد السيمياء " غريماس " ، وكان طالبا أيضا لعالم المعاجم الشهير " برنادا كيمادا، تم تعيينه في عام 1977 في جامعة إسطنبول في أقسام فقه اللسان الفرنسي والتعليمية، كان تدريبه الأولي في فقه اللسان الفرنسي، أتقن هذا المجال تماما، جعلته معرفته الكبيرة باللاتينية والفرنسية القديمة متخصصا في تاريخ الألسن، وفي الوقت نفسه كان متذوقا كبيرا للأدب الفرنسي، أظهر معرفته العميقة به في أربعة مجلدات مكرسة للأدب الفرنسي من العصور الوسطى إلى عصر التنوير.

كانت رسالة الدكتوراه له بعنوان " دراسة معجمية للمجال النظري"، تم الحكم على المجال النظري للحرية في فرنسا من عام 1627 إلى 1642، أما بالنسبة إلى رسالة التأهيل

¹- Adrien Alp vaillant, observations sur quelques aspects de la planification linguistique turque, belleten, 2009, p8. Christos chairis, vers unelinguistique inachevée, Peeters, paris, 2005, p24.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

كانت بعنوان : البنية الأساسية للمفردات الاجتماعية والسياسية في فرنسا من 1815 إلى 1830، وبعد رسالته وجه فاردار مساره نحو علم المعاجم، كتب العديد من المقالات في علم المعاجم ولعب دورا كبيرا كمؤلف قواميس في النشر التركي لموسوعة لاروس.¹

إن معرفة فاردار باللسان الفرنسي ساهم بشكل كبير في تكوين منهجه العلمي الدقيق منذ وقت مبكر، كان مطلعا وملما بفضل أساتذته على كل النظريات اللسانية الناشئة، كان شخصا موسوعيا، ألم بكل القضايا اللسانية و استطاع بفضل ذكائه وموهبته وإصراره من التأسيس للدرس اللساني بشكل موضوعي وعلمي، واستحق بجدارة أن تقترن اللسانيات السوسيرية باسمه.

كما هو موضح فإن وقوفه على تعاليم وقواعد اللسان الفرنسي منذ سن مبكر وانكبابه على دراسة علوم اللسان وآداب الثقافة الفرنسية، ساهم في توضيح الرؤية وإدراك عمق التصورات السوسيرية، بفضل أولا وقبل كل شيء إلمامه بحيثيات الدرس اللساني الغربي على عكس ما حدث في استقبال دول الشرق الأقصى.

ساعدته دراسته للمعاجم وتعمقه في هذا الميدان من السعي والعمل على تطوير مشروع قاموس خاص باللسان التركي، وذلك بإنتاج مصطلحات جديدة تتناسب مع مفاهيم العلم الحديث دون الحاجة إلى الاقتراض اللساني، وذلك من أجل إثبات اكتفاء اللسان التركي بموارده الخاصة فقط ويكون بذلك من المؤيدين والمساهمين في مشروع آل تاتورك الإصلاح.

« كما كان مهتما أيضا بدراسة الوحدات الصوتية بللسان، متأثرا في ذلك بحلقة براغ اللسانية.»² كان مهتما بكل الدراسات القديمة والحديثة التي تدرس اللساني بشكل مدهش، كان موسوعي بآتم معنى الكلمة.

¹-Vardar,sunwç,Ferdinand de Saussure,"genenldilbilimdersleri,p77,76.

²-Vardar,sunwç,Ferdinand deSaussure,"genenldilbilimdersleri, p80.

2- تأسيس المصطلحات التركيبية من قبل فاردار:

كان غرضه الأساسي من هذا المشروع أن يكون قادرا على ترجمة الممثلين لهذا التيار مثل سوسير، مارتينه، بارت، فندريس، وذلك من خلال تقديم المفاهيم الأساسية لللسانيات البنيوي والنظرية الوظيفية بحزم، فشرع فاردار في مشروع واسع النطاق لإنشاء مصطلحات في اللسانيات في اللسان التركي، ومن هذا المنطلق طور قاموسا منطقيا للمصطلحات اللسانية قام بتجميعها وإثرائها بعد ذلك في عدة مناسبات من خلال العمل الجماعي مع طلبه.¹

كان هذا العمل الجماعي أول خطوة في هذا البناء الذي يسعى إلى إنتاج وتوفير كل المصطلحات لاستيعاب المفاهيم العلمية الوافدة، بغرض نشر الأفكار اللسانية في الأوساط الأكاديمية وتأسيس مقعد لساني في تركيا، وكان هذا العمل يمثل تحديا صعبا لفاردار وفريقه، ففي ذلك الوقت لم تكن هناك مصطلحات لسانية ثابتة بل كان المبحث اللساني نادر الوجود، ولكنه تمكن في ظل هذه الأجواء الصعبة والمجاعة التي يعاني منها الدرس اللساني من ترجمة النشرة وطرح تصورات المدارس اللسانية، وإنتاج مصطلحات لسانية مناسبة. بعد عامين من بداية هذا المشروع نشر فاردار قاموسا جديدا يضاعف محتوى الأول ثلاث مرات بعنوان

"قاموس المصطلحات اللسانية والنحوية"، احتوى على أكثر من ألف مصطلح يندرج في مجال اللسانيات والقواعد، كما قام بإصدار ثلاثة قواميس في اللسانيات في عام 1988.² قام في ضوء هذا المشروع بمراجعة وتعديل مصطلحاته للنشر الثاني لترجمته لسوسير في عام 1985م، حيث قام بحذف عشرين مصطلحا، فقد لاحظ أن هناك مصطلحات في

¹-idem, p82. Talat akaslan, les études françaises la langue turgue et leur influence en Turquie, turcisa, 2003, p219.

²-Vardar,sunwç, Ferdinand de Saussure,"genenldilbilimdersleri, p87.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

الإصدار الأول مكررة؛ أي أنها صدى لنفس الفكرة، هذا الفائض غير مرغوب فيه من حيث المصطلحات، لذلك ألغى في الإصدار الثاني المصطلح الأقل ملائمة، للاحتفاظ بمصطلح واحد فقط وهو الأكثر ملائمة، كما قام بإضافة وتعديل ثلاثين مصطلحا، فقام باستبدال المصطلح القديم المستخدم في النسخة الأولى بالمصطلح الجديد المقترح في النسخة الثانية، على سبيل المثال استبدل abece بalfabe.¹

3- فاردار والأنتروبيا:

يعود هذا النجاح الباهر الذي حققه فاردار في ترجمة متون النشرة وغيرها من النصوص الغربية، علاوة على الدقة في التقعيد المصطلحي، الذي أثر في رفوف المكتبات بكل المفاهيم اللسانية المعاصرة، ومكن الدرس اللساني التركي من مواكبة كل النشاطات الدولية، إدراك فاردار منذ البداية لأكبر مشاكل الترجمة، وأكبر عائق للمترجم أمام هدفه وهي الأنتروبيا، فأى ترجمة مهما كانت جيدة يظهر النص المصدر في اللسان الهدف بعد أن فقد بالفعل بعض عناصره، وذلك راجع إلى القيود اللسانية والاجتماعية والثقافية وقيود ذات طبيعة نمطية فيما يتعلق بالنصوص.²

فكل هذه القيود تستنزف النص الأصلي من محتوياته ويقدم في اللسان الهدف مبتورا بشكل ما، وللد من هذه القيود عمد فاردار إلى الانطلاق بدءا من البنية السطحية للسان المصدر وصولا إلى البنية العميقة، ومنه إلى الفئات المنطقية الدلالية للوصول إلى الهياكل السطحية المكافئة للسان الهدف.³

أدرك فاردار أن الأنتروبيا أمر حتمي والحل الأنسب للتقليل من أضرارها على النص الهدف هو الوقوف من البداية على البنية العميقة أثناء عملية الترجمة، وما يشهد على نجاح

¹ - Vardar, sunwç ,Ferdinand de Saussure, "genenldilbilimdersleri, p84, 85,87.

² -idem, p88.

³ -idem, p88

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

فكرته عدم وجود ترجمات منافسة تحاول الترميم من نسخته، فقد استوعب مفاهيم النص الذي هو بإزائه، كما أنه عاد خطوة إلى الوراء في ترجمته للنشرة أجرى فيها نظرة فاحصة ليدرك بعدها بعض جوانب النقص في جانب المصطلحات، فعالج هذا الإشكال من خلال تقديم بديل مناسب، وذلك بفضل معرفته العميقة بكل سياقات الدرس اللساني الغربي، فتمكن من تقديم نموذج تركي خالص من كل الشوائب للأصل الفرنسي.

لقد قام بترجمة والعمل على إنشاء قاموس مصطلحات في ظروف صعبة بالنظر إلى السياق الاجتماعي واللساني الذي كان يعيشه المجتمع التركي، لعب دورا رائدا في مجال اللسانيات جعل من المستحيل ممكنا وأنشاء خطاب لساني تركي بمعايير أوروبية، تمكن من سد الاحتياجات اللسانية وتوفير مصطلحات جديدة للترجمات التي تتطلب في ظل هذه الظروف عملا جدا واحترافيا.

المبحث الرابع: التلقي العربي لكتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"

أولا- الحدود التاريخية والمرجعية الفكرية للسانيات العربية الحديثة:

نسعى من خلال هذا المبحث إلى معرفة المسار المعرفي الذي شكل معالم اللسانيات العربية الحديثة، فالبناء المعرفي في أي مجال بحثي ما هو إلا نتيجة حتمية للجهود السابقة، وغرضنا من استقراء النهضة اللسانية في الوطن العربي في بعدها التاريخي هو الرغبة في فهم السياق المعرفي الذي كانت من نتائجه ولادة اللسانيات العربية الحديثة، ويمكننا اختزال هذا البناء في ثلاث مراحل أساسية:¹

1- النهضة الفكرية العربية الحديثة، وما رافقها.

2- المرحلة الاستشرافية وما رسخته من أعراف لسانية.

¹- ينظر: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته-، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2009، 1، ص20.

3-إرهاصات تشكل الخطاب اللساني الحديث.

1- النهضة الفكرية العربية:

1-1 النقل والترجمة:

يجمع الدارسون على أن بداية بعث الدرس اللساني العربي مرة أخرى كان في أوائل القرن التاسع عشر في ظل مناخ مشحون بالتدخل الاستعماري، فبعد عهود غير قصيرة من الانحطاط بدأت الحركة التنويرية بحملة بونابرت على مصر في أواخر القرن الثامن عشر، وقد أتى بحملته العسكرية بحملة علمية فيها طائفة من العلماء والصناع، وأخذوا في تأسيس المعاهد العلمية، فأنشؤوا في القاهرة مدرستين لتعليم أبناء الفرنساويين المولودين بمصر، وجريدتين فرنساويتين، وجعلوا من بيوت الأمراء مكاتب للمطالعة، بالإضافة إلى إحضار الأدوات العلمية، كما أتى الفرنساويون معهم بمطبعة عربية كانوا يطبعون فيها منشوراتهم وأوامرهم.¹

كان الغرض الظاهر من هذه الحملة هو ترغيب المصريين في مدينة الحضارة الغربية وتنوير ثقفتهم، ونشر القيم التي قامت عليها الثورة الفرنسية وهي " حرية، عدل، مساواة" بين الشعب المصري في ظل الحكم العثماني، لكن الدافع الحقيقي وراء هذه الحملة هو إضعاف كفة السلطنة العثمانية ودولة المماليك، وفرض الحكم الفرنسي، ولكن رب ضارة نافعة، فكانت هذه الحملة الاستعمارية بداية شعلة النهضة العربية.²

حمل اللواء من بعد بونابرت محمد علي باشا، الذي عمل على إنشاء دولة قوية « وقد وجد أن خير وسيلة تنهض بالشعب المصري وترفعه إلى مستوى الأمم الناهضة الاهتمام

¹ - ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار هنداوي، القاهرة، مصر، ص 1175، 1176، 1177.

² - ينظر: عبد العزيز نوار، النهضة العربية الحديثة، دار عين، القاهرة، مصر، 2002، ط 1، ص 103، 112.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

بالتعليم، وقد سلك في سبيل تعليم الشعب كل الطرق الناجحة، فمن بعثات وطباعة، وفتح مدارس ونقل آثار الأمم الغربية في العلوم والآداب، وتأسيس الصحافة لتتير أمام الشعب.¹ كان لابد في ظل هذه الجهود التي تسعى إلى اللحاق بتقدم وقوة النهضة الغربية من تعزيز حركة الترجمة إلى اللسان العربي لنقل العلوم الحديثة وإيجاد المرادف العربي لهذا المصطلحات الجديدة على الفكر العربي، «وقد ازدهرت حركة الترجمة كثيرا بتشجيع محمد علي لمت ترجميها ومكافأتهم مكافآت سخية، وبطبعها على نفقة الدولة في مطبعة بولاق.»² ولقد انتعشت هذه الحركة أيضا مع البعثات الطلابية التي كان لها أعظم الفضل في إحياء اللسان العربي وجعله مساير للعلم، بما ترجم من كتب وما أدخلوه من مصطلحات.³

لنا أن ستحضر في هذا السياق جهود رفاة الطهطاوي باعتباره من أبرز رواد حركة الترجمة في هذه الفترة، لم يكتف بترجمة كل أصناف المعارف من طب وتاريخ وجغرافيا، بل سعى إلى تأسيس مدرسة للترجمة تقدم أفضل وسائل التعليم لتكوين كفاءات علمية تكون يد عون في بناء النهضة العربية، وقد أنشئت هذه المدرسة في 1835 باسم مدرسة الترجمة، ثم غير اسمها فأصبح مدرسة الألسن، وكانت تدرس بها الألسن العربية والتركية والفرنسية، والحساب والجغرافيا.⁴

بفضل هذه الجهود بدأت تدب الحياة مرة أخرى في الأوطان العربية، بعد مشقة من إدراك واستيعاب مفاهيم العلوم الحديثة وتقديمها في أوضح صورة للقارئ العربي.

¹ - عمر الدوسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر، القاهرة، ج1، 1973، ط8، ص25.

² - تيمور محمود، مشكلات اللغة العربية، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص8.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص29.

⁴ - ينظر: جمال الدين الشيال، رفاة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، دار هنداوي، القاهرة، مصر، 1945، ص34، 35. جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، دار هنداوي، القاهرة، 2012، ص33، 34.

1-2 الجهود اللسانية الأولى في لبنان وسوريا:

كانت مصر في هذه الحقبة تجسد عاصمة الدراسات التاريخية والمقارنة، باعتبارها مهد حركة التنوير العربي، غير أن هذه الحركة لم تكن حكراً على علمائها فقط، بل أسهم مجموعة من اللسانيين اللبنانيين والسوريين في إحياء الوعي بالدرس العربي، فقد بزغت شمس الوعي القومي العربي متجهة في طريقها نحو النهضة الأدبية والعلمية في كل من لبنان وسوريا، فنجد جهوداً كثيرة بذلها المثقفون المسيحيون أمثال ناصف اليازجي وبطرس البستاني في هذه المنطقة، تأسست على أيديهم (الجمعية السورية للعلوم والفنون) عام 1847 و(الجمعية العلمية السورية) عام 1857م، و(المدرسة الوطنية) عام 1863.¹

من الجدير بالذكر أن معظم رواد النهضة الشوام قد هاجروا إلى مصر راغبين في حرية القلم والنشر، وقد أسهموا في حركة الطباعة والنشر والصحافة لتعزيز النهضة الأدبية والثقافية.²

ساهم تكتل جهود الباحثين العرب وتوحد غاياتهم في ازدهار حركة التأليف وتنوع المصنفات في اللسان العربي، وازداد الوعي لدى المثقف العربي بفضل نشاطهم في إبراز أهمية اللسان العربي ومرونته وليونته وقابليته لتحدي كل متطلبات العصر واستوعب مظاهره بما يتوفر عليه من مقومات وذخيرة اشتقاقية وديناميكية إجرائية.

2- الحركة الاستشراقية ودورها في الخطاب العربي:

كانت الخطوة الثانية في حركة التنوير الفكري الذي عاشه الوطن العربي تتمثل في الحركة الاستشراقية التي أثرت على الخطاب اللساني العربي على المستوى النظري والمنهجي، وذلك بمعالجة اللسان العربي وفق المناهج التي شاع استعمالها في القرن التاسع

¹ - ينظر: توشيوكي تاكيد، جهود رواد النهضة والمجامع اللغوية في إحياء اللغة العربية وتحديثها في العالم العربي الحديث، مجلة دراسات العالم الإسلامي، ع1-2، جامعة أم درمان، السودان، فبراير 2012، مج5، ص34.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص34.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

عشر، وقد ساهمت هذه الجهود الجادة والقيمة في معالجة وتبسيط الضوء على بنيات لم تدرس أو درست بشكل جزئي وفق منظور اللساني العربي، دون النظر في الأبعاد الكلية التي تربطه مع غيره من الألسن السامية، وقد أسهمت دراسة اللسان العربي من هذا المنظور في إثراء الدراسات اللسانية العربية وتم تقديم العديد من التفسيرات المنطقية من قبيل لماذا؟ وكيف؟.

من أبرز وأهم المستشرقين الذين ركزوا اهتماماتهم على دراسة اللسان العربي فلايشر Fleischer، يوهان فيك Johann Fuck، براجستراسر (Bergstrasser)، بروكلمان (Carlbrockelmann) وغيرهم من المستشرقين الألمان الذين بذلوا جهوداً معتبرة من خلال ترجمة تراث اللسان العربي إلى الألمانية.¹

فركزوا على دراسة كل ما يتعلق باللسان العربي من قريب أو من بعيد، فبحثوا في أصواته ولهجاته ونحوه وصرفه وأصوله ومعاجمه وأطواره وغزارته ومادته وعلاقاته باللسن أخرى، وخاصة الألسن السامية، ومميزتها وعناصرها وتاريخها ونقوشها وكل ما أنتجته هذه الألسن.²

شغف المستشرقين وخاصة الألمان بالتراث اللساني العربي، وذلك النظام العجيب الذي تتميز به هندسته، وذلك الخط الجميل الذي تدون به أصواته، وفي هذا السياق يستحضرنا قول الألماني فولف ديتريش فيشر في إعجابه بلساننا، لقد اهتمت في البداية وأنا ابن أربع عشرة سنة بكثير من الألسن، ومن بي ن هذه الألسن جذب اللسان العربي انتباهي بصفة خاصة، وذلك لأن الخط العربي قد أثار إعجابي بأشكاله الفنية المتنوعة الجميلة، فعزمت

¹ - ينظر: نسيمه نابي، واقع اللغة العربية وأثر المستشرقين عليها، مجلة الممارسات اللغوية، ع1، الجزائر، مارس 2021، مج12، ص157.

² - ينظر: أحمد سمايلوكتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مصر، 1998، ص184.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

على أن أدرس العربية لكي أتمكن من قراءة هذه الأشكال الفنية الجميلة، كما أن بناءها اللساني ونظامها النحوي يعدان من أوضح ألسن العالم.¹

كان من أبرز المستشرقين الذين شغفوا بدراسة اللسان العربي وتطبيق إجراءات المنهج التاريخي الذي كان سائدا في ذلك الوقت، المستشرق الألماني يوهان فك من خلال كتابه "العربية: دراسات في اللهجات والأساليب" الذي درس فيه ارتقاء هذا اللسان وانتشاره من وسط الصحاري إلى مشارق الأرض ومغاربها، فعكف على حالته وأطوار تطوره منذ العهد الإسلامي مروراً بالعصر الأموي إلى العصر العباسي الذي ازدهرت فيه ميادين هذا العلم على كل الأصعدة، ثم اشتغل بالألسن الدارجة، فالكتاب تاريخ للعربية ولهجاتها ابتداءً من العصر الإسلامي حتى العصر الحديث، يشير في رحلته عبر هذه العصور إلى الطرق التي سلكتها العربية في تطورها.²

يقول عبد الحليم النجار عن هذا الكتاب «أما ما ميز عمل ش م برجشراسر في كتابه (التطور النحوي في اللسان العربي) هو إشارته إلى دراسة اللسان العربي ليس من الوجهة التاريخية فقط، بل يمكن دراسته من الوجهة النظامية أيضاً وهي ما تعرف بالمنهج الوصفي، وبذلك يكون أول من ألمح إلى اللسانيات العامة وفكرة البنيوية، وليس كما هو شائع في أدبيات اللسانيات الحديثة بأن لا عهد لنا بأفكار سوسير إلا مع عالم الاجتماع " أحمد عبد الوافي"، وفي ذلك يقول برجشراسر إن الغرض من محاضراتي، التي سألقها عليكم، هو درس اللسان العربي من الوجهة التاريخية وذلك لاستنتاج العوامل التي سببت خصائص اللسان العربي، والوجهة الثانية التي يمكن انتهاجها في اللسانيات هي النظامية.³

¹ - ينظر: ظافر يوسف، المستشرق الألماني دينريش فيشر عاشق العربية في بلاد الألمان، صوت العربية، -01-29

www.voiceofarabic.net, 2021

² - ينظر: يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014، ص1.

³ - ينظر: برجشراسر، التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص7.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن بعض المستشرقين المتعصبين من الحضارة العربية الإسلامية، اتخذوا من هذه النقطة ذريعة لتهميش اللسان العربي في صدور متكلميهم عن طريق الوجهة النظامية التي تعلي من شأن لسان الاستعمال، فكانت نقطة انطلاقهم إظهار صعوبة مسالك هذا اللسان خاصة في تعقيدات النحو، وفي جمود الألفاظ المعجمية، وقصور فهمها على الخاصة من المثقفين.

كانت دعوتهم بضرورة ترك العربية لسان القرآن لتوقعه على ذاته، والانفتاح على الألسن الدارجة التي تواكب الانفتاح المصطلحي الذي شهده العصر الحديث، ويبدو أن غرض هؤلاء الفرقة من المستشرقين ليس غرضاً علمياً بحثاً أو بغرض خدمة الدرس العربي، بل هناك العديد من الدوافع المحجوبة نحو حضارة عريقة، وكان الأولى الدعوة إلى هذه الفكرة في بلدانهم وتطبيقها على لسان شعوبهم بإنزال العامية منزلة الفصحى في كل المؤسسات الأكاديمية ومراكز التعليم، وهذا ما لا نلمسهم في حضاراتهم فهم لم يتوقفوا عن التفاخر بألسنتهم ودقة نظامها ومرونتها، وهذا ما يتوفر في اللسان العربي بل ويزيد ميزات في مواضع أخرى، ويقول إسماعيل أحمد عمايرة في هذا الصدد إن دراسة المستشرقين الألمان كان غرضها علمي (دراسة الحضارة العربية الإسلامية وحب العلوم الشرقية)، بعكس الدراسات الأخرى الفرنسية والإيطالية والإسبانية التي كان غرضها استعماري لشعوب الشرق الأقصى، ولديها تعصب عرقي وديني ولساني.¹

3- تشكل الخطاب اللساني الحديث

كانت الثورة الفكرية الثانية التي أنعشت الدرس اللساني العربي وبعث فيه روح الإبداع وملكة التجديد، وأحدثت تحولاً منهجياً عميقاً على مسار اللسانيات العربية الحديثة، مع رواد اللسانيات الوصفية الذين استطاعوا القضاء على هيمنة الاتجاه التاريخي في البحث اللساني

¹ - ينظر: إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، دار حنين، عمان، ط2،

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

والتبشير بمنهج جديد سيقرب كل الموازين في دراسة اللسان العربي، وكانوا في كل هذا تحت جناح النظريات اللسانية التي درسوها على يد نخبة من اللسانيين الغربيين، فعادوا إلى أوطانهم محملين بإجراءات هذا المنهج ورغبة في كسر كل نمط سائد في تلك الفترة.

عرف الاتجاه الوصفي طريقه إلى الثقافة العربية بعدما شرعت العديد من البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية في العودة إلى أوطانهم، وقد كان من بين العائدين من تخصصوا في اللسانيات أو في أحد فروعها، ومن تتلمذوا، خصوصا على يد فيرث في مدرسة لندن، فبعد عودة هؤلاء تصدوا للتدريس والبحث اللساني في الجامعات المصرية التي كانت بذلك منطلق لبلاورة الاتجاه الوصفي في الثقافة العربية بعدما كانت مهد المنهج التاريخي المقارن من قبل، وبذلك استمرت في حمل لواء التجديد اللساني في الثقافة العربية.¹

الأمر الغريب والمثير للدهشة هو أن أول من خ ص في هذا المنهج الجديد بمؤلف خاص ومستقل يقدمه إلى القارئ العربي لإطلاعه على آخر ما وصل إليه العقل الغربي من تقدم أثمر منهجاً يحل الكثير من الإشكاليات العالقة منذ أمد طويل، كان من عالم اجتماع وليس من عالم لساني، ففي تلك الفترة كان أغلب الباحثين العرب تحت تأثير المنهج التاريخي المقارن، وذلك يعود حسب رأينا إلى أن المستشرقين في تلك المرحلة كانوا يتبنون مكانة علمية رفيعة سواء في كرسي الجامعة أو في مراكز البحث العلمي، وكان شغلهم الشاغل دراسة تاريخ اللسان العربي وعلاقته بالألسن السامية، وقد وصل هذا المنهج عند بعضهم مرحلة الهيام ودرجة التقديس، فشغف به العقل الغربي والعربي حتى رأى البعض أنه الصفوة، وحالت كل هذه العوامل دون إمكانية فتح مجال لدخول منهج جديد خاصة وأن منهج سوسير وأفكاره كما مر بنا قبلت بداياتها بالرفض بل وتعرضت للنقد الشرس.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حريات النشأة والتكوين، محمود فهمي حجازي، اتجاهات البحث اللغوي في مصر المعاصرة، نقلا عن حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 42.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لم تكن الساحة اللسانية في تلك المرحلة مهيأة لاستقبال أي توجه جديد، لذلك كانت نقطة البداية خارج رحم المجتمع اللساني، وكانت البداية الفعلية سنة 1941 مع عالم الاجتماع أحمد عبد الوافي الذي أصدر كتاباً بعنوان "علم اللغة" وقد أشار في مقدمة الكتاب إلى أنه السابق إلى هذا اللون وفي ذلك يقول «لم يكتب فيه باللسان العربي-على ما اعلم- مؤلف يعتد به»¹

كأي مؤلف جديد اعتري أبواب الكتاب الكثير من النقائص، أجملها مصطفى غلفان في قوله: يخلو هذا الكتاب من تقنيات التحليل اللساني الضرورية بالنسبة إلى كل مبتدئ في هذا العلم، كما أن المؤلف لا يورد بعض التجديدات المنهجية التي عدت أساسية منذ نهاية العشرينيات، كما أن المؤلف يتحدث بإسهاب عن مجمل فروع اللسانيات وعن علاقته بالعلوم الإنسانية الأخرى، مركزاً اهتمامه على مسائل كثيرة تخرج عن صميم اللسانيات.²

نتفق مع ما ذهب إليه غلفان فالمطلع على فهرسة الكتاب دون الولوج إلى فحوى الكتاب يدرك عدم وقوف الباحث على الحدود الفاصلة بين أدبيات القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فقد تضمن كتابه مسائل تتصل بالاتجاه التاريخي المقارن، ومع أن الاتجاه الآني جاء بإرهاصات تختلف جذرياً عما كان سائداً في تلك الفترة، أما بالنسبة لمعالجته لقضايا علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى، ونشأة اللسان عند الإنسان، ونشأة اللسان عند الطفل فهو راجع إلى اختصاص عبد الوافي، فقد أراد دراسة هذه القضايا من منظور علم الاجتماع وأثر اللسان وتطور نظرياته في أبوابه.

يبدو من كل ما سبق ذكره أن الباحث لم يقف كثيراً على مفاهيم المنهج الآني وآليات تطبيقه المنهجية، واقتصر النظر على المدرسة السوسيرية دون الإشارة إلى البحوث الرائدة

¹ - علي عبد الوافي، علم اللغة، دار النهضة، مصر، ط9، 2004، ص4.

² - ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية، ص141، 142.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لمدرسة براغ في مجال علم الأصوات وما طورته من أفكار سوسير، كان هناك نوع من الخلط بين اتجاهين يمثلن مرحلتين مختلفتين في الدرس اللساني الغربي.

ثم تلا هذه النقلة كتاب " الأصوات اللسانية" لإبراهيم أنيس، وهو بحق الأول من نوعه في تطبيق إجراءات المنهج الصوتي على أصوات اللسان العربي وفق المنهج البنوي، فخصه بدراسة الأثر الذي يخلقه الصوت اللساني في تركيب الكلام وهو ما يعرف بالفونولوجية، رغبة في تجاوز الجانب الفوناتيكي الذي يقتصر على حدود الأصوات في اللسان من الناحية العملية، ويرى إبراهيم أنيس أن كتابه الأول من نوعه في اللسان العربي.¹

أخذت قضية أسبقية التأليف بكثافة، ويطول القول هنا بذكر وجهة وحجة كل باحث، سوى أننا نلاحظ أنه وإن كان أحمد عبد الوافي أول من عرف القارئ العربي بهذا المنهج وحمل إرهاباته إلى رفوف المكتبات، غير أن تطبيقه كان في كتاب إبراهيم أنيس بوصفه للأصوات العربية، وغلبت عليه النزعة الفيلولوجية. «ومن الملاحظ أن الخلفية الأكاديمية للأستاذ وافي بوصفه باحثاً في علم الاجتماع كانت طاغية في هذا الكتاب، سواء من حيث التنظيم المنهجي أو مضمون المعلومات والآراء النهائية، ونحن نعتقد أن تدريسه في جامعة القاهرة، واحتكاك الكثير من اللسانيين به من أمثال: تمام حسان، كمال بشر، وعبد السلام هارون، هو السبب الرئيسي وراء تسرب أفكار علماء الاجتماع، وبخاصة الفرنسي فندريس صاحب كتاب " اللسان" وسيطرتها على تفكيرهم مدة طويلة، قبل أن يذهب معظمهم إلى أوروبا ويحتكوا بالمدارس اللسانية، التي عززت عندهم نفس القناعات، أو وضعتهم أمام سباق داخلي بين السابق واللاحق.»²

¹- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة، مصر، ط2، 1950، ص5.

²- عبد الكريم جيدر، الجهود العربية الحديثة لنقل المعرفة اللسانية العالمية، مجلة الذاكرة، ع2، جوان، 2021، مج9، ص15.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

المبادرات الأولى في هذا المجال في التعامل مع اللسانيات في أبكر مراحلها، قد جاءت من أكاديميين ممتازين، إلا أنهم لم يكونوا من المتخصصين في اللسانيات، أو ممن يتوقع اهتماماتهم بهذا الشأن إلى درجة كبيرة حصلت في تلك الأيام، وينبغي القول أن جهود هؤلاء الباحثين كانت مثيرة جدا للإعجاب والتقدير، سوى أنها اشتملت على العديد من النقائص، وربما بعض الزهمة كما يرى عبد الرحمن الحاج صالح حيث توصل إلى أن « أكبر العيوب في المحاولات الأولى هو أنها تقدم لجماهير القراء الذين لا يملكون لسان غير لسانهم الأصلي (أي العربية) معلومات تفوق راحة الزهمة منها، فلا يدرك القارئ العربي هذه الزهمة، فيقبلها مطمئن البال ولا يشك لحظة واحدة في طراوتها وغضضتها، وبهذا يستوفي الشعب العربي كل شروط التخلف الثقافي دونما شعور.¹»

المبحث الخامس: ترجمة الكتاب إلى العربية ومراجعات نقدية للترجمات

أولاً- أسباب تأخر ترجمة الكتاب إلى العربية

إذا كانت أول إحالة إلى كتاب سوسير بدأت في أربعينيات القرن العشرين، فإن النسخة المترجمة من هذا الكتاب لم تظهر سوى في الثمانينيات؛ أي بعد ظهور النشرة بسبعين سنة، وبعد إرهابات كتاب عبد الوافي وخريجي مدرسة لندن بأربعة عقود ونصف، وبعد هذا التاريخ توالى الترجمات الخمسة في شكل جهود فردية تعكس نوعاً من المنافسة والرغبة في التفوق ونيل شرف الريادة في ترجمة أهم مصادر اللسانيات الحديثة وتوفير تبصر أعمق باللسانيات السوسيرية، فظهرت نتيجة لذلك وخلال فترات متقاربة خمس ترجمات من خمس دول عربية مختلفة.

سعت كل واحدة إلى الظفر بأحسن نسخة مقارنة لأفكار النشرة، وقد عملت كل ترجمة على تدارك النقائص التي جاءت بها الترجمة السابقة، وذلك بالسعي إلى الدقة والنظام

¹ - الزهمة هي الرائحة المنتهية أو اللحم السمين العفن والمعنى هو جمال وحسن المظهر، وسوء وخطر الباطن والجوهر. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007، ص 9.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

وتيسير الاطلاع على القارئ، وقد ذلل المترجمون في مقدمة العمل الصعاب التي كانت عازفا لهم في البداية عن هذا العمل العسير، ويمكننا من خلال تدقيق النظر فيها وفي السياق العام الذي ظهرت فيه القيمة التأسيسية للنشرة من استنباط العوامل التي حالت جدارا في تأخر الترجمة.

1-إن المدرسة الأولى التي أسسها خريجو لندن (إبراهيم أنيس، محمود السعران، تمام حسان... إلخ)، لم تتسن لهم فرصة الاطلاع المباشر على كتاب المحاضرات بل كان الأستاذ فيرث وغيره حلقة الوصل، ولم تكن هناك ترجمة إلى اللسان الإنجليزي يمكن الاستعانة بها للوقوف على حقيقة تصورات سوسير، ولم تظهر الترجمة الإنجليزية إلا سنة 1959م، فضل إمامهم جزئيا، كما أن أعراف البحث اللساني هناك لم يتوفر فيها ما يسير الاطلاع على اللسانيات الفرنكوفونية، لأن الجامعة المصرية اتجهت إلى التقاعد مع الجامعة الإنجليزية فكان إيفاد مجموعة من الطلبة ليدرسوا علوم اللسان في مدرسة لندن.¹

كانت طبيعة التكوين واللسان السائد في تلك المرحلة هو اللسان الإنجليزي، وهذا عكس ما نجده في دول المغرب العربي الذين كانوا متمكنين من لجام اللسان الفرنسي، وهذا ما ساعدهم على تلقي هذا العلم من منابعه الأصلية دون واسطة تحول أحيانا دون المعنى المقصود، لذلك نجد أول من حاول ترجمة جزء من كتاب المحاضرات والتعريف به إلى المجتمع اللساني وتبسيط وشرح مفاهيمه، هو اللساني عبد الرحمن حاج صالح، ونحن لا نقصر الفضل عليه ولا على اللسانيين المغاربة في هذا الميدان البحثي، فعلى نفس المنوال حاول كمال بشر ترجمة جزء من أبواب النشرة، وكان يعمل على تنويع هذا العمل بترجمة كاملة إلا أن صعوبة الكتاب جعلته يعزف عن هذا العمل.²

¹ - ينظر: حسين السوداني، ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات: مثال الترجمات العربية الخمس لدروس فردينان دي سوسير، مجلة اللسانيات العربية، السعودية، ع7، يوليو 2018، ص8.

² - ينظر: فرديناند دي سوير، فصول في علم اللغة العام، تر: احمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ص4.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

2- أما العامل الثاني الذي حال دون ترجمة الكتاب قبل هذا التاريخ خصوصية الفكر

السوسيري، أشار محمد شاوش ومحمد عجينة إلى هذا الأمر في مقدمة الترجمة وفي ذلك يقولان « عن طبيعة الكتاب ذاتها وما يتميز به من خصائص ليس من شأنها أن تيسر على المترجم مهمته، ومن ذلك أن هم صاحب الكتاب كان موجهها أساسا إلى وضع الحدود وضبط المفاهيم وتصنيف مختلف الظواهر اللسانية.¹»

الكتاب فصل تام بين أدبيات القرن التاسع عشر والقرن العشرين، قلب لكل التصورات التي كانت سائدة قبله، هو ثورة تحمل في طياتها منهجاً جديداً، نظام جديد، مصطلحات غاية في الدقة التعبيرية عن المفاهيم التي هي بإزائها، فهل كان من الممكن في فترة وجيزة بالنسبة إلى القيمة التأسيسية لأفكار سوسير تقديمه وموازنة ذلك بترجمة؟، ولا يخفى علينا التفسيرات الكثيرة التي ذهبت إلى تأويل مقاصد الأستاذ بقلم الطالبين فأصابت أحيانا المقصد، وجانببت في الكثير الصواب.

من الصراحة العلمية فإن كل الجهود الأولى في تقديم اللسانيات العامة إلى القارئ العربي كانت في بداياتها محاولات لتقديم الركائز الأساسية التي تقوم عليها النظرية، ومع مرور الزمن تشرب الذهن العربي هذه المعادلة أكثر فأكثر وازداد تنامي الوعي اللساني بهذه المعرفة، لذلك نرى تعدد الترجمات في البلد الواحد، وهذا يعود إلى قصور الوعي بمقاصد الترجمة وصعوبة إيجاد البديل العلمي للمصطلح فتأتي الترجمة الجديدة لترميم الشروحات في الترجمة القديمة وهكذا، وهذه القضية لم تقتصر على الدرس اللساني العربي فقط، فقد تأخرت الترجمات في أغلب البلدان، لأنه كان يتم أولاً تقديم المحتوى والتعريف به، ثم إرفاق ذلك بنسخة منقحة لكتاب المحاضرات.

3- أما وجه الصعوبة الثالث فهو أن بعض المفاهيم السوسيرية لم يبق على لفظه السوسيري بل تحققت له نظائر عند التيارات المعرفية اللاحقة، فأكسبته مفاهيم جديدة تختلف

¹ - فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 8، 9.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

عم وجد عنده، فمثال ذلك مقابلة مصطلح "العلاقات النظامية عند رولان بارت بعبارة العلاقات الجدولية عند سوسير، والإلمام بهذا التطور المصطلحي من مقتضيات الترجمة.¹ كما أن خصوصية الجهاز المصطلحي السوسيري كان من عوائق الترجمة، فمرجه كونه واقع بين مرجعيتين مصطلحيتين مختلفتين.²

المرجعية الأولى والتي اشتكى منها كل من اطلع على كتاب المحاضرات كثرة الشواهد المستمدة من ألسن كثيرة، ويفسر ذلك بأن مرجعية البحث في تلك الفترة كانت تعتمد على المقارنة بين الألسن للوصول إلى أصل كل لسان وعلاقاته بالألسن الأخرى، بالإضافة إلى تتبع الكلمات في تطورها التاريخي، وقد كان الكتاب مشحوناً بمثل هذه الشواهد، ويصعب حتى على المتخصص في مجال اللسانيات فهمها فما بالك بالمتلقي العادي، أما المرجعية الثانية وهي حسب سوداني تطور هذا العلم.

4- «أضف إلى كل هذه الصعوبات الأخطاء المطبعية التي تسربت إلى النص الأصلي في طبعاته المختلفة».³

5- بما أن الكتاب لم يكن من تأليف الأستاذ بل هو محاولات لإعادة صياغة مجموعة من المحاضرات المرتجلة مما أفرز لنا في النهاية نشرة أصبح كل ركن فيها مسكوناً بالشك، فلم يقتصر التعديل على بعض أفكار الكتاب، بل طالت أيدي الناشرين المنظومة المصطلحية والبنية المفاهيمية والقاعدة التأسيسية للكتاب، لذلك جاءت فقراته متذبذبة، متناقض الصفحات، غامض الأفكار.

¹ - ينظر: حسين السوداني، ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات، ص9. محمد الغربي، آليات التجديد اللغوي من خلال دروس في اللسانيات العامة لفردينان دي سوسير، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع120، صفاقس، تونس، 2012، مج52، ص52.

² - ينظر: المرجع السابق، ص10.

³ - دروس في اللسانيات العامة، تحقيق توليو دي مورو، نقلاً عن عز الدين المجذوب، ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، حوليات الجامعة التونسية، ع26، 1987، ص46.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

خلف هذا الجو المشحون رهبة في أقلام المترجمين من الإقدام على هذه المهمة الصعبة، وهذا ما نبهت عليه الترجمة التونسية وفي ذلك يقول المترجمان «إلا أن الناظر في شبكة المصطلحات التي استعملها سوسير سيلاحظ منه بعض التردد في استعمال مصطلحات مختلفة لمفهوم بعينه تقريبا، لم تكن هذه الأمثلة أقل عناء من ترجمة نص الكتاب، فقد استقى سوسير أمثله وشواهد من فصائل لسانية متنوعة وألسن مختلفة، ترجع إلى أطوار متفاوتة في القدم بالإضافة إلى أمثلة من ألسن حديثة.¹

6- وكان من أسباب عزوف المترجمين عن هذا العمل هو الرهاب من نشره 1916م ومن ترجمة عمل بهذه الضخامة الفكرية، لأنه يعد بحق الباب للولوج إلى الدرس اللساني الحديث، لأن النشرة ليست نقدا لمذهب أو تدعيم لتيار، بل في جزء كبير منها تجسد قطيعة ابستمولوجية مع المنهج التاريخي، والإقدام على خطوة كبيرة مثل هذه تتطلب شجاعة لان العمل المنجز سيضع تحت المجهر، خاصة وأن العقول اللسانية في تلك المرحلة كانت متعطشة إلى قراءة الأصل، بعد أن أرهقت من تتبع الجزئيات وجمعها من كتب متفرقة، وهذا الخوف والتردد كان واضحاً في مقدمة الترجمة العراقية، وفي ذلك يقول نعيم الكراعين: ثم حاولت الاتصال بالنسخة المترجمة إلى الإنجليزية، وقرأتها أكثر من مرة وتركتها لأن موضوع الترجمة لم يختمر في ذهني، ولم أكن لأجرؤ على اقتحام مثل هذا الموضوع، وأخذت الفكرة تراودني ولكنني وجل من الإقدام على ترجمة كتاب يعد من أهم مصادر اللسانيات الحديثة في العالم الغربي على الأقل، ناهيك عن الخوف من أولئك الذين يجلسون لا هم لهم إلا تصيد الأخطاء وإبراز المعاييب والنقص.²

7- من أسباب تأخر ترجمة هذا الكتاب أن الاهتمام باللسانيات أمر حديث العهد نسبياً، إذ لا تكاد تجد من يذكرها قبل الستينيات سواء في ميدان التدريس أو البحث، فلم يكن

¹ - ينظر: فردينان دي سوسور، دروس في الألسنية العامة، ص 10، 11، 4.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 3.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

لهذا العلم آنذاك خطة واضحة ولا برنامج شامل يسري على هديه الدارس ولا مؤسسة علمية تحتضنه وترعاه وتسهر على نشره، وما ظهر في هذا الميدان إنما كان في شكل مبادرات فردية قليلة منعزلة وكانت الترجمات الأولى للكتب التمهيدية التي تقوم مدخلا له.¹ هذه هي أهم الأسباب التي كانت من الأسباب المباشرة في تأخر ترجمة الكتاب إلى ثمانينيات القرن المنصرم.

بدأت تصورات سوسير تظهر على شكل شظايا في الكتب البنيوية، ثم بدأت ملامح الترجمة الجزئية تظهر في أعمال كل من عبد الرحمن حاج صالح وكمال بشر، وفي وسط هذه الأجواء المعرفية أصبح من الحتمي مع تنامي الوعي بمقومات الدرس اللساني من ظهور نسخة مترجمة تكمل الحلقة الناقصة من هذا البناء المتناسك، وشاءت الأقدار أن تظهر بعد هذه المدة الطويلة خمس ترجمات في فترات متقاربة جدا بين 1985 و1987م.

أول ما يلاحظ أن هناك ترجمات اعتمدت على النسخة الإنجليزية، وبالتحديد على طبعة وايد باسكن، وهناك ترجمات اعتمدت على النص الفرنسي، وعمل اختلاف النص المترجم عنه على التقليل من محتوى المعرفي في كل من الترجمتين العراقية والفلسطينية، فلم تكن ترجمة عن ترجمة فقط، فإن النص السوسيري قد تم ت ترجمته أو تأويله من قبل مستمعيه، ثم خضع إلى عملية تعديل مع الناشرين، ثم مر عبر مسالك اللسان الإنجليزي الذي له طبعا خصوصية تميزه عن اللسان العربي، وما ترتب عن هذه الترجمة من تصرفات باسكن للوصول إلى ما فهمه من مقاصد النص الأصلي، وما دام هذا الجهد هو إنساني، فورود الخطأ أمر طبيعي، لذلك ظهرت ترجمة أخرى تصوب ترجمة باسكن، وأمام هذه الفوضى في عملية النقل والتأويل، كيف يمكننا أن نطمئن للنقل بواسطة الترجمة الإنجليزية، إن كنا نرتب أصلا في النص الفرنسي؟

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص8.

ثانيا-الترجمات العربية التي اعتمدت النص الإنجليزي

1-الترجمة الفلسطينية:

ظهرت الترجمة الفلسطينية لكتاب المحاضرات في اللسانيات العامة في عام 1985م بعنوان فصول في "علم اللغة العام" لفريديناند دي سوسير، وقد كان الكرايين مدركا للهاوية التي سيلقي بها نفسه وهو مقدم على الترجمة من الترجمة، وما يترتب على ذلك على حد قوله «من تحريف كبير وابتعاد عن الأصل»¹

غير أن هذا الأمر لم يمنعه بعد طول انتظار من الإقدام على الترجمة، بعد عزوف خريجي مدرسة السربون أو الذين يعتبر لسانهم الثاني هو الفرنسية من الإقدام على هذه الخطوة، وكان مستشعرا للنقد اللاذع الذي سيوجه إلى صنيعة، فبادر هو بالهجوم أولا، ويقول حمزة بن قبلان في مراجعته لهذه النسخة: هذا الهجوم غريب في الواقع، فكلنا معرضون للخطأ ومستوحون للنقد فيما نقوم به من أعمال ويكاد يسر الإنسان إذا وجد من يقومه، أما الحجر على الآخرين ومصادرة حقهم في نقد ما يشاءون فخرج ظاهر عن الروح العلمية التي يجب أن يتحلى بها طلاب العلم، ولو أن المترجم الكريم تأسى بما قاله ناشر الكتاب، حينما صرحا بأنهما سعيان بتحمل مسؤولية عملهما لكان أحسن.²

إلا أن الممعن في كلام الكرايين يدرك أنه كان يتكلم على أولئك الذين ينتقدون من أجل النقد فقط، ويسارعون إلى النبش على النقائص في المحتوى المقدم دون الالتفات إلى قيمته والجهد المبذول من طرف صاحبه، أما الذين لا ينكرون فضل السعي ويعمدون على

¹ - فريديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ص3

² - ينظر: حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية (ثلاث ترجمات لمحاضرات دي سوسير)، شبكة صوت العربية، 27-10-

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

التقويم النقدي لتصويب العمل لم يقصدهم في خطابه، « وأنا أقبل بكل ارتياح أي نقد هدفه تصويب الأفكار الواردة نتيجة خطأ في الفهم أو الترجمة، ولكنني لا أقبل نقد الهدامين.¹ »

لعل أكبر فجوات هذه الترجمة خطة الكرايين في أن يكون « دقيقا أو بمعنى أدق حرفيا.² » وصنيعه هذا لا يتقصى أسس الترجمة الأساسية وهي الوقوف على المعنى المقصود، وسلامة الأسلوب في اللسان الهدف، بل كان يعمد إلى ترجمة الكلمة بالكلمة، وإن كان غرضه الدقة والأمانة في النقل والمحافظة على الأصل دون الإقدام على خطوة التصرف، فإن التركيب جاء ركيكا في العديد من المواضع، وهذا ليس تقليلا من جودة العمل، أو الشك من تمكن المترجم من اللسان الإنجليزي، بقدر ما هو تسليط للضوء على مساوئ الترجمة الحرفية التي تعمل على تغيير المعنى تغييرا كاملا، وهذه النقطة ما نقدها عز الدين مجدوب، وفي ذلك يقول « فتصور الكرايين للترجمة ويقينه أن المحافظة على الحرفية تضمن الوفاء للنص الأصلي هو تصور خاطئ للسان، يقوم على اعتبار أن الألسن لا تختلف فيما بينها إلا في دلالاتها، بينما هي تتباين في دلالاتها ومدلولاتها وبصفة عامة في كيفية تقطيعها للتجربة البشرية.³ »

كما يشير حمز بن قبلان إلى أن الترجمة نفسها كانت قاموسية؛ بمعنى أن المترجم إذا صادف كلمة معينة لجأ إلى القاموس ووضع واحدة من الكلمات التي تقابلها في العربية بغض النظر عما إذا كانت هي المقصودة في السياق أول لا، كما أنه لم يورد المعلومات التوثيقية للكتاب المترجم، ولم يترجم تعليقات الناشرين ولا تعليقات المترجم إلى الإنجليزية

¹ - فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ص5.

² - المرجع نفسه، ص6.

³ - عز الدين المجذوب، حول ترجمة رابعة لفردينان دي سوسير، حوليات الجامعة التونسية، ع31، 1يناير 1990،

ص152، 153.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

اللهم إلا في موضع أو موضعين، كما أنه لم يلتزم في أحيان كثيرة بتقسيم النص الأصلي إلى فقرات، يضاف إلى ذلك أنه لم يلتزم بالكتابة الصوتية التي جاءت في الكتاب.¹

رغم كل جوانب النقص التي اعترت الكتاب غير أنه يمكن التقليل من قيمة الجهد المبذول وصدق النية في خدمة طلبة العلم وتزويد المكتبات العربية بكتاب هم في أمس الحاجة إليه.

2- الترجمة العراقية:

الترجمة العراقية فقد صدرت في عام 1985م تحت عنوان "علم اللغة العام" تأليف فردينان دي سوسور، ترجمة يوثيل يوسف ومراجعة يوسف المطليبي، قام المترجم بتثبيت المصطلحات عن طريق التعريب، وذلك لصعوبة العلم حسب تعبيره وحداثه في الوطن العربية من جهة، كما أن هذا العلم قد تطور كثيرا في البلدان الإنجليزية وأصبحت مصطلحاتها هي الشائعة بين المثقفين.²

الفترة التي تمت فيها عملية الترجمة لم تكن حديثة العهد من تعرفنا بالفكر السوسيري، بل جاءت بعد عقود من ازدهارها في الوطن العربي، وتم وضع مصطلحات لسانية توافق الأصل الفرنسي مع رواد مدرسة لندن وغيرها من الجهود، بل إن المعجمات اللسانية المتخصصة وضعت لتساعد القارئ في تلقي هذا العلم، غير أن مراجع الكتاب برر هذه الخطوة أنها كرد فعل أمام التجويع الثقافي الذي سببه حشد المصطلحات الغربية حتى يبدو المتلقي أنه يتضاءل حتى لا يرى.³

هذه الخطوة تزيد من احتقان المشكلة خاصة مع اللجوء إلى عملية التعريب من أصل إنجليزي؟، وكان الأجدر التقيب وسط هذا الحشد من المصطلحات على مصطلح دقيق

¹ - ينظر: حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية (ثلاث ترجمات لمحاضرات دي سوسير).

² - ينظر: فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص4.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص15.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

تطمئن له الأذهان وذلك بالرجوع إلى المعاجم المختصة، وهذه الخطوة من المترجم تدل على تقاعس الهمم واللجوء إلى أيسر الحلول، والمطلع على مصطلحات هذا الكتاب يستعص على عليه الأمر في فهم العديد من المصطلحات المعربة والتي زادت من إبهام النصوص في العديد من فقرات الكتاب، ومن تلك العلاقات السنتاكية والإيحائية، الأصول شعبية للكلمات، علم اللسان الدايكروني، علم اللسان السنكروني.

صدرت هذه الترجمة بمقدمة للمراجع يوضح فيها أهمية البنيوية التي سحبت البساط من تحت أقدام كل المناهج، وأصبحت الشغل الشاغل للدارسين سواء في الشرق أو الغرب، ثم انتقل إلى جهود علماء العربية وخص بالذكر عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم لديه التي أرسى بها منهجا نقل الدرس العربي من مكان إلى مكان آخر، بعد أن كان الإعراب والعامل هما الحكمان الفاصلان في قضايا تفسير الظواهر اللسانية، وكان الغرض من هذا السرد التاريخي التأكيد على أن الممارسة البنيوية والمنهج الآني الذي يتقصى الظاهرة اللسانية في شموليتها تمت ممارساتها في كتاب دلائل الإعجاز وغيره من أمهات كتب التراث، وهي بذلك ليست مستحدثة في الفكر العربي.

كما أشار يوسف المطلبي إلى أنهما في أثناء المناقشات حول كتاب المحاضرات تنمى إلى أسماعهم توفر نسخة سورية مترجمة في الأسواق، وفي ذلك يقول: لم يكن وجود هذه الترجمة ليقف حائلا دون إصدار ترجمة آفاق العربية لأن محاضرات في اللسانيات العامة ترجمت على نحو أو آخر، من خلال مؤلفات المعنيين بالدراسات البنيوية وبحوثهم، منذ منتصف هذا القرن، وصارت أفكار سوسير منتشرة تؤلف على نحو ما كتابا مترجما.¹

المميز في هذه الترجمة أنها أجرت مراجعة على الترجمة السورية، ووقفت على العديد من النقائص التي دفعت بدار آفاق على عزم أمرها وإصدار هذه الترجمة، أما باقي الترجمات لم تقم بمراجعة غيرها، أو السعي إلى تقويم نسختها في ظل سابقاتها فجاءت

¹-ينظر: فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص13.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

كجزر معزولة، وهذا الأمر أفرز لنا العديد من الترجمات، وملتق متشئت حائر أيها أصوب وأقرب إلى درجة الكمال من الأصل الفرنسي، ولو أن الجهود تضافرت تحت مؤسسة واحدة واستعانة بالمصطلحات التي أقرتها المجامع اللسانية والمعاجم اللسانية، مثل قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي 1984 لجنبوا أنفسهم تجشم الخوض في المسالك الوعرة ولا أنتجوا لنا نصا نظمئن مقاربته إلى مقاصد سوسير.

كانت الجوانب الإيجابية لهذه الترجمة أنها أرفقت بخمس ة أنواع من الحواشي والتي تظهر كآلاتي «(سوسير) وهي التي وردت في مذكراته، و(بالي) وهي التي ذكرها طالبه، (باسكن) وهي الملاحظات التي أبدها مترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية، وملاحظاتي التي وردت تحت لفظ(المترجم)، وملاحظات المراجع مالك المطبوع التي وردت تحت لفظ(المراجع).»¹ وهي إضافة خلت منها الترجمة السابقة، وساهمت في توضيح الكثير من المسائل في الكتاب، كما أن المترجم أرفق النسخة بمقدمة بالي وزميله، كما ذيل عمله بتثبيت مصطلحي لساني عربي.

ثالثا- الترجمة العربية التي اعتمدت النص الفرنسي:

1- الترجمة السورية:

ما ميّز هذه الترجمات هو استعانتها بالأصل الفرنسي وتمكن مترجميها من اللسان الفرنسي، وسنبداً مع الترجمة السورية التي ظهرت في 1984م، وقد أنجزها كل من يوسف غازي ومجيد النصر وجاءت تحت عنوان محاضرات في الألسنية العامة لفردينان ده سوسير، ومن مزالق هذه الترجمة أن صاحبها أنجزها بتسرع، ربما لمعرفتهما بالمشاريع الموازية، والرغبة في السبق وتوفير نسخة في المكتبات، وكان من نتيجة ذلك « فوضى المصطلحات، وانعدام ثبت يوضح مقابلها بالفرنسية، والأفدح من ذلك تحريفها للنص

¹ - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص47، 48.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

الأصلي ومناقضة معناه ومقصده في أبسط جوانبه، ولقد بلغت العجلة بالقوم أن ترجموا أظهر الأخطاء المطبعية التي يمنع من الوقوع فيها أدنى تأمل في النص.¹

كان من أكثر الأخطاء هو اسم سوسير الذي ترجم بفردينان ده، وعليه تكون هذه الترجمة انتهجت نفس خطة النسخة الفلسطينية في الترجمة الحرفية وكثرة الأخطاء وضعف الجهاز المصطلحي بالإضافة إلى ركافة الأسلوب، لذلك لا يصح الاعتماد عليه.

2- الترجمة المغربية:

أما الترجمة المغربية فقد أنجزها عبد القادر قنيني وقام بمراجعتها أحمد حبيبي وصدرت في عام 1987 م، ولقد استهلت الترجمة بتصدير لم يحمل توقيع صاحبه، وتضمن تنويعها بموقع سوسير في اللسانيات الحديثة والعلوم اللسانية بإطلاق، ونحا المترجم ما نحا يوسف غازي ومجيد النصر من إيراد الأمثلة نفسها التي اعتمدت في النسخة الفرنسية، كما أنه أرفد العديد من العناوين والمصطلحات بمقابلها الفرنسي.²

3- الترجمة التونسية:

الترجمة التونسية فقد جاءت معنونة بـ "دروس في الألسنية العامة" تأليف فردينان دي سوسير، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، وإشراف صالح القرماضي، إصدار الدار العربية للكتاب عام 1985، ولقد أحرنا هذه الترجمة رغم سبقها التاريخي للترجمتين السابقتين، لأننا أردنا أن نختم هذا المبحث بالأحسن والأنسب لمن كان يروم الوقوف على أفكار الكتاب، فقد أجمعت كل المراجعات التي عكفت على التقويم النقدي للترجمات الخمس على أن الترجمة التونسية هي الأجدر بتمثيل النسخة العربية من الكتاب، ولا عجب في ذلك فقد سعى المترجمان تحت إشراف صالح قرماضي ولمدة سبع سنوات على دقة المعنى والإتقان في الأسلوب والجودة في المحتوى، وكان الجهد المبذول واضحاً في ثنايا الكتاب، فقد قسم كل

¹ - عز الدين المجذوب، حول ترجمة رابعة لفردينان دي سوسير، ص 47، 48.

² - ينظر: حسين السوداني، ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات، ص 21.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

من محمد شاوش ومحمد عجينة فصول الكتاب بينهما، ثم لمدة عامين تمت مراجعته في شكل جلسات مع الأستاذ القرماي سطرًا سطرًا بل كلمة كلمة.¹

كما تبرز جودة العمل في مراعاة خصوصية الفكر السوسيري، فكان غرضه من هذه الدروس هو الإشارة إلى قصور المدرسة المقارنة والتاريخية في تحديد موضوع اللسانيات، علاوة على العطب في جانب المصطلحات، وهذا ما دفعه إلى ضبط حدود المفاهيم وتصنيف مختلف الظواهر اللسانية، وكانت صيغة الكتاب مراعية لخصوصية السياق المعرفي، وواعية بالاستعمال الخاص.

من أوجه الاجتهاد أيضا تيسيرهم على القارئ العربي عنصر الشواهد والأمثلة التي استعان بها صاحب الكتاب، وذلك بالعمل على إيجاد البديل العربي لها تارة أو ترجمتها كل ما تعذر إيجاد البديل العربي لها، بالإضافة إلى إدراج قائمة بالرموز الصوتية وذلك لاعتماد الكتاب على الأمثلة القائمة على الجانب الصوتي، كما أن صفحات الكتاب قد رقت ترقيما مزدوجا لتيسير الرجوع إلى النص الفرنسي، فضلا عن ثبت مصطلحي باللسان العربي والفرنسي والإنجليزي، كما أرفق العمل بمقال للأستاذ قرماي بعنوان أمهات نظريات فردينان دي سوسير للإلمام أكثر بحوثات النشرة، « كما كانت الترجمة صحيحة الأسلوب بعامة، ولم يكتف المترجمون بترجمة كلمات الجملة الأصلية كما رأينا في الترجمة العراقية والسورية بل حاولوا صوغ الفكرة ذاتها في جمل عربية سليمة حتى لو دعا ذلك إلى التقديم والتأخير وإضافة كلمات ليست موجودة في النص الأصلي، فكانت بمثابة صياغة عربية لأفكار النص الأصلي.»²

لذلك استحققت الترجمة التونسية كل هذا التقدير والاحترام، وكانت الصفوة في الترجمات الخمس، وهي أداة يمكن الاطمئنان لها في الاطلاع والتدريس.

¹ - ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 7.

² - حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية (ثلاث ترجمات لمحاضرات دي سوسير).

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

غير أنه هناك بعض مواطن النقص من الضروري الإشارة إليها¹:

-خلوها من فهرس للأعلام والمفاهيم.

-أما بالنسبة إلى المصطلحات فما يمكن أن تؤخذ به هذه الترجمة حفاظها على مصطلح السنوية مقابل *linguistique* والحال أن ندوة عربية أقرت مقابلا له وهو اللسانيات، فكان الواجب المساهمة في توحيد المصطلح اللساني.

-لم يذكر المترجمون أية معلومات توثيقية عن الكتاب وهي ضرورية جدا، كما أنهم لم يستفيدوا من بعض النشرات الأخرى للكتابوهما: Tullio de وRudolf engler1973. Mauro 1967.

- نقائص هذه الترجمة خلوها من مقدمة الناشران رغم أنهما أشارا إلى بالي في مقدمتهما وفي الحواشي قاموا بتدوين ملاحظاتهم، وقد خلت منها الترجمتان السابقتين رغم اعتمادهما على الأصل الفرنسي، ويفسر حسن السوداني غياب تعريب هذه المقدمة الوجيزة في ثلاث ترجمات، هو الحرص على تلقي النص الجاهز المكتمل، أما نشأته ومراحل تكوينه وتقلباته الجنينية وما سبق تشيد معماره من حفريات ثم ما رافق الإرساء من تعديلات، فإن كل ذلك مما نحن أقرب من الملل منه أو الضيق به، فالكثيرون في واقعنا الثقافي لا يسلمون بأن هوامش النص ومرفقات البحث هي المستودع لأسرار الحقيقة العلمية في أدق شقائنها المعرفية، وهي التي تقي القارئ مزلق العجلة في الفهم كما تقيه فرط الإبطاء فيه.²

¹ - ينظر: عز الدين المجدوب، حول ترجمة رابعة لفردينان دي سوسير، ص53. حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية (ثلاث ترجمات لمحاضرات دي سوسير).

² - ينظر: حسين السوداني، ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات، ص20.

محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها

من الإشارات القوية التي تستجلي واقع الترجمة اللسانية في الثقافة العربية هي مراجعة عبد السلام المسدي التي كشفت عن مجموعة من النقائص في الترجمات الخمس ويمكن تلخيصها في نقطتين هما:¹

1-للتواءم أي واحدة من الترجمات الخمس في صيغة العنوان مع أي واحدة من الباقيات.

2-الاختلاف في تسمية فردينان دي سوسير، بشكل يطابق الصورة التي كتبها أي مترجم من الباقيين.

مما نسجله من ملاحظة بعد هذا التتبع الموجز لآليات الترجمة في النسخ الخمسة، وقوف الترجمة التونسية على صرامة العملية وواعيهم الكامل بأنها الحسنة الخائنة، وهذا ما دافعهم طوال سبع سنوات إلى مراعاة الحدود الفاصلة بين النص الأصلي واللسان الهدف، فتمكنوا من توفير صيغة عربية لصاحب الكتاب وأسسوا قناة لإطلاع الباحث العرب على أفكاره الرائدة، ورغم بعض الأخطاء القليلة التي وقعت فيها الترجمة إلا أن هذا لا يقلل من قيمة المحتوى ولا الجهد المبذول.

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، نقلا عن يمينة حاج هني، ترجمات كتاب دي سوسير في ميزان النقد، ع2، جسر المعرفة، الشلف، 2021، مج7، ص404.

الفصل الثاني

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

المبحث الأول: العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات

المبحث الثاني: المخطوطات المكتشفة في بستان البرتقال

المبحث الثالث: الإرث الأدبي في الفكر السوسييري

المبحث الرابع: الشيوصوفيا والشعر العربي في مراسلات

سوسير

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

تمهيد:

بعد مرور أكثر من قرن على ظهور كتاب محاضرات في اللسانيات العامة لا يزال سوسير يحير أذهان المفكرين، كلغز أبي أن يحل أو أحجية استعصت أحجارها أن تفتح، ففي الوقت الذي نادى فيه مجموعة من الدارسين بموت المدرسة البنيوية ونعي الفكر السوسيري خاصة مع ظهور المدرسة التوليدية التحويلية، وكان الأستاذ وسط هذه الضوضاء يضحك في صمت، إلا أن تحول هذا الصمت إلى ثورة ثانية في منتصف القرن العشرين، فبعث من جديد من رفات نصوص محاضراته كطائر الفينيق الذي لا يحترق إلا ليظهر أكثر جمالا وقوة، فبعثر من جديد رفوف الدرس اللساني، وكشف عن أوراق لعب جديدة من خلال المخطوطات المكتشفة التي تم تسليمها من طرف عائلته إلى المكتبة العمومية بجنيف وبيع جزء منها إلى مكتبة هارفارد، وتمت إعادة تحقيقها ونشرها من قبل حركة السوسيرية الجديد.

شاءت الأقدار أن تتزامن مع هذه الجهود ظهور مخطوطات جديدة تم اكتشافها في بستان البرتقال التابع إلى آل سوسير سنة 1996، ومع كل هذه المستجدات ظهرت حركة في البلدان الغربية تدعو إلى ضرورة العودة إلى سوسير وإعادة فهم نسق تصوراته وفق المخطوطات المكتشفة التي تعتبر اكبر ممثل لمذهبه الفكري، وقد زحفت هذه الحركة إلى كل الأمصار، وكانت هذه الثورة السوسيرية الثانية لجسد ميت وفكر حي خلال نفس القرن.

كم كان الاحتفاء كبيرا بهذا الإرث الذي يمثل الخلاص الأبدي والإرث المسيحي المخفي والسر الأعظم الذي اكتشفه بعد عقود من الانتظار تخلصها يأس ونسيان، وسنعمل في هذا الفصل على دراسة المخطوطات المكتشفة التي تم تسليمها من طرف عائلته، والمواضيع التي كانت تدور حولها، بالإضافة إلى الجهود التي بذلها روبرت غودل وألبرت أنغلر وتوليو دو مورو وكذلك كوماتسو... إلخ في شكل حركة أطلق عليها مصطلح السوسيرية الجديدة، سعت إلى نقد وتقويم نشرة 1916 وفق دفاتر أفضل طلبة سوسير، كما سنتطرق إلى الوجه الآخر للأستاذ

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

المبحث الأول: العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات

أولاً- مفهوم العودة إلى سوسير:

تم إطلاق العديد من التسميات على التحقيقات التي قام بها غودل ومن تلاه لإعادة تمثيل المتن السوسيري، فهناك من قرننها بمصطلح "السوسيرية الجديدة"، وهناك من اصطلح على تسميتها بـ "سوسير من جديد"، وهناك من سمها بـ "سوسير في المستقبل"، غير أن العبارة التي نالت شهرة أكثر من غيرها في الأوساط العلمية هي عبارة "العودة إلى سوسير"، وكل هذه التسميات تصب في نفس المنبع، وهو أن هذه العودة لن تكن عودة تاريخية مع سوسير الذي عاهدنه واقرنت تصورات في أذهاننا بنشرة 1916م، بل هي عودة إلى أصل التجربة، ومع أنها عودة إلى دهاeliz الماضي غير أن تأثيرها في المستقبل، وكان الظهور الأول لعبارة "العودة إلى سوسير" من خلال مقال لشيس L.CHISS نشر في 1976م يحمل عنوان: "الآني والتعاقبي: المنهجية والنظرية في اللسانيات".¹

لعل القارئ العربي يسأل: العودة إلى سوسير؟، ألم نتجاوز حدود نشرته منذ عقود؟، ألم تصبح تصورات المنهجية ذكرى من عبق التاريخ؟، هل هي عودة إلى التصور البنيوي الصارم الذي استتفز مقومات الدرس اللساني؟، أو هو اجترار لمضامين النشرة وتوسع في تحليل أفكار صاحبها؟.

نعم هي عودة إلى كل ما سبق ذكره، لكنها هذه المرة عودة إلى أصل التجربة السوسيرية، عودة إلى الأستاذ الحقيقي وليس التمثال المزيف، فمنذ تحقيقات غودل بحضرة تاريخ الفيلولوجية السوسيرية، التي برهنت بكل ما تحمله الكلمة من معنى على مدى التباين بين سوسير الرسمي وغير الرسمي، والأدهى أن سوسير الرسمي تم تمثله أكثر فأكثر باعتباره غير كاف لتمثيل سوسير الحقيقي، حيث يعتبر خائن، إن صحت العبارة للفكر السوسيري الأصيل، هكذا يحضر السجال بين سوسير الأصلي وسوسير المتخيل، لقد طبع

¹ - ينظر: L.chiss, synchone/diachronie :Méthodologie et théorie enlin- guistique نقلا عن يونغ

هوشي، العودة إلى سوسير، تر: محمد الملح، مجلة العمدة، المغرب، ع5، 2018، ص160.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

هذا السجل كل الدراسات ذات المنحى الفيلولوجي حول سوسير، وأول من أطلق العنان لهذا السجل المذكور هو جاجر Jager في مقال بخصوص التصور التاريخي للسان 1976م.¹

ذلك راجع لأنه من الصعب إسقاط سوسير البنيوي على سوسير المتخيل دون إزعاج الوعي التاريخي، أليس من الضروري الإقرار مع ك. نورمان Nourmand أن سوسير البنيوي المعروف من خلال "الدروس"، يعتبر سوسير الحقيقي تاريخياً؟، من المؤكد أن سوسير البنيوي لا يمثل بشكل تام سوسير الحقيقي، لكن الحقيقة هي أنه هو الذي أكمل بطريقة رائعة مهمته التاريخية، من جهة ثانية، من الصعب أن نطالب بسوسير أصلي، طالما أنه لا يدافع عن نفسه بكلامه، إننا لا نمتلك وسيلة فعالة تجعله يتكلم، لتخرجه من صمته الأزلي.²

ذلك راجع إلى أنه حتى في هذا الاستجواب التاريخي ليس سوسير نفسه الذي يدافع عن نفسه، لكن كل واحد منى يقدم مرافعته الخاصة انطلاقاً من وجهة نظره، بعد فحص المصادر المخطوطة، والمنشورات الحديثة، ولكن يبقى ذلك أفضل من لا شيء، فنحن بمقاربتنا لفحوى توقيعاته نكون أمام سوسير الواقعي وليس المتخيل.

إن هذه العودة فيها حماية لفكرنا من مخاطر نشرة 1916، كما أنها تسلط الضوء على موضوع حديث العهد في الثقافة العربية، هي ليست قراءة في فكر سوسير الفيلولوجي فقط، بل قراءة أيضاً في دفاتر سوسير الأدبية الغنية بمباحث في الجنس التصحيفي والحكاية الخرافية والأسطورة، والأهم من ذلك كله هي اللسانيات العامة وفق الطرح السوسيري، وليس كما تم تقديمها في النسخة الشائعة، بل في سياق القراءات النقدية الجديدة التي عملت على إقامة تحليلات وتحقيقات شاملة لمصادر المحاضرات، والأكثر أهمية المصادر المخطوطة.

¹ – Jager, Ferdinand de Saussure historisch – hermeneutische, idee der sprache, ينظر: نقلا عن

يونغ هوشي، العودة إلى سوسير، ص 161

² – Nourmand, C. la coupure Saussurienne. ينظر: نقلا عن يونغ هوشي، العودة إلى سوسير، ص 161،

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

ثانيا -مخطوطات مكتبة جنيف وهارفارد

1-مخطوطات مكتبة جنيف:

منحت عائلة سوسير المكتبة العمومية بجنيف مجموعة من المخطوطات السوسيرية، ثم سلم ابني سوسير جاك وريموند المكتبة نفسها في سنة 1955م مجموعة جديدة من مخطوطات أبيهما، ويقدر عددها بنحو عشرة آلاف ورقة، تتناول موضوعات وقضايا فكرية متنوعة تجمع بين اللسانيات والألسن القديمة والأدب الهوميري واللاتيني والفيدى والنقد والتاريخ وتحليل الحكاية الخرافية والأساطير وغيرها.

ويمكن تقسيم موضوعات المخطوطات إلى أربعة محاور رئيسية وهي:¹

أ-اللسانيات العامة.

ب-الجناس التصحيفي.

ت- الحكاية الخرافية.

-اللسان السنسكريتي وآدابه.

ويمكن تقسم هذه النصوص الموجودة إلى ثلاث فئات²:

الفئة الأولى: نصوص توقيع سوسير، ومن بين هذه النصوص عدد قليل جدا من النصوص المكتملة، هناك مخطوطة حول دروسه في القواعد المقارنة (نوفمبر 1891)، ودفاتر الأمثال التي يمكن اعتب ارها نصوص مكتملة، بجانب ذلك يوجد عدد كبير من المسودات، ومخطوطات الفصول، والملاحظات المتناثرة لكتاب مستقبلي، والملاحظات التي تم تدوينها لدورات جنيف في اللسانيات العامة، ويمكن تأريخ معظم هذه النصوص بدقة)

¹-ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص129، 130.

² -Simon Bouquet, la linguistique générale de Ferdinand de Saussure: texte et retour aux texte.texto!décembre 1999 (en Lyne) disponible sur: <http://www.revie-texte.net/> Saussure/Bouquet - linguiste - gen .h Tm l (consultée le 21- 12- 2021).

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

تتراوح بين 1891م و 1912م)، يتم الاحتفاظ بالغالبية العظمى منهم في المكتبة العامة والجامعية بجنيف.

الفئة الثانية: وهي تدوينات الطلبة خلال الدورات الثلاث في مقرر اللسانيات العامة، ويوجد اليوم نسختان لدورة 1907م؛ وثلاث إصدارات لدورة 1908م و 1909م، وخمسة نسخ لدورة 1910 و 1911م.

الفئة الثالثة من النصوص: النص الذي كتبه بالي و سشهاي بعنوان محاضرات في اللسانيات العامة.

إضافة إلى مستندات تم شراؤها في عام 1988م، ونتيجة للعمل الذي قام به كلود دو سوسير عام 1996، تم اكتشاف أوراق أخرى في الخزانة في Orangerie، وتم تسليم هذا الأوراق والتبرع بها إلى المكتبة من قبل السيد برتراند دو سوسير وكلود دو سوسير، وفي عام 2008 تبرعت السيدة كريستين دو سوسير للمكتبة بمجموعة من المخطوطات، وهي عبارة عن أوراق شخصية تشمل المراسلات والأعمال والأوراق العلمية، وعمل كل من روبرت غودل ورودلف أنغلر وفرانسوا واستر على تصنيف وجرد الأوراق التي دخلت المكتبات في الخمسينيات والستينيات، وفي بداية القرن الحادي والعشرون، كان البحث الذي يعتمد على المخطوطات وأرشيف سوسير حيويًا ومثمرًا للغاية.¹ كما أن هناك جهود لتوفير نسخة رقمية من مخطوطات فردينان دو سوسير

2-مخطوطات مكتبة هارفارد:

تمكنت مكتبة هتون وهي إحدى مكتبات هارفارد في عام 1967م من شراء مجموعة من المخطوطات لسوسير من الدكتور ريموند دو سوسير، وأصبح هذا الشراء ممكناً بفضل تدخل رومان جاكسون، ومخطوطات هارفارد تعادل بشكل جوهري فهمنا لسوسيري، فإنه

¹ ArchivesFerdinanddeSaussure, bibliothèquedeGenèvemanuscritsetarchivesprivées, fondshttps://archives.bge-geneve .Ch .22-12-2021.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

يتعين على المرء أن يلاحظ على الأقل أهميتها اللسانية والتاريخية، وهي تغطي خمسة وثلاثين عاما من حياة سوسير من عام 1872 إلى 1907¹.

تم وضع أوراق التوقيعات التي يبلغ عددها ستمئة ورقة في صندوق أسود يحمل علامة (F.Saussure linguistic papers 1857-1913)، وكان طريق الوصول إلى هذه المخطوطات هي النسخة التي نشرها هيرمان باريت في (de Saussure Mss Harvard cahiers Ferdinand) وهي تقدم نسخا خطية لمجموعة مختارة من التوقيعات، وهي مفيدة كإصدار أول وكلمحة عامة عن مخطوطات هارفارد².



Fig. 2 : Harvard Houghton Library bMS Fr 266,
« Saussure F. de 1857-1913 Linguistic Papers »

¹ - Herman Perret, Réfections saussuriennes sur le temps et le moi les manuscrits de la Houghton Library à Harvard, linx, paris, N1,1-12-1995, p1.

² - Guiseppe d ottavi genèse d un écrit Saussure : de la théosophie à une approche de la subjectivité, presse universitaires de paris Sorbonne(PUPS), 15-11-2012, p130, 131.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

يذكر جاكبسون أهمية هذه المخطوطات في مقال صدر له عام 1969م، وفي ذلك يقول: تمثل هذه المواد المكتشفة حديثاً، مصدراً لا يقدر بثمن للدراسات الشاملة المستقبلية لإرث الباحث الذي لا يزال حيواً، تقدم كل هذه المستندات والملاحظات وصفاً تفصيلياً، ومن الواضح أن العديد من هذه البقايا تتطلب إصداراً نقدياً، ومن المعلوم أن الرسالة المخطوطة حول (علم الأصوات) تتطلب نشرها بالكامل وبغناية، والهدف المتواضع لهذه المقالة هو مجرد لفت انتباه اللسانيين إلى مخطط سوسير المنهجي وموقفه الأصلي من الأسئلة الأساسية في علم الأصوات العام، من الجدير بالذكر أنه في بعض النواحي تختلف وجهات النظر في هذه المخطوطة عن التصريحات السوسيرية المتاحة حتى الآن للقراءة.¹ ويركز سوسير في أغلب دفاتر هذه المخطوطات على علم الأصوات وكل ما يمد له بصلة.

يبدو أن سوسير كان مهتماً كثيراً بموضوع الصوت والذي كان حجر البناء في تأسيسه لللسانيات الحديثة، كما أنه كان من أبرز سمات عصره، أما المجال الآخر الذي حظي باهتمام كبير من قبل سوسير هو علم الميثوغرافيا (الأسطورة) الذي درسه في الثقافة الهندوسية، وكان اهتمام سوسير أوسع بكثير من اللسان السنسكريتي، فقد قام بتطوير مفهومه للمشكلات الكلاسيكية في علم الأنثولوجيا (على سبيل المثال غياب المعنى التاريخي في الهند، وشفوية الأساطير الفيدية، وغياب المتغيرات)، ويظهر قبل كل شيء اهتمامه الكبير بالأساطير الفيدية.²

والقضايا التي اشتغل عليها سوسير في هذه المخطوطات هي:³

-الصوت شكله ومضمونه، فسيولوجيا وفيزياء الصوت، أهمية الصوت، النية والإرادة وقت الصوت، ونظرية المقطع.

¹ - Herman Perret, Réflexions saussuriennes sur le temps et le moi les manuscrits de la Houghton Library à Harvard, p1.

² - idem, p2.

³ - idem, p2.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

- الأساطير (جوهر الفكر الهندوسي، الجوهر والأشكال في الكارما)، الفيدا (العناصر العامة، الممثلون والشخصيات) .

أما باقي أوراق المخطوطات فقد جاءت تدرس مواضيع متنوعة، منها مقال حول اختزل الكلمات اليونانية واللاتينية والألمانية إلى عدد صغير من الجذور، ويجب أن نذكر أيضا انعكاسات سوسير المنهجية إلى حد ما فيما يتعلق باللسن معينة، كالأرمينية والليتوانية واليونانية واللاتينية، وقبل كل شيء من الواضح اهتمامه الشديد بالسكسكيتية، كما أنه يقترح وصفا لبعض الخصائص النحوية (في النحو والمعجم)، وحتى أنه ينطلق في الاعتبارات الدلالية بهذه الألسن.¹

تقدم كل من جامعة جنيف وجامعة هارفارد منجما حقيقيا سيؤثر بشكل مباشر على مسار الدراسات اللسانية المعاصرة، ورغم أن جزء من هذه المخطوطات عبارة عن ملاحظات متناثرة، ومجموعة من القصاصات، وأوراق يبدو أنه يمكن جمعها تحت موضوع واحد، غير أنها عبارة عن لوحة فنية ممزقة يمكن بشيء من التدقيق العميق جمعها في إطار شامل وموحد.

ثالثا: جهود رواد السوسيرية الجديدة:

إن حركة العودة إلى سوسير لم تنبثق من اللاشيء، أو كانت وليدة الصدفة، بل هناك من همس في أذهان اللسانيين السويسريين بوجود معالم الخيانة الكبرى في نشرة 1916م مع رواد المدرسة البنيوية، فتهمهم كما مر بنا سابقا ميه وبول وغيرهم الكثير عن عجزهم في كثير من المواطن عن إيصال فكر أستاذهما في صورة أمينة، وهذا الأمر نتيجة حتمية للخلفيات التاريخية التي شهدتها ظهور الكتاب إلى النور، وكان التشكيك في عمل الناشران من المحرمات التي يجب قمعها، لذلك بقيت النشرة لفترة طويلة الوثيقة الوحيدة الموصلة إلى

¹- Herman Perret, Réfections saussuriennes sur le temps et le moi les manuscrits de la Houghton Library à Harvard, p2.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

دهاليز الفكر السوسيري والموجه الأساسي للتيار البنيوي الصارم، والقائد المحرك لأغلب تصورات الأحزاب اللسانية.

« ويبدو أن سلطة بالي المعرفية وعلاقته الشخصية بسوسير ومكانته العلمية في الأوساط الجامعية الأوروبية وعلاقاته بكبار لسانيي الحقبة تحكمت إلى حد كبير في رسم مسار الكتاب المنسوب إلى سوسير قبل نشره وبعده، لقد استطاع بالي أن يبعد الكتاب عن أي مقارنة نقدية تروم تحقيق دفاثره، وتبحث في تدقيق طبيعة علاقته بمصادر المخطوطة، ولم يقم بالي بأدنى جهد من أجل توضيح نشرة 1916م لدروس سوسير في اللسانيات، وينير ما غمض فيها.¹»

اعترف الناشران في مقدمة الكتاب بإعمال فكرهما في تحرير فقراته إذ يقولان « إننا نتحمل كل المسؤولية في النقد بالنظر إلى المؤلف نفسه، الذي ما كان له ربما ليوافق على نشر هذه الصفحات، وتلك مسؤولية قد نتحملها دون غيرنا، ويجب على آلة النقد أن تميز بوضوح بين المعلم ومؤولي كلامه، لذا فنحن أولى بتحمل ضربات النقد الموجعة، إذ من غير الصواب تلقي ذلك في سبيل فكر ثمين كهذا.²»

إذا فالنشرة ما هي إلا تأويل عن تأويل مجرد لتصورات سوسير اللسانية، مر فكر سوسير أولاً بأذهان المستمعين الذين تتفاوت مستوياتهم الإدراكية في تأويل وتحرير ما يلقي على أسماعهم، ثم تلت هذه العملية تأويل الناشران لسطور هذه المتون، كيف يمكننا أن نقبض على فكر سوسير في ظل هذه المعمة الفكرية، ووسط هذه الضبابية التي صنعت نشرة 1916م؟، وهل القراءات الجديدة التي انطلقت من دفاثر الطلبة والوثائق الأصلية التي تحمل توقيع الأستاذ تعبر بصدق عن تصورات سوسير أو تؤثر في اللسانيات المعاصرة؟.

¹ - روي هاريس، سوسير ومؤلوله، نقلا عن مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916م)

قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول، مجلة أنساق، جامعة قطر، مج2، ع1، فبراير 2018، ص137.

² - عبد القادر فهم شيباني، أسرار التأليف " هكذا سمعنا المعلم في الكتاب: محاضرات في اللسانيات العامة"، ع6، مجلة أيقونات، الجزائر، 2018، مج6، ص 15، 16.

1: جهود روبرت غودل (Robert Godel):

تأتي بشائر الفرج لتبشر بفك أحجار الأحجية وتكشف ما ستره الزمن في المتن السوسيري مع رواد المرحلة الثانية، والتي أصبحت تعرف في المحافل اللسانية بـ "السوسيرية الجديدة"، وبزغ نجم هذه المرحلة مع روبرت غودل أحد أعمدة التيار البنيوي، الذي اتخذ من هذه الشكوك مشعل للبحث عن فكر سوسير، ففي عام 1957م نشر العالم اللساني السويسري روبرت غودل رسالة دكتوراه بعنوان "الأصول المخطوطة لكتاب المحاضرات في اللسانيات العامة"، تعهد فيها بالعثور على المصدر الدقيق لكل فصل أو فقرة أو قسم فرعي من النص في ضوء المادة الأصلية التي عالجها الناشران، وكانت النتيجة كتاباً من 281 صفحة يراجع فيه حوالي 1000 صفحة من دفاتر الطلبة، و 200 صفحة من محاضرات سوسير المكتوبة بخط اليد، وبعد سرد ووصف الوثائق المحفوظة في المكتبة العامة والجامعية في جنيف، يلخصها غودل ويذكر ضمن ملخصاته اقتباسات من النسخ الأصلية عندما يرى أنها ذات أهمية خاصة، ثم يقارن هذه المصادر بالمقاطع ذات الصلة في الدورات الدراسية في اللسانيات العامة، وأخيراً يعالج مشاكل التفسير التي كان على الناشرين حلها عندما واجهوا تناقضات بين نصوص الطلبة والتقلبات المفاهيمية والمصطلحات الخاصة بسوسير من عام إلى عام كما تشهد عليه ملاحظاته.¹

سعى غودل في عملية بحثه عن الحقيقة للوصول إلى أسماء الطلبة الذين تابعوا الدروس، وبعد المحاولات التي أجراها ليوبولد غوتيه بطلب منه، تمكن من إعادة تشكيل قوائم الطلاب المسجلين في الدورات اللسانية طوال ثلاث سنوات، وكان يحمل المقرر الأول في اللسانيات العامة (1907م) خمسة أسماء، وفي المرحلة الثانية (1908-1909م) كان هناك أحد عشر طالبا مسجلين في بداية الفصل الشتوي، وللأسف الثالث (1910م-1911م) اثنا عشر طالبا، كان العديد منهم أجنبيا، اضطروا إلى مغادرة جنيف بعد اجتياز امتحاناتهم، كما أنه ليس من المؤكد أن جميعهم تابعوا الدورة التي سجلوا فيها خلال فصلين

¹-Paul boussac, Saussure A guide for the preplaced, p123,124.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

دراسيين، وأكثرهم لم يحتفظ بدفاتره، لكن نتيجة هذا الجهد كان غودل أول من عرف بوجود دفاتر قسطنطين.¹

ذكر غودل في المصادر المخطوطة والمتعلقة بالمحاضرات أسماء الطلبة الذين استمعوا مباشرة إلى سوسير وعدد دفاترهم وعدد الصفحات حسب أعوام الدروس²:

أ-دروس العام الأول (1907م).

-ريدلنغر: 3 دفاتر مكونة من 100 صفحة و 98 صفحة و 72 صفحة.

ب-دروس العام الثاني (1908م-1909م).

-ريدلنغر: مَحْفَظَة من 462 صفحة.

-غوتيه: 6 دفاتر من 240 صفحة.

-بوشاردي: 4 دفاتر من 301 صفحة.

ج- دروس العام الثالث (1910م-1911م).

-دوغالييه: 8 دفاتر من 283 صفحة .

-جوزيف: 5 دفاتر (منقوصة في جزء منها).

-السيدة سشهاي، مَحْفَظَة من مائة وأربعين (140) صفحة.

قدم غودل لأول مرة ملحوظات فيلولوجية دقيقة تمس طبيعة مكونات المادة النصية التي ألف منها نص المحاضرات، والطريقة التي تبنى بها وكيفية عرضه للقضايا اللسانية موازين بالمصادر التي اعتمدها بالي وسشهاي، واستطاع غودل أن يحدد بدقة متناهية مصادر المخطوطة التي شكلت نص المحاضرات فصلا فصلا، وفقرة فقرة، وأحيانا جملة جملة.

¹-R. Godel, nouveaux documents saussuriens, langages, Genève, n16, 1958, p23,32

²- ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص221.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

وحدد غودل لعمله جملة من الأهداف أبرزها¹:

- تقديم نبذة موجزة عن المصادر التي اعتمدها الناشران في إخراج طبعة 1916م.

- ضبط مصادر نص دروس في اللسانيات العامة.

- تحديد دور الناشرين في بناء نسيج أقسام نص دروس وفصوله وفقراته، مع توضيح مستوى تدخلهما في إعادة بناء تصورات سوسير وتأويلها.

- الإشارة إلى المصادر والمواد المخطوطة التي أغفلها الناشران.

- دراسة مضامين المخطوطة في ذاتها والمقارنة بينهما لاستخلاص مراحل تطور فكر سوسير وتنوع أسلوب تعبيره عن كل مرحلة على حدة شكلا ومضمونا.

- تحليل أهم المبادئ والمفاهيم التي تمثل أصالة إسهام سوسير في دراسة اللسان والإشكالات المرتبطة بها.

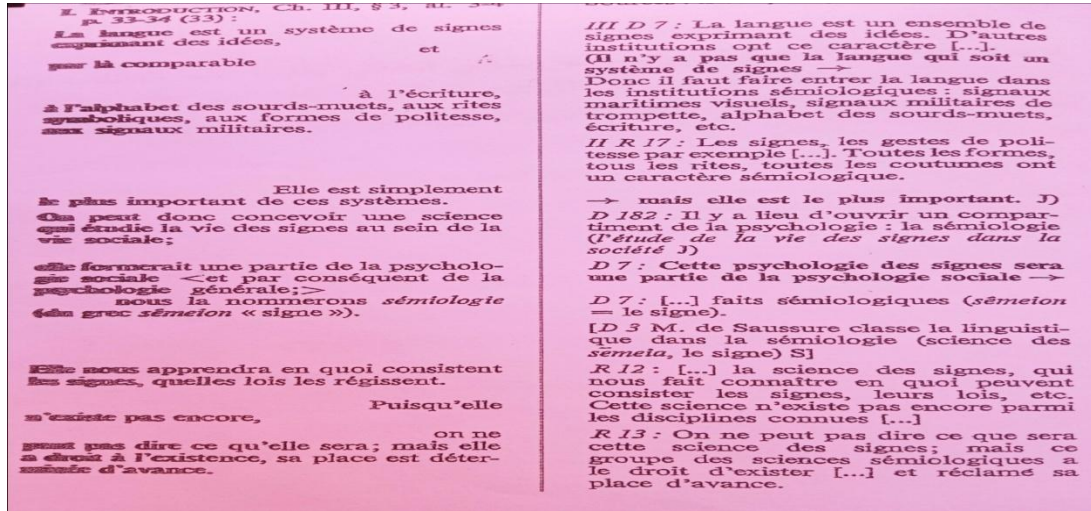
يتعلق الأمر بالقضايا والمفاهيم الواردة في مقدمة نص دروس، كذلك في الفصلين الثالث والخامس والقسمين الأول والثاني من النص نفسه.

كان هذا الفحص النقدي الذي تجرأ غودل على القيام به في كتاب يعد من أنفس إنتاجات الفكر اللساني، الخطوة التي رسمت منعطف جديد في خريطة الفكر السوسيري وأثرت على مسار الدراسات اللسانية والأدبية، أفضت الضباب الذي خيم على مفاهيم سوسير وتصورات الأساسية، وأعاد غودل بعمله هذا فتح باب من النقاش والجدل الثري، الذي أغلق من زمن حول القيمة التأسيسية لأفكار سوسير الجديدة وقام بإضفاء الشرعية على نظريته.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص218.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

وهذا نموذج لمقابلة نص دروس ببعض مصادر المخطوطة حسب غودل:



على الرغم من المكانة البحثية التي احتلتها هذه الدراسة الصارمة، غير أنه لا يزال هناك مجال للشك، فإن كان لدينا الكثير من التحفظات على عمل بالي وششهاي، من مثل إعادة البناء على أساس مصادر غير متجانسة ومجزأة لفكر الأستاذ، فهل هذا الأمر يجعلنا نطمئن إلى عمل غودل ونسلم بعقول مرتاحة ونفوس راضية أننا بصدد الفكر السوسيري؟، هل يمكننا القول أننا أخيراً استطعنا الوصول المباشر إلى تصور سوسير للسانيات العامة؟، هل ينقل هذا العمل صوت الأستاذ؟.

ليمكننا أن نصمت ذلك الهاجس، ذلك الصوت الذي يهمس بقوة، بأن هذا البحث كان يهدف في الأساس إلى تقديم ملامح رئيسية للبرنامج المعرفي السوسيري، غير أن المزج وإعادة الصياغة من دفاتر الطلبة، ومسودات تحضيرية، وملاحظات عابرة تجعل من الصعب الوثوق التام، فيما يجسده العمل من أمانة للفكر السوسيري الحقيقي، والقول أو الدعوة بأنه المرجع الأصلي لمحتوى اللسانيات السوسيرية غير صحيح، لأن عمله في الأصل نتيجة شك أدى إلى إنتاج بحث أجراه متخصص موجه إلى متخصصين آخرين، وهو نفس صنيع بالي وششهاي بالضبط، غير أن دراسة غودل كانت أكثر تحرياً للدقة العلمية وأعمق فهماً في تأويل المقاصد السوسيرية، سعياً إلى الأمانة في النقل قدر المستطاع، غير أننا إذا سلمنا بعقول مغمضة أن هذه الرسالة تكشف لنا دهايز الفكر السوسيري نكون بهذا الاعتقاد قد ظلمنا الأستاذ للمرة الثانية.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

ظل هذا العمل لمدة أربعة عقود من الزمن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى النصوص الأصلية المنشورة من قبل سوسير، وبديل نموذجي للنشرة، اعتمدت عليه جل الإصدارات في سياق هذه الحركة.

يعتبر ما ميز عمل غودل المعرفي الذي أعاد تمثيل المتن السوسيري، هو عمله وفق خطة استقرائية تروم الدقة وتتوخى الأمانة العلمية البحث في رسم ملامح المتن السوسيري الحقيقي، كما ميز عمل غودل اعتماده في تحقيق مصادر المخطوطات على أنجب طلبة سوسير وهو إميل قسطنطين (Emile Constantine).

كان قسطنطين ملتزماً بحضور المحاضرات طوال سنوات تولي سوسير لمقياس اللسانيات العامة، وخاصة السنة الثالثة من محاضراته، بالإضافة إلى تسجيله أدق التفاصيل التي كان يلقاها الأستاذ، ويركز في صياغة كل المسائل اللسانية التي تطرح على مسامعه وفق أسلوب يعكس فكر صاحبه « بلغ تماهيه مع صاحب الدروس أن أعاد كتابة خطاب أستاذه بصيغة المتكلم، ويعتبر قسطنطين من أبرز طلبة دو سوسير الذين كانوا ينصتون إلى محاضرات الأستاذ ولا يتغيبون عنها كل حصة، ويسجل ما يمليه الأستاذ ويشرحه، ولهذا تعتبر مخطوطات قسطنطين دو سوسير نفسه»¹

تكمن القيمة الحقيقية لدفاتره أنه ظل محتقظاً بها لنفسه في غفلة عن الجميع، ولا سيما بالي وششهاي، ولم يرد لدفاتر قسطنطين أي ذكر ضمن كتاب غودل (المصادر المخطوطة 1957) إلا أن قام صاحبها بتسليمها له.²

كانت دفاتر ريندلينجر القاعدة التحتية التي أسس عليها بالي وزميله تصوراتهما عن النظرية السوسيرية، وكانت مسوداته بداية لتاريخ جديد، كانت مخطوطة قسطنطين هي الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها حركة السوسيرية الجديدة في إعادة تعطيب صفحات

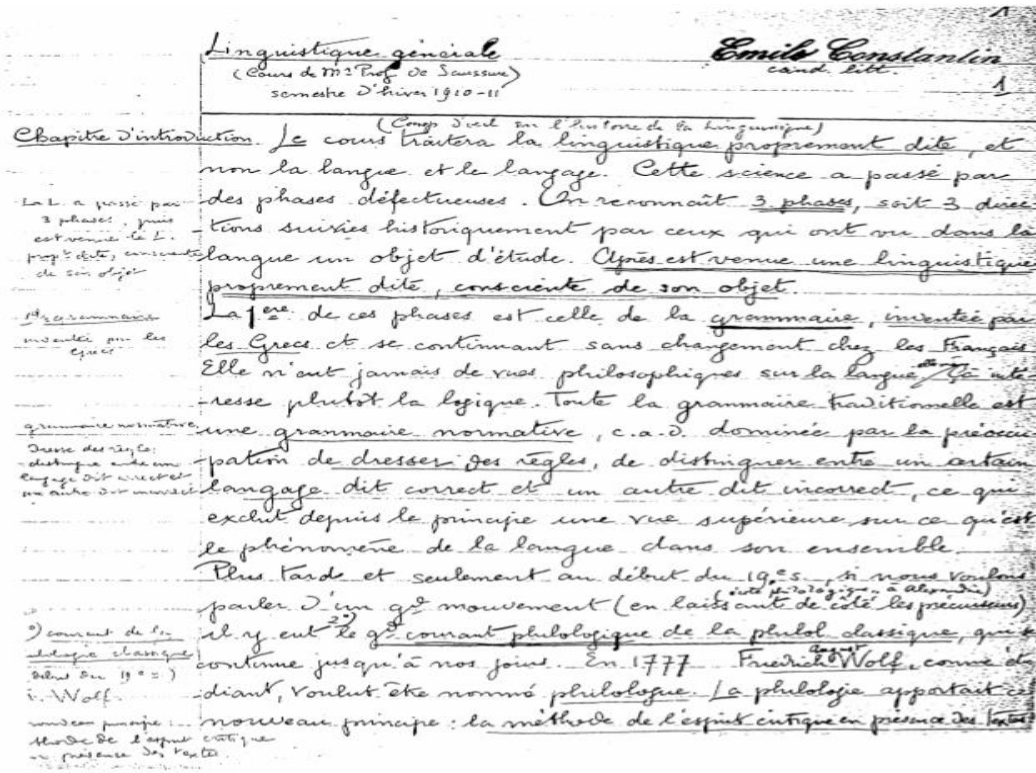
¹ - مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 145.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 146.

العودة إلى سويسر في سياق المخطوطات المكتشفة

النشرة، فقد أورد أنغلر لأول مرة دفاتر قسطنطين متناثرة في طبعته النقدية حسب خطة العمل التي اتبعها.¹

مكنت دفاتر قسطنطين الذي كان حريصا على تدوين وفهم كل ما يلقي على سمعه، بل بلغ إعجابه بهذا الإرث أن كان حريصا حتى على تدوين علامات الترقيم، من فتح آفاق لقراءات جديدة، تسعى إلى إعادة تمثيل لسانيات جديدة وتبسيط الضوء على فكر سويسر الحقيقي الذي كان قابعا تحت رفات النسخة الشائعة، هذه المحاضرات التي أضلت أجيالا عن الحقيقة.



2- جهود رودلف أنغلر (Rudolf Engler):

كانت رسالة غودل دافعا لروبرت أنغلر لوضع طبعته النقدية، التي كان يروم من خلالها إعادة قراءة النشرة في سياق ما جد على الساحة اللسانية من اكتشافات جديدة وهتك ما كان محجوبا، في مشروع يجعل متن الدروس يفشي قسرا عن أسرارها التي حملها في

¹ - ينظر: المصدر السابق، ص 147.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

رسم مدارة الكلام مقارنة برسوم الطلبة في دفاترهم

الصورة 1: طبعة إنغلر النقدية، الجزء الأول، ص 37

صورة 2: ص 47 من طبعة انغلر وفيها نموذج للحذف الذي طال ملحوظات الطلبة

pour le sens des signes à ce que nous appelons signes de politesse. Les gestes par lequel nous saluons à ce grand-père par les autres linguistiques. Ce signifie quelque chose (arbitrairement), c'est impossible. (Impossibilité — mais les signes, mais on peut en dire autre chose pour les signes linguistiques.) C'est une chose qui passe par-dessus les individus, qui se perpétue en dehors d'eux. Ce sera la tâche de la sémiologie de marquer les différences (et les degrés).

[suite 131]

III C 17 [suite de 276]

*** Il faudrait donc faire entrer la langue dans les institutions scolaires: celle des signes linguistiques par exemple (signes vécus), les signes de trompettes militaires.

[suite 278]

J 153 [suite de 286]

*** en la langue n'est qu'un cas particulier, important, il est vrai, mais cas particulier tout de même. [suite 321]

III C 274 [suite de 286]

*** Aucune série de signes n'a une importance plus considérable dans cette science que celle des faits linguistiques. On pourrait retrouver l'équivalent dans l'écriture de ce que sont les faits phonétiques dans la langue.

[suite 321]

B 7 [suite de 152]

*** Il nous faut considérer la langue symboliquement. Il faut trouver sa nature fondamentale et s'en donner le sens. (8) Au fond, on peut dire que la langue?

Avant toute chose, c'est un système de signes, et par conséquent à classer dans la science des signes. [suite 288]

II C 11 [suite de 506]

*** Nous prendrons la langue par une voie symbolique. Nous prendrons ce qui nous paraît le fond, sans lequel il n'y aurait pas la langue. Est-il si difficile de se représenter ce qu'est au fond la langue?

Avant tout la langue est un système de signes et par conséquent il faut faire appel avant tout à la science des signes. [suite 288]

N 24a (3342), p. 1

*** On a discuté pour savoir si la linguistique appartenait à l'ordre des sciences naturelles ou des sciences historiques. Elle n'appartient à aucun des deux, mais à un compartiment des sciences (qui, s'il n'existe pas).

B 10 [suite de 130]

*** Eh bien, cette comparaison pourrait être faite très bien, jusqu'à un certain point. Nous sommes dans le même ordre de choses. En fait, nous sommes avec l'écriture, mais d'autres systèmes de signes. On peut reconnaître des analogies même dans le système des signes linguistiques.

II C 14 [suite de 130]

*** Cette comparaison pourrait être poussée plus loin. Nous sommes dans le même ordre de choses avec l'écriture et la graphologie linguistique. (14) Mais on peut changer signaux linguistiques, mais si les choses sont liées, ou elles-mêmes, il en serait de même.

صورة 3: ص 126 من طبعة انغلر

وفيها نموذج للمضامين التي اضافها الناشران إلى كلام سوسير 3

3- جهود توليو دو مورو (Tullio de Mauro):

كانت هذه الجهود حافزا للإيطالي توليو دو مورو لنشر إصداره النقدي مع تعليقات

ختامية مطولة للتعليق على المشكلات التي حددها عمليا في كل صفحة من صفحات

الدورة، وهذه الطبعة مصحوبة بملحق طويل للسيرة الذاتية لسوسير، ترجمة إلى الفرنسية في

عام 1972م.¹

تظل المعلومات الدقيقة والشاملة التي قدمها دومورو من أشمل ما أنجز حول لسانيات

سوسير ونص المحاضرات، وقد أسهب في الحديث عن حياة سوسير الشخصية وعن

تصوراته معتمد تحليل فيلولوجي وتاريخي متميز لنص المحاضرات في علاقته بالمصادر

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير، ص 138.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

المخطوطة، وأبرز التأثيرات الإيجابية للسانيات السوسيرية في مختلف اتجاهات الفكر اللسانية الحديث والعلوم الإنسانية.

تتبع دومورو فقرات وجمل، بل وكلمات الدروس بالتوثيق الدقيق والتعليق العميق والمقارنة الواسعة، شارحا دلالتها وسياقها التاريخي والمعرفي؛ مقارنا بينها وبين مفاهيم قريبة منها، مبينا مصدرها وعلاقاتها بملحوظات الطلبة أو ملحوظات سوسير، ورصد في قراءته السياق التاريخي والمعرفي والمصطلحي لأصول اللسانيات السوسيرية ومفاهيمها الأساس رسدا دقيقا سمح له بالكشف عن جذورها المعرفية ومجمل تحولاتها والمراحل التي مرت بها والملابسات الفكرية التي ساعدت على بروزها.¹

تميز عمله الذي وسمه بـ " فرديناند دو سوسير دروس في اللسانيات العامة (النص الفرنسي في طبعته الأفضل) "، بإضافة ملاحظات مهمة حول منجزات سوسير في اللسانيات الزمانية، والرسائل الخاصة التي كانت بينه وبين زملائه، كما تطرق إلى أهم المحطات الخاصة في حياته، وعن هذا العمل يقول: لقد سعينا في هذا العمل إلى تمهيد الطريق لمن سيكتب سيرة ذاتية كاملة عن سوسير، قمنا في هذا العمل بتجميع وبتنسيق الحقائق المعروفة بالفعل حول الحياة اليومية والحياة الخاصة لعلاقات سوسير، ثم قدمنا بعض الملاحظات حول تطور أفكاره من الرسالة إلى الدورات الثلاث في اللسانيات العامة، وبعض المعلومات المتبادلة بينه وبين علماء آخرين.²

إن تحقيق توليو دو مورو هو تحليل نقدي موسوعي، غطى جميع جوانب الفكر السوسيري، بل تجاوز ذلك إلى دراسة تأثير أفكاره في الاتجاهات اللسانية والنفسية والاجتماعية.. إلخ، وذلك بالتعمق في الأصول والخلفيات التاريخية، ووضع ذلك كله في سياقه الثقافي، هو فحص دقيق ودراسة مفصلة وشاملة.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 237.

² -Tullio de Mouro, Ferdinand de Saussure cours de linguistique générale, Payot&rivage, saint-germain, paris, 1967, p xvi.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

هو عمل يمكن للباحث المهتم بالسياق الفيلولوجي والرؤية الإيستومولوجية لتصورات سوسير الاستغناء عنه، لأنه عمل لم يقف عند نص المحاضرات بل سعى إلى إقامة مقارنات بين مقولات سوسير وتصورات المفكرين والفلاسفة واللسانيين... إلخ، قام بإعادة قراءة لكل شيء يتعلق بحياة سوسير الخاصة والعامة.

إن دراسة دومورو تمثل أول محاولة جادة لتقييم حياة سوسير في ضوء خلفيته التعليمية والأنشطة الفكرية السائدة في عصره، ولا سيما تلك المتعلقة باستقصاء الظواهر اللسانية.

الصورة 1: بعض التعديلات التي أدخلها الناشران (CLG-Mauro, p99.)

98 PRINCIPES GÉNÉRAUX

l'unité linguistique est une chose double, faite du rapprochement de deux termes.

On a vu p. 28, à propos du circuit de la parole, que les termes impliqués dans le signe linguistique sont tous deux psychiques et sont unis dans notre cerveau par le lien de l'association. Insistons sur ce point.

Le signe linguistique unit non une chose et un nom, [130] mais un concept et une image acoustique¹. Cette dernière n'est pas le son matériel, chose purement physique, mais [131] l'empreinte psychique² de ce son, la représentation que nous en donne le témoignage de nos sens ; elle est sensorielle, et s'il nous arrive de l'appeler « matérielle », c'est seulement dans ce sens et par opposition à l'autre terme de l'association, le concept, généralement plus abstrait.

Le caractère psychique de nos images acoustiques apparaît bien quand nous observons notre propre langage. Sans remuer les lèvres ni la langue, nous pouvons nous parler à nous-mêmes ou nous réciter mentalement une pièce de vers. C'est parce que les mots de la langue sont pour nous des images acoustiques qu'il faut éviter de parler des « phonèmes » dont ils sont composés. Ce terme, impliquant une idée d'action vocale, ne peut convenir qu'au mot parlé, à la réalisation de l'image intérieure dans le discours. En parlant des sons et des syllabes d'un mot, on évite ce malentendu, pourvu qu'on se souvienne qu'il s'agit de l'image acoustique.

1. Ce terme d'image acoustique paraîtra peut-être trop étroit, puisqu'à côté de la représentation des sons d'un mot il y a aussi celle de son articulation, l'image musculaire de l'acte phonatoire. Mais pour F. de Saussure la langue est essentiellement un dépôt, une chose reçue du dehors (voir p. 30). L'image acoustique est par excellence la représentation naturelle du mot en tant que fait de langue virtuel, en dehors de toute réalisation par la parole. L'aspect moteur peut donc être sous-entendu ou en tout cas n'occuper qu'une place subordonnée par rapport à l'image acoustique (Ed.).

SIGNE, SIGNIFIÉ, SIGNIFIANT 99

Le signe linguistique est donc une entité psychique à deux faces, qui peut être représentée par la figure :

Ces deux éléments sont intimement unis et s'appellent l'un l'autre. Que nous cherchions le sens du mot latin *arbor* ou le mot par lequel le latin désigne le concept « arbre », il est clair que seuls les rapprochements consacrés par la langue nous apparaissent conformes à la réalité, et nous écartons n'importe quel autre qu'on pourrait imaginer.* [132]

Cette définition pose une importante question de terminologie.* Nous appelons *signe* la combinaison du concept et [133] de l'image acoustique : mais dans l'usage courant ce terme désigne généralement l'image acoustique seule, par exemple un mot (*arbor*, etc.). On oublie que si *arbor* est appelé signe, ce n'est qu'en tant qu'il porte le concept « arbre », de telle sorte que l'idée de la partie sensorielle implique celle du total.

L'ambiguïté disparaîtrait si l'on désignait les trois notions ici en présence par des noms qui s'appellent les uns les autres tout en s'opposant. Nous proposons de conserver le mot *signe* pour désigner le total, et de remplacer *concept* et *image acoustique* respectivement par *signifié* et *signifiant* ; ces derniers termes ont l'avantage de marquer l'opposition qui les sépare soit entre eux, soit du total dont ils font partie. Quant à *signe*, si nous nous en contentons, c'est que nous ne

صورة 2: إضافة الخطاطين في العמוד الأول والثاني-CLG

(Mauro, p120, 121).

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

120

PRINCIPES GÉNÉRAUX

faits diachroniques — on le voit clairement — n'ont aucun rapport avec le fait statique qu'ils ont produit ; ils sont d'ordre différent.

Voici un autre exemple, d'une portée tout à fait générale. En vieux-haut-allemand le pluriel de *gast* « l'hôte », fut d'abord *gasti*, celui de *hant* « la main », *hanti*, etc. etc. Plus tard cet *i* a produit un umlaut, c'est-à-dire a eu pour effet de changer *a* en *e* dans la syllabe précédente : *gasti* → *gesti* *hanti* → *henti*. Puis cet *i* a perdu son timbre d'où *gesti* → *geste*, etc. En conséquence on a aujourd'hui *Gast* : *Gäste*, *Hand* : *Hände*, et toute une classe de mots présente la même différence entre le singulier et le pluriel. Un fait à peu près semblable s'est produit en anglo-saxon : on a eu d'abord *fōt* « le pied », pluriel **fōti* ; *tōþ*, « la dent », pluriel **tōþi* ; *gōs*, « l'oie », pluriel **gōsi*, etc. ; puis par un premier changement phonétique, celui de l'umlaut, **fōti* est devenu **fēti*, et par un second, la chute de l'i final, **fēti* a donné *fēt* ; dès lors, *fōt* a pour pluriel *fēt* ; *tōþ*, *tēþ* ; *gōs*, *gēs* (angl. mod. : *foot* : *feet*, *tooth* : *teeth*, *goose* : *geese*).

Précédemment, quand on disait *gast* : *gasti*, *fōt* : *fōti*, le pluriel était marqué par la simple adjonction d'un *i* ; *Gast* : *Gäste* et *fōt* : *fōti* montrent un mécanisme nouveau pour marquer le pluriel. Ce mécanisme n'est pas le même dans les deux cas : en vieux anglais, il y a seulement opposition de voyelles ; en allemand, il y a en plus, la présence ou l'absence de la finale *-e* ; mais cette différence n'importe pas ici.

Le rapport entre un singulier et son pluriel, quelles qu'en soient les formes, peut s'exprimer à chaque moment par un axe horizontal, soit :

••-----•• Époque A.
••-----•• Époque B.

Les faits, quels qu'ils soient, qui ont provoqué le passage

EXEMPLES

121

d'une forme à l'autre, seront au contraire situés sur un axe vertical, ce qui donne la figure totale :

↑ Époque A.
↓ Époque B.

Notre exemple-type suggère bon nombre de réflexions qui rentrent directement dans notre sujet :

1° Ces faits diachroniques n'ont nullement pour but de marquer une valeur par un autre signe : le fait que *gasti* a donné *gesti*, *geste* (*Gäste*) n'a rien à voir avec le pluriel des substantifs ; dans *tragit* → *trägt*, le même umlaut intéresse la flexion verbale, et ainsi de suite. Donc un fait diachronique est un événement qui a sa raison d'être en lui-même ; les conséquences synchroniques particulières qui peuvent en découler lui sont complètement étrangères.^[1.7]

2° Ces faits diachroniques ne tendent pas même à changer le système. On n'a pas voulu passer d'un système de rapports à un autre ; la modification ne porte pas sur l'agencement mais sur les éléments agencés.^[1.8]

Nous retrouvons ici un principe déjà énoncé : jamais le système n'est modifié directement ; en lui-même il est immuable ; seuls certains éléments sont altérés sans égard à la solidarité qui les lie au tout. C'est comme si une des planètes qui gravitent autour du soleil changeait de dimensions et de poids : ce fait isolé entraînerait des conséquences générales et déplacerait l'équilibre du système solaire tout entier. Pour exprimer le pluriel, il faut l'opposition de deux termes : ou *fōt* : **fōti*, ou *fōt* : *fēt* ; ce sont deux procédés également possibles, mais on a passé de l'un à l'autre pour ainsi dire sans y toucher ; ce n'est pas l'ensemble qui a été déplacé ni un système qui en a engendré un autre, mais un élément du premier a été changé, et cela a suffi pour faire naître un autre système.

3° Cette observation nous fait mieux comprendre le caractère toujours fortuit d'un état. Par opposition à l'idée

بعد هذه الأعمال الرائدة في مجال السوسيرية الجديدة، ظهرت العديد من الدراسات التي تسعى إلى إقامة تحقيقات جوهرية في متون المخطوطات، وتهدف إلى تفسير الإطار الكلاسيكي والتمثال الحجري الموروث الذي اختزل فكر سوسير وقداسته جل المذاهب الفكرية، ومن أبرز هذه النشرات الجديدة طبعة أيسوك كوماتسو (Eisuck Komatsu) الذي نشر محاضرات سوسير في اللسانيات في ثلاث مؤلفات مرتبة حسب التسلسل الزمني التي ألفت فيه وفق ما دون في ثلاثة دفاتر من أبرز طلبته، وأعاد دانيال كامبارارا (Gambarara) وميجيا كويخانو (Quijano Mejia) نشر دروس العام الثالث وفق كراسات قسطنطين وإلى جانبها ملحوظات سوسير حول هذه الدروس.¹

وقد مكنت هذه الجهود التي اتبعتها رواد السوسيرية الجديدة في تحقيق المصادر الأصول وخاصة تحقيقات أنغلر من²:

¹ - Émile Constantine, linguistique générale. Cours de M.le professeur de Saussure 1910-1911texte édité par Danièle Bambara et Claudia mejia Quijano, langages, Genève, N58, 2005,p3.

² - ينظر: مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916)، ص138.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

-تحديد هوية مصادر فقرات نشرة بالي 1916، بتحديد أسماء أصحابها، وصفحتها حسب دفاتر الطلبة، وفق تسلسلها الزمني ضمن المقررات الثلاثة، أي انتماؤها إلى دروس العام الأول أو العام الثاني أو العام الثالث.

-الإشارة إلى التطابق اللفظي بين نشرة بالي والمصادر الأصول المخطوطة، والأمثلة كثير يتعرف عليها في الأعمدة بإشارة أنغلر إليها بالبند الغليظ.

-بسط المقاطع التي كان يتعين على بالي وزميله الرجوع إليها لإخراج طبعة 1916م.

-الإشارة إلى الفقرات الواردة في نشرة بالي التي لم يتمكن أنغلر من التعرف على مصادرها أو توثيقها.

لنا بعد كل ما تقدم أن نسأل لماذا نقرأ سوسير؟، هل هي مسألة العودة إلى أفكار سوسير التي تعرفنا عليها في النسخة الشائعة؟، أو أنها عودة إلى المخطوطات التي ظلت غير معروفة إلى حد كبير؟، هل تؤثر المخطوطات المنشورة على اللسانيات المعاصرة؟، هل في العودة إلى سوسير حل للأزمة التي وقع فيها الدرس اللساني؟

يجيبنا دانيال كامبارارا على جميع هذه التساؤلات بقوله: يجب أن نقرأ سوسير لأنه لا يزال جديدا ولا يزال وثيق الصلة بالموضوع، ويمكنه أن يعطينا مؤشرات حول كيفية الخروج من الأزمة، أقول أقرأ، ولا أعيد قراءاته، لأن النص الذي قرأناه بالفعل والذي نشره بالي وسشهاي هو أصل هذه الأزمة.¹

هل كان فعلا هدف حركة السوسيرية الجديدة من هذه القراءات إيجاد حل للأزمة التي يعاني منها الدرس اللساني بعد فشل المدرسة التوليدية التحويلية في ترميم ثغرات منهجها الصوري الذي لا يهتم سوى بالقوانين والتراكيب الشكلية، ونكسة التداولية وغيرها من المناهج؟.

¹ -D .gambarara, un texte original, langages, N58, 2005, p29.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

إن حركة العودة إلى سوسير جاءت في الأصل لتخليص فكر الأستاذ الذي نكون له غير التقدير والاحترام، من وابل الافتراءات والانتقادات الحادة التي وجهت له من كبار مؤسسي مقاعد اللسانيات الحديثة، فأصبح سوسير بين ليلة وضحاها بعد أن كان مهمشا من أقرانه سببا لأزمة حلت على درس اللساني وأوصلته إلى باب مغلق، وحلت كلجنة لم يستطيع اللسانيون إبطالها، سوى مع جهود المدرسة التوليدية التحويلية التي خففت من القيود التي فرضتها البنيوية.

منذ تلك الفترة اقترن اسم سوسير بالبنيوي الصارم الذي أفضت تصوراته إلى ضرب من الدوران في حلقة مفرغة، وكان ما يبدو من بعيد انه المخلص من أغلال المدرسة الألمانية ما هو إلا ديكتاتوري في قناع ثوري مزيف، هكذا كانت تقترن صورة سوسير في ذهن المثقف.

غير أن شرارة التناقضات والخلفية المريبة التي صدرت في أجواءها النشرة، حملت غودل على إعادة فتح القضية والبحث عن الحقيقة في ذاكرة الماضي، وكان هذا نهج غيره من المحققين في كشف ما ستره الزمن في المتن السوسيري، وتحرير اسم الأستاذ من متلازمة بنيوي، لساني مهمش للسانيات الكلام واللسانيات الداخلية، لساني مهتم فقط بالأنساق الداخلية، وملغي لكل البيادق الخارجية، وكأن سوسير من هذا المنظور أصبح تمثال تذكاري منقوش عند حافته " إن هدف اللسانيات الوحيد والحقيقي هو دراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته."

بفضل صدور هذه النشرات الجديدة تم تحقيق نصوص نسمع صوت الأستاذ في سطورها، هذه العودة هي في الأصل رحلة للبحث عن أفكار سوسير الحقيقي.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

المبحث الثاني: المخطوطات المكتشفة في بستان البرتقال (Les manuscrits de lorangerie)

أولاً- اكتشاف المخطوطات:

في ظل هذه الجهود التي تروم إعادة تمثيل الخريطة المعرفية للسانيات السوسيرية وتخليصها من كل الشوائب العالقة بها، تم اكتشاف مجموعة من الأوراق المكتوبة بخط اليد بواسطة سوسير في عام 1996م، وذلك أثناء العمل في المقر السابق لعائلة آل سوسير في جنيف، ووجدت بالتحديد وسطه كومة من المحفوظات العائلية المتراكمة في جناح يسمى "orangerie"¹. ومن هنا جاءت أصل تسميت هذه المسودات بـ "مخطوطات بستان البرتقال".

هي حالياً محفوظة في مكتبة جنيف، بترقيم من 1 إلى 274 وهو الترتيب الذي اختاره رودلف أنغلر، من بينها العديد من الصفحات الموجودة في مظاريف صغيرة، وكان أهمها مخطوطة تحمل عنوان "de essence double du language de essence ete" بيد سوسير، وقد فصلها أنغلر وقسمها إلى تسع وعشرين فصلاً صغيراً، بعضها مقسم بشكل أكبر بالحروف، تم نشرها تحت عنوان "في الجوهر المزدوج للغة"، وقام بتوزيع المخطوطات الأخرى في ثلاثة أقسام:

-المادة والأقوال المأثورة.

-كتابات أخرى في اللسانيات العامة.

-ملاحظات تحضيرية لدورة اللسانيات العامة.

¹ - Clemilton lopes pinheiro, Ferdinand de Saussure et Eugenio cosseriu: propositions pour une linguistique in tégraliste, mondial de linguistique française, CMLF, 2020, p3. Irina vilkou -poustovaïa, a propos de Ferdinand de Saussure écrit de linguistique générale, langages, paris, vol 39,N1, 2003, p152.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

لا تحتوي هذه الطبعة على ملف اللسانيات العامة فقط بل تحتوي أيضا على ملاحظات توقيعات سوسير الأخرى، والتي تم نشرها بالفعل من قبل أنغلر في طبعته النقدية.¹

كان هذا الأمر حدثا علميا غير متوقع، ظلت هذه المسودات في دهايز القبو لما يناهز قرن، وتكمن الأهمية الحقيقية في أنها تسمح لنا بتفسير ما هو في حوزتنا من النصوص السوسيرية بأكملها سواء محاضراته في اللسانيات العامة، أو دفاتر طلبته، أو غيرها من النصوص التي أشتغل عليها، يتيح لنا هذا الانعكاس الجديد إعادة قراءة الفكر السوسيرية من زاوية ومنظور مختلف.

ثانيا-مخطوط "كتابات في اللسانيات العامة":

المخطوطة ليست حزمة بسيطة من الملاحظات المتباينة التي يمكن إضافتها إلى نصوص التوقيعات المعروفة بالفعل، ولكنها المسودة التفصيلية لكتاب "كتابات في اللسانيات العامة"، التي ذكرها سوسير في مراسلاته ومحادثاته مع زملائه وطلبته، هي صفحات كان يعتقد المرء أنها ضاعت نهائيا، والتي قال سوسير نفسه عنها، ضاعت بين أكوام.²

تم جمعها وتصنيفها ونشرها بواسطة رودلف أنغلر وسيمون بوكيه ونشرت عام 2002، بدار غاليمار الفرنسية، وهي مؤلفة من مجموعات خمس تناول فيها سوسير مسائل في السيميولوجيات، واللسانيات العامة، واللسانيات التاريخية والمقارنة، واللسانيات الجغرافية، ومسائل أخرى في المنهج، والخطاب، وإبستمولوجيات اللسانيات، إن النصوص المودعة في هذا الكتاب تقيم قطيعة نهائية مع نشرة 1916 المنسوبة إلى سوسير، وتتخذ من التصورات التي نسبتها له جل الهدارس اللسانية القرن الماضي مسافة نقدية، إن السوسيرية الجديدة التي

¹ - Kazuhiro Matsuzawa, puissance de l'écriture fragmentaire et « cercle vicieux les manuscrits de l'essence double du langage de Ferdinand de Saussure, universitaires de paris, Sorbonne, vol 15, N 11, p41.

² - Simon Bouquet, ontologie et épistémologie de la linguistique dans les texte originaux de Ferdinande de Saussure, paris, vol xvll, N3, 2008, p1.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

أضحت السمة البارزة لهذا القرن الجديد باتت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق مشروع سوسير الأصيل.¹

ترتب عن إغفال الناشرين ذكر تاريخ محدد لمشروع سوسير في إعداد هذه المخطوطة نقاش واسع حول بداية هذا النص، وكنا سنجانب هذا النقاش لو أن محقق النص أشار إلى كلام سوسير في شروعه في هذا العمل بداية من عام 1981، وفي ذلك يقول في رسالة أرسلت منه إلى غاستون في 31-12-1981م، يروي سوسير أنه كان منغمسا لأسابيع في صياغة "كتيب" أتت إليه فكرته أثناء التحضير لمؤتمر.² واستمر فترة ليس في إضافة ملاحظات جديدة، ولكن أيضا في تصحيح القديمة منها.³

ينقسم مؤلف كتابات في اللسانيات العامة إلى أربعة أقسام يحمل كل منها عنوان خاص⁴:

أ- في الماهية المزدوجة للغة.

ب- عناصر جديدة وهي قريبة في مضمونها وشكلها من المخطوطات التي سبق العثور عليها ونشرها من طرف غودل وأنغلر.

ج- كتابات أخرى في اللسانيات العامة.

د- ملحوظات تحضيرية لدروس في اللسانيات العامة.

ويتضمن القسمين أ و ب وحدهما نصوصا جديدة، أما نصوص القسمين ج و د فسبق لإنغلر أن نشرهما في طبعته النقدية.

¹ - ينظر: فرديناد دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، تر: مختار الزواوي، دار الروافد الثقافية، الجزائر، 2021، ط1، ص63.

² - Sofia Estanislao, quelques problèmes philologiques posés par l'œuvre de Ferdinand de Saussure, p41.

³ - Sündüz öztürk kasar, traduire de l'essence double du langage de Ferdinand de Saussure, CRiT, p56. Alessandro chidichimo et Daniel gambarara, trois chapitres de "l'essence double du langage, librairie, droz, N61, 2008, p113.

⁴ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص139.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

تمثل مخطوطة نصوص في اللسانيات العامة ثلث تلك المخطوطات المكتشفة، وترجمت تلك النصوص

إلى ثلاث عشرة لساناً.¹

وشاب إخراج نصوص في اللسانيات العامة جملة من الملاحظات أهمها²:

- 1- تغيير الترتيب الأصلي للصفحات.
- 2- تغيير الترقيم الأصلي للمخطوطات، والتي في بعض الأحيان لا تغير معنى النص.
- 3- تم حذف المقاطع المشطوبة، المعلن عنها في المقدمة بشكل غير منتظم، هناك مصطلحات وجمل بعد أن شطبها سوسير أعيد إنتاجها في طبعة غاليمارد، وفي بعض النقاط حذف الناشران أيضاً فقرات لم يشطبها سوسير، ولكن تم تقليل قيمتها فقط.
- 4- غالباً ما أغفل الناشران ذكر العناوين أو المراجع الموجودة في المخطوطة.
- 5- كما أنه تم حذف التواريخ التي كتبها سوسير على بعض الأوراق لسبب غير مفهوم.

6- في بعض الحالات أضاف الناشران مصطلحات لا تظهر في المخطوطة.

7- عدم الحفاظ على الفراغات الواردة في النصوص الأصلية.

إن هذه التعديلات التي أجراها رودلف أنغلر وسيمون بوكيه كانت من وجهة نظرهما أصوب لتحقيق الغاية الفكرية لسوسير، فلإعادة إنتاج كتاب من مجموعة من النصوص المختصرة والمقتصات والمقتطفات غير مكتملة بشكل ما، كان لا بد من التدخل لإعادة الصياغة، ولا يوجد باحث لساني غاص في شباك الفكر السوسيري أكثر من أنغلر، فكان

¹ - ينظر: محروس السيد بريك، التلقي العربي للراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة، مجلة الواحات، مج10، ع2، 2017م، ص1311.

² - Sofia Estanislao, quelques problèmes philologiques posés par l'œuvre de Ferdinand de Saussure, langages, N185, mars2012, 40,41,42.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

على علم بما قاله وسيقوله الأستاذ، والنقود التي وجهت إلى عمالهما لا تنقص من قيمة الجهد المبذول، ويكفي فخرا أنهما حازا هذا الشرف بإعادة تمثيل فكر سوسير، وبسعيهما هذا يعكسان غاية شارل بالي وألبرت سشهاي في تحقيق نظرية الأستاذ، وإن كان بالي وزميله نال فضل السبق في تقديم المحاضرات فيكفي شرفا لأنغلر وبوكيه انطلاقيهما من توقعات الأستاذ الأصلية.

ثالثا - مخطوط "في الماهية المزدوجة للغة" (de l'essence double du langage):

أبرز المخطوطات التي تم العثور عليها مسودة نص شبه مكتمل يحمل عنوان "ا" في الماهية المزدوجة للغة"، وجاء في توصيف هذه المخطوطة أنه تم العثور على هذا الجزء على شكل أوراق ذات حجم موحد، وضعت في ظرف كبير، وبداخله ورقة كتب عليها عبارة "في الماهية المزدوجة للغة".¹

تكون مجموعة نصوص سوسير قد اكتملت بعد قرابة القرن، بشكل غير متوقع بمخطوطات بستان البرتقال، وكأن القدر انحنى أمام تلك الجهود التي ما انفكت تنقب عن ملامح الأستاذ في دفاتر الماضي، وتستتطق أدراج التاريخ، لإعادة كل شيء إلى مكانه الصحيح، وصار من الحتمي في ظل كل هذه المستجدات من إعادة النظر في المحتوى الذي ينسب إلى فكر سوسير وظل ملازما لاسمه، وذلك بالرجوع إلى جميع النصوص الأصلية التي تمثل الإرث اللساني والسيمولوجي والأدبي، لباحث كان مهووسا منذ نعومة أظفاره بالبحث في حقيقة المسلمات البديهية.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 138.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

وهذه بعض النماذج من توقعات الأستاذ

de désigner une racine. C'est ce qui est évident
ne s'est jamais lassé de le démontrer. Il n'y
a rien de plus que la langue étant une institu-
tion pure. Seulement cela prouve
beaucoup plus : à savoir que la langue
est une institution sans analogue
(à l'en y joint l'écriture) et qu'il serait
vainement tenté de croire que l'histoire
du langage doit ressembler même de
loin, après cela, à celle d'une autre ins-
titution. Nous aurions bien tout, en passant

Le langage n'est créé par le discours, mais
c'est ce qui sépare le discours de la langue, ou plutôt ce
qui, à un certain moment, permet de dire que la
langue entre en action comme discours ?
Des concepts variés sont là, prêts dans la langue,
c'est-à-dire revêtus d'une forme, tels que bonheur,
mal, ciel, terre, rose, triste, ciel, bonheur, voix.
À quel moment, ou en vertu de quelle opération, de
quel jeu ces concepts formeront-ils le discours ?
de quelle condition

La suite de ces mots, si vaine qu'elle soit, n'indiquera
jamais par les idées qu'elle évoque, n'indiquera jamais
à un individu humain qu'un autre individu, en les
prononçant, veut lui signifier quelque chose.
Que faut-il pour que nous ayons l'idée qu'on
veut nous signifier quelque chose, en utilisant des
signaux sonores qui sont à disposition de la langue ?
C'est la même question que de savoir ce qu'est le
discours, proposition la langue n'est qu'un
et à première vue la réponse est simple : le discours
consiste à affirmer un lien entre deux des concepts
qui se présentent revêtus d'une forme linguistique,
pendant que la langue ne fait que réaliser des concepts
isolés, qui attendent d'être mis en rapport entre
eux pour qu'il y ait signification et pensée.

Fig. 5 : BGE, Ms. fr. 3961/10, f° 20v°

هل يمكننا القول بعد أكثر من قرن أننا أخيرا وجدنا فردينان دو سوسير تحت أنقاض

مسوداته؟، هل يمكن للمطلع على كتابي " كتابات في اللسانيات العامة" وفي الماهية

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

المزدوجة للغة"، أن يسرح بين صفحاتهما وهو مطمئن البال أن سوسير هذه المرة هو الذي يهمس في أذنه؟، هل نطلق تلك التهيدة المكتومة ونقول أخيرا وجدناه؟.

تكمن الأهمية التاريخية لهذه المخطوطات المكتشفة في أنها تمكننا من قراءة جديدة لفكر سوسير، وتحطم كل الأحكام المسبقة التي طالت ذكرى أستاذ جنيف، أخيرا وبعد طول انتظار لدينا شيء ملموس لمشروع كتاب نظري أعطاه سوسير عناية خاصة في عنفوان فكره بالإضافة إلى ذلك يسهم هذا النص في انهيار الأسطورة القائلة بأن سوسير كان مصمما على عدم ترك أي أثر مكتوب لأفكاره، وكأنه انغمس في الغموض للهروب، باختصار، صورة عبقرية على وشك الجنون، تعيد هذه المخطوطات تأكيد الحقائق: كان سوسير حقا يحضر مسودة لكتاب مستقبلي.¹

هذا السؤال قد مر بخاطر كل من اطلع على كل المستجدات التي رافقت حركة السوسيرية الجديدة، وهو ماذا لو تمكن شارل بالي وألبرت سشهاي من الوصول إلى مسودات بستان البرتقال؟، هل كانت التصورات الموجودة في المسودات ستغير مجرى الدراسات اللسانية والعلوم الإنسانية كما فعلت نشرة 1916م؟، هل كان سوسير سيتعرض لكل هذه الكمية من السخرية والتهكم؟، هل ستكون تصوراته عرضة للنقد المفترس؟.

الأکید سنكون مع موعد مخالف وميلاد جديد لمفكر فطن أبصر ما لم يبصره غيره، لساني اهتم بالنسق الداخلي للسان وللمؤثرات الخارجية التي ما تنفك تؤثر فيه، كنا سنكون هذه المرة ليس مع سوسير البنيوي الصارم الجاف، بل مع سوسير الآخر، سوسير المتردد من تحرير رسالة علمية، ذلك اللساني الذي يتجرع كأس القلق والتساؤل المستمر حول المادة الزئبقية التي هي اللسان، ذلك المفكر الذي كان يعاني طوال رحلته الفكرية من زوبعة مرضية أقضعت مضجعه وأرقت مداده، لساني كان يختم أطروحاته بعلامات استهزام، وكأنه يقول أن أثر إشكاليات ولست أطرح نظريات نهائية.

¹-Irina vilkou -poustovaïa, a propos de Ferdinand de Saussure écrit de linguistique générale,p152.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

ذلك هو سوسير الذي ضاع منى في أكوام مسوداته، وكان من شأن هذه المخطوطات أن تلقي بضلالها على كل المدارس اللسانية التي طبعت بالختم البنيوي، وأغلقت نصوصها عن كل السياقات الخارجية، وعملت بمبدأ الاكتفاء الذاتي وذلك بالانشغال بالبنية السطحية فقط، وإهمال المعنى وكل ما ينجر عنه من سياق ومقام.. إلخ، ربما كنا سنكون مع ثورة مختلفة، مع أفكاره متميزة...ربما.

إننا إذا قمنا بقياس فكر سوسير في ضوء ما هو موجود في النشرة يصبح من الواضح أنها شرعت في مسارات تتعارض في نهاية المطاف مع تصوراته الحقيقية، ولا تتوافق في معظمها مع ما كان يثيره من نقاشات فكرية في سياق محاوراته الواسعة، وهذا ما تؤكدته الكتابات التي لم تشهد النور إلى حديث.

لكن رغم مواطن القصور وكثرت الشتات الذي اعترى أبواب نشرة 1916م، واستمر في إلقاء لعنته على أكثر العقول جرأة، والنقد الجارح الذي تعرض له الأستاذ بسبب تصرف حبر الناشرين في العديد من أجزاء الكتاب، غير أنه ليتمكن بحال من الأحوال إنكار فضلها في إخراج هذا الكنز اللساني من كراسات الطلبة إلى النور، كما أنهما أعلنّا في مقدمة الكتاب تحملهما المسؤولية الكاملة أمام الجمهور اللساني، ولولا جهودهما لظل سوسير ذلك العالم المغمور بين أتباعه، ولا بد لمن أراد الاهتداء إلى الفكر السوسيري الحقيقي أن يتلقى نشرة 1916م في ضوء المصادر المخطوطة ليعرف ما هو من مداد سوسير وما هو من أثر تعديلات الناشرين.

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أنه لن يجد أحد من خلال قراءته " كتابات في اللسانيات العامة" مؤلفا مفهوما أو متماسكا، ولكن فقط الأجزاء التي يصعب فهمها والتي تكتسب تماسكا معينا ومعنى معينا فقط إذا وضعها المرء في اتصال مع الدورة، فسوسير بالضرورة يعتمد على الدورة الدراسية، إنه يشبه إلى حد ما مهرج المحكمة الذي يقول الحقيقة، وبينما هو يقول الحقيقة يعلم أنه لا يملك القوة لزعزعة السلطة، لكنه على العكس يؤكدّها، وبالتالي فإن النسخة التفكيكية من سوسير، سوسير الأصلي الحقيقي، لن يتمتع

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

بالقوة للقضاء على القوة الكلاسيكية الكبرى، مهما كانت مغتصبة أو خاطئة، سوسير الأصلي محكوم عليه بشكل مأساوي أن يظل مهرج الدورة.¹

إن هذه النصوص المكتشفة والتي تم تحقيق جزء كبير منها، ليتمكن الوقوف على طبيعتها وفهم قيمة محتواها دون نص المحاضرات، فهي أشبه ما تكون بلعبة البازل (أحجية الصور المقطوعة)، عبارة عن شذرات ليس لها أي دلالة في ذاتها بل مع غيرها من القطع التي تشكل لنا الصورة النهائية والتي ما هي إلا كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، ونحن بتصفحنا له نكون بذلك ننطلق من المعلوم إلى المجهول من الملموس إلى المجرد، فجهود رواد الحركة السوسيرية الجديدة هي عبارة عن تعاليم نقدية لنصوص النشرة، وليمكن للقارئ أن يتكبد عناء قراءة مقاطع نقدية متفرقة وهو على جهل بالمصدر، و في ذلك يقول رائد هذه الحركة « من الصعب بمكان فصل أية طبعة نقدية للمصادر الأساس عن نص دروس في اللسانيات العامة، فلن يجد القارئ في الحواشي النقدية المتعلقة بملحوظات الطلبة سوى مقطوعات وأشتات معزولة عن سياقها الأصلي، ولن يكن لديه وسيلة للحكم في نطاق معين على التوزيع الجديد الذي يعكس فكرا تام في كل لحظة تصحيح مقاربهته.»²

تجدر الإشارة إلى أن الإرث الذي تركه لنا سوسير وسط أكوام من المسودات، مبتور الفقرات، متفرق الأفكار، وفي هذا المقام يقول روي هاريس عن هذه المخطوطات « إنها ناقصة بشكل يثير السخط ومبعثرة وملئية بالثغرات في المواضيع المهمة، كما أن الجمل التي تتلاشى كأنها هواء في شبك غالبا ما توحى بصورة الأستاذ الشارد الذهن الذي ينسى ما أراد أن يدونه حتى قبل أن يلتقطه قلمه، أو كأنما ما بدا له قبل برهة فكرة عظيمة أضى بعد ذلك فكرة لا تستحق التدوين على الإطلاق.»³

¹ -trabant jugen, faut – il defender Saussure contre amateur ?notes sur l'éty- mologie Saussurienne, langages, N159, 2005, p124.

² - مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص87.

³ -روي هاريس، سوسير ومؤلوله، نقلا عن مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص140.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

كان سوسير ذلك العالم الفذ الفطن لكل ما يدور حوله، كان يتجول في أروقة الجامعات وبين مدرجات الطلبة بزي اللساني الواثق، الحاد الذكاء، السابق لزمانه، غير أنه ما إن يعود إلى غرفة مكتبه حتى يرتدي بدلة القلق والشك، وكان أصدق ما يعبر عن هذا الصراع الداخلي ضجيج الأوراق وصرير الأقلام، فتتبدل النقطة بعلامة استفهام، والشطب يحل محل الفقرات، والسؤال يطرح السؤال، وكأنه ما إن يمسك بالحقيقة حتى تتلاشي من بين أصابعه، كان يعاني الأستاذ من وسواس المعرفة، كان في كل مسودة يبحث عن مفاتيح لدهاليز مغلقة، لذلك غلبت على تأملاته شكل الشظايا غير المكتملة.

لم تتم دراسة جميع المخطوطات المتوفرة بشكل منهجي، ولا تزال بعيدة عن متناول معظم اللسانيين، فمن بين حوالي (30000) صفحة مكتوبة، مقسمة بين مكتبة جنيف ومكتبة هوتون في هارفارد والمتعلقة بمشاريع وفترات غير متجانسة، تمت دراسة وتحرير ونشر أقل من الجزء العاشر.¹ إن هذا الرقم بالنسبة إلى المخطوطات التي تم تحقيقها ونشرها يبدو كبيراً جداً، فما نعتقد أننا تمكنا من الإمساك به لم يكن سوى جزء من الفكر السوسييري.

كان سوسير غزير الإنتاج، كانت غرفته عبارة عن رفوف من المسودات وكان المقابل لهذا الفيض الإنتاجي رهاب من التحرير والنشر، مما أنتج لنا مخطوطات هي أقرب للملاحظات الاستكشافية للظواهر اللسانية خاصة والأدبية بصفة عامة، أكثر من أنها مخطوطات تسطر نظرية منهجية يمكن الاحتكام إليها، لذلك يصعب على رواد الحركة تحقيق هذا الإنتاج الضخم، الذي هو في الغالب ملاحظات مشتتة، أو مشروع غير مكتمل.

ليمكننا أن نقول بعد كل ما سبق أننا توصلنا بأتم ما تحمله الكلمة من معنى إلى الجوهر الحقيقي حول تصور سوسير للظواهر التي كان يدرسها، لأن الحقيقة المرة أن سوسير في الكثير من المرات لم يتمكن من الخروج من زوبعة الأسئلة، ما كان زورقه يصل إلى شاطئ البر حتى تعيده رياح الشك إلى أعماق بحر هائج بالأسئلة.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

هذا ما يفسر عدم إقدامه على نشر أفكاره الثورية طوال رحلته الفكرية، لأنه لم يصل إلى تلك المرحلة التي يطمئن فيها بوضع نقطة النهاية والتي تستلزم عملية النشر، بل كانت توقعات مشتتة تعكس حيرة صاحبها.

معظم ما نسميه "مخطوطات سوسير" هي في الواقع ملاحظات استكشافية فقط، فسوسير أحد أولئك الكتاب الذين لا تمثل لهم كتابة مخطوطة عمل مراد طباعته، ولكن العمل نفسه.¹

عليه تكون أغلب المخطوطات المكتشفة التي تم تحقيقها ونشرها أو التي في طور الانتظار في الأغلب عملية بحث في وجهات نظر متعددة ولم يكن سوسير يسيطر من خلالها عقائد نهائية، غير أن العديد من هذه المخطوطات موجهة إلى القارئ ومنظمة في شكل نصوص وفقرات، وعليه تكون كتاب كان قيد الانجاز، ربما لم يتم الانتهاء منه بسبب لزوم سوسير الفراش في أواخر حياته، ومع ذلك يبقى مشروع الكتاب، يستحق فحص نقدي دقيق من لساني له باعاً كبيراً في مجال السوسيرية، وفي هذا رد على الذين زعموا أن جميع المخطوطات المكتشفة عبارة عن نصوص مختصرة، مجرد مسودات خالية من أي تماسك، في حالة فوضى، ولا تستحق النظر فيها.

المبحث الرابع: الإرث الأدبي في الفكر السوسييري:

أبانت المخطوطات المكتشفة ميول سوسير الفكرية لمجالات أخرى غير لسانية، فكان جزء كبير من مسوداته يتمحور حول الأنماط الأدبية، درس من خلال أفقها الفني نصوص في الحكاية الخرافية والأسطورة ونصوص في الجنس التصحيفي، والمفارقة العجيبة أن هذا الاهتمام والعناية والتي أعطى لها سنوات من مراحل نضجه الفكري تتعدم في المحاضرات، ولقد تزامن هذا النضج الفكري في دراسة الأسطورة والحكاية الخرافية والجنس التصحيفي مع خصوبة في المبحث اللساني، وكانت هذه الفترة من أكمل وأنضج مراحل الفكرية سواء من

¹ -Sofia Estanislao, qu' est-ce qu'un brouillon en sciences du langage ?notes préalables a une édition numérique des manuscrits de Ferdinand de Saussure, Droz, paris, 2010, p6, 7 .

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

حيث المنهجية أو التطبيق، وهذا الإرث الأدبي مبحث أساسي لمعرفة المسار التطوري لحياة سوسير العلمية.

لا بد من ان كل سمع بالمخطوطات السوسيرية والتي بحث فيها موضوع الجنس التصحيفي والحكاية الخرافية والأسطورة، أو سمع بهذه الكتابات الأدبية تسأل عن هذا الميل الغريب والانشغال بقضايا تبتعد في موضوعها ووجهة نظرها عن تخصص الباحث؟، ثم يلي هذا السؤال سؤالاً آخر، لماذا كل هذه السرية والكتمان والغموض الذي غلف به الأستاذ نصوص هذه المخطوطات؟، لماذا لم يشارك هذه المشاريع مع زملائه وطلابه؟، ونحن نعلم مسبقاً أنه كان يطرح عليهم كل جديد توصل إليه، بل كان يدخلهم في صلب اضطراباته المعرفية عند عجزه عن حل إشكالية، أو ضبط حدود مصطلح معين، هل لأن هذه الكتابات الأدبية خارجة عن حدود المقرر الدراسي؟، لكننا نعلم سلفاً أنه لم يكن ملتزماً بالمقرر الدراسي، هل لأن النتائج التي توصل إليها في موضوع الجنس التصحيفي تعارض قانون مبدأ الخطية؟، هل لأن رائد الدرس اللساني الحديث لا يزال أسير الخوف من أن تكون أفكاره عرضة للنقد الجارح؟.

تأمل سوسير في البنية التكوينية للنصوص الشعرية لم يبدأ بين ليلة وضحاها، فقد كشف تحقيق المصادر المخطوطة أن تدويناته الأدبية كانت تسير جنباً إلى جنب مع شبكة بحوثه الأخرى، وعن طريق التدقيق الجيد في أرشيفات الباحث يمكن الوقوف على خمس دراسات شعرية عكف سوسير على دراستها وهي:¹

1- عمل حول تأليف قصائد هوميروس.

2- العمل على تنقيح عمل فرنسي، فيما يتعلق بالدورة التي قدمها سوسير حول هذه الأسئلة بين عامي 1900 و1909م.

¹-Pierre-Yves Testenoire, les anagrammes de Saussure après un demi -siècle, p3.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

3- بحث عن تأليف أقدم متر* للشعر اللاتيني -شعر ساتورني 1906م

4- بحث في مبدأ التناظر الصوتي في Rig vedo بين عامي 1906م و 1909م.

5- البحث عن الجنس التصحيفي في النصوص اليونانية والسنسكريتية واللاتينية والألمانية القديمة الوسطى والعليا.

أولاً-الحكاية الخرافية و الأسطورة:

كشفت لنا هذه الدفاتر عن وجه آخر من الفكر السوسيري كان مغيباً في قبو قصر العائلة، فمن كان يتخيل أن الأستاذ الذي أفنى حياته في دراسة اللسانيات الزمانية والتعديد لنظام لساني يضبط حدود هذا العلم ضبطاً موضوعياً علمياً، كانت له ميول لقضايا أدبية، وكان من بين القضايا التي انشغل بها خلصة عن عيون من حوله الحكاية الخرافية والأسطورة، ارتأينا أن نبدأ هذا المبحث بدراسة الحكاية الخرافية والأسطورة لأنها أسبق تاريخياً من مبحث الجنس التصحيفي، كما أنها تعتبر الأساس التنظيمي لمشروع الجنس التصحيفي.

تم الكشف عن هذه المخطوطات في 1957م، وتعين علينا أن ننتظر إلى 1986م لنقرأ طبعها الناقصة، وغير المكتملة من الناحية الفيلولوجية¹.

قام كل من أنا مارينيتي ومارشيلو ميلي بتحقيق صفحاتها وشرح مستصعباتها، وقد نقشت هذه المسألة التي أثارها فكر سوسير في حقل السيميولوجيا من قبل كل من

* المتر الشعري هو أساس البنية الإيقاعية في الآية، تصف العديد من أشكال الشعر التقليدية مقياساً معيناً للآية، أو مجموعة معينة من الأمتار بالتناوب بترتيب معين، ومن المعروف أن الدراسة والاستخدام الفعلي للمتر وأشكال نظم الشعر على حد سواء كما علم العروض، وتم توثيق النصوص المترية لأول مرة في الألسن الهندوأوروبية، ولا يقبل كل الشعراء فكرة أن المتر جزء أساسي من الشعر. متر (شعر) [https:// stringfixer.com](https://stringfixer.com)

¹ - ينظر: ميشال أريفييه، السيميولوجيا السوسيرية بين الدروس في اللسانيات العامة والبحث حول الخرافة، تر: رشيد بن مالك، مجلة الآداب، ع5، أبريل 2020، ص10.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

نورماند 2000م، وجوهان فيهر، بالإضافة إلى داركوسيلفيو أفال 1973م، ورودلف أنغلر 1974 و 1975 و 1980 ، وكيم 1993، وفرنسيس جاندون 2002.¹

ترجع بداية اشتغال سوسير بهذا المبحث حسب شهادة أ. كونييه A.Cuny إلى عام 1880م، فسوسير الشاب المتأثر بإخفاقه في المذكرة بألمانيا مال منذ هذا التاريخ إلى دراسة الملحمة الجرمانية، وفي تاريخ قريب نسبيا عام 1884، نجد توسعا مذهلا في أسماء الآلهة الميثولوجيا الهندية واليونانية، تم إدراجه ضمن مشروع مقال حول ويتي.²

أخذ هذا المبحث طابع الجدية والدقة ابتداء من عام 1903م واستمر حتى عام 1910م، وتضمن هذا المبحث المكتوب بخط اليد، مجموعتين من القصص ("النيبلونجن" *Nibelungelied و المغامرات *Tristan)³.

¹-Irina vilkou, À-propos de Ferdinand de Saussure écrits de linguistique générale poustovaïa, presses universitaires de France ,2003,p151.

²- ينظر: ميشيل أريغيه، السيمويولوجيا السوسيرية بين الدروس في اللسانيات العامة والبحث حول الحكاية الخرافية، ص13.

*أعتمد سوسير في دراسته للحكاية الخرافية والأسطورة على الملحمة الألمانية التي تعرف بـ "النيبلونجن" (Nibelungelied) وتعد بمثابة الإلياذة الألمانية، عبارة عن ملحمة بطولية تمتزج أبياتها بالأسطورة، لا يعرف على وجه التحديد من صاحبها، وقع تضارب الآراء في تفسير النيبلونجن فذهب البعض إلى أنه اسم شعب، ولكن اجمع أغلب اللسانيين الألمان بأن العنوان هو " ملحمة أرض الضباب"، وأبطال الملحمة ينتمون إلى شعب " البورجوند" وهو احد العشائر المتفرعة عن قبائل القندال الجرمانية، تتكون الملحمة من 38 فصلا أو جزءا أو مغامرة، ومن 14 ألف بيت شعري، وهي مترجمة إلى أغلب ألسن العالم. عبد الحكيم شباط، ملحمة النيبلونجن - ليد، منتدى العلاقات العربية والدوليةforfair، 01-06-2021، <https://un.org>.

* تريستان و إيزولده أسطورة جرمانية تعود إلى القرن الثاني عشر تحكي قصة حب حزنة محرمة بين حبيبان وشراب سحري، وقام ريتشارد فاغنر الملحن والمبدع الألماني بتحويل هذه القصة إلى أوبرا كان عنوانها " تريستان وإيزولده"، لقد طوع فاغنر الأسطورة تطويعا تاما، لجعلها، حتى من دون أن يبدو ذلك واضحا للوهلة الأولى خير معبر عنه وتحديدًا عن الغرام الذي كان بدأ يعيشه حين كان منفيا في سويسرا. إبراهيم العريس، ألف وجه لألف عام- " تريستان وإيزولده": فاغنر يغني لليل ويموت حبا، الحياة، 24-04-2001 [https:// www.sauress.com](https://www.sauress.com) < alhayat

³-Pinheiro chemiltom lopes, les études de Saussure sur les légendes un rapide parcours à travers quelques interprétations, congrès mondial de linguistique française, publié par EDP sciences, université de rio grande do norte,8-2014, p479.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

يبلغ عدد المخطوطات السوسيرية المتعلقة بالحكاية الخرافية و الأسطورة نحو ثمانمائة وأربع عشرة (814) ورقة محفوظة بكاملها في مكتبة جنيف موزعة على الشكل التالي¹:

-ثمانية(8) خص بها سوسير الحكاية الخرافية الجرمانية، لا سيما تلك المعروفة بخرافة النيبلونجن، التي يعود تاريخ تأليفها إلى القرن الثالث عشر، تناول فيها قضايا عامة، تخلص مختلف العلاقات بين الخرافة والتاريخ(الدفاتر من 1-6)، وبين الخرافة والأسطورة(الدفتران 7و8) وتمثل هذه الدفاتر مجموعة ثلاثمائة وثلاث وثمانين (383) ورقة في الغالب الأعم صفحتين.

-عشرة(10) دفاتر أي ما مجموعه مائتين وثمانين وعشرين (228) ورقة مكتوبة في صفحتين، تتضمن ملاحظات تتعلق أيضا بالأسطورة الجرمانية الخرافية تريستان Tristan التي خصصت لها الدفاتر رقم 2و3و8و10.

-أربعة(4) ظروف تحتوي ثلاث ومائتين (203) ورقة كتبت جلها في صفحتين، ويتعلق معظمها بإحصاء التقابلات الممكنة بين مجمل الخرافات فيما بينها وبين الخرافات والتاريخ وبين الخرافات والأساطير.

لنا أن نسأل كيف كانت وجهة نظر اللساني سوسير وهو يدرس مجالات أخرى؟، وما هي الأسس النظرية والإجراءات المنهجية التي اعتمد عليها في هذا المبحث الأدبي؟.

انطلق سوسير في هذه العملية الإجرائية باعتماده مبدأ تحديد وجهة النظر لضبط حدود الموضوع، هذا المبدأ هو السوط الذي ألزم به جميع بحوثه العلمية، افترض وفق هذا المبدأ أن الحكاية الخرافية و الأسطورة مستلتان من خلفيات تاريخية، فالأسطورة في الأصل عبارة عن سرد قصصي، تقوم على تكثيف عناصر التاريخ من زمان ومكان وأحداث وشخصيات بطولية، فسعى إلى البحث على انعكاس الحدث التاريخي الذي يمثل الأصل في السرد الملحمي، لأن تحويل الأحداث التاريخية إلى ملحمة أسطورية لم يكن من مخاض الصدفة

¹ - Ferdinand de Saussure, légendes et récits d'Europe du nord ينظر: نقلا عن مصطفى غلفان،

لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص163.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

بل هو عمل منظم بدقة « إن ما يهدف إليه سوسير في هذا المبحث هو التنظيم الداخلي والبناء العام، وذلك ببناء نموذج للطرائق المختلفة في سرد الملحمة الأسطورية، وذلك لأن الأسطورة لها خلفية تاريخية، وعليه يمكن العثور على أساس تاريخي في هيكلها العام.¹ عن طريق هذه الفرضية فسر سوسير كل التغيرات التي مست النموذج الأسطوري وعصفت به عن مسار الحقائق التاريخية، براده إلى ثلاث فئات أساسية وهي:

1-الاختزال:

أي أن الملحمة الأسطورية تستنزف الكثير من المحتوى الأصلي للواقعة، ولتوضيح الصورة أكثر يضرب لنا سوسير مثلاً لمؤلف ملحمي يروي معركة دارت بين جيشين، لدى مبارزة القائد (أ) للقائد (ب)، تصبح المعركة رمزية عن غير قصد لأن هذا القتال الفردي يمثل النتيجة الكاملة للمعركة، ويفسر سوسير اختزال المعركة إلى رمز بأنه نتيجة طول الفترة الزمنية بين الروايات، وما يتخلل ذلك من تضخيم للأحداث، كما أن اختزال رموز المعركة في قتال فردي فقط هو من خيال المؤلف الذي يأتي ليحكم بشكل سيء على أصل الأحداث الحقيقية.² وعليه تكون هذه الرموز (معركة القائد ب) اختزلت معركة الجيشين، وشحنت أحداثها بطابع الخيال المحض.

2-التضخيم:

بمعنى تضخيم أحداث السرد الأسطوري حتى تبلغ درجة الخيال، وهذا يفسر ظاهرة تقديس وتمجد الملوك وقادة الجيش من طرف عامة الشعب واعتبارهم آلهة، وهذا راجع في المقام الأول إلى الأساطير الكاذبة المتشربة بالزيف والتي نسجها مؤلف الملحمة لغرض معين.

¹ - Sang-do Kim, la mythologie Saussurienne: une ouverture sémiologique, université paris, linx, 1septembre 1995, p3,

² - Kim Sung, le mythologue Saussure est -il encore Saussure?, université paris, Iinx, N22, 1990, p 136, 137.

3- خطأ بسيط في الإرسال:

هناك حقائق في الملحمة الأسطورية تصبح بسبب خطأ في الإرسال رمزا، ويفسر سوسير سبب ذلك في تدويناته بقوله: إن الإبداعات الرمزية هي نتيجة خطأ بسيط في الإرسال، فهكذا تعابير مثل: رجل القسطنطينية المريض هي في الأصل تدل على الذي أفقد لويس الخامس عشر ذراعا وفريدريك ساقا، وما إلى ذلك، فهي طبيعية جدا بحث لا يتم ملاحظتها، وتنتقل إلى الأسطورة وتصبح رمزا بينما هو خطأ بسيط في إرسال الكلمات التي كان لها معنى مباشر في البداية، وتصبح في الباب الجديد الرجل المريض الذي قطعت ذراعه، ويمكننا أن نجد معناها الحقيقي بمساعدة القصة والأحداث التاريخية، وعليه فإن الإبداعات الرمزية هي نتيجة خطأ في النقل.¹

حسب وجهة النظر السوسيرية فإن هذه الفئات هي السبب الرئيسي في تشويه القصة الأصلية، وذلك راجع إلى ضعف الذاكرة الإنسانية عن تذكر تفاصيل الأحداث، وتعويض هذا الضعف أو النقص بجرعة زائدة من الخيال، الذي يعتبر الفاعل الحقيقي والمحرك لكل أحداث القصة.

كما أن مؤلف الملحمة يعتبر من الأسباب المباشرة لانحراف القصة الحقيقية عن مسارها المستقيم، فمن أجل تحقيق الجودة والإتقان في العمل الملحمي، وبلوغه مصاف أذواق القراء الفكرية، لا بد من تضخيم الأحداث والتكثيف في الصفات الخارقة لشخصيات العمل الملحمي، وذلك راجع حسب اعتقادنا إلى بحث الإنسان البدائي في تلك الفترة عن موجد كل شيء من لا شيء، فيعتمد إلى ظواهر الطبيعة وقادة الحروب والملوك ليتوسم فيهم صفات القوة والخلود، فيقرن بينهم وبين صفات الخالق الذي بالنسبة له غير موجود ولا بد من تجسيده في رمز مشحون بكل أطياف الخوارق.

¹- Kim Sung, le mythologue Saussure est-il encore Saussure?, université paris, linc, N22, 1990, p 136, 137.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

كان غرض سوسير من هذا المبحث منذ بداية العمل هو تحديد الهيكل التأسيسي الذي يحكم المنظومة الداخلية للملحمة، ويقول في أحد تدويناته بعد أن فقد وقتنا ومجتمعنا الإحساس بالملحمة، يرى المرء أن نظرتنا اتجاهها تدور حول كائن غير معروف، وهو أمر طبيعي تماما، ورغبتنا في دراستها هي من أجل الحصول على العمليات الأساسية التي تحكم العمل الملحمي.¹

كالعادة أفشى سوسير بهذا الأرق الفكري إلى طالبه وزميله أنطوان ميه، وتم العثور على هذه الرسالة بتاريخ 12 نوفمبر 1906م، يخبره فيها عن رغبته الشديدة في استفاد كل دقائق هذا الموضوع، وهذا مقتطف قصير من الرسالة

« أرى أنك تذكر (Nibelungelied) كأحد مواضيع دراستي...من المؤكد أنه إذا تم تخصيص الوقت لي لاستئناف هذه الدراسة، فإنني أرغب في التحدث مرة واحدة في باريس عن هذه الأسطورة وكذلك التحدث عن مبادئ علم اللسانيات.²»

تفسر لنا رسالة سوسير المؤرخة بتاريخ 3 يناير 1984م إلى ميه هذا الميول العجيب والغريب في نفس الوقت من عالم لساني اشتغل في الخفاء في قضايا أدبية، سعادته بدراسة الإثنوغرافيا، هذا العلم الذي يقدم حسبه اللسان في زخرف جديد بعيد عن طابعه المجرد وفي ذلك يقول: في هذا التحليل يظهر الجانب الخلاب للسان، الذي يجعله يختلف عن جميع الألسن الأخرى، وذلك أنه ينتمي إلى شعب له أصول معينة، وهذا ما يجعلني مهتم " أ بـ" الإثنوغرافيا" ، إنه من دواعي سروري أن أكرس نفسي لهذه الدراسة دون دافع حقيقي سوى التمتع بالبحث في أثنوغرافيا بيئة معينة.³

¹ - Kim Sung, le mythologue Saussure est -il encore Saussure?, p1.

² - idem, p2

³ - idem, P2

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

علق ميه على هذا المبحث بقوله « يعالج سوسير مواضيع جديدة وغريبة جزئيا عن اللسانيات، مثل قصيدة (Nibelungelied)، لقد طبق منها مميّزا عليها بعقله القوي والثاقب، وإنه لا يعقد العزم لتقديم أي من تأملاته الطويلة.¹»

4-الانعكاسات السيميائية لسوسير في مشروع الحكاية الخرافية والأسطورة:

لم يذكر سوسير مشروعه غير المكتمل حول الأسطورة والحكاية الخرافية في محاضراته الأخيرة، ولم يولي أهمية كبيرة للرمز في مشروعه التأسيسي لللسانيات العامة، بل ركز على الطابع التعسفي للعلامة اللسانية، ولنا أن نسأل من هذا المنطلق هل يعتبر مشروع الحكاية الخرافية مبحثا تكميلي لموضوع السيميولوجيا؟، هل أراد سوسير فعلا من هذه الدراسة التأكيد على الطابع التعسفي للعلامة اللسانية؟.

يمكننا أن نحدد وعلى ضوء دفاتر المخطوطات مفهوم رئيسيان يحلان هذه الإشكاليات، وهما:

4-2-الرمز:

ورد الرمز الأسطوري (في العمل الملحمي) كمبحث سيميولوجي، حيث عمل سوسير على تحليل مكونات الأسطورة وعقد علاقة مقارنة بين مكوناتها الأساسية وهو " الرمز " و " العلامة اللسانية"، ولتوضيح جذور هذه الفكرة أكثر نسوق مقتطف ا من دفاتره « تتكون الأسطورة من سلسلة من الرموز، هذه الرموز تخضع لنفس التقلبات ونفس القوانين التي تخضع لها باقية العلامات السيميولوجية، وعلى سبيل المثال الرموز التي هي جزء من النظام اللساني هي كلها جزء من علم السيميولوجيا، ولا توجد طريقة تؤكد فرضية أن الرمز يجب أن يظل ثابتا ولا يجب أن يتغير إلى أجل مسمى، ولكن الحقيقة أنه يتغير ضمن حدود

¹ - idem, p2

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

معينة، يمكننا تحديد هوية الرمز في اللحظة التي يكون فيها رمز؛ أي تدفقه في الكتلة الاجتماعية التي تحدد قيمته في كل لحظة.¹

عليه يكون العنصر الفارق بين الرمز والعلامة هو درجة التعسف، فإذا كانت العلامة تقوم على علاقة عشوائية؛ أي لا يوجد مبرر منطقي يجمع بين الدال والمدلول، فإن الرمز على العكس من ذلك يقوم على علاقة قوامها المنطقية، لأنه في الأصل تعبير عن فكرة، ومع ذلك فيه درجة من التعسف، لأن قابلية تغيير الرمز وثباته يفترضان أيضا التعسف حسب سوسير.

عليه فالرمز الأسطوري مثل العلامة اللسانية قائم على التعسف، فالرمز غير ثابت بل يخضع لقوانين اجتماعية تؤدي إلى تغيير ميكانيزماته، ويتم تفسير هذا التغيير من خلال المحيط الاجتماعي الذي يغير قيمته باستمرار.

4-1- الهوية:

انشغل سوسير كثيرا بهذا المبحث، وذلك راجع إلى صعوبة تحديد الهوية هذا من جهة، ومن جهة ثانية عسر تحديد المعايير التي تتشكل منها، يعقد الأستاذ في مسوداته علاقة استلزام بين القيمة والهوية، لأن المجتمع هو الذي يحدد قيمة الهوية، وعليه تكون ماهية الهوية متغيرة سواء في الشخصيات الأسطورية، أو الأفعال المنفردة التي تتميز بها، إن الهوية مجموعة من السمات غير المستقرة، يمكن نقلها إلى شخصية أخرى، وهذا ما يؤدي إلى تدمير أي معيار نهدي من خلاله إلى ملامح الهوية في المبحث الأسطوري، وفي ذلك يقول «الاسم وحده لا يعني شيئا، وهذا الأمر مؤكد، فهل هي أفعال الشخصية؟، أو الشخصية؟، أو حاشيتها؟، ونسأل مرة أخرى بأي طريقة نشكل معيار الهوية؟، إنه قليل من كل ذلك ولا شيء من ذلك، لأنه يمكن تحويل كل شيء ونقله من (أ) إلى (ب)، وكلما درسنا

¹- Clemilton lopes pinheiro les recherches de Ferdinand de Saussure sur les légendes en quel sens peut on parler d'études de texte?, Cruz, 24-09-2015, p190.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

الشيء أكثر، كلما رأينا أن السؤال لا يعرف حتى أين يكمن بالأحرى، الهوية في مكان آخر.¹

إن هذا المشروع غير المكتمل، هو دراسة اشتملت على التقعيد للنظام الأسطوري والنظام اللساني، لم تكن دراسة عابرة، أو لحظة جنون، فقد درس سوسير هذا العمل بخبرة المؤرخ وحنكة اللساني، فعمل على مقارنة الحقائق التاريخية بالأحداث الملحمة، وذلك بغرض الوقوف على سبب نشوء العمل الملحمي، بالإضافة إلى تقديم تفسيرات منطقية لأسباب انحراف الأسطورة عن الأصل الحقيقي للقصة، فابتداء العمل من منظور تاريخي لينتهي به المطاف للتقيب السيميولوجي في مقومات الأسطورة (ولادة الرموز والتشكيك في ماهية الهوية)، وبذلك تكون الأسطورة جزءاً من علم السيميولوجيا، لخضوع الرمز إلى التغيرات الدائمة بفعل التنشئة الاجتماعية التي تغير من قيمته باستمرار، بالإضافة إلى انتقاء مبدأ نستطيع عن طريقه تحديد جوهر الهوية في الموروث الأسطوري، وعليه فإن سوسير في هذا المبحث هو مؤرخ وعالم سيميولوجي في نفس الوقت.

ثانياً- الموروث السوسيري وضبابية التفسير:

ساهمت ظهور المصادر المخطوطات على يد اللساني روبرت غودل، في الكشف عن كهوف ومataهات جديدة في الفكر السوسيري، فتعرفنا فيها على سوسير الفيلولوجي- كما كان يتظاهر أمام الساحة اللسانية-، ووجدنا فيها سوسير البنيوي الساخط على المسار الذي انتهجته دراسات معاصريه، والمدعش من كل ما تقدم هو سوسير الأدبي الذي اشتغل في حلقة الليل وبخفاء في الحكاية الخرافية والأسطورة.

يؤكد لنا هذا الطرح أننا أما سوسير مضاعف، فأى منهم هو سوسير الحقيقي؟، هل هو سوسير البنيوي، أو سوسير الفيلولوجي؟، أو ربما يكون سوسير الأدبي؟، ماذا لو أن ما يبدو من بعيد قطع متفرقة ما هو سوى قطعة واحدة عجزنا عن إعادة جمعها؟.

¹-Sung do Kim, la mythologie Saussurienne: une ouverture sémiologique, l'université, p6.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

اختلف الدارسون في تفسير عمل سوسير على هذا المشروع الأدبي، فمالوا للقول بوجود فكر لساني واحد لا غير لسوسير، وفسروا هذه البحوث والأنشطة العلمية المختلفة المشرب على أنها نتيجة حتمية للتكوين المنهجي الذي مر به فكره، ولا تعدو بحوثه في الميادين الأدبية إلا تنمية لدراساته اللسانية، فمبحث الحكاية الخرافية والأسطورة لا يعتبران إلا قسمًا مستلًا من مبحث العلامة اللسانية، لغرض تحقيق وطأة التعسف في الوضع المصطلحي، وفي ظل هذه الثنائية الجدلية التي تروم تحقيق نصوص المخطوطات تم تقديم حسب كيم Kim أربع دراسات تقدم لنا تفسيرات متعارضة وهي: prosdocimi (1974)، Engler (1973)، Avalle (1983)، Araive (1986).¹

- ترى الدراسة الأولى أن هناك قطيعة معرفية بين بحوث سوسير في محاضراته، ودراساته في الحكاية الخرافية والأسطورة، فلا يوجد حسب أفال معالم هيكل قائم لمبحث العلامة، وأنه بدل الإشارة التي تتمتع بهيكل مستقر، فإن الأسطورة ليست سوى نوع من السحابة.

- أما الدراسة الثانية التي يقدمها أنغلر فهي تناقض أطروحة أفال، وكأنها بمثابة الصفعة على الازدواجية الفكرية التي قدمها عن الفكر السوسيري، ولتنفيذ هذا الادعاء يؤكد أنغلر أنه لا توجد قطيعة بين المحاضرات وتحليل الحكاية الخرافية والأسطورة، فمبحثه في الملحمة الجرمانية " النيبلونجن " في جذوره العميقة امتداد لمبحث السيميولوجيا اللسانية وفي ذلك يقول: إنه لا يوجد فرق جوهري بين علم السيميولوجيا اللساني وعلم السيميولوجيا الأسطوري، إن الاختلافات القائمة ترجع إلى اختلاف في وجهة النظر من ناحية، وإلى طبيعة الموضوع المدروس من ناحية أخرى، ويمكننا التوفيق بينهما.²

- أما دراسة prosdocimi قدم من خلالها تقييمًا كاملاً إلى حد ما، من خلال طرح السؤال الأساسي حول ما إذا كان سوسير في الميثوغرافيا قد طبق وجهة النظر السيميولوجية

¹-SungdoKim,lamythologie Saussurienne:uneouverture sémiologique, p 2.

²- idem, p2.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

لدراسة الأسطورة، وكانت الإجابة التي توصل إليها سلبية، حيث تظهر فجوة ليتمكن التغلب عليها بين العلامة اللسانية والرمز الأسطوري، فالأخير لا يقبل المقارنة ولا التشابه مع الحقائق اللسانية.¹

- أما أرفيه فقد خلص بعد عقد مقارنة بين موضوعات السيميولوجيا في المحاضرات والبحث في الأسطورة إلى الإقرار بأن «الأسطورة ترد في المبحث السوسيري بوصفها موضوعا للسيميولوجيا، شأنها بالضبط شأن كلمات اللسان».²

تم تطوير العديد من الدراسات التي تروم تقديم أطروحات أقوى من الدراسات السابقة حول القضايا الأدبية في الممارسة السوسيرية، وسيطول المقام بذكرها جميعا، لذلك ارتأينا تقديم أنسب التفسيرات التي لامست سياج المنطق السوسيري، وكانت خلاصة لتأملاته الطويلة والعميقة في بحوث اللسانيات و الحكاية الخرافية الأسطورة، وهي دراسة فهر Fehr، فهي حسب رأينا لا تتناقض مع ما تم تقصيه فيما سبق حول جهود سوسير في هذا المجال، فحسب فهر كان اهتمام الأستاذ بالملحمة الجرمانية النييلونجن من الناحية التاريخية أسبق من دراسة العلامة اللسانية، تتعلق هذه الدراسة بشكل أكثر دقة بمسألة علاقة العمل بعد وفاته مع العمل المنشور خلال حياته؛ أي مقارنة بين الانعكاسات السيميولوجية لسوسير وأبحاثه حول الأساطير الجرمانية، كان اهتمام سوسير بالنييلونجن تاريخيا في البداية، لكنه فيما بعد صير نفسه في مواجهة إشكالية العلامة، وعليه تكون تأملات سوسير السيميولوجية في الأساطير دفعته إلى إقناع نفسه بجانب جديد من الإشارة لم تأخذه السيميولوجيات الفلسفية بعد في الاعتبار.³

¹- idem, p 2

²- ميشال أرفيه، البحث عن سوسير، ص124.

³ClemiltonlopespinheirolesrecherchesdeFerdinandedeSaussuresurleslégendesenquelsenspeutoparlerd'étudesdetexte?, P480.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

مررنا ولو بشكل جزئي وقصير على مبحث الحكاية الخرافية والأسطورة عند سوسير، ولا يزال الباب مفتوح للعديد من الدراسات التي تبتغي قراءة مختلفة ومقاربة للعلاقات بين هذا المجال والسيميولوجيا اللسانية.

ثالثا- سوسير والمشروع غير المكتمل:

ذهب الدارسون في تفسير المسائل الفكرية التي اشتغل بها سوسير بعيدا عن صلب تخصصه مضارب مختلفة، وإن اختلفت فهي تصب في نفس النقطة، وهو تأزم الحالة النفسية للباحث مما دفعه كنوع من ردة الفعل لكل هذه الفوضى الهروب والانغماس في قضايا بحثية لا تمت بصلة لأصل الأزمة، حيث يرى بعض الدارسين أن العناية البالغة بقضايا الحكاية الخرافية والأسطورة من منظور يجمع اللسان بالأدب والتاريخ والحضارة يجسد تعبير مدوي عن إحباط سوسير نتيجة لسوء الفهم وقلة التقدير التي تعرضت له المذكورة، بينما يذهب دارسون آخرون للقول بأن البحث في الجنس التصحيفي وتحليل الحكاية الخرافية والأسطورة لم يكن من باب الفضول المعرفي، بقدر ما كان هروب من العزلة التي دفن فيها سوسير نفسه، نتيجة لوضعية نفسية غير مريحة تتمثل في شعوره بعدم الرضا والاستحسان.¹

عليه يكون الانغماس الفكري في مجال الأدب نوعا من الهروب بكل ما يمد بصلة إلى لسانيات عصره، غير أنه إذا دققنا النظر سنلاحظ أن هناك تضاربا في تواريخ بداية العمل على هذه الكتابات وما كان يعيشه سوسير في تلك المرحلة، وبما فسر به الدارسون هذا الجانب الخفي من اهتماماته، يساعدنا وضع التواريخ في سياقها الفكري ووضع النقاط على الحروف، من تقريب الصورة والإجابة على سؤال: لماذا الجنس التصحيفي وتحليل الحكاية الخرافية و الأسطورة؟

يخبرنا ألبرت كوني (Albert Cuny) أنه بعد نشر المذكرة والتي سيكون لها فضل رائع وفائدة كبيرة في إثبات التقارب بين الحامية والسامية و الألسن الهندوأوروبية، ولكن بعد ذلك

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجدي، ص 169.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

كما يخبرنا هيرمان مولر، عارض أستوف أي محاولة من هذا القبيل بإلحاح لدرجة أن هـ. مولر* وسوسير تساءلا كلهما عما إذا كانا سيديران ظهورهما لعلم اللسانيات.¹

لا يخبرنا كوني عن المصدر الدقيق للمعلومات في هذا المقطع المثير للاهتمام من عدة نواح، وربما توصل إلى هذه الفرضية بعد إطلاعه على مضمون الرسالة التي كتبها الأستاذ إلى الطالب.²

لكن ما يبدو شاذًا وغريبًا نوعًا ما اهتمام لساني بالملحمة الجرمانية، كان أمرًا طبيعيًا في ذلك الوقت، وتم إثبات ممارسته على نطاق واسع، على سبيل المثال بالنسبة لجاكوب غريم، وهيرمان بول وللكثيرين غيرهم.³

عليه تكون هذه الممارسة أمرًا طبيعيًا بالنسبة إلى تلك المرحلة، ولو أننا ذهبنا مع الافتراض القائل بأن الشاب المتأثر بإخفاقه في إثبات هوية لأفكاره وتحقيق كينونة خاصة به في المجتمع الألماني، نفسه عن حالة الغضب والإخفاق بدراسة الملحمة الجرمانية بداية من عام 1880، ثم توسع أكثر في هذه الدراسة في عام 1894م، وبدأ هذا المبحث يأخذ طابع الجدية والدقة منذ عام 1910، أليس أمرًا غريبًا أن يقضي سوسير ثلاثة عقود في هذا المشروع، كنوع من التعبير عن حالة الإحباط؟، يبدو أن الأمر أكثر من مسألة الشعور بالاشمئزاز من حالة الفوضى التي يعيشها موضوع اللسانيات، ألم تكن الفترة الباريسية كافية لشفاء هذه الذكرة المؤلمة؟، خاصة وأنه تلقى التقدير وحفاوة كبيرة لأفكاره واحتل مكانة راقية في المجتمع الفرنسي، كل هذه الأمور كانت كفيلة بصرفه للخروج من حالته النفسية والتوقف

* مولر: لساني دنماركي درس القواعد المقارنة الجرمانية في جامعة كوينهاجن، من ناحية أخرى فقد كان يتعامل مع السامية الحامية ومقارنتها مع الهندوأوروبية، منذ أكثر من ثلاثين سنة لإثبات وجود علاقة بين الحامية السامية والهندوأوروبية، وذلك بإجراء تطابق دقيق بين أنساقهما، لكن هذه النظرية لم ترضي.

Albert Einstein: Hermann Möller, semilisch und indogermanisch (erster teil, konsonanten), 1907, revue des études anciennes, tome 11, n3, 2018, p275, 276.

¹ -Johannes Fehr, Saussure: course, publications, manuscrits lettres et documents les contours de l'oeuvre posthume et ses rapports avec l'oeuvre, in his-toire epistémologie langage, tome 18, fascicule 2, 1996, p183.

² - idem, p183

³ - idem, p183

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

عن دراسة الحكاية الخرافية والأسطورة، وإذا كان البحث في مواضيع أدبية نوع ١ من الهروب من صعوبات التقعيد للسانيات العامة وحل كل مشاكلها، أليس دراسته هذه تعيده بشكل أو بآخر إلى نفس المشاكل التي اعتصم منها؟.

عليه يكون سوسير يفر من المبحث اللساني ليعد إليه، إن سوسير في الحقيقة بدراسته لهذه القضايا الأدبية يشبه إلى حد كبير الطفل الفضولي الذي يريد أن يعرف ما هو مخف خلف كل الأبواب، وهذا الفضول والسؤال المستمر وعدم التسليم بالقوانين الجاهزة هو الذي مكنه من أن يكون فردينان دو سوسير مؤسس الدرس اللساني الحديث، ولم يكن هروب من اللسانيات بقدر ما كان انغماس كلي ولكن بشكل مختلف.

رابعا-الجناس التصحيفي:

لفترة طويلة ارتبط اسم فردينان دو سوسير بكتاب محاضرات في اللسانيات العامة وبالدراسات التاريخية أيضا، وبعد حوالي خمسين عاما فقط من وفاته، تم اكتشاف مجال بحثي آخر حول الجناس التصحيفي في الشعر الهندو أوروبي، قدم فيه اجتهادات لدراسة الكلمات التي تعيد إنتاجها المقاطع الجانوسية في الأبيات الشعرية، وظلت هذه المصادر المخطوطات « حوزة عائلته لمدة نصف قرن، ثم تم إيداعها مع بقية المخطوطات السوسيرية، من قبل ابني اللغوي في مكتبة جنيف، ويعود أول ذكر علني لها إلى روبرت غودل، الذي أشار إلا أنها الجزء الأكثر أهمية من المخطوطات التي تركها سوسير، إلا أنه لم يكن دافعا قويا لدراستها، لكنه أبلغ زميله في الأدب الفرنسي جان ساتروبنسكي، الذي نشر هذه المقتطفات الأولى في مقال عام 1964م، وفي العام نفسه نشر بنفينست رسائل سوسير وأنطوان ميه والتي توفير أدلة قيمة على بحثه في الجناس التصحيفي.¹

ثم توالى مقالات ستاروبنسكي في هذا مضمار، عمل من خلالها على استقراء الآليات التي انتهجها سوسير في دفاتر ملاحظاته، وقام بجمع هذا العمل في كتاب عنوانه بـ " les

¹ – Pierre-Yves Testenoire, recherches sémiotiques semiotic inquiry l'ombre du cours (1960-1980), le cours de linguistique générale 100 ans après, association canadienne des sémiotique, université paris-sorbonne, n123, 2014, vol34, p210.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

"mots sous les mots" "الكلمات تحت الكلمات"، وقد سهلت جهوده في تجميع المقاطع المتناثرة وإعادة ترتيبها حسب التسلسل الزمني وإعطاء الوحدة الرابطة بينهم من عملية فهم واستيعاب هذه الفرضية، وقام ساتروبينسكي بتحقيق جزء صغير منها بقيمة لا تتجاوز 5% من إجمالي عدد دفاتر يصل إلى 100 دفتر.¹

يقدر إجمالي عدد مخطوطات سوسير التي فحص فيها موضوع الجنس التصحيفي بتسعة وتسعين دفترًا، يبلغ عددها الإجمالي نحو ثلاثة آلاف وسبعمائة (3700) ورقة، لم ينشر منها سوى القليل.²

أعاد رينيه أمارك نشرهم في عام 1989م، ثم تم دمجها في كتاب "كتبات في اللسانيات العامة"، حيث تم تصنيفها عن طريق الخطأ ضمن المستندات الجديدة، في حين أنها جزء من صندوق المخطوطات القديمة.³ ومن المحتمل أن سوسير بدأ بحثه عن الجنس التصحيفي في عام 1906، واستمر في ذلك حتى الأشهر الأولى من عام 1909، وقد أمضى وقتًا طويلًا هناك، بناءً على عدد الدفاتر المتبقية لديه التي كرسها لهذه المشكلة.⁴

استعمل سوسير في توصيف هذه الظاهرة مصطلح Anagramme، لكنه استعمل تسميات مثل paragramme و Hypogramme، واعتبر أن التسمية الأنسب لظاهرة الجنس التصحيفي هي مصطلح Anaphonie وإن كان هذا المصطلح يدل أيضًا على ما يعرف بالسجع Assonance.⁵

¹ - Pierre-Yves test enoire, les anagrammées de Saussure après un demi-siècle, p1.

² - Thomas Aron, une seconde révolution Saussurienne, langue française, paris, N7, 1970, p56.

³ - Pierre-Yves test enoire, ce que les théories du discours doivent à Saussure : note sur le note dite sur le discours sciences du langage, carrefours et points de vue, p115.

⁴ - JeanStarobinski, les mots sous les mots les anagrammes de Ferdinand de Saussure, Lambert-Lucas limoges Gallimard, paris, 1971, p7.

⁵ - JeanStarobinski, les mots sous les mots les anagrammes de Ferdinand de Saussure, p61.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

اختصرت أسطور هذه الدفاتر تمزقه بين جنون اليقين و صدقية الوهم، كان هدفه إثبات فرضية قائمة على الوعي الكامل في إدخال أسماء صوتية في الممارسات الشعرية القديمة، على شكل شفرات يمكن بشيء من التدقيق والتحليل الحذر سماع همسات الآلهة، قدم لنا اللساني في هذا العمل تفسير بنيوي للتكوين الشعري اللاتيني واليوناني، متوسعا ليشمل بتحليلاته الملحمة الجرمانية،* والراغا الفيدية،* والملحمة الهوميرية*، ومن الواضح أن تاريخ بدأ عمل سوسير على هذه النظرية كان معاصرا لإلقاء محاضراته في اللسانيات العامة ولد هذا النظام الجديد، مثل ومضة من الفكر التأملي، حيث فقد اللساني نفسه بيوم من الخمول في عام 1905م أمام نقش لاتيني، معروف باسم saturnian* ومتسلحا بخبرته في تحليل تكوين الشعر القديم الذي اكتسبه من خلال البحث المستمر في الشعر الجرمانى، كان متأكدا من أنه لاحظ بعض "صوتيات الأصوات" التي تتطفل على النصوص التي يقرأها¹.

كان متأكدا من أن هناك استتساخ صوتي يظهر في مساحة نصية معينة، فكأنما الكلمة تنسج في شبكة متسقة في الأعماق كلمة أخرى، كان على أتم اليقين بأن وجودهم لم يكن وليد الصدفة، أو أمر عارض، أو قيد اعتباطي، وافترض أن هذه الأسماء سواء للآلهة

* وهي مجموعة من القصائد تشكل الأغاني الطقسية في التقاليد الهندية، إنها نظام موسيقي متكامل، يتميز كل واحد من وحداته بتصوير منظور يرتبط بها وحدها، فهي تمثل نشاط الفرد ومشاعره وتثقل إحساسه من خلالها، فهي جانب أساسي لفهم الموسيقى الهندية. هايدي وجيه معوض يوسف، تمارين تقنية لتعريف "الراجا الهندية Raja" لدارسي آلة البيانو/، ع1، مجلة علوم وفنون الموسيقى، الاسكندرية، 2019، مج41، ص631، 632.

* الملحمة الهوميرية نسبة إلى هوميروس مؤلف ملحمتي الإلياذة والأوديسة، يعتب أول من أول من ألف الشعر القصصي "الملحمة". أوشايت، ملحمتا الإلياذة والأوديسة لهوميروس، مجلة مدخل إلى الآداب العالمية، جامعة عبد الرحمن منير، بجاية، ص1.

* شعر ساتورنيان: أو كما يعرف بشعر كوكب زحل هو أقدم أشكال الشعر اللاتيني، لا تزال خصائصه لغزا حتى اليوم، لم يبق منه سوى 132 آية، تم حفظ 95 آية أدبية كاقتراسات في كتب نحوية لاحقة، بالإضافة إلى 37 آية في نقوش جنائزية أو تكريمية، أصل الاسم غير محدد، في الأساطير الرومانية زحل هو أول ساكن وإله الوصاية في المنطقة، لقد تم تخمين أن ساتورني كان بكل بساطة المقياس المحدد لهذا الشكل. ينظر: زحل (شعر) - (Saturnian (Poetry ويكيبيديا، <https://ar.vvikipedia.com/wiki/9:10>، 2021-07-31.

¹ - Fionn Bennett, Saussure's "anagrams": A case of a cosmatic mistaken identity?, université de reims champagne, Ardenne, October 2020, p2

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

أو الأبطال المتناثرة في حفريات النصوص القديمة، قد تكون إحدى الممارسات التراثية التي تقوم على تثبيت الاسم بتوريته في شكل شبكة منظمة داخل النص.

وهذا ما توضحه الرسالة المنتشية بسكرات النصر، يزفها الأستاذ إلى تلميذه ميه بتاريخ 14 يوليو 1906م « يمكنني أن أخبرك أنني الآن أحقق النصر على طول الخط. لقد أمضيت شهرين في استجواب الوحش، ولم أتحرك إلا ضده، لكن لمدة ثلاثة أيام كنت أسير بالمدفعية الثقيلة فقط...تمكنت من الاحتفاظ بمفتاح كوكب زحل بطريقة ما، وهذا الأمر أكثر تعقيدا مما يتخيله المرء. إن ظاهرة الجناس...التي لاحظناها في كوكب زحل ليست سوى جزء من ظاهرة أكثر عمومية، وبالأحرى كلية تماما...تخضع مجمل مقاطع كل سطر لقانون الجناس، من المقطع الأول إلى الأخير؛ ودون حرف ساكن واحد، ولا علاوة على ذلك حرف متحرك واحد، لا يتم أخذها في الاعتبار بدقة، كانت النتيجة مفاجئة للغاية لدرجة أن المرء يدفع إلى التساؤل كيف يمكن لمؤلفي هذه الأبيات..الحصول على الوقت للانغماس في مثل هذا اللغز: لأن the saturnian هي لعبة صينية حقيقية...سأحتاج إلى رسالة كبيرة لمؤامة الأمثلة ولكن هناك حاجة إلى سطرين فقط لإعطاء القانون: لا يسمح لحرف متحرك بالظهور في saturnian إلا إذا كان لديه حرف العلة المقابل في مكان ما في السطر وفق قانون الاقتران...يوجد دائما رقم زوجي لأي حرف ساكن مهما كان.

لكن الأمر يذهب إلى أبعد من ذلك...إذا كان هناك أي بقايا غير قابلة للاختزال، إما في حروف متحركة، وهذا يحدث بالضرورة إذا كان عدد مقاطع البيت فرديا، وإما في حروف ساكنة...لا توجد إدانة على الإطلاق لهذا البقايا...فالشاعر يأخذها بعين الاعتبار... فنراه يظهرها مرة أخرى في البيت التالي كبقايا جديدة تقابل فيض الفقرة السابقة. هذا هو التحقيق الأكثر إمتاعا للقانون.¹

لاحظ سوسير في شعر ساتورنيان أو شعر كوكب زحل الغامض الذي لا يخضع لأي مخطط معروف للمقاييس الكلاسيكية، ورود كل صوت بشكل متساو، سواء أكان حرفا

¹ -Ms. Fr.3962.un brouillon de lettre du 30juillet1906 (destinataire Anu), selon,Jean Starobinski, les mots sous le smots , p20,21,22.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

متحركاً أو حرفاً ساكناً، وفق قانون الاقتران والذي يقوم على مضاعفة استخدام أي حرف مستخدم لأول مرة داخل كل سطر، تقتزن هذه العناصر الصوتية على التوالي بحيث يعطي مجموع الحروف عددا زوجيا لكل سطر، وإذا تبقى عنصر صوتي منفرد يتم أخذه بعين الاعتبار في السطر الثاني، وعليه فهذه الممارسة حسب المحلل قائمة على ازدواجية واعية ومحسوسة لدى الشاعر، إن هذه الأصوات وفقا لقانون الاقتران جاءت للمبالغة في الدلالة على المعنى السطحي للبيت وفقا للمعنى المشفر لحناء؛ أي أن الشاعر كان يقوم بنشر المقاطع الصوتية في الأعماق الدلالية من خلال تنظيم الآيات في شكل وحدات معجمية تكون صدى للبنية العميقة.

1- وجهة النظر السوسيرية في دفاتر الجنس التصحيفي:

لإضفاء الشرعية على فرضية وجود تراكيب أصلية مدفونة تحت الموروث الكلاسيكي الغربي، عمد الأستاذ إلى إحاطة نفسه بضمانات منهجية، لكي لا يغرق في هذيان الوهم وينساق وراء فراغ كاذب، فسعى إلى وضع منهج يقوم على القواعد الحسابية التي تحكم العناصر الصوتية، فأقام فرضية التنظيم الكمي والتي تفرض على الباحث طريقتين: الطريقة الإحصائية أولا وقبل كل شيء، التي استخدمها على نطاق واسع، ليس لإحصاء آيات هوميروس ولكن أيضا لحساب الوحدات الصوتية المختلفة "المقاطع، الصوتيات، الحروف الساكنة... الخ"، في القصائد السنسكريتية واليونانية والألمانية والفرنسية.¹

ارتكز المحلل على النهج الإحصائي الاستدلالي لأنه أفضل السبل للوصول إلى الحقائق، فالمادة الصوتية الخام وفق هذا التحليل تظهر في عدد زوجي في كل آية، وإذا كان هناك بقايا أصوات منفردة يأخذها في عين الاعتبار في السطر التالي، وقد توصل إلى الدقة النظامية في هذه الممارسة بالاعتماد على الملاحظة والتخمين واختبار الفرضيات حتى

¹ -Pierre-Yves Testenoire, les anagrammes de Saussure après un demi -siècle, Sorbonne université/histoire des théories linguistiques, p6.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

توصل إلى هذه النتيجة المنطقية، وفي ذلك يقول سوسير نحن نميل إلى هذه الطريقة في بحثنا لتحديد الحقائق وتمييزها عن أية ذاتية.¹

الواضح أن المحلل توسع من مدونة هوميروس إلى الشعر الهندو أوروبي آملا في الوقوف على مبدأ القصدية، الذي يعتبر البنية التحتية لهذه الفرضية، بانتقائه تسقط لبنات هذه النظرية الواحدة تلو الأخرى.

أما الطريقة الثانية التي انتهجها وهي حساب الاحتمالات * أو حساب الفرص، وذلك بغرض ترجيح كفة الموضوعية والتخلص من شك الصدفة، الذي يزلزل من قيمة هذه الفرضية « يتصور سوسير حساب احتمال الحصول على الجنس التصحيفي في نص ما حسب العدد المحدود من الأصوات في اللسان، ولقد قام بالتخلي عن هذا النهج الذي من شأنه أن يتحدى علماء الرياضيات أنفسهم»².

إن حساب الاحتمالات والقائم على أرجحيه وقوع حدث من بين مجموعة من الأحداث، للاستدلال على التكرارية المتوقعة للأحداث، يؤدي أحيانا إلى دقة في النتائج لكنها لا تخلو من شبح الصدفة.

يسمح لنا هذا النهج السوسييري وبالالتكاء على دقاته من تحديد ثلاثة مراحل أساسية في تطور هذا البحث³:

¹ -Pierre-Yves Testenoire, les anagrammes de Saussure après un demi –siècle, p6.

* يعد حساب الاحتمالات مقياس لأرجحية وقوع حدث عشوائي - وهو الحدث الذي يكون غير مؤكد الوقوع- ما من بين مجموع من الأحداث، يتم حساب الاحتمال بقسمة احتمالية وقوع حدث أو اثنين على عدد النتائج المحتملة. نظرية الاحتمالات - مفهوما وأنواعها وقوانين حسابها-، مركز البحوث والدراسات متعددة التخصصات،

2022-05-20، <https://www.mdrscenr.com>

² -Pierre-Yves Testenoire, les anagrammes de Saussure après un demi –siècle, p6.

³ -Pierre-Yves Testenoire, Ferdinand de Saussure a la recherche des anagrammes, Lambert-Lucas, vol xx, 2015, p4.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

-تتزامن المرحلة الأولى مع صياغة دفاتر "Homeric Anagram" (صيف 1906م-1907م)، ونرى أن فرضية أن الشعراء القدامى قاموا بتأليف آيات من خلال تقديم مقاطع لما أسماه "كلمة الموضوع" هي المسيطرة على هذه الدفاتر.

-في المرحلة الثانية (1907م-1908م) وفي هذه المجموعة غير سوسير وجهة نظره وذلك بالتوسع في ممارسته البحثية إلى نصوص من عصور أخرى، لم تعد النصوص مقتصرة على الآيات القديمة التي يمكن أن تظهر كممارسة بدائية للتأليف.

-وفي المرحلة الأخير أخضع فرضيته لاختبار الشعر اللاتيني الجديد (يوليو 1908م-1909م) وهكذا واصل بحثه عن الجناس التصحيفي في أعمال أنج بوليتيان (1454م-1494م)، أو في مجموعة توماس جونسون.... إلخ.

لم يكتف سوسير بالبحث عن ظاهرة الجناس التصحيفي في النصوص القديمة بل توسع في هذه العملية إلى كل مادون في الشعر اللاتيني حتى عصره، رغبة في الوصول إلى إثبات أن هذه الممارسة كانت قصدية و إن تلاشى أي دليل يؤكد هذه الحقيقة.

بما أنه بالأمتلة تتضح الفكرة، سنسوق نموذج من شعر ساتورني قام المحلل بالتطبيق الجناس التصحيفي عليه

DONOM AMPLOMVICJOR AD MEATEMPL APORTATO

هذا البيت مأخوذ من قصيدة التنبؤات التي مطلعها "أيها الرومان يا سكان منطقة الماء الأبيض"، يختصر البيت هنا باسم علم، إنه اسم أبولو APOLO، الذي يقبل سوسير طريقة كتابته القديمة بلام واحدة، ثم يشرع بادئ ذي بد ء في تفحص الشطر الثاني، والاسم الذي يبحث عنه يجده متواريا بالطريقة التالية:

AD MEATEMPL APORTATO

A PL O O

شرح البيت: ليقدم المنتصر قربانا عظيما لمعبدي.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

نرى أن حروف كلمة APOLO تظهر " غير مرتبة"، ينبغي نقل O الأولى قبل L التي تسبقها. ويكتفي سوسير بخصوص هذا الشرط بملاحظة أن " تحتك بـ APO لكن من الجانب غير المناسب، ولا يبدو أن ذلك يقلقه قليلا.

ويبدو موقف سوسير أكثر وضوحا فيما يتعلق بالشرط الأول، وقد درسه بعد الثاني لأنه في رأيه أقل جودة.

DONOM AMPLOMVICJOR

1

.A PLO O

هذا ليس كل شيء في هذا الباب إذ يمكن لعنصرين من عناصر كلمة من الكلمات المركبة أن يكونا "معكوسين في تنظيمها المتتالي"، فنجد أن اسم العلم المركب هيراقليطس HERACLITUS، يرد مرتبا على الشكل التالي: CLITUS-HERA ، ويصبح في نص الجنس التصحيفي من الممكن فضائيا ترتيب الوجدتين في ترتيب غير مهم : فـ HERA-CLITUS و CLITUS-HERA هو الشيء نفسه²

لا يقدم لنا المحلل تفسيراً يشفي المنطق حول الانزياحات الكثيرة المنتشرة في المقاطع الشعرية، فهي حسب لا تعدو أن تكون في أغلب الأحيان من الجوازات الشعرية، التي ترخص للشاعر كسر بعض القوانين المتعارف عليها، لغرض الانسجام الموسيقي. ولنا أن نسأل هل هذه التجاوزات ضرورة الشعرية؟، أم أن سوسير يقوم بترميم كل الثغرات في هذه الفرضية لإضفاء الشرعية عليها؟

سوسير عاجز في كل هذه القضية الغامضة عن الحصول على شهادة واحدة لمؤلف قديم حول قواعد تكوين الآيات في النصوص الكلاسيكية، ولكي يقطع الشك باليقين، ويحسم أوراق هذه اللعبة، قام بالتماس شهادة شاعر معاصر له، وهو الشاعر الإيطالي جيوفاني باسكولي (Giovanni Pascoli)، يكتب اللساني ليسأله عما إذا كان الجنس التصحيفي

¹-ينظر: ميشال أرفيه ، البحث عن فردينان دو سوسير، ص219، 220.

²- المرجع نفسه، 221.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

الذي اكتشفه في قصائده نتيجة صدفة أو نية شعرية واعية « سيكفي اثنان أو ثلاثة من الأمثلة لإطلاعك على السؤال الذي طرح في ذهني، وفي نفس الوقت للسماح لك بإجابة عامة، لأنه إذا كانت الصدفة وحدها على المحك في هذه الأمثلة القليلة، يتبع على وجه اليقين أنه هو نفسه في كل الآخرين.. هل هو عن طريق الصدفة أم بقصد، في فقرة مثل... تم العثور على اسم FALERNI محاط بالكلمات التي تعيد إنتاج مقاطع هذا الاسم

FACUNDI CALICES HAUSERE ALTERNI

¹«FA AL ER /AL- ERNI

كان رد باسكولي على أنها ليست أكثر من مجرد صدفة لا تدل على شيء؛ والأمثلة المقدمة لا يمكنها أن تتخذ قاعدة للحديث عن مبدأ عام أو ظاهرة عامة في الأدب الهومييري أو الفيدي أو اللاتيني.²

لكن الأستاذ أصر على موقفه لذلك عاود مراسلة باسكولي مؤكدا على أن ظاهرة الجنس التصحيفي ليست صدفة، وما كان رد باسكولي على الإرهاق الفكري الذي يفتك بسوسير إلا الصمت³. ويعد هذا الأمر من الدوافع الأساسية التي عجلت بإنهاء التحقيق في فرضية الجنس التصحيفي نهائيا.

هذه بعض النماذج لتحليلات سوسير من مقال بيير إيف تستنوير "ما هي نظريات الخطاب التي ندين بها إلى سوسير؟":

¹ -Nava Guiseppe, 1968"lettres de Ferdinand de Saussure à Giovanni paxoli, solen, Pierre –y vestes Tenoire, des anagrammes chez Homère?,p6.

² - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص162.

³ -Federico Bravo, anagrammes sur une hypothèse de Ferdinand de Saussure, Lambert-Lucas limoges, 2tirage, 2011 p66-

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

RN. V, 84. (Cane Angles). Amuzgale

	1	2	3
P	fff	fff	f
C'	—	—	—
f	f	f	f
S	—	ssss	sss
S	ss	ss	ss
V	vvvv	vvvv	vvvv
R	rrrr	rrrr	rrrr
H	—	—	—
M	—	—	—
K	—	—	—
N	—	—	—
N	—	—	—
B	—	—	—
BH	—	—	—
D	—	—	—
PH	—	—	—
D	—	—	—
PH	—	—	—
K	—	—	—
KH	—	—	—

Fig. 3: BGE, Ms. fr. 3961/10, P 17v-18

I, 156. Viṣṇu

Stanza 1: $\frac{vīhātadyamka + vīayā + vīprathāh}{vī + u + (n)} + \frac{vīduṣā + haviṣmatā}{vī + u + (n)} \parallel \text{Poungai na sāvya}$

Stanza 2: $\frac{sēd + vīprathāh}{u + (v)} = \text{final duṣ vīprathāh}$

Stanza 3: $\frac{tām + vīprathāh + vīda + ganuṣā}{u + s} = \text{final}$

Stanza 4: $\frac{apānuta}{u}$

Stanza 5: $\frac{vīvāya + vīprathāh + vīprathāh}{vī + (s)} = \text{final}$

VII, 100. Viṣṇu

Stanza 1: $\frac{Nū + manta + vīprathāh + vīprathāh}{Nū + (s)} = \text{final}$

St. 2: $\frac{vīprathāh + vīprathāh + vīprathāh}{vī + (n)} = \text{final}$

St. 3: $\frac{pāthirīm + vīprathāh + vīprathāh}{vī + (n)} = \text{final}$

St. 4: $\frac{vīprathāh + vīprathāh + vīprathāh}{vī + (n)} = \text{final}$

St. 5: $\frac{vīprathāh + vīprathāh + vīprathāh}{vī + (n)} = \text{final}$

St. 6: $\frac{vīprathāh + vīprathāh + vīprathāh}{vī + (n)} = \text{final}$

St. 7 (formula): $\frac{vīprathāh + vīprathāh + vīprathāh}{vī + (n)} = \text{final}$

Fig. 1: BGE, Ms. fr. 3960/1, P 17

VII, 28

Dix Syll.

gīgān pātā

VII, 54

Dix Syll.

gīgān pātā

Fig. 2: BGE, Ms. fr. 3961/11, P 5

2- الجنس التصحيفي بين جنون اليقين وصدقية الوهم:

كان اكتشاف سوسير الأكثر جرأة موضوع بحث للعديد من الأعمال الأدبية والفلسفية والنفسية والشعرية، وتباينت ردود الفعل بين الافتتان والرفض والصمت، فهل كان الجنس التصحيفي بحث مضلل أم طريقة ثانية لوجود النص؟.

يرى فيون بينيت (Fionn Bennett) بأن هذه النظرية نسيج من الخيال المحموم، فلا يوجد دليل قوي تقيم به لبناتها أمام سيل الشكوك «إن أي شخص سمع بنظرية فردينان دو سوسير عن استخدام الجنس التصحيفي في الإنتاج الشعري المبكر، سيعرف أن المشروع يعتبر عموماً فشلاً ذريعاً، فهي لا تعدو أن تكون "فكرة مضللة غير سعيدة" و"تسليية سخيفة

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

"و"تحقيق عقيم" وباختصار "كارثة"، فسوسير حاول تعريف التعبير الصوتي في الشعر القديم على أنه جناس تصحيقي، وكان في الواقع شكلا من أشكال "القافية"¹. يذهب فيون إلى أن الجناس التصحيقي لا يعدو أن يكون قافية منتشرة في النص.

إن ظلال الذاتية التي بصمت النهج السوسيري، بالإضافة إلى انتقاء مبدأ القصدية، أضعف من قيمة النظرية، مما أدى ببعض الدارسين لوصف صنيعه بأنه مجموعة من قطع الغيار، فكأن حدس سوسير أصاب عندما قرر الاحتفاظ بذلك القيد الاعتباري في الموروث الكلاسيكي لنفسه.

إن النقاد الذين أنزلوا وإبلا من التهكم والسخرية على هذه النظرية، تناسوا بأننا في حالة عدم إثبات فساد ما توصل إليه سوسير، بالمثل يمكننا القول بهذين الباحث، فهناك أسماء منقوشة في الأعماق الصوتية تقوم بتعزيز المعنى السطحي للنص.

يكتب سوسير «أن علم النفس سيتولى عمليا مسؤولية علمنا، لأنه سيعرف أن اللسان ليس أحد فروع بل هو ركن أساسي من نشاطه الخاص»². فهل الأسئلة التي تركت معلقة في الجهاز السوسيري يمكن أن تجد لها حلا في النظام المفاهيمي الذي وضعه زعيم التحليل النفسي "سيغموند فرويد" (Sigmund Freud ؟، أكد لنا جاك لاكان (Jacques Lacan) مرتكزا على علم النفس الفرويدي بأن النقطة العمياء للاوعي هي التفسير الرئيسي للطريق المسدود لنهج سوسير الجانوسي، حيث يقول «هناك معرفة لا تعرف نفسها، وهي معرفة يدعمها الدال على هذا النحو... في هذه المرحلة من اللسان، سأل سوسير نفسه عما إذا كان في شعر ساتورنيان، حيث وجد أغرب علامات الترقيم المكتوبة، كانت مقصودة أم لا، هذا هو المكان الذي ينتظر فيه سوسير فرويد»³.

¹ -Fionn Bbennett, Saussure's "anagrams", p1.

² -Ferdinand de Saussure, 2002, écrits de linguistique générale, solen, Federico Bravo, anagrammes sur une hypothèse de Ferdinande de Saussure, p66.

³ -jacques Lacan, 1975, séminaire xx, Federico Bravo anagrammes sur une hypothèse de Ferdinande de Saussure, p151.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

قدم لنا لاكان من بين جميع الأنساق التأويلية التي قدمها الدارسون لنظرية الجنس التصحيفي، فكرة مقنعة وبناء متماسك حول هذا «الأحجية» اكتشف سوسير بالفعل إحدى الحالات الخاصة لما عرف «بالحاح الحرف في اللاوعي»، عند قراءة شيء قد كتبه المرء مرة أخرى، من المعتاد أن يكتشف المرء - دون أي معنى لذلك - أنه قد أعاد إحدى الكلمات بمعنيين مختلفين، أو أنه قد استخدم كلمات متماثلة في الرنين في حيز متقارب ضيق، وتفسير ذلك افتراض أن الكلمة الرئيسية قد بقيت في اللاوعي القريب، وساعدت في تحديد اختيار الكلمات اللاحقة، لقد أوحى لنا تفسير التحليل النفسي بأهمية القرائن اللفظية من نوعية التورية punning والجناس التصحيفي، في أداء الوعي، وهكذا قد يكون لدى المرء المبرر الكامل للاقتناع بأن اللغة الشعرية poetic التي تخلص من أي أهداف اتصالية محددة، والتي تمثل النطاق الأكبر لعمليات تداعي المعاني . تؤثر في الكم الأكبر لتكرار الجنس التصحيفي.¹

يمكننا الاستدلال على صدق هذه القضية بشعر شعراء العصر الجاهلي، الذين كانوا يألّفون أبيات قصائدهم وفقاً لأوزان غاية في الدقة، دون أن يكون لديهم سابق معرفة بهذه البحور الخليلية، وكأن هذه لمعرفة التقنية امتلكها الشاعر العربي عن طريق السليقة دون وعي تماماً منه، كأنما تسربت من البيئة الصحراوية التي كان يعيش فيها وترسخت في اللاوعي.

العرب في الجاهلية كانوا يعربون كلامهم بسليقة دون سابق معرفة لقواعد النحو، يقول أبو بكر الزبيدي في هذا السياق « ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من إسلامها، تبرع في نطقها بالسجية، وتتكلم على السليقة، حتى فتحت المدائن ومصرت الأمصار، ودونت الدواوين.²»

¹ - جوناثان كلر، فردينان دو سوسير (تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات)، ص 127.

² - أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1964، ص 4.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

العرب في الجاهلية كانوا يعربون كلامهم رفعا ونصبا وجرا وجزما، وذلك عن طريق السليقة التي فطروا عليها منذ نشأتهم في بيئة فصيحة اللسان، سليمة البيان، حتى أصبح الإعراب لديهم من الملكات الراسخة، دون سابق معرفة لقوانين اللسان، وكأن ملكاتهم اللسانية جبلة عليها دون سابق معرفة أو بشيء من اللاوعي.

الموسيقى الصوتية التي توصل إليها سوسير عملية ليست عرضية بحثية ولا واعية تماما، حيث تسللت هذه الأصوات إلى العقل الواعي في شكل شبكة نصية مشفرة يحركها الجانب المظلم من اللاوعي، وكان خطأ المحلل أنه درس هذا الانعراج على أنه ممارسة واعية تماما.

3- سوسير وبحثه في الجنس التصحيفي:

يرى العديد من الدارسين أن بحث سوسير في الجنس التصحيفي كان انتقادا منه للسان وعلى الأخص للعلامة، في حين يرى فريق آخر أن سوسير كان يحاول بالفعل اختراع أسلوب جديد في القراءة، وهو متحرر من قيود الشفرات اللسانية الاصطلاحية وعلاقات العلامة.

جوناثان كلر في هذه الفقرة «في اعتقادي أنه يمكن القول وبكل صراحة أن اقتناع سوسير بالجناسات لم يكن في ذاته نقدا للعلامة، أو محاولة منه لنقد العرف، كي يترك للقراء حرية إنتاج المعنى أو خلقه وفقا لأساليبهم الخاصة. لأنه افترض خضوع الجناسات التصحيفية لأعراف إضافية صارمة، وبالفعل فهو لم ينظر إلى اكتشاف الجناسات التصحيفية في النص على أنه شكل من أشكال التعبير عن الذات، أو على أنه هروب من التقيد، وعلاوة على ذلك لم تكن الجناسات التصحيفية بالنسبة إلى سوسير تكشف عن أحد الأسرار، أو عن أحد المعاني المتهمة وإنما كانت تدعم بالفعل كلمات أخرى - أي أسماء

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

الأعلام - وهي الكلمات التي أكدت ما تضمنه النص في ذلك الحين، فقد عززت تلك الكلمات المعنى الذي انطوت عليه العلامات الأخرى في النص ولم تقوضه.¹

يفسر ستاروبنسكي بحث سوسير في الجنس التصحيفي على أنه وليد الصعوبات التي وجهته في استكشاف الجوانب التعاقبية للخرافة وما يتعلق بالتعاقبية القصيرة للتشكّل الجنسي؛ وهي الصعوبات التي أسهمت في أن يتجه بإصرار أكيد نحو الاهتمام بجوانب اللسان التزامنية، ويشير ستاروبنسكي إلى أن الدروس التي ألقاها سوسير في اللسانيات العامة ما بين 1907م و 1911م جاءت في جزء كبير منها بعد البحث في الجنس التصحيفي.²

يوضح لنا غلفان قصور هذا التفسير وذلك بتتبع المسار التاريخي الذي قطعه تأملات سوسير في مجال اللسان وغيره، فاهتمامه بقضايا اللسانيات العامة والانشغال بها لم يكن وليد فترة تدريسه لها في جامعة جنيف وإنما يرجع إلى عودته من باريس سنة 1981م، وتجسد نصوص المحاضرات الافتتاحية التي ألقاها في هذا التاريخ اللبنة الأولى لبرنامج العام في اللسانيات، كما يتضمن نص في الجوهر المزدوج للغة الذي يعود تاريخ تأليفه إلى بدايات التسعينيات من القرن التاسع عشر مقدمة نظرية مهمة حل فيها سوسير طبيعة الظاهرة اللسانية (المزدوجة) والطرائق المنهجية التي ينبغي إتباعها في تلمس خصائصها من منظور لساني جديد.³

عليه يكون بحثه في القضايا الأدبية ليس جنوحاً نحو المقاربة الآنية بعد فشله في تحقيق المقاربة الزمانية، بل العكس هو الراجح تماماً، وفي ذلك يقول سوسير في محاضرات

¹ - جوناثان كلر، فردينان دو سوسير (تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات)، ص127.

² - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص169.

³ - ينظر: المصدر السابق، ص169، 170.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

العام الثالث «ممارسة اللسانيات الزمانية أسهل من ممارسة اللسانيات الآتية، فموضوعها أكثر قابلية للإدراك، والعلاقة بين الألفاظ وسلسلة التحولات ليست شائكة.»¹

أما مختار زواوي يرى أن بحوثه في الشعر اليوناني والشعر الفرنسي وغيرها من اهتماماته الأدبية كان يروم منها استحداث نسق مفهومي يقارب به الواقعة الشعرية مقارنة أصيلة جديدة، لكن قلة تحقيق مخطوطاته المودعة بمكتبتي جنيف وهارفارد ونشرها، وقلة العناية بتكوين سوسير العلمي والفلسفي واللساني، حال دون فهم سديد لهذا الفكر المتعدد وسد المنافذ دون إمكانية الولوج إلى عالمه وتحديث مشروعه.²

إذا عدنا إلى الوراء وبالضبط إلى الفترة التي كان سوسير يتأمل فيها النقش اللاتيني ساتورنيان، والتي امتدت ما بين 1906م و 1909م يتضح لنا أنها الفترة نفسها التي كان يحقق فيها كينونته، يحارب لتأكيد هوية التصورات الجديدة، وذلك من خلال محاضراته في اللسانيات العامة، هذه الفترة من حياته لا تعكس فشلا ذريعا ولا نكسة عاطفية في حياة الأستاذ بقدر ما تعكس نضجاً فكرياً قرب الاكتمال، أفصح عنه لزملائه وطلبته، هذه الفترة تجسد سوسير القوي الذي استطاع أن يكسر قيود الخوف الذي لازم رعشة قلمه، وأفصح عن كل التساؤلات التي أرقته وعمل حل المشكلة من جذورها.

كما أن اكتشافه لهذه اللعبة الصينية كان محض صدفة، وطبعاً ذلك الإصرار والشغف بالبحث عن الحقيقة لم يكن ليهدأ إلا بالوصول لكونه هذا اللغز، ربما رأى الباحث في هذا الاكتشاف الذي توصل إليه والذي ظل لقرون طويلة سؤالاً معلقاً دون جواب شاف، بداية دون نهاية، الباب الذي سيمهد له طريق النجاح والشهرة والمكانة التي لم تمنح له مع النحاة الشباب رغم استحقاقه لها، ربما كانت هذه النظرية الشفاء لتلك الجروح، وتبقى الدوافع الخفية

¹ -Ferdinande de Saussure, TCLG- نقلا عن: مصطفى غلفان، لسانيات التلقي الجديد سوسير في سياق، ص171.

² - مختار زواوي، فردينان دو سوسير والشعر العربي ومسائل أخرى في اللسانيات المعاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، ع110، لبنان، 2019، ص65، 66.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

وراء هذا الاهتمام تتأرجح بين الهروب وبين إشباع رغبة لباحث شغوف، وتبقى الإجابة الشافية عند سوسير فقط.

4- تلقي دفاتر الجنس التصحيفي:

كيف تلقت الأوساط اللسانية والأدبية هذا المشروع غير المكتمل؟، أثار هذا المشروع السوسييري ردود فعل متباينة بين مدبر ومتلهف، ففي حين وصل جنون بعض الدارسين بهذه النظرية إلى درجة الهوس، ذهب فريق مضاد للقول بفسادها، في حين التزم فريق ثالث الصمت.

تعددت المجالات الفكرية التي اعتنت بالإرث الأدبي الجديد لسوسير، ويرجع الاستقبال الأول لهذه الدفاتر إلى منظري النصوص الأدبية وهم: بارت، كريستيفا، آرون، تودوروف، ريفاتير، ومن الفلاسفة دريدا، لوترينجر، ومن المحللين النفسيين لاكان، ويتناقض هذا الحماس بين منظري الدرس النصي الأدبي مع الصمت الذي لحظ من قبل معظم اللسانيين في ذلك الوقت، الذين لم يتحفزوا لهذه النظرية إلا نادرا، ولم تخصص دراسات للجناس التصحيفي السوسييري سوى في مطلع القرن الحادي والعشرين من أمثال فيرانديز، تستنوار، غاندون.¹ حضية الجنس التصحيفي بحفاوة كبيرة من قبل الدارسين الذين تم ذكرهم.

أما الاتجاه الثاني فكان يرى في هذا المشروع نسيج من الخيال المحموم، لغياب دليل قوي يقوم عليه أمام سيل الشكوك، وعن هذا المشروع يقول توماس كورنيل «إن العمل المصنوع من أجزاء يمكن أن يسمى كتابا إلا لوجود غلاف، ويكون مرتبطا مثل الكتب الأخرى، إنها مجرد كومة من قطع الغيار.»²

قام في هذا الصدد كلا من shepherd و gandon بنشر العديد من مقتطفات الجنس التصحيفي ما بين 1982 و 2002.³ لكن الغالبية العظيمة منها ما تزال غير منشورة لعدم انتظامها في سلسلة واحدة، واستمر جنون الجنس التصحيفي حوالي خمسة عشر عاما،

¹-Pierre-Yves Testenoire, les anagrammes de Saussure après un demi –siècle, p2.

²-Federico Bravo, anagrammes sur une hypothèse de Ferdinand de Saussure,

³-Pierre-Yves test enoire, les anagrammée deSaussure après un demi siècle,p2.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

حتى نهايات السبعينيات، خصصت له عشرات الدراسات كل عام، انخفض الاهتمام بهذه المشكلة بشكل كبير منذ أوائل الثمانينيات، قبل أن يشهد زيادة طفيفة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.¹

يعود هذا الفتور الذي أصاب الدراسات التي عكفت على دراسة سر الجنس التصحيقي إلى غياب دليل قاطع يثبت صدقية هذه الفرضية، وكان الحكم الذي فصل في الموضوع التي أثمرتها هذه الدفاتر من إصدار التحليل النفسي الذي قرر أنه لا يعود أن يكون إلا إلحاح الحرف في اللاوعي.

المبحث الرابع: الثيوصوفيا والشعر العربي في مراسلات سوسير

أولاً- الثيوصوفيا الكتابة المنسية من الفكر السوسيري:

كتابة منسية من الفكر السوسيري تظهر على الصفحة الأولى من جريدة "دي جنيف" الصادرة يوم الإثنين 29 يوليو 1907م، موقعة بقلم ف.د. سوسير بعنوان "الثيوصوفيا البراهمانية"، وهذا المقال هو مراجعة لعمل بول أولترامار "تاريخ الأفكار الثيوصوفية في الهند: الفلسفة البراهمانية (1906م)"، ولم يجد هذا العمل مكانة في مجموعة منشوراته العلمية المنشورة بعد وفاته.



2

¹- Pierre-Yves test enoire, les anagrammée deSaussure après un demi siècle, p2

²- كان جون بول غماليل أولترامار (1854-1930) أستاذًا استثنائيًا للسان السنسكريتي في جامعة جنيف (1880-1881)، ثم أستاذًا لتاريخ الأديان (1893-1924)، وأستاذًا عاديًا للسان والأدب اللاتيني (1896-1927)، كان عالما

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

عليه لم يقتصر اهتمام سوسير على دراسة اللسان السنسكريتي في سياق المنهج التاريخي، أو النحو المقارن، بل شمل أيضا الفلسفات الهندية وممارسة واسعة لنصوص من الأدب والتاريخ الهندي، وتظل هذه المقالة هي الوثيقة الوحيدة المنشورة خلال حياته والتي تشهد على نشاط سوسير الهندي، وتوجد هذه المخطوطات حاليا في هارفارد.

تترجم الثيوصوفيا في الأدبيات الثيوصوفية بمعنى: (الحكمة الإلهية)، أو حكمة الآلهة، أو المعرفة الإلهية، أو العلم الإلهي، وهي نظام تفكير فلسفي وديني غير إسلامي، يقوم على أساس ادعاءات بالتبصر الباطني في طبيعة الإله وقوانين الكون، ويعتقد الثيوصوفي بأن أصدق المعارف لا تأتي عن طريق العقل والحواس، وإنما تأتي عن طريق اتصال للروح بالحقبة الإلهية، الثيوصوفيا ليست إيماناً أو عقيدة صيغت أو اخترعت من قبل الإنسان، بل هي معرفة القوانين التي تحكم تطور المكونات الفيزيائية والنورانية والنفسانية والفكرية للطبيعة والإنسان.¹ وهكذا نخلص أن الثيوصوفيا نظام فلسفي ومذهب ديني، يسعى إلى معرفة حقيقة الغيب عن طريق التجربة الباطنية.

يطلق اسم الثيوصوفيا اليوم على الجمعية التي أسستها (هيلنا بلافاتسكي) في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي والتي تبنت الفكر الباطني في أمريكا، وعلى التعاليم التي قامت بنشرها وترويجها، ومن أجل صرف النظر عن أي اشتباه في وجود علاقة بالنبوة في اتجاه هذه الحركة، أصر أولترامار وسوسير على الحاجة إلى تعريف مصطلح الثيوصوفيا وتحديد

إنسانيا رائعا وصديقا لسوسير على الأرجح منذ عام 1874، حيث شارك أولترامار وسوسير في فعاليات المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي انعقد في جنيف في 1894.

Guisepppe d ottavi genèse d un écrit Saussure : de la théosophie à une approche de la subjectivité, p129.

¹ - ينظر: مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي، الثيوصوفيا (دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، السعودية، 2015، ط1، ص24، 25. وليام.ك. جودج، محيط الثيوصوفيا، تر: جهاد إلياس الخوري، ط1، 2018، ص13.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

مجال استخداماته، وكان سوسير على اتصال وثيق بالجمعية الثيوصوفية وكان يحضر الجلسات الروحانية (1895-1898) المرتبطة بقضية هيلين سميث.¹

وهذه بعض النماذج من توقعات سوسير في قضايا الثيوصوفيا:

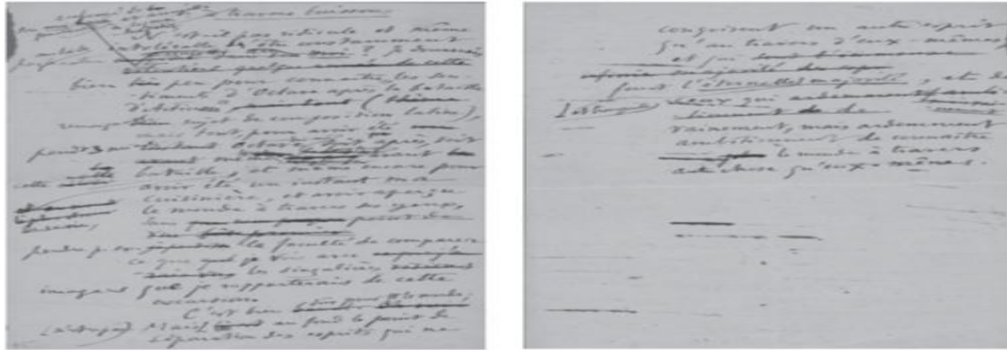


Fig. 7 : Harvard Houghton Library, bMS Fr 266 (6), f. 75 et 75v

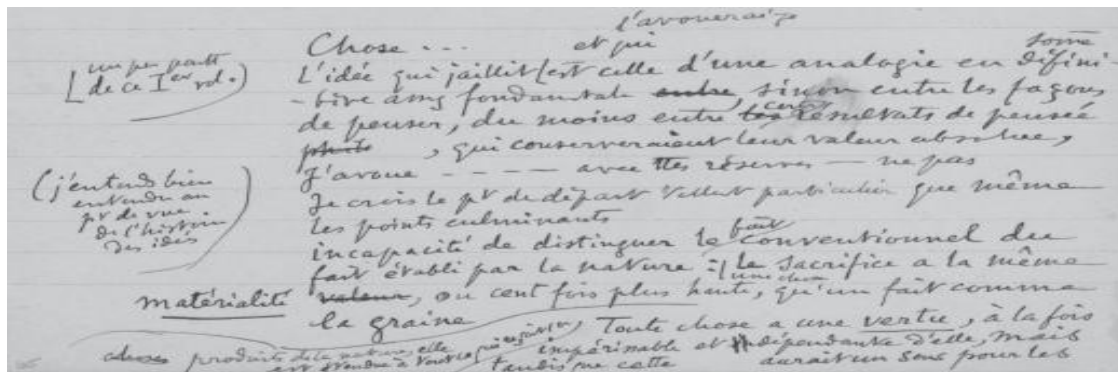


Fig. 5 : Harvard Houghton Library, bMS Fr 266 (6), f. 65 (détail)

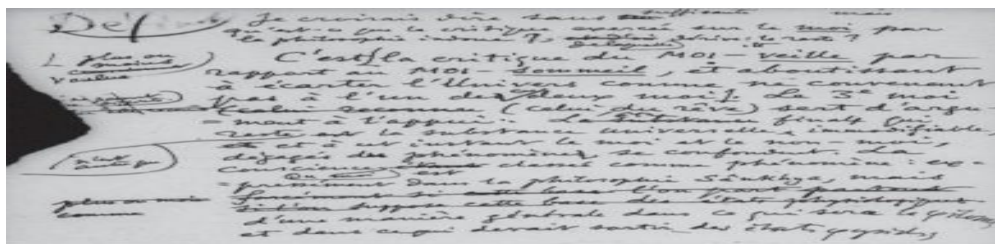


Fig. 6 : Harvard Houghton Library, bMS Fr 266 (6), f. 71 (détail)

تسمح لنا هذه التوقعات باكتشاف سوسير غير عادي ومغامرة فكرية جديدة في الفلسفة البراهمانية التي تعتبر من أهم مصادر الحكمة، بل إن مفهوم الثيوصوفيا قائم على تعاليم الديانة الهندوسية، لذلك انشغل سوسير بدراسة هذا المبحث المعاصر لوقته في كتابات وألترامار.

¹ – Guiseppe d ottavi genèse d un écrit Saussure : de la théosophie à une approche de la subjectivité, p132 136 137 138.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

ثانيا-الشعر العربي في مراسلات سوسير:

ألن يتوقف سوسير عن إدهاشنا؟، يبدو أن الجواب عن هذا السؤال هو لم ولن يتوقف الأستاذ عن إدهاش الشغوفين بفكره، فالمخطوطات التي تم إيداعها في مكتبة جنيف وهارفارد لم يتم تحقيقها بشكل كلي، بل لا يزال جزء كبير منها في انتظار من يستتطق صمته، وها نحن اليوم مع مفاجئة جديدة وهي اهتمام سوسير بالشعر العربي.

من المعروف أنه قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي كانت الوسيلة الأكثر انتشارا هي المراسلات، وقد ساهمت مراسلات سوسير العلمية في توضيح الكثير من النقاط عن حياته الخاصة والفكرية، وأصبحت من المصادر الأساسية لتمثيل فكره، لأنها أجابتنا لماذا كان سوسير مفكرا منطويا منغمسا في العزلة، وأوضحت لنا لماذا انصرف عن البحث في فرضية الجنس التصحيفي، وأماطت اللثام حول الشبهات التي كانت خلف مشروع إعداد كتاب في اللسانيات العامة، وكشفت لنا خبايا كثيرة حرص التاريخ على دفنها، فكان للمراسلات العلمية دور كبير في إظهار الانشغالات الفكرية التي كانت تأرق الأستاذ، وأحطتنا علما بظروف إنجازاته، وبشكوكه حول كل ما سلم بصحته «وكان من بين الذين راسلهم ماكس فلن برشام (1863م-1921) الذي امتهن الأركيولوجيات "archeologie" الإسلامية، وعمل على دراسة الحضارة الإسلامية ولسانها العربي، وتناول في دكتوراه موضوع " الملكية الإقليمية والضريبة البحثية في عهد الخلفاء الأولين"»¹

أصبح لدينا علم بعد الاطلاع على حياة سوسير الفكري، أن محيطه سواء الأسري أو الأكاديمي، ساهم في حسم الكثير من المسائل في نظريته، ولا بد من أن زميل الطفولة الذي

* ينظر: الأركيولوجيات (علم الآثار) "archeologie" هو مصطلح مشتق من الكلمتين اليونانيتين (archaios) و (lagos)، وتتبعني الأول عتيق أو قديم، بينما تعني الثانية علم أو دراسة، ومن هنا أتى تفسير اركيولوجيا بأنه العلم الذي يقوم بدراسة المخلفات العتيقة، هذا وقد كان قدماء اليونان والرومان قد استخدموا كلمة أركيولوج للدلالة على كل ما يتعلق بالمسائل والموضوعات القديمة، مثل عهود التاريخ القديمة أو التاريخ بوجه عام. أزهري مصطفى صادق، نظريات في علم الآثار، محاضرات، 2013-02-21، ص 4.

¹-مختار زواوي، فرديناند دو سوسير والشعر العربي، ص 65.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

افترق عنه بسبب اختلاف الاهتمامات العلمية، سيعود لينشر عشقه للحضارة الإسلامية على دراسات زميله المولع بدراسة الألسن.

كان لسوسير خلفا لما هو مغيب عنه في أدبيات اللسانيات الحديثة، اهتمام بالأدب والشعر والترجمة، فقد باتت المعرفة العلمية، والأدبية، واللسانية منذ بداية نضج مشروعه الفكري، أهم روافد تفكيره اللساني، وإننا نقدم هاهنا على افتراض فرضية لا نحسب أنها تنتقي إلى الصحة، نظرا لصلة القرابة، وحجة الصداقة، وكثرة الاهتمامات المشتركة بين برشام وسوسير، العلمية والفنية والأدبية واللسانية، فرضية دعواها اطلاع سوسير على جانب غير قليل من الحضارة الإسلامية.¹

ما يؤكد صحة هذه الفرضية الرسائل التي بعث بها سوسير إلى برشام يستشيريه في قضايا لسانية وأدبية متعلقة باللسان العربي، وينغمس في قراءة كتاب أرسله له حول الشعر العربي، يتحدث عن البحور الشعرية والإيقاع الشعري، وأصل البحور الشعرية، ولعل الرسالة التي بعث بها سوسير إلى برشام بتاريخ 5-6-1910م فيها من الدلائل على ما جئنا على ذكره، وإننا ننقلها هاهنا على النحو التالي: يقول سوسير في رسالته: عزيزي ماكس... وإني لست من جهة أخرى أنسى مسألة "Ragnarssaga" التي قادتني إلى محاورتك عن الأصول العربية،² ولسنا نعلم ما إذا كانت هذه المحاورة استفساراً من سوسير عن أصول عربية محتملة لهذه الأسطورة، أم أنه احتمال يعبر به لصديقه برشام.³

من الصعب التحقق من هذه الافتراضات نظرا لغياب أغلب المراسلات، غير أن الشيء الأكيد هو أن سوسير كان على اطلاع باللسان العربي، وهذه الحقيقة يؤكدتها ما جاء في كتاب المحاضرات، فقد تم ذكر خصائص هذا اللسان باحتفاظه ببناء ثلاثي الأصل، وتم إيراد أمثلة على ذلك.

¹ - ينظر: مختار زواوي، فرديناند دو سوسير والشعر العربي، ص 66، 69.

² - إنها واحدة من مجموعة من الأساطير الإسكندنافية، التي تتألف من خمس وعشرين أسطورة، ينظر: المصدر نفسه ص 69.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص 69.

العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة

اهتمام سوسير بالشعر العربي القديم هو رغبة في دراسة البنيات الإيقاعية، فقد كانت له رغبة أيضا في دراسة البنيات الإيقاعية في اللسان اليوناني، والتغيم البلطقي، ومنها الرسالة التي بعث بها إلى برشام يكتب إليه

« عزيزي ماكس... عذرا على إزعاجك في استراحتك الألبية، أريد فقط أن استفسر منك إذا ما كان نظم الأشعار عند العرب يستند إلى مبدأ مقطعي "syllabique"؟ عدد المقاطع، أو نبري "accentuel"؟، أو كمي "quantitatif"؟ لأنني لا أجد، حاليا، سوى هذه المبادئ الثلاثة الممكنة لنظم الشعر، وغالبا ما يشترك مبدآن معا من هذه المبادئ في ذلك، لا يمكنني أن أذكر سوى نظم الشعر اليوناني الذي يقوم على مبدأ الكمية. إن معظم الأنساق تبرز تأليف بين المقطعية والنبر، أو النبر والكمية، أو الكمية والمقطعية، إلخ، ولئن وسعني الاختصار، فيما أرومه، على الألسن الهندية الأوروبية، فإنه يهمني معرفة ما إذا كان هناك أصل آخر، غير النبر والكمية وعدد المقاطع، اكتشف كعنصر من عناصر الإيقاع "rythme" ثم للبيت، أجبني عندما يسبح لك الوقت، وشكرا مسبقا.¹»

من الظاهر أن سوسير سعى إلى الوقوف على البنيات الإيقاعية الخاصة بالنظم العربي، غير أن غياب عدد كبير من المراسلات العلمية بينه وبين زميله، وعدم تحقيق كل النصوص، حال حاجزا عن إعطائنا الصورة الكاملة حول ما كان يشغل ذهن الأستاذ في تشكيل العروض العربي، والمسلمات التي توصل إليها، ونأمل في المستقبل أن تحل هذه المسألة ونصل إلى تصويره حول طبيعة إيقاعات الشعر العربي القديم، وانعكاسات ذلك على مشاريعه البحثية.

¹ - مختار زواوي، فرديناند دو سوسير والشعر العربي، ص70.

الفصل الثالث:

التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

المبحث الأول: تجليات التلقي الجزائري للسانيات سوسير الجديدة

المبحث الثاني: الكتابات الجزائرية التي ترجمت الكتابات الغربية حول السوسيرية الجديدة

المبحث الثالث: الاحتفاء بلسانيات سوسير الجديدة في مراكز البحث الجزائرية

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

المبحث الأول: تجليات التلقي الجزائري للسانيات سوسير الجديدة

أولاً-مصطلح التلقي ودلالاته في الثقافة العربية

1-التلقي لغة:

وردت الوحدة الدالة المفسرة لمصطلح التلقي في معجم لسان العرب لابن منظور وفق الشكل التالي: تلقاه أي استقبله، وفلان يتلقى فلانا أي يستقبله، والرجل يلقي الكلام أي يُلقِّنه.¹

حسبنا في هذا المقام أن القرآن الكريم قد عول على هذه المادة في أنساقه التعبيرية، ففي أجل مواطن التلقي لأقدس النصوص نجد هذا المصطلح في العديد من آيات الكتاب الشريف² « ودلالة الاستعمال القرآني لمادة التلقي مع النص تنبه لما قد يكون لهذه المادة من إحياءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص، حيث ترد لفظة "التلقي" مرادفة أحيانا لمعنى الفهم والفتنة، وهي مسألة لم تغب عن بعض المفسرين من الإلماح إليها³ »

2-مصطلح التلقي ودلالاته في الثقافة الغربية:

« يقال في الفرنسية récepteur , trice أي قابل للتلقي أو المستقبل réceptif, ive أي تلقى، ويقال: réception، أي استقبال أو تلقي، و niste réception أي مستقبلة أو متلقية، والفعل recevoir يعني استقبل أو تلقى أو أخذ.⁴ أما في الإنجليزية

¹ - ينظر: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، 1405-1363، مج15، مادة "لقا"، ص255، 256.

² - ينظر: عاشور توأمة، بلاغة الخطاب القرآني وأثرها في المتلقي، مجلة قراءات، ع8، جامعة بسكرة، 2015، مج7، ص187.

³ - محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي-دراسة مقارنة-، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1996، ص14.

⁴ - dictionnaire de francais AUZOU paris، نقلا عن حثيم عزوز، تلقي اللسانيات البنيوية في الدرس اللغوي العربي بين السياقات التاريخية وطبيعة المتلقي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع2، جامعة المسيلة، جوان 2021، مج5، ص170.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

فيقال: reception: أي تلقٍ، ويقال receptive؛ أي متلق أو مستقبل، ويقال To receive أي تلقّي، أخذ.¹ تدل كلمة التلقي في سياقها اللغوي على التفاعل الإدراكي والشعوري الذي يظهره المتلقي في تلقيه لمادة الخطاب؛ أي الطريقة التي يقوم بها ببناء المعنى والتفاعل والتأثر بمضمون النص.

3- التلقي اصطلاحاً:

يقترن مصطلح التلقي في الدراسات النقدية بـ "نظرية التلقي" théorie du réception وهي مجموعة من المبادئ والأسس النظرية والأمبريقية شاعت في ألمانيا منذ منتصف السبعينيات على يد مدرسة تدعى كونستاتر، تهدف إلى الثورة ضد البنيوية الوصفية وإعطاء الدور الجوهري في العملية النقدية للقارئ أو المتلقي، باعتبار أن العمل الأدبي منشأ حوار مستمر مع القارئ بصورة جدلية تجعله يقف على المعنى الذي يختلف باختلاف المراحل التاريخية للقارئ.² وعليه فالنظرية توجه نقدي ركيزته الاهتمام المطلق بالقارئ والتركيز على دوره الفعال كذات واعية لها نصيب الأسد من النص وإنتاجه وتداوله وتحديد معانيه.³

لكل فعل ردة فعل، وكل جديد هو في الأصل مبني على التراكم المعرفي القديم، وليس مصداقة أن يبرز توجه نقدي يهتم بالحالة الانفعالية والنفسية والذهنية للقارئ وكيفية تأويله للخطاب وكل سياق يصب نحوه، لأن كل ذلك يمكن الناقد من الوصول إلى نتائج حول هوية الذات القارئة، وهذا عكس ما اهتمت به النظرية الأدبية - قبل ظهور نظرية التلقي - والتي ركزت على دراسة عبقرية المؤلف وتمثلت في المناهج السياقية، ثم كانت لنا بعد ذلك وقفة مع المناهج النسقية والتي كانت رد فعل للمنهج التاريخي والنفسي والاجتماعي، والذي انصب اهتمامه على الذات المبدعة غافلاً عن المحتوى الإبداعي، وظل هذا الصراع مهماً

¹ - ينظر: روجي البعلبكي، المورد قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1995، ص365.

² - سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011، ص145.

³ - ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2002، ص3،

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

لذا تية القارئ ودوره كعنصر أساسي في الرقي بالعمل الأدبي، إلا أن جاءت مرحلة القارئ التي أولته قيمة كبيرة وأصبح هو المحور الأساسي والجسر الوحيد للتعامل مع الخطاب، والكشف عن قيمته والوقوف على جمالياته وفهم أسرارها، وأحدثت هذه النظرية طفرة في الدراسات الأدبية والنقدية من الانشغال بعناصر العملية الإبداعية إلى الاهتمام بالقراءة والتلقي.

سارعت الثورات العلمية والتكنولوجية الحديثة والمعاصرة في بلورة أنساق نظرية وتطبيقية خاصة بمستويات تلقي المعارف والمدارك الثقافية الفكرية والعلمية بين الأمم هذا ما أضاف نوع من الشرعية على هذا التثاقف وبخاصة في شقه اللغوي واللساني، الذي أفرز هذه الترسانة المنهجية والنظرية التي أرست قواعدها نظرية التلقي، وسهلت السبل في وضع آليات للتعامل مع الإرث اللساني على وجه التحديد.

لقد كان لهذه المثاقفة الفكرية واللغوية الأثر العلمي على تطور المدارك والمعارف اللسانية لدى المتلقي العربي، كما أسهمت في نقل وتثقيف الثقافة اللسانية الغربية إلى المتلقي العربي.¹ كان لهذا الانفتاح الفكري واللساني على الثقافة الغربية عظيم الأثر في تطوير المعارف والمدارك اللسانية وتقنياتها لدى المتلقي العربي، سواء أكان هذا المتلقي شارحا أو عالما في تفسير قضية معينة، ما أدى بالضرورة إلى إثراء الدرس اللساني العربي بدءا بالنظرية ووصولاً إلى آخر مستجدات وسياقات الساحة اللسانية الغربية وهي اللسانيات العرفانية والسوسيرية الجديدة، واللسانيات الجنائية.

ثانيا: قراءة كتابات مختار زواوي التي قدمت لسانيات سوسير الجديدة وفقا

لمخطوطاته.

انفتح الدارسون في القرن الحادي والعشرين على أدبيات اللسانيات السوسيرية الجديدة، وكان لأثر هذا الانفتاح الإيجابي تطور المدارك والمعارف اللسانية لدى الباحث العربي،

¹ - ينظر: عبد الكريم أبرازي، مستويات التلقي اللساني في الثقافة العربية - الحدود والآفاق -، مجلة العلامة، ع3، ديسمبر

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

وذلك عن طريق أنموذج التأليف والترجمة تنظيرا وممارسة، والذي ساهم في إثراء الدرس اللساني العربي، ولعل من أكثر الجهود التي عملت على تفسير ونقل هذا المنجز الغربي الحديث جهود الباحث الجزائري مختار زواوي.

1- السيرة العلمية لمختار زواوي:

أستاذ الفرنسية واللسانيات العامة بكلية الآداب واللغات والفنون لجامعة سيدي بلعباس، ولد الباحث مختار زواوي ببلدية سيدي لحسن، ولاية سيدي بلعباس، في الخامس عشر من شهر جويلية عام 1969، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط، وبسيدي بلعباس تعليمه الثانوي، التقني الرياضي. التحق بجامعة التكوين المتواصل ابتداء من عام 1991 لالتحاقه كموظف بمصالح ولاية سيدي بلعباس في العام نفسه، إلى نهاية عام 2005، بعد نيله عام 2001 لشهادة البكالوريا، حيث تمت الموافقة على تحويله إلى مصالح جامعة سيدي بلعباس، (كلية الآداب واللغات والفنون)، ثم حصوله على منصب أستاذ مؤقت مع نهاية عام 2007، بعد نيله رسالة الماجستير، في «التداوليات وتحليل المحادثة»، من جامعة اللسانيات بوهران، ضمن مشروع «السيمياثيات وتحليل الخطاب» للأستاذ الدكتور أحمد يوسف. ثم تحصّل على شهادة الدكتوراه من كلية الآداب واللغات والفنون في «السيمياثيات وترجمة النص القرآني»، ونشرت ببغروت، عام 2015، بدار ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية، وأتبعها بكتاب آخر في مجال البحث نفسه، وهو كتاب «فصول في تداوليات ترجمة النص القرآني»، عام 2018، بالدارين نفسهما.

الباحث بالتوازي مع اهتماماته بترجمة النص القرآني التي كتب فيه عددا من المقالات الدولية وشارك في عدد من الملتقيات الدولية، بدأ يعنى بتلقي فكر دو سوسير الجديد الذي بدأت معالمه تتضح منذ عام 2002، بنشر كتابات دو سوسير في اللسانيات العامة. وكان منذ عام 2013، أشار إلى ضرورة الاهتمام باللسانيات السوسيرية الجديدة، في مقال له بالفرنسية نشر في العدد الرابع من مجلة التعليمية التي يصدرها مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية بكلية الآداب واللغات والفنون لسيدي بلعباس. لكن لقاءات الباحث بالفرنسي سيمون بوكي، أحد محققي كتابات دو سوسير الجديدة، بباريس، أسهمت في توجيه

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

عنايته بهذا التوجه الفكري اللساني الجديد، فتمخّضت عن أول كتاب له في هذا الشأن، عام 2018، «دو سوسير من جديد»، ثم كتاب «من المورفولوجيات إلى السيميائيات. مدخل إلى فكر فرديناند دو سوسير»، عام 2019، وهو أول دراسة يخصص بها الباحث مخطوطات دو سوسير.

عني الباحث بالتعريف بهذا التوجه اللساني الجديد بعدد من المقالات الفرنسية التي نشرت كلّها بالمجلة الجزائرية للآداب، لجامعة عين تموشنت، كما ترجم إلى العربية عددا من نصوص دو سوسير التي عثر عليها عام 1996، في كتابين مستقلين، «في جوهري اللغة» الصادر عام 2019، و«نصوص في اللسانيات العامة» الصادر عام 2021، بدار ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية. وللباحث بعد ذلك كتب ثلاث في اللسانيات السوسيرية الجديدة، كتابان صادران عام 2021، عن دار ومضة بالجزائر، وهما: «مقدمات في النظرية السوسيرية» و«مسائل في تلقي النظرية السوسيرية»، وكتاب صادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات بقطر، عام 2022، وهو دراسة في عدد من النصوص السوسيرية الجديدة.

يتطلع الباحث مختار زاوي إلى بلورة نظرية لسانية عربية، في كتاب سينشر بدار رقيم للنشر والتوزيع بالرياض.

1-1 مؤلفات:

- سيميائيات ترجمة النص القرآني، بيروت، دار الروافد الثقافية وابن النديم، 2015.
- فصول في تداوليات ترجمة النص القرآني، بيروت، دار الروافد الثقافية وابن النديم، 2017.
- دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، بيروت، دار الروافد الثقافية وابن النديم، 2018.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

- من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل إلى فكر فرديناند دو سوسير، إربد، عالم الكتب الحديث، 2019
- فرديناند دو سوسير، في جوهرى اللغة، تح. سيمون بوكي ورودلف أنغلر، ترجمة مختار زواوي، بيروت، دار الروافد الثقافية وابن النديم، 2019.
- فرديناند دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، تح. سيمون بوكي ورودلف أنغلر، ترجمة مختار زواوي، بيروت، دار الروافد الثقافية وابن النديم، 2020.
- مسائل في تلقي النظرية السوسيرية، دار ومضة، جيجل، الجزائر، 2021
- مقدمات في النظرية السوسيرية، دار ومضة، جيجل، الجزائر، 2021
- مسائل في اللسانيات والسيميولوجيات، قطر، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات، 2022.
- مقدمات لنظرية في اللسان العربي، الرياض، دار رقيم للنشر والتوزيع، قيد النشر.

1-2 مقالات عربية:

- في الترجمة وترجمة لسانيات دو سوسير، ضمن كتاب: الكتابة اللسانية في الجامعة الجزائرية، إعداد، ياسر أغا، عمان، دار دجلة، 2019، ص. 313-348.
- دو سوسير والشعر العربي، كتابات معاصرة، العدد 110، المجلد 28، شباط/آذار 2019، ص. 65-71.
- المحو الباني ودلالات الشطوب في مخطوطات دو سوسير في اللسانيات العامة، كتابات معاصرة، العدد 113، المجلد 28، تشرين الثاني/كانون الأول، 2019، ص. 106-111.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

- مشروع لويس برييطو السيميولوجي ولسانيات دو سوسير الجديدة، مجلة كلية الآداب واللغات والفنون لسيدي بلعباس، المجلد 15، العدد 1، 2020.
- هل كان دو سوسير يمزق حقا مسوداته؟، مجلة أطراس، جامعة سعيدة، المجلد الثاني، العدد الثاني، 2021.

3 1 مقالات فرنسية:

1. « Sémiotique de la musique de Eero Tarasti », Revue de Sémiotique, Laboratoire de recherche en sémiotique et analyse du discours, Université Essenia - Oran, n°2, 2006, pp. 33-40.
2. Ahmed Youcef, « Sémiotique : entre science et philosophie », traduit par M. Zouaoui, revu par E. Chadli, in M. Quitout et E. Chali, La sémiotique : de la narrativité à la mise en discours, La Revue des deux rives, Pais, Harmattan, 2008, pp. 227-236.
3. « De quelques fondements linguistiques de la sémiotique de Greimas », Revue de critique et de études littéraires et linguistiques, Faculté des lettres et Sciences Humaines, Sidi-Bel-Abbès, Editions Errachad, 2009, pp. 334-338.
4. « Traduction du Coran : Entre caducité et actualité », Atelier de Traduction, n° 15, Editura Universității, Suceava, Romania, 2011, pp. 41-51.
5. « Linguistique néosaussurienne et enseignement de la linguistique en Algérie », At-talimia, n° 4 et 5, 2013, pp. 3-25.
6. « La pensée linguistique de F. de Saussure », Horizons intellectuels, n° 4, Hiver 2016, pp. 18-34.
7. « Syntaxe désinentielle et sémantique arabes », Abaad, n° 3, Janvier 2016, pp. 9-17.
8. « La pragmatique à l'épreuve de la linguistique néosaussurienne », *Iš'âr*, n° 6, Juin 2016, pp. 9-28.
9. « Traduire le texte coranique. Double articulation et organisation syntagmatique », Al-lisaniyat, vol. 24, n° 2, 2018, pp.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

10. « Interprétation et traduction du texte coranique. La pause régulatrice de l'écoulement textuel et déterminante de sa clôture », Revue Mayâdine des études en sciences humaines, n° 2, 2018, pp. 29-43.
11. « Sémiotique et philosophie du signe », Entretien avec Jean-Marie Klinkenberg, réalisé par M. Zouaoui, Revue Algérienne des Lettres, vol. 2, n° 2, 2^e semestre 2018, pp. 121-129.
12. « Linguistique néosaussurienne, sciences du Coran et traduction du texte coranique », Entretien avec Mokhtar ZOUAOUI, réalisé par B. Bouterfas et A. Benslim, Revue Algérienne des Lettres, vol. 3, n° 1, 1^e semestre 2019, pp. 118-124.

2-قراءة في كتاب "دوسوسير من جديد مدخل الى اللسانيات "



2-1 الوصف الخارجي:

صدر عن دار الروافد الثقافية ناشرون ضمن سلسلة ابن النديم للنشر والتوزيع كتاب للدكتور مختار زواوي بعنوان "دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات" صدرت الطبعة الأولى سنة 2017، جاء حجم الكتاب متوسطا يحتوي على 224 صفحة، واحتوت واجهة الكتاب على الألوان الآتية: الأبيض، الأخضر الداكن الأسود .

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

جاء اللون الأخضر الداكن على حواشي الكتاب العلوية والتي احتوت أيضا على صورة المؤرخ ومصنف الكتب ابن النديم، بالإضافة إلى اسم دار النشر باللون الأبيض أما اللون الأبيض الذي أخذ نصيب الأسد من واجهة الكتاب فقد تضمن اسم المؤلف وعنوان الكتاب باللون الأسود، والشيء المميز في واجهة غلاف الكتاب أن القارئ يمكن أن يخمن أو يقارب مضمون فصول الكتاب عن طريق تلك المساحة البيضاء التي جاءت كمسودة من مخطوطات سوسير تحمّل أفكاره الأصلية وتعكس صراعاته الداخلية من شطب وتسطير تحت جمل معينة، بالإضافة إلى ملاحظات على حواشي الورقة، جاءت باللون الأسود الخافت المائل إلى الرمادي، حتى أن القارئ لا يستبينها، وذلك لكي لا تكتظ المعلومات الأساسية في الكتاب بمسودة سوسير فيختلط الحابل بالنابل، إن مدلول عنوان الكتاب زائد تلك المسودة الأولية في الخلفية تجعل المتلقي يتقطن إلى أن الثقافة العربية تمكنت أخيرا من حيابة الأفكار الأصلية والفهم الحقيقي للأستاذ، أخيرا سيتكلم سوسير .

2-2 المقدمة العامة:

استهل مختار الزواوي مقدمة الكتاب ببيان خلفيات نشر كتاب المحاضرات، فوضح أولا لماذا كل هذا الإصرار الشديد من قبل بالي على جمع محاضرات السنوات الثلاث وإخراجها للناس، وكان الغرض كما صرح به من قبل في مقدمة النشرة هو اطلع المجتمع اللساني على هذا الفكر النير.*

ثم انتقل الكتاب 'لى الإقرار بحقائق كانت مغيبة عن المتلقي العربي، وهي سعي بالي إلى إفساد مشروع روغار وضم ششهاي إلى صفه، وذلك بالتشكيك في قدراته كباحث لساني، كما سعى إلى إقناع مبيه والسيدة دوسوسير بمشروعه بكل وسائل الإقناع الممكنة

* لكن المكائد التي كان يصنعها شارل بالي والشكوك التي كان يلقيها في طريق مشروع بول روغار، تؤكد أن الأمر أكثر من مجرد إعجاب بجدة وحداثة فكر سوسير، بل صبح الأمر منافسة عدوانية في الظفر بحقوق نشر فكر سيقلب موازين الدرس اللساني، وسيكون الشرف لمن قام بتحقيقه ونشره، وبالفعل فقد اقترن اسم شارل بالي وألبرت ششهاي بالنشرة، وأصبح شريكان لسوسير في هذا العمل، قلم لتدويناته وصوت لأفكاره في كل المحافل الدولية.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

«إخراج كتاب جامع للمحاضرات، منسق لها، موجز لما تكرر منها، بعد جمع كل ما وجد من كراسات الطلبة، عوض الاكتفاء بمقالات متفرقة تحوي ما دون عن سوسير»¹

تجدر الإشارة إلى أن انشغال بالي بمهام التدريس والتحضير لكتابه "اللغة والحياة" بالإضافة إلى انشغالات ششهاي كانت من الأسباب المباشرة في تغييبها عن المحاضرات، ومع غياب المسودات السوسيرية وبعد طول تأمل بدا لهما أن يتخذا من محتوى دروس السنة الجامعية الثالثة القاعدة التي يبني عليها الكتاب.

أراد زواوي من خلال هذا السرد التاريخي الموجز زرع الشك في ذهن المتلقي العربي في كتاب أصبحت أفكاره من اليقينيات والمسلمات التي شكلت مسار الدرس اللساني لديه، يريد من قارئ هذه السطور أن يستأصل كل مرسخ في ذهنه حول سوسير ولسانياته، وكأنه يقول سلمني ذهنك وأنا سأوصلك إلى جوهر الحقيقية حول كل ما كنت تعتقد أنه من البديهيات، وليزيد من جرعة الشك وريبة المتلقي بدأ في طرح مجموعة من الأسئلة حول فحوى النشرة وفي ذلك يقول « فهل بعد الذي جاءنا من العلم بالظروف التي رافقت جمع محاضرات سوسير في اللسانيات العامة ونشرها لا نزال نطمئن إلى محتوى الكتاب الذي حملته بين دفتيه، وسار بها في قلوب الناس، مائة عام وما دلالتة على ما كان دوسوسير يدرسه حقا، وما كان يختبره في خلوته ولا ييوح به إلا لمقربيه »²

وبعد هذا الارتباب الذي وطنه الكاتب في ذهن القارئ والحيرة التي سيبحر بها فكره انتقل إلى الحديث على ماجد في حقل الدراسات السوسيرية من الوصول إلى مجموعة كبيرة من المخطوطات التي تحتوي على جوانب كثيرة كانت مجهولة، وذلك منذ أن أودعت عائلته إرثه العلمي بمكتبي جامعتي جنيف وهارفارد، ثم يفجر زواوي مفاجأة هذا الكتاب، وهي العثور بمحض الصدفة سنة 1996 في مشتل البرتقال التابع لآل سوسير على مجموعة من المخطوطات كان من بينها مسودة لكتابات في اللسانيات العامة،

¹ - مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص9.

² - مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص10.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

وهنا يخرج زواوي متلقي كتابه من حالة الشك والالتباس ويطمئنه بأنه بفضل هذه المخطوطات أضحى متاحا التعرف على فكر سوسير الأصيل.

أثناء الكشف عن ورقة الجوكر قام بتسليط الضوء على واقع الدرس اللساني وحسبه يمكن تقسيمه إلى فريقين، فريقا يقدر كل ما جاء في كتاب المحاضرات، وفريق يدعو إلى ضرورة العودة إلى سوسير في سياق المصادر الأصول والمنشورات الجديدة، ثم يلعن موقفه صراحة اتجاه كتاب المحاضرات الذي تفصله أميال عن فكر سوسير الأصيل، لأنه لا يعبر عن فكره تعبيرا صادقا لحجبه الكثير من أسرار متته وفيه رد واضح وصريح على الفريق الأول الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الكتاب إلا أشاد بها.

الباحث في هذا المقام لا يدعو إلى الإعراض عن محتوى النشرة أو يشكك في نزاهة الناشرين، بل يدعو إلى أخذ الحيطة وضرورة قراءة محتواها في ضوء المصادر المخطوطة لالتماس سوسير الحقيقي من سوسير المزيف.

عرض زواوي حوافز البحث والتي تتمثل في التعريف بما جد في حقل الدراسات اللسانية لا سيما ما يتصل من فكر سوسير بمشروعه السيميائي، ذلك لأنه أضحى متاحا التعرف على فكره الأصيل من خلال ما استجد من بحوث استفاضت في تحقيق المخطوطات.¹

قدم زواوي هدف بحثه من حيث للباحثين العرب على ضرورة وضع كتاب المحاضرات جنبا والإقبال على نصوص سوسير الأصلية، التي تفتح آفاق بحث جديدة للباحث العربي، وقد حدد هدف البحث منحى هذا الكتاب وهو التأريخ لخلفيات إخراجة وتلقيه انطلاقا من رسم خريطة زمنية لأهم منجزاته .

قام زواوي بعرض خطة بحثه، وكانت الخطة في الفصل الأول تعمل على تتبع أهم المحطات التاريخية لخلفيات نشر وتلقي كتاب المحاضرات، أما الفصل الثاني فكان يدور حول مسألة سيميائياته، وحقيقتها بين كتاب المحاضرات وكراسات الطلبة،

¹-ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل الى اللسانيات، ص10.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

بالإضافة الى مسألة تلقي النشرة من قبل المجتمع العلمي العربي، أما الفصل الثالث والأخير فكان قلب الكتاب خصصه الكاتب لدراسة مسألة غاية في الجدة، موعلة في التعقيد والتعقيد (جعل العلم ذا قاعدة و إقامته عليها). لا يمكن الحصول على أجوبة لها في الكتاب بل تتطلب المسودات الحقيقية التي خطها الأستاذ بيده، وأشار الباحث الى أن جل ما كتبه في هذه الفصول استقاه مما كتبه مؤخرا عن فكر سوسير الأصيل، بالإضافة الى كتابه المنشور مؤخر (كتابات في اللسانيات العامة)، وما تنشره تباعا مجلة (كراسات فردينان دو سوسير) ونحن سنتناول هذه الفصول تباعا من خلال عرض موجز لمضامينها.

2-3 قراءة في فصول الكتاب

أ- الفصل الأول في كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة (تكوينه وتلقيه)

سعى الباحث في هذا الفصل إلى الإلمام بكل حيثيات تكوين وإصدار الكتاب في الهيئة التي وصل بها إلينا وما نجم عن خلفيات التكوين المشبوهة من سوء تقدير لمحتوى الكتاب وقيمة المفكر، فوقف على المصادر التي صيغت منها فقراته، وناقش اجتهادات الناشرين فيه، وأحاط بالظروف التي أسهمت في إخراجه الى الناس؛ أي البحث في كواليس المسرح، أو في المطبخ السياسي.

بدأ بدراسة المراسلات التي كانت بين بالي ومييه والسيدة دوسوسير، للتدليل على أن بالي كان حقا الفاعل الرئيسي في الترويج للمشروع والمحرك لكل قطع الشطرنج، ثم عرض للمصادر التي استقى منها الناشر عن التصور السوسيري لظاهرة اللسان، هذه المصادر عبارة عن كراسات الطلبة الذين التزموا بحضور مقرره الدراسي، وقد اعترى هذه الكراسات جانباً من النقص والاختلاف أدى الى عدم التمييز بين فكر سوسير الأصيل وبين ما فهمه منه طلبته، وهذا ما زاد من احتقان المعضلة وعسر استخلاص تصوره من كراسات متشتت المحتوى، ومن هذه النقطة بدأ في الحديث عن السوسيرية الجديدة وأبرز مسعى أعضائها في التمثيل لتأملات الأستاذ عن طريق المصادر المخطوطة.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

قام بعرض اجتهادات الناشرين من تغيير في ترتيب مادة المحاضرات إلى تواتر عملية الاختزال والإسراف في الزيادات والإفراط في التعديلات على كل المقررات الدراسية، ولإثبات عظم جناية الناشرين على فكر أستاذهما اقتاد زواوي قضية هي من المسلمات التي لا غبار عليها، بل الأمر من ذلك أنها رسمت معالم الدرس اللساني بل أثرت في العلوم الإنسانية، هذه القضية التي أصبحت ملازمة للفكر السوسيري في أذهاننا وهي العبارة التي ختم بها الكتاب والتي يقرر فيها سوسير المزيف أن الموضوع الوحيد والحقيقي للسانيات إنما هو اللسان في ذاته ولذاته ليتضح أنها من أكبر أكاذيب النشرة، والأمر لم يكن كذلك أبدا في العرف السوسيري، فبأي حديث بعد الذي جئنا على ذكره من صنيع الناشرين نؤمن، أنركن إلى ما ورداه في مقدمة الكتاب من العقبات التي حالت دون التوصل إلى كل تركة سوسير الفكرية أم نعمل العقل والنقد ونقرر دون تردد: ليس كتاب المحاضرات لسوسير.¹

وفق الباحث إلى حد كبير في تسليط الضوء على هذه القضية بالذات لأنه إذا كانت هذه المسلمة حقيقة زائفة سراب كاذب، فسيعترينا الشك ليس في فقرات الكتاب فحسب بل في الرسومات التوضيحية، في علامات الاستفهام، في الفاصلة، في النقطة إلخ، لن يتوقف ذلك الصوت القائل: هل هذا الكلام لسوسير فعلا أو هو فهم وتأويل بالي وزميله.

من الصواب بعد الوقوف على حقيقة نسبة متون هذه النشرة إلى فكر الأستاذ، أن ينتقل بنا زواوي إلى مسألة تلقي هذا الكتاب المحور من قبل المجتمع العلمي الغربي، لإقرار أن هذا التحوير كان سببا أساسيا في عزوف كثير من الدارسين عن مضامينه، بل تسببت هذه النقود الصادرة عن زعماء المدارس اللسانية الغربية وتول تبعاً لذلك الأعضاء، خصوصا في العقود الثلاثة الأولى التي شهدت نشر الكتاب، وللتدليل على حجم التحوير نذكر كلام اللساني الروسي نيكولاي: أعدت قراءة سوسير، لكن في القراءة الثانية لم يكن

¹ - ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص 13.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

يشير إعجابي كثيرا، لا يوجد سوى القليل نسبيا في الكتاب ذو قيمة، معظمها تصورات قديمة، وما هو ذو قيمة هو مجرد تجريد فظيع.¹

المتعمّن في المراحل التي مر بها تلقي فكر سوسير لدى الغرب سيميز بين أربع مراحل: « مرحلة أولى تشمل العقود الثلاث الأولى من القرن العشرين، ومرحلة ثانية تبدأ بانعقاد المؤتمر العالمي الأول للغويين لعام 1928 وتمتد حتى نهاية الحرب العالمية الثانية و تليها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتنتهي ببداية المرحلة الرابعة التي تتزامن مع بداية إخراج مخطوطات دوسوسير الأصلية إلى الناس وتحقيقها »²

ركز الباحث على تلقي النشرة في العقود الأولى من القرن العشرين، لأن هذه المرحلة لم تلق اهتمام المؤرخين رغم القيمة التي تكتسيها لكونها مرحلة مفصلية بين القديم والجديد .

الصورة التي تكونت عن سوسير في هذه المرحلة أثرت سلبا في تلقي الكتاب من قبل أجيال متوالية من الباحثين، وبدا إقبالهم على المفاهيم التي روج لها إقبال تميزه الحيطة والحذر، وأراد من هذا المبحث التأكيد من جديد على مخ الفقه الاجتهادات من لبس أعاق فهم فكر الأستاذ وتمثيله تمثيلا صائبا.

صار من الضروري إيضاح كيف نجح كتاب المحاضرات من تب وء هذا المقام في الأدبيات الغربية بعد هذه السلسلة من النقد التي أثرت سلبا على تلقي مفاهيم الكتاب من النزوح إلى المرحلة الثانية والتي تزامنت مع انعقاد المؤتمر العالمي الأول للغويين بلاهاي، انتقل الكاتب في هذه المرحلة من سياق الثقافة الأوروبية المكبل بإجراءات المنهج التاريخي المقارن العتيق إلى بيئة علمية جديدة طوقه إلى تمزيق كل الخرق البالية، وذلك بمداينة الألسن دراسة آنية لا تأبه بالتغيرات اللسانية التي تطرأ على الأنساق اللسانية عبر الزمن،

¹-quoted: Trubetzkoy. N.s, studies in général linguistics and language structure, edited buy Anatoly Lieberman translated by Marvin Taylor and Anatoly Lieberman, Durham: duke university press, p255.

². مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل الى اللسانيات، ص45.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

وكانت هذه البيئة الحاضنة هي البيئة الروسية التي اهتم روادها بالآثار الأدبية من نشر وشعر.

انتقل الاهتمام بمقولات سوسير إلى الفكر الروسي في بادئ الأمر عن طريق حلقة موسكو وذلك لما حمله الكتاب من قواسم مشتركة مع توجهاتهم، وقد بزغ نجم الكتاب مع حلقة براغ التي عملت على التعريف بأفكاره وصياغة نظريات لسانية جديدة انطلقت من تصورات سوسير، وأسهم أعضاء الحلقة في الترويج لمبادئ الكتاب، كما أسست للبحث الفونولوجي الذي يعتبر من أعظم منجزات البحث اللساني الحديث في ضوء تصورات سوسير، وتبوّأت البنيوية مكانة مرموقة في الأوساط العلمية اللسانية والعلوم الإنسانية على حد سواء.

يريد زواوي أن يقول لنا من خلال هذان المبحثان أن الكذبة التي رسم معالمها الناشران، وسمّة الفكر الموجه للعلم في مختلف مظهراته، وكل الدراسات في تلك المرحلة كانت تحت مظلة البنيوية.

ب- الفصل الثاني: في تلقي سيميائيات دو سوسير

يتناول هذا الفصل أهم ما استجد في أدبيات السيمياء على إثر العثور على المصادر المخطوطة، لقد تمكن الباحثين بفضل هذه الوثائق من التعرف على ثلاثة حقول معرفية صنّفوها على النحو التالي: حقل الاستيمولوجيات، وحقل فلسفة اللغة، وحقل الاستيمولوجيات المبرمجة.¹ وركز الباحث على الحقل الثالث الذي يستوعب مجمل التصورات السوسيرية حول ما يجب أن يكون عليه علم اللغة مستقبلا في إطار موضوعات عدة من أهمها علم السيمياء.

قدم عرض مقتضب للاستعمالات المختلفة لمصطلح السميولوجيا والسيميائيات، وفي تقفية للأنساق وتعدد أصولها واختلاف التسميات باختلاف المؤسس، توصل على أن السمة الغالبة على مجموع الدراسات المنتسبة إلى التيار السيميائي، سواء ما انضوى منها ضمن

¹ - ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل الى اللسانيات، ص 92.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

التوجه التواصلية أو ما انتهج الوجهة الدلالية، هي كونها من مصادرات اللسانيات وتكاد في بعض أحيانها لا تنفك تترامي في أحضان الحركة البنيوية التي كانت بمثابة الجو الفكري الذي تألفت فيه.¹ ويريد الكاتب أن يلفت النظر إلى حقيقة منسية من أن السيميائيات رغم أنها ليست واحدة بل تختلف باختلاف منهج المؤسس ومنطلقاته الفلسفية والإبستمولوجية، غير أن منطلقها الأول هو كتاب المحاضرات المنسوب إلى سوسير.

الكتاب معقود لزلزلة كل اليقينيات حول ما روجته النشرة من أفكار نسبة إلى سوسير وما هي في الحقيقة له، كان من الإلزامي الوقوف على حقيقة السيميائيات السوسيرية بين كتاب المحاضرات وكراسات الطلبة، هذا الإنتهاض الذي يتيح لنا الكشف عما صدرته اجتهادات بالي وزميله من تأملاته في حقل السيميائيات، ومن الحقائق التي أفشت عنها التحقيقات هي أن سوسير بدأ مشروعه السيميائي منذ 1894م، وليس كما كان مثبت بأن المناسبة الأولى كانت أثناء إلقاءه المحاضرات، بالإضافة إلى أن هذا المشروع جاء مقتضبا مغتصبا لبحوثه إذا ما قرنه باسترسال التعريف والشرح في كراسات الطلبة، ولعل القارئ يسأل لماذا لم يتم الوقوف على تصوره ضمن مصادر بحوثه الموجودة في المصادر المخطوطة، والسبب يعود إلى أن الكثير من مخطوطاته لا تزال دون نشر أو تحقيق إلى وقتنا الحالي.

تباحث زاوي مسألة التلقي الغربي للسيميائيات السوسيرية، وبعد التمعن في خريطة الدرس اللساني الغربي ارتضى تقسيمها منهجيا إلى ثلاث مراحل: أما المرحلة الأولى وهي مرحلة رائدة تبدأ في 1943، وهي السنة التي برز فيها كتاب يلمسليف (مقدمة لنظرية في اللغة). وكتاب بويستر (اللغات والخطاب)، وتتزامن هذه السنة بأواخر المرحلة الثانية من التلقي اللساني للكتاب: أما المرحلة الثانية فقد رافقت المرحلة البنيوية، وهي المرحلة التي تشهد نزعة عامة نحو السعي إلى استثمار المقولات اللسانية في حقول معرفية تعنى بموضوعات مختلفة من مثل الصورة، والموسيقى، والسينما، والموضة، وغيرها، من خلال

¹ - ينظر: مختار زاوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص 95

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

العديد من المفاهيم التي عدت آنذاك مفاهيم إجرائية، أما المرحلة الثالثة فهي تتزامن مع انعقاد المؤتمرين العالميين للسيمياتيات (1974) و (1979)، ولقد تزامنت هذه المرحلة مع سيميائيات شارل سندرس بورس في الساحة الأوروبية.¹

لم تحظ السيميائيات في المرحلة الثانية بالنظر والفحص حتى برز الكتاب ان سنة 1943م فكانا المعلمين الرائدین اللذين رسما لأجيال متوالية من الباحثين سبل البحث السيميائي، وعقد مبحث استرسل في تفصيل مناحي ما ورثه يلمسليف وغريماس عن سوسير، والقصد من ذلك هو الوقوف على المقولات السوسيرية التي اعتمادها في بناء الموضوع وصياغة المفاهيم والإطار العام الذي تنتمي إليه إجراءاتهما، كل هذا سيكون معينا على فهم فرضياتهما وجملة من تصوراتهما، وقد سلط الباحث في هذه النقطة الضوء على حضور سوسير في كتابات يلمسليف، لأنه حسب جمهور اللغويين والسميائيين المحدثين «يعد بحق الوحيد الذي استطاع أن يبرز أفكار سوسير ويعبر عنها تعبيراً صادقا وتاماً»²، وأراد من كل هذا الرصد التاريخي التأكيد على أن ما نقله يلمسليف من فكر سوسير وما استلهمه غريماس منه كان عن طريق كتاب المحاضرات.

انتهى من مدارس هذه المسألة كان من الإلزامي أن يناقش تلقي هذا الكتاب المزعوم إلى سوسير من قبل اللغويين العرب وكيف كان موقفهم من لسانياته وسيميائياته، وخلص إلى أن الكثير من المؤلفات العربية اقتصر في اجتهاداتها على الإطناب في التعريف بأهم معالم فكره، بالإضافة إلى الحديث عن القطيعة الإبستمولوجية التي أحدثها مع دراسات القرن التاسع عشر، وظلت هذه الصورة النمطية تتوارث من جيل إلى جيل حول المؤسس الفعلي للسانيات الحديثة، ورغم أن الكتابة الحديثة في اللسانيات العامة أسرت أنه طائفة من البحوث نشرت بعد وفاته دون أن تكون لهذه الحقيقة النتائج العلمية المنهجية المرجوة، ولم يلمسوا حقيقة هذا الكتاب الذي لم يؤلفه سوسير، ولم يركنوا إلى التوجه النقدي الجديد الذي

¹ - ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، 101، 102

² - المصدر نفسه، 108 .

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

سعى إلى كشف خلفيات تكوين هذا الكتاب الملقق ووقفهم على تصوره اللساني الأصيل بعد العثور على المصادر الأصول.

راح يتقصى مسألة تلقي أفكاره بداية من أربعينيات القرن الماضي ويتدارس فوضى الجهاز المصطلحاتي اللسانياتي العربي الذي وسمه بالشتات والاضطراب في المفاهيم وهذا حصيلة عدم وقوفهم على الفهم العميق بين الثنائيات السوسيرية التي أصل عليها مبادئه، وكان من الضروري التمييز بين المصطلحات وفق قواعد منهجية لا تقف عند حدود التعريف فقط بل تأخذ بعين الاعتبار سياقات الاستعمال والدلالة المعجمية.

نظر زواوي في كتابات بعض الباحثين في سيميائيات سوسير وفي الترجمات العربية للنشرة وأدرك أن المصطلحات الدالة على علم العلامات لم يخل هو الآخر من ملامح الاضطراب والشتات في استعمالات الباحثين العرب وأدى هذا الاضطراب إلى كثرة المسميات الدالة على المسمى الواحد وهذا ناجم حسب « من نزعة التفرد وحب الظهور على الغير (خالف تعرف) »¹، ولقد استقر الباحث على حقيقة أنه قليلا ما تم النظر في السيميائيات السوسيرية، وكانت تقتصر أغلبها على تلك السطور القليلة في كتاب المحاضرات، ولم تستهوه في هذا الحقل غير بحوث غريماس وبارت وإيكو وبورس.

ج- الفصل الثالث: في آفاق النصوص الجديدة

يتكلم هذا الفصل عن المناحي الجديدة التي كشفت عنها القراءات التي اتخذت كتابات في اللسانيات العامة موضوعا للتأمل والاستكشاف، وقد أخصبت هذه القراءات عن معرفة جوانب كثيرة كانت مجهولة من فكر سوسير اللساني والفلسفي والإبستمولوجي وغيرها من المسائل، وبات معلوما أن ما أنتجه لا يمكن أن يختزل في جملة من الفوارق المفهومية، بل هو فكر متعدد، ومن الجوانب المخفية في فكره أن اللسانيات العامة لم تعد مرادفة لما كان متداولاً منها، بل أضحت تضم تحتها حقول معرفية هي: حقل الإبستمولوجيات أو نقد

¹ - ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص 137

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

المعرفة، وتشتمل على الكتابات النقدية للممارسات اللسانية التاريخية المقارنة، وكانت أهم هذه النقود موجهة إلى مدرسة بوب التي تجاهلت مفهوم اللغة واستسلمت لفكرة أن للألسن أجساما خاصة، ورغم أن الأستاذ ما توانى عن تقييم مذاهب عصره، إلا أنه لم يقدم تصورا أصيلا لشروط تأسيس لسانيات علمية ترمم التصورات الموجودة، ورغم هذه الأحكام الصادرة من الفكر السوسير ومع ذلك لم يكن في عزلة عما اختبره علماء عصره بل كان له نصيب وافر ودراية بفكر عصره الإنساني والعلمي، فتراه في كثير من الأحيان لا يتوانى عن إبداء رأيه فيما يراه مجانيا للصواب، كما أنه استلهم من علوم عصره وأسهمت هذه المعارف في تكوين فكره في عموميته.

2- أما الحقل الثاني فهو فلسفة اللغة وهو عبارة عن تحليلات فلسفية في موضوع اللغة، ويتعلق هذا الحقل في كثير من موضوعاته مع الدرس اللساني والسميائي، ولئن نحن أمعنا النظر في مجموع المواضيع النظرية التي اشتغلت عليها فلسفة اللغة لأفيناها مسائل نظرت فيها اللسانيات و السيميائية، ولعل التفسير الأول لهذا التشارك هو الصعوبة التي تجدها فلسفة اللغة في تحديد موضوعها ومجال تحرريها، وقبل أن يتطرق الباحث إلى بعض المسائل ارتأى أن يعرفنا بملامح جديدة من ملامح فكر سوسير وهو ما أصبح يدرج عليه بعبارة الفلسفة اللسانية؛ أي الأصول الفلسفية لتعاليمه اللسانية، والتي يمكن تقسيمها إلى مكونين: مكون داخلي يتصل بالنظرية اللسانية التي رام صياغتها، ومنها ما تعلق بمفهوم العلامة اللسانية، ومكون خارجي خلاف للمكون الداخلي لا يقتصر على عدد من المسائل دون غيرها من المسائل المؤلفة للنظرية اللسانية، بحيث يبدو التقابل بين ما هو فلسفي وما هو غير ذلك بارز فيها، عما يميز النظرية بكمالها.¹

يعرض بإيجاز إلى بعض المسائل ذات الصلة بفلسفة سوسير اللغوية، ومن المسائل الفلسفية ذات الصلة باللغة التي تعاطى معها الباحث مسألة أصل اللغة إضافة إلى ذلك مسألة العلاقات القائمة بين اللغة من جهة والفكر والعقل من جهة أخرى ، ولعل أهم

¹ - ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل الى اللسانيات، ص106.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

طروحات سوسير في هذه المسألة تدليه على أن العلامة هي التي تحدث الفكر وليس كما كان راسخا بأن العلامة حصيلة الفكر.

3-وأخير حقل الابدستيمولوجيات المبرمجة وتضم عصارة الفكر السوسيري فيما يجب أن يكون عليه علم اللغة مستقبلا.

أما المبحث الثاني(في بيان مفهوم العلامة وموقع يها من سيميائيات دو سوسير) سعى إلى تقديم ماجد في حقل السيميائيات السوسيرية وذلك بالتعريف بدلالة السيميائيات واللسانيات بوصفها سيميائيات خاصة وأعاد النظر من جديد في بعض المسائل التي وسمت الفكر السوسيري من مثل نسقية اللسان، والعلامة واستقلالها عن الواقع والفكر والعلامة اللسانية ومفهوم الاعتباطية وخطية الدال، وأخيرا التركيب الثلاثي للغة، وتوصل إلى أن الاختزال الكبير الذي مارسه الناشر ين بالإضافة إلى التعميمات التي انتهاجها بخصوص بعض المصطلحات على الرغم من أن مضامينها تختلف باختلاف الأسيقة التي تواردت فيها، أدى إلى خلل كبير وشوه الكثير من مقولات سوسير. لم يعبر الكتاب تعبيرا صادقا عن طبيعة هذه المفاهيم ولم يراع الالتحام القائم بينهما.

ختم هذا الفصل بمبحث عالج فيه جملة من المسائل التي أسست للدرس التداولي من منظور الفكر السوسيري الأصيل، لأن القاعدة التي انطلقت منه ا التداوليات لتأسيس مفاهيمها الإجرائية هو القصور في مدارس الاستعمال اللغوي(لسانيات الكلام) والاقتصار على النسق اللساني هذا الشعار الذي ملأ الأسماع في الآفاق وكان المروج الأساسي له هو كتاب المحاضرات، وكانت هذه أول الثكنات التي بادرت بهجومها، وعمدت إلى التميز عن الدراسات البنيوية، واسترداد هيبة لسانيات الكلام وكل ممارساتها

كانت مجمل النقود التي وجهت إلى سوسير تتمحور حول المسائل الآتية: إزاحة الكلام من الدرس اللساني، عدم العناية بالفرد المتكلم، إقصاء الحال والسياق والاستعمال من حقل اللسانيات، وقد أسهمت المخطوطات السوسيرية المكتشفة في دحض هذه الافتراءات وأوضحت أن سوسير لم يقم بإقصاء لسانيات الكلام أولا، ثانيا حضور الفرد المتكلم في

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

تصوراته اللسانية، فتميزه على سبيل المثال بين الصورة الصوتية والأشكال اللسانية تمييز قائم في وعي الفرد المتكلم، لقد تواتر اللجوء إلى الفرد المتكلم وإلى وعيه بوصفه عنصرًا أساسيًا في المعادلة اللسانية عند سوسير لدرجة التكافؤ القائم بين مفهوم اللسان ومفهوم الفرد المتكلم.¹ ويترب عن حضور الفرد المتكلم مثل الحال والاستعمال.

2-4 الخاتمة العامة للكتاب:

يستأنف زواوي في الخاتمة ما بدأه في مقدمة الكتاب من تشديده على القارئ العربي من ضرورة وضع الكتاب جانبا والإقبال على النصوص السوسيرية الأصلية، مع ضرورة إعادة النظر من جديد في تاريخ اللسانيات في ضوء ما استجد، مع إرفاق توصية بضرورة إصرار الجامعات والمؤسسات العلمية العربية بوضع نسخ من المخطوطات، لأن هذه الخطوة ستفتح آفاق جديدة بإعادة النظر في الكثير من مسلمات اللسانيات الحديثة والقديمة، كما أنها ستسهم في مد الجسور بين الفكر السوسيري واللسانيات العربية.

2-5 ملاحظات حول الكتاب:

إن مراجعتنا للكتابات التي عملت على تمثيل ونقل المعرفة بالكتابات السوسيرية الجديدة، هي تقديم وتقييم للتقنيات التي استدعها الباحث لإيصال رسالة إلى الجمهور الذي يستهدفه، وهذا العمل مساعد للقارئ اللساني لفهم فحوى الموضوع المركزي والإحاطة بمضامين الكتاب، وليس الغرض من الفحص النقدي للمحتوى المقدم التقليل من قيمة العمل، ولكنه في الأصل محاولة لفتح مجال للنقاش بتسجيل بعض الملاحظات المكمل للبحث المنجز.

-الملاحظة الأولى التي يمكن تسجيلها هي أن الباحث أشار إلى أن السوسيرية الجديدة ميدان بحثي لا يزال بكرة، غير أن هذه الحركة بدأت منذ سنة 1957 مع مذكرة روبرت غودل وتم استهلاك أهم مباحثها، حتى أن الهوس الذي وصل إلى درجة الجنون بأغلب الباحثين (أدباء، فلسفة، علماء نفس... إلخ) قد أنطفئ في مباحث الجناس التصحيفي

¹ - ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، ص 207

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

وانصرف عنه أغلب الأعلام، في حين لا يزال المتلقي العربي في عتبات دفاتر الجناس الصحفي، كما أننا منذ عهد قريب جدا بأفكار نشرة 2002، في حين أن الثقافة الغربية استنفذت أغوار هذه النشرة وبدؤوا بتأسيس نظريات وتقديم حلول لأزمات عصفت بالدرس اللساني بالولوج إلى مقولات سوسير الأصلية، فشتان بين ميدان هذا البحث في الثقافة الغربية وفي الدرس اللساني العربي، والحقيقة المرة أننا لا نزال متأخرين كثيرا بل نحن في بواكير هذا العلم الذي استهلكت أغلب مباحثه في التلقي الغربي، ولعل قلق الباحث من التسلل إلى هذا الميدان هو عدم التحقق والنشر الكلي لمجمل المخطوطات، وربما هذا الأمر هو الذي دفعه إلى تصور أن هذا العلم في بواكيره

- لاحظنا كذلك أن زواوي لم يخصص فصلا مستقلا أو مبحثا يتكلم فيه باستفاضة عن السوسيرية الجديدة، أو على أعضائها وأعمالهم والمصادر التي استعانوا بها، والمخطوطات المكتشفة في مشتل البرتقال، ولو أنه قام بتقديم هذه المعلومات لكن يسر على المتلقي العربي استيهاب هذه الطفرة الجديدة في صورة مكتملة، لأن هذه العناصر هي بؤرة الحركة ومدارها، وكان من الأفضل بعد الحديث عن خلفيات التكوين المشبوهة تخصيص فصل لهذا الموضوع، لا أن يأتي وهو الجوهر متفرق في جزئيات المباحث.

- نلاحظ كذلك أن زواوي في الفصل الأول وبالتحديد في جانب تلقي الكتاب ومجمل النقود التي وجهت له من قبل المجتمع العلمي الغربي، أنه اكتفى باعترافات أنطوان ميه وتلاميذه ممثلين للمدرسة الفرنسية، وانتقادات إيغور شوشار ممثلا للمدرسة الألمانية، وتحفظات أوتو يسبرسن ممثلا للمدرسة الدنم اركية، ورود ليونارد بلومفيلد ممثلا للمدرسة الأمريكية، غير أن هذه النقود نجدها مبنوثة في الكتب العربية وخاصة كتاب النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية لماري آن بافو التي أسهبت في عرض الاستقبال النقدي وتسجيل أبرز وجهات النظر التي صدرت ضد سوسير، بل قدمت اعتراضات بالي وسشهاي أيضا، وحبذا لو أن الباحث توجه بالقارئ إلى محطات جديدة من تلقي هذه النشرة المغيبة عن الوعي العربي، فجل الأعلام المترجمة والشارحة حصرت تركيزها وتدويناتها في هذه المدارس فقط، وهذا عائد إلى ما قدمته من هندسة مفاهيمية وآليات

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

إجرائية جديدة في دراسة الظواهر اللسانية انطلاقاً من متون النشرة، غير أن عجلة التطور والازدهار لم تصب هذه المدارس دون غيرها إننا اليوم لا نجد نظرية لسانية إلا وهي مدينة بالفضل إلى فكر الأستاذ، وحذا لو أن الباحث قدم لنا في هذا الفصل اعتراضات من نظريات ومنظرين جدد، خاصة وأنه متمكن من لجام اللسان الفرنسي.

-كما تجدر الإشارة إلى أن الفصل الذي خصصه لمناقشة قضية السيمياء وتمثلها في الفكر الغربي والعربي في سياق كتاب المحاضرات ودفاتر الطلبة، يتطلع القارئ في هذا الفصل إلى حقائق جديدة كانت مغيبة عنه كما تم إثباتها في الفصل الأول، وحسبه أنه سيقف على التصور الأصيل للمشروع السيميائي كما خمنه الأستاذ، غير أنه لا يجد سوى إشراقات نادرة جداً من مثل بداية المشروع والمجال العلمي الذي ينتمي إليه وهو علم الاجتماع وليس علم النفس، ثم استرسال وغوص في حدود المصطلح ومجاله، والوقوف على مراحل التأسيس خاصة عند يلمسليف وغريماس انطلاقاً من الآليات الإجرائية التي حددها كتاب المحاضرات، ولو أن زولوي قدم ولو ترجمة مقتضبة أو تصور أولي عن المقدمة السيميولوجية التي قام الناشران بحذفها لزد من ثراء هذا الفصل.

-كما أنه في مبحث التلقي العربي للسانيات والسيميات السوسيرية لم يضيف الجديد، فمسألة اضطراب الجهاز المصطلحاتي في الوطن العربي واحتقان هذه الأزمة مع صدور الترجمات الخمس التي وسمة بتباين كبير في المفاهيم حتى أن القارئ يستشعر أنه بإزاء مؤلفات مختلفة تتضوي تحت اسم مستعار واحد، تم الحديث عن هذه المسألة من كل جوانبها من قبل اللسانين العرب، ومن الغريب أن الكاتب يعيب على الباحثين العرب الفائض الإنتاجي في الجهاز المصطلحي ويضع الحل المنهجي للتقعيد الصحيح للمصطلح ومن جهة أخرى نجد أن كتابه يحمل مصطلحات جديدة في طريقة الصياغة لا عهد للمتلقي العربي بها من مثل: اللسانياتي، السيميائياتي، المصطلحاتي...لخ، ويفسر ذلك بقوله « سيلاحظ القارئ استعمالنا لعبارتي " اللساني " و " اللسانياتي "، أو " السيميائي " و " السيميائياتي "، ولن نخف عنه أننا نريد بالأولى الصفة من اسم اللسان، ونريد بالثانية الصفة من اسم

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

اللسانيات»¹ لكن أليس بهذا الإجراء يكون قد زاد من تفاقم المشكلة بل إن المسميات التي ركن إليها تثقل كاهل القارئ من حيث النطق بها وهو الطواق إلى الاختصار واليسر والاقتصاد اللغوي.

-كما لاحظنا في الجانب المتعلق بالمصطلح أن زواوي قد ارتضى اللسان ترجمة دقيقة للمصطلح الفرنسي *la langue* بدل مصطلح اللغة، غير أنه في مواضع كثيرة سواء في اقتباسات مترجمة أو تعليقاته الخاصة، أو في النسبة إلى هذا المصطلح (ظاهرة لغوية، لغويين)، يستعمل مصطلح اللغة، مما شوش على إدراك القارئ مقصد الباحث في العديد من المسائل، هل هو بإزاء الحديث عن اللغة أو اللسان؟، ولا يستشفي مقصده إلا بعد مشقة، ويبدو أن هذا الأمر وقع سهوا من الباحث، ومن المواضيع التي استعمل فيها مصطلح اللغة بدل اللسان قوله «كثير من الناس يعتقدون اعتقادا ساذجا أن اللغة ولدت لتسهل علاقاتهم المتبادلة»² كذلك قوله «فانساق اللغة أمور متواضع عليها»³.

-من البديهيات أن القارئ يحب الاختصار واليسر في كل ما يقرأه، ولقد لاحظنا أن عبارة كتاب محاضرات في اللسانيات العامة تتواتر كثيرا في صفحات الكتاب، ولو أن الكاتب قام باختصارها إلى م س ع، كما هو معمول به المصنفات الأجنبية CLG لكن أفضل.

- من النقائص التي لفتت انتباهنا عدم وجود فهرس للأعلام، رغم أن هذا الموضوع كما هو موضح من العنوان يحمل انساق تصويرية جديدة ساهم في قراءتها وكشف ما غمض منها لسانيين لا عهد للقارئ العربي بهم من قبل.

-ومما لاحظناه أيضا أنه في إشارته إلى الألسن التي ترجمة نشرة 1916 أبرز أنهم اكتفوا بترجمة واحدة عكس الثقافة العربية التي وصلت إلى خمس ترجمات، وفي موضع

¹ - ينظر: ينظر: مختار زواوي، دوسوسير من جديد مدخل الى اللسانيات، ص17.

² - المصدر نفسه، ص 204

³ - المصدر نفسه، ص204

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

آخر من الكتاب نجده يذكر ترجمتنا للكتاب في الثقافة الروسية (1922م-1933م)، وحسب ما أفضى به بحثنا في تلقي النشرة من قبل المجتمع العلمي الغربي فإنه ترجم أكثر من مرة في اللسان الواحد، وذلك راجع في المقام الأول إلى قصور الترجمة الأولى عما جاء في الكتاب سواء في المتن أو في الجهاز المصطلحي.

3- كتاب من المورفولوجيات إلى السيميائيات "مدخل إلى فكر فرديناند دو سوسير".



3-1 الوصف الخارجي:

صدر عن دار عالم الكتب الحديث للنشر ولتوزيع سنة 2019 الطبعة الأولى من كتاب "من المورفولوجيات إلى السيميائيات - مدخل إلى الفكر السوسيري -" لمختار زواوي، جاء حجم الكتاب متوسطا يحتوي على 154 صفحة.

احتوت واجهة الكتاب على لونين متضادين، ولكنهما متحدين في ظل لعبة الضوء والظل، هما لوان يتكاملان رغم التناقض الجامع بينهما، وهذان اللوان هما سيدا الألوان "الأبيض والأسود"، احتل الأبيض المساحة الأكبر من واجهة الكتاب.

احتوى الكتاب على صورة لسوسير مغمورة باللون الأسود حتى أن الناظر لا يكاد يتوهم ملامحه إلا بصعوبة، وفي ظل هذا السواد المسيطر على زوايا الصورة والذي امتص

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

سائر لألوان، تبرز ظلال بيضاء تضيء معالم من وجهه، قامت هذه الصورة على ثنائية العتمة والضوء من خلال استعمال درجات تظليل معينة، دل الجانب الأسود على الجانب الغامض المجهول في أذهاننا من فكر لم نقرأ له ولم نسمع منه بل كان هناك دائما جدار بيننا وبينه دائما ما كانت هناك واسطة تؤول لنا فكره، كأسطورة يرويها كل واحد بطريقته الخاصة، أما ذلك الشعاع الذي أضاء معالم الصورة وسيطر على باقي المساحة فهو مخطوط" في جوهر اللغة"الذي دونه الأستاذ بخط يديه، هذه المرة سنقرأ له ونسمع منه، دون وسيط يشوه فكره سنتمكن من فهم عبقريته وتمثيل ملامح فكره تمثيلا صحيحا، لأنه في هذه اللحظة سيظفر الضوء على العتمة والشعاع على الظل والبياض على السواد.

3-2 المقدمة العامة:

افتتح الباحث مقدمته بالحديث عن مشروع كتاب محاضرات في اللسانيات العامة المخطوط بيد سوسير والذي أضحى السمة البارزة في اللسانيات المعاصرة، وذلك لما يكنزه من معارف لسانية جديدة وبما يستكشفه من معالم أصلية من فكر سوسير، ولعل الميزة الأبرز لهذه المخطوطات أنها أعادت تمثيل الفكر السوسيري الأصيل بعد أن انقطعت السبل بالباحثين المحدثين، ثم يذكر الباحث عدة أمور كانت سببا في انشغاله عن إخراج هذا المخطوط الموسوم بجدة مباحثه وحادثة أفكاره، هذه الأمور دفعته إلى العمل على نقله إلى اللسان العربي وأعد بحثا موجزا عن محتواه يعرض فيه أهم المسائل التي انضوى عليها.

عرض زواوي إلى الغاية من هذه الدراسة وهي نفس الفكرة التي أكد عليها في كتابه السابق وهي ضرورة حث الباحثين الشباب على وجوب وضع كتاب المحاضرات المنسوب إلى سوسير جانبا والإقبال على نصوصه الأصلية، ولا نعلم مرمى الباحث من مخاطبة فئة الشباب فقط في هذا السياق.

قام بعرض خطة بحثه التي جاءت مقسمة إلى خمسة فصول، تعكس ما فهمه الباحث من المخطوط وما وقف عليه الباحثون الذين انكبوا على دراسته، جاء الفصل الأول لمعالجة عدد من المسائل المتعلقة بتحقيقه، وخصص الفصل الثاني للتفصيل في الفكرة الرئيسية لهذا

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

المخطوط، أما باقي الفصول اجتهد فيها لتبين جملة من المفاهيم المستجدة في الفكر السوسيري، ويعتبر هذا الكتاب بمثابة مقدمة لمخطوط " في جوهري اللغة" الذي هو بصدد ترجمته، ومن حق المتلقي العربي أن يسأل، مدام الحال كذلك، لماذا هذا الكتاب؟ ، كان يكفي ترجمة المخطوط الذي سيتكفل بإرشاد القارئ إلى معالم النظرية اللسانية الجديدة؟، ويجيبنا زواوي أنه متأثر في هذا المنهج بالسيمياي غريماس الذي يقارب فعل الترجمة مقارنة سيميائية قوامها مرحلتين، تتمثل المرحلة الأولى في التكفل بالنص المبتدئ، وهذا الصنيع من قبل الفعل التفسيري، وأما المرحلة الثانية فهي تبدأ عندما يشرع في إعادة إنتاج النص المؤول في اللسان المنتهى إليه.¹

بعدها انتقل زواوي إلى عرض حوافز البحث الأساسية التي دفعته للخوض في ترجمة هذا المخطوط، وهي كون هذا النص ليس مألوفاً وليس للمتلقي العربي عهد بفحوى متنه، ولعل أهم خصائصه القطيعة التي يحدثها مع التصورات التي توارثها من كتاب المحاضرات إلى اليوم.

بعد ذلك عرض المنهج الذي ارتضاه لهذا الكتاب الذي يعتبر مجرد مدخل لفكر سوسير اللساني، وهو المنهج الوصفي، حاول فيه المزوجة بين النقل المباشر لنصوص المخطوط، والنقل المستند إلى التفسير والشرح، ويكون بذلك قد زواج بين ثنائية الموضوعية والذاتية*.

قبل الشروع في الفصل الأول ارتضى الباحث أن يقدم تمهيدا يناقش فيه مصطلحا محوريا لطالما تم إهماله من أدبيات اللسانيات السوسيرية على الرغم كونه من المفاهيم المؤسسة التي تنبئ عن تصور متأصل في فكره، وهو مصطلح تعدد وجهات النظر للوقائع

¹ - ينظر: مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2019، ص5.

* سبب وصف ما نقله زواوي من تفسيرات وشروحات لهذا العمل بالذاتية راجع إلى أن سوسير انتهج عملية الكتابة المجزأة، والتي تعكس فكر قلق، حتى وصفه جاكسون بأنه الشكاك الكبير، هذا ما أدى إلى تنوع في القراءات، بتنوع قدرات الباحثين وإلمامهم بجميع حيثيات النصوص التي أنتجها هذا الفكر واستفاد مكوناتها استفاداً.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

اللسانية، ولقد أضحى لهذا المفهوم دورا بارزا في تفسير وفهم جملة من تصورات سوسير، لأنه هو الذي يحدد الموضوع، حيث كانت اللسانيات بعد نهج القرن التاسع عشر (منهج المقارنة وتتبع التحولات الألسن) والثامن عشر (منهج التأمل الفلسفي)، بحاجة إلى الاسترشاد بوجهة نظر ذات قاعدة مورفولوجية تنتظر في العلاقات القائمة بين العلامات، أو تلك القائمة بين العلامة والدلالة التي تتطوي عليها، مع ضرورة انتهاج منهج تاريخي مخالف لمنهج النحاة الجدد.

3-3 البحث عن مدخل:

يحاول الكتاب في هذا المبحث الإمساك ببداية البكرة، أو الهيكل العام الذي تنتظم الأفكار فيه انتظاما منسجما، وهذه الفكرة الرئيسية التي تعتبر مدخلا لكل من رام استجلاء وفهم فحوى الكتاب وهي الثنائية القائمة بين آنية المورفولوجيات وتاريخية الصوتيات، بمعنى أن العلاقة التي تتعقد بين أوضاع اللسان المتوالية تتلخص في ثنائية الصوت والمورفولوجيا، فالعلاقة الصوتية تنعقد بين عناصر الوضع الواحد وتقتضض تتابعا وتجردا من المعنى، والعلاقة المورفولوجية التي تنعقد بين عناصر الوضع الواحد وتقتضض وحدة العصر، وأخذ المعنى، والقيمة، والاستعمال بعين الاعتبار.¹

عليه يكون هناك تقابل وعدم توافق بين المنظور الصوتي للسان والمنظور المورفولوجي، ويرى زواوي أن هذه الثنائية ليست الفكرة الرئيسية التي يبنى عليها الكتاب، بل إن مفهوم المماثلة هو الذي حاز هذه المكانة لان الانتقال من دراسة تسلسل الأوضاع عبر فترات زمنية إلى النظر في الأوضاع ذاتها في فترة زمنية محددة يترتب عنه الانتقال من مفهوم المخالفة إلى مفهوم المماثلة الذي يجعل من الشكل اللساني شكلا لسانيا على الرغم من اختلاف الصورة الصوتية.

3-4 قراءة في فصول الكتاب:

أ - الفصل الأول: في جوهرى اللغة: قصة المخطوط.

¹ - ينظر: مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، ص 21

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

يخصص الكاتب هذا الفصل ليسرد لنا تفاصيل هذا المخطوط، ليس من باب المتعة الأدبية، بل بغرض تأويل هذا النص وإدراك مقاصده، وهو كتاب أعد للنشر وذلك راجع إلى الهيكل العام للمخطوط الذي يحتوي على عبارات من قبيل التوطئة والتمهيد، بالإضافة إلى توجيه الخطاب إلى القارئ اللساني، وكان من أوجه تمييز هذا الكتاب هو تقديمه لمصطلحات ومفاهيم جديدة صيغت صياغة علمية دقيقة، وبعد سرد الباحث لتفاصيل الاكتشاف وخلفيات التدقيق والنشر، ينتقل إلى المبحث الموالي وهو ترتيب المخطوط وتعديلات المحققين في محتواه، وقد ناقش فيه عناصر التكرار، بالإضافة إلى تسليط الضوء على جانب التحوير وذلك بتفكيك نص المخطوط وتوزيع محتوياته إلى فقرات متباعدة.

كما سجل في عنوان المخطوط وفحوى دلالاته، التي انزاحت عما هو معهود، من أن جوهر الأشياء غالبا ما يكون بالافراد ، وهذا نقيض ما يشير إليه العنوان من أن اللغة جوهري، وللوقوف على باطن هذه التسمية عمد الكاتب إلى تقصي الدلالة التي اقترن بها المصطلح في النص، وقد توصل إلى أنه يقترن تارة باللغة وتارة باللسان، وكان سبب تنثية سوسير لجوهر اللغة هو البحث عما يميز الطبيعة الأولى للغة، وفي هذا السياق يقول « إن جوهر اللغة يتمثل في ركنين، يفترض أحدهما الآخر، لانفصالهما، أما الركن الأول فقد عبر عنه في حديثه عن المماثلة، أما الثاني ففي حديثه عن المخالفة.¹»

المسألة الجوهرية التي شغلت بال الأستاذ هي البحث عن الطبيعة الأولى للأشكال اللسانية التي لا قيمة لها إلا باقترانها بدلالة ما، ومفهوم الأشكال اللسانية عنده هو المقابلة بين الصورة الصوتية من جهة وبين الشكل والمعنى من ناحية أخرى، كما ناقش في هذا الفصل موضوع المخطوط، وما هي كما سبق الإشارة إلا اختبار وجهة النظر على أساس المنظور المورفولوجي.

ب- الفصل الثاني: من تاريخية الصوت إلى آنية اللسان

¹ - مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، ص 37.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السويسرية الجديدة

من تاريخية الصوت إلى آنية اللسان كان هذا عنوان الفصل الثاني للكتاب، وأتى مكملًا للفصل الأول ومفصلاً لموضوع المخطوط، وهو أولوية المورفولوجيا في دراسة الأوضاع اللسانية دراسة آنية تنظر في وحداتها التي تتألف منها وطرائق تأليفها؛ أي البحث في ما يجعل من هذا الوضع اللساني نسقا قائما بذاته.

لا ينحصر مفهوم المورفولوجيا في الجانب الصرفي بل هو مدلول عام في الاستعمال السويسري، يشمل دراسة جميع أشكال اللسان على اختلاف مستوياتها، وعليه تكون المورفولوجيات جزء لا يتجزأ من التركيبات، والحديث عنها هو في الأصل حديث عن الآنية؛ بمعنى دراسة الأوضاع اللسانية دراسة آنية لأن كلهما يستند إلى الآخر في مجال التحري والدراسة.

كان من الضروري لتوصيف المنهج السويسري توصيفا علميا دقيقا من إعادة النظر في ثنائية الآنية والتاريخية، وذلك بالوقوف على مراحل تكوينها وتصور سوسير لها مقارنة بما روجه كتاب المحاضرات، ذلك لأن المخطوط يعد عتبة أساسية لفهم مضامين فكر الأستاذ الحقيقي مما هو تلفيق منسوب إليه خاصة في مسألة التمييز بين ثنائية الآنية والتاريخية، وفي سياق عملية المراجعة اتضح أن مصطلح السنكرونية لم يرد في نصوص المخطوط، والشيء الغريب الذي أثبتته طبعة تومور النقدية أن هذا المصطلح لم يستعمل من قبل سوسير، وفي ذلك يقول « هذه الثنائية شهدت رواجاً كبيراً بعد دو سوسير، يبدأ أن المصطلح الأول، خلاف للثاني، ليس من وضع سوسير، إذ كان الأخير، يفضل استعمال مصطلح idiosynchrone بدلا منه»¹

المميز في هذه القراءة أن الكاتب اتخذ من نصوص المخطوط مدخل لفهم كتاب المحاضرات بغرض إقامة مسافة نقدية بين سوسير المخطوطات وسوسير المحاضرات، ولم يكن غرض زواوي من دراسة الوقائع اللسانية من المنظور الآني تقويض أركان البحث التاريخي، أو إزالته من البحث اللساني، وإنما أراد الإشارة إلى وجود مبحث آخر يمكن

¹ - T.de Mauro, notes in f.de Saussure ، نقلا عن مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات، ص53

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

اللساني من مقارنة أوضاع اللسان المتوالية، ورفض مدرسة النحو المقارن ومدرسة النحاة الجدد ودعا إلى إعادة تقييم التصورات اللسانية الرئيسية التي انتهجها.

عاب زواوي في هذا المقام ركون العديد من الدراسات الحديثة إلى ما هو موجود في كتاب المحاضرات والاستناد على مقولاته في تكوين النقود، خصوصا النقد والتجريح الذي تعرض له سوسير في هذه الثنائية، ورغم ما حققه مشروع العودة إلى سوسير من تأصيل لتصوراته يبقى من الحتمي الاطلاع على كتاب في جوهر اللغة الذي يمثل عمق وفراة الفكره.

ناقش زواوي مفهوم عبارة حياة اللغة ودلالاته في الفكر السوسيري، هذه العبارة هي من المفاهيم الرئيسية في أدبيات لسانيات القرن التاسع عشر، وقد اقترنت هذه العبارة في كتابات سوسير بالطابع الاجتماعي التاريخي للغة؛ أي أن العلامات لا وجود لها إلا في نسقها الاجتماعي.

ركن الكاتب إلى إيضاح موقف سوسير من النزعة الفلسفية في مقارنة اللغة مقارنة عقلانية وسبب نزوع لسانيات القرن التاسع عشر النزعة التاريخية هو الرغبة في تجاوز التفكير الفلسفي للغة والركون إلى البحث التاريخي بوصفه هو المقاربة الملا ءمة الوحيدة لوصف اللغة وصفا علميا، وعليه وفي ظل انفتاح المجتمع العلمي على اللسان السنسكريتي تم الانتقال من البحث الفلسفي إلى البحث التاريخي المقارن؛ أي الانتقال من الدرس النحوي إلى الدرس النحوي المقارن، وهو انتقال من دراسة الأوضاع اللسانية إلى دراسة تاريخ هذه الأوضاع، وكان موقف سوسير مؤيد أكثر حسب نص المحاضرات إلى البحث في الأوضاع اللسانية لأنها كانت أكثر علمية في تحديد موضوعها مما هي عليه ممارسات النحاة المقارنين، وكان لابد في خضم هذا الانتقال الركون إلى منهج جديد يدرس الأوضاع اللسانية دراسة آنية شرط انتهاج منهجية مغايرة والاعتماد على آليات جديدة.

ثم عمل زواوي على تبيان موقع النحو من فكر سوسير من منظور في جوهر اللغة، وخلص إلى أنه يمثل بابا من أبواب البحث السيميولوجي لديه، وذلك في شكل المعادلة

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

التالية « السيميولوجيا: المورفولوجيا، النحو، التركيبات، الترادف، البلاغة، الأسلوبيات، المعجميات.. إلخ الكل متصل»¹

المعادلة هي انتقال من النحو العقلاني إلى سيميولوجيا عامة، ثم يتوسع الكاتب مع نحو بور رويال قصد الوقوف على تركة ديكرت الفلسفية، وقد يتوهم غير ذي الاختصاص بأن المبادئ التي تأسست عليها كان مصدرها فكر سوسير الفلسفي، غير أن الحقيقة أن أفكاره اللغوية جاءت متأثرة شبةا الكثير من النقص، ويكمن فضل لسانيات ديكرت في أنها مكنت نحو بور رويال من بلورة منطلقاتهم الفلسفية، فاللغة في الفلسفة العقلانية ليست سوى تعبير منطقي عن الفكر، ومن هذه الفكرة أقامت المدرسة أصولها على فكرة وجود تطابق تام وكامل بين البنات المنطقية والبنات اللسانية، لقد رامت المدرسة إلى وضع قواعد نحو عام ينطبق على جميع الألسن البشرية.² وكان من بين أهم الأفكار التي تلقفتها المدرسة من فكر ديكرت الفلسفي نظريته حول المعرفة؛ أي أنه لا يمكن معرفة المادة إلا بالاستدلال الذهني، بالإضافة إلى الفصل بين الجسد والروح، ونلاحظ انعكاس هذه المقولة في نحو بوررويال في الفصل بين الصوت والمعنى.

ج - الفصل الثالث: من النزعة التاريخية إلى النزعة السنكرونية

خصص الكاتب الفصل الثالث لدراسة عملية الانتقال من النزعة التاريخية إلى النزعة السنكرونية، وأكد الكاتب أن القرن التاسع عشر لم يكن مهياً لن شوء لسانيات عامة متحررة من القيود المنهجية التي فرضتها ممارسات النحو المقارن أو اللسانيات التاريخية المقارنة، ويعزى ذلك إلى عدم التخلص من اللبس القائم بين البعد النسقي للألسن وبعدها التاريخي، واهتدت اللسانيات التاريخية إلى التعامل مع الوقائع اللسانية تعاملآ أنيا يعين على تمثيل طرائق تأليفها وتشكيلها على إثر أخذها بأفكار سوسير، وافترض الدارسون أن هذا التمييز الذي أقامه سوسير كان متأثراً فيه بأوغست كونت الذي أقام تمييز بين المظهر السكوني

¹ - مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، ص63

² - المصدر نفسه، ص65.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

والمظهر الدينامي للظواهر الاجتماعية، وهذا الانتقال الذي أحدثه الرجل هو في أصله انتقال من الصوت التاريخي إلى المورفولوجيا الآنية، وهو في الأساس بحث في الوضع اللساني بعيدا عن ضبابية القواعد الصوتية، هو بحث في العلاقات الخلفية القائمة بين الوحدات.

على ضوء ما سبق أصبح من الضروري الاجتهاد في تبيان أص الة التمثيل السوسيري لمفهوم المورفولوجيا، الذي لا يستسيغ الباحث أن يكون ترجمة لمصطلح الصرف، لارتباطه الوثيق بمفهوم الشكل اللساني الذي يقيم هو الآخر مسافة نقدية مع مفهوم الكلمة، وهي الوحدة الأساسية التي يشتغل عليها علم الصرف.

لوصف الوقائع اللسانية وصفا علميا لا بد من التعامل مع وحدات بسيطة، وهي وحدات مركبة تركيبيا فريدا، وهذا نتيجة الاختلاف القائم بين العلامة وما تدل عليه، ومنه أصبح من الإلزامي في الأدبيات اللسانية السوسيرية من البحث عن الوحدة اللسانية وتعيين طبيعتها وطرائق تركيبها لأنها عماد كل البحث اللساني.

الوحدة اللسانية هي البديل العلمي الذي ارتضاه سوسير للكلمة، التي كانت الوحدة المثلى التي تعاملت بها لسانيات القرن التاسع عشر، وكان تعاملها مع مظهرها المكتوب، ولم تتمكن اللسانيات التاريخية المقارنة من التحلل من سطوة الكلمة، وبات الجانب الصوتي هو الفضاء الوحيد الذي اشتغلت عليه وقد أشار سوسير إلى قصور لسانيات عصره عن التمييز بين الصوت والحرف، وتجاهلت الظاهرة اللغوية، واهتمت باللسان والكلام.

كما أشار زواوي إلى ثنائية الصوت والفكرة التي لمسها الخل والاضطراب وحورت عن معناها الحقيقي في كتاب المحاضرات، وفي هذا الشأن فإننا نصادف التصور الحقيقي لسوسير في ثانيا المخطوط، فالنزعة الثنائية العميقة التي تجزئ اللغة لتكمن حسب سوسير في الثنائية القائمة بين الصوت والفكرة، أو الثنائية الحاصلة من اجتماع ظاهرة صوتية بظاهرة ذهنية، بل تكمن النزعة الثنائية بين الظاهرة الصوتية بوصفها كذلك وبين الظاهرة الصوتية بوصفها علامة، إن ثمة إذن ميدان أول داخلي سيكولوجي تتواجد فيه العلامة والدلالة كلاهما مرتبط ارتباطا وثيقا بالآخر، وميدان ثاني خارجي لا توجد فيه إلا العلامة،

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

لكنها هذه المرة ليست سوى سلسلة من الذبذبات الصوتية، لذلك يصح تسميتها بالصورة الصوتية.¹

ذكر مفهوم المماثلة والمخالفة وهي أحد المرتكزات الأساسية التي أسست لنشأة اللسانيات الحديثة، لأنه المبدأ العام الذي يتخلل في مستويات التحليل اللساني، ولم يسلم هذا المبدأ من النقد والتجريح نتيجة عدم تكن شارل بالي وزميله من التعبير عنه وفق تعاليم سوسير، فهو لم يحصر مبدأ المماثلة والمخالفة في المستوى الفونولوجي فقط، بل هو مبدأ شمولي ينسحب إلى باقي المستويات.

د- الفصل الرابع: من المورفولوجيات إلى السيميائيات

خصص الفصل الرابع للحديث عن الانتقال من المورفولوجيات إلى السيميائيات، والغرض من هذا الفصل التأكيد على الموقع المتميز الذي يحتله الكتاب من فكر سوسير السيميائي، ولعل ما يلفت الانتباه هو استخدام مصطلح السيمياء للدلالة على النسق اللساني المستقل عما آل عنه، وكما هو موجود في أذهان الأفراد المتكلمين، كما تعنى السيمياء بمجال العلامة وليس للفرد المتكلم وعي بالصوت إلا بوصفه علامة، وهذا الإقرار السوسيري يستند إلى التمييز بين الشكل اللساني والصورة الصوتية، ويفضي هذا الإقرار إلى مقولة صاغها سوسير كما يلي « إن الاسم الحقيقي للمورفولوجيات يجب أن يكون نظرية العلامات، وليس نظريات الأشكال.»²

عليه يكون تفسير هاتين المقولتين هو التأكيد على أن المورفولوجيات لا يمكنها إلا أن تكون ذات سند سيميولوجي، كما أن باقي المستويات اللسانية تتخذ من الركن السيميولوجي ركنها الرئيسي، وعليه تكون المورفولوجيا نظرية للسيميولوجية، لأنها كما تم الإشارة من قبل لا تقتصر على دراسة صيغ الكلمات، بل هي أعم من ذلك، تشمل جميع المستويات اللسانية، وتدرس كل علامة في نسق العلامات الأخرى.

¹ - ينظر: مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، ص 91

² - مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، ص 100.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

اقترن مفهوم اللسان في الفكر السوسيري بأنه نسق من العلامات، وقد أصبحت هذه المقولة من مسلمات البحث اللساني، لكن الحقيقة التي تضيفها المخطوطة هو أن اللسان ليس فقط نسق من العلامات بل إنه نسق من القيم أيضا، وسبب هذا الانتقال هو الترادف الحاصل في تصويره بين مصطلح القيمة والدلالة، وعلة هذا الانتقال هو أن تموقع الباحث في علم العلامات وتموقعه في علم الدلالات إنما يمثلان الشيء ذاته، ثم يفصل الكاتب مقام الحديث حول المشروع السيميائي وموقع النسق اللساني المتميز منه، ويجب التنويه إلى أن ما يميز اللسان عن الأنساق اللسانية الأخرى، بل وما يشتركان فيه أيضا هو أمر ثانوي بالنسبة إلى سوسير، تكمن قيمة المشروع في المقارنة بين نسق اللسان والأنساق الأخرى، من أجل إبراز المفهوم المحوري الذي تشترك فيه كل الأنساق اللسانية.

هـ- الفصل الخامس: من الكلمة إلى الفرد المتكلم

أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء تحت عنوان " من الكلمة إلى الفرد المتكلم " باحث فيه مسألة الفرد المتكلم والتهميش الذي تعرض له في كتاب المحاضرات، بالإضافة إلى إبراز موقف سوسير من مسائل الفلسفة لعصره، ورفضه الانضمام إلى جمهور القائلين بتأصيل اللغة انطولوجيا، فالألسن عنده لا تقيم علاقة مباشرة بعالم الموجودات، بل وليس لها وجود إلا وجودها في ذهن الفرد المتكلم، سعى سوسير إلى كسر القالب الكلاسيكي الموروث عن الفلسفة اليونانية والذي يختزل العلامة بعلاقتها بما تحيل إليه في عالم الأشياء في جدلية ما أضحى يعرف بالعلاقة القائمة بين اللغة والواقع لأنها مواضع وراث تاريخي، واللسان له وجود مستقل وخاص به غير الوجود التاريخي والأنطولوجي أو الفكري، وتكمن وظيفة الألسن حسب الطرح السوسيري في الفهم، وهذا الفهم منوط بالفرد المتكلم الذي يختزن الألسن في ذهنه.

كما عمد إلى المحاجة في طبيعة اللسان الذي هو في الأصل نسق سيميولوجي اجتماعي قائم على المواضعة، ولا يستطيع الفرد المتكلم أن يحدث فيه التغيير دون تقبل المجموعة اللسانية، وهذا نهج كل الأنساق السيميولوجية.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

كما عمل على معرفة حظ المعرفة السيكولوجية من فكر الأستاذ وإسهامها في بلورة تصورات اللسانية، وتبرز أهمية البحث في الكلام في احتفاء سوسير بالذهن الذي هو المحل الذي يحل فيه اللسان، كما أن ذهن هو الذي يدير العمليات التي تستقيم بها هذه الألسن، كان سوسير يدعو إلى ضرورة اللجوء إلى المعارف الإنسانية من أجل تأسيس لسانيات تعي حقيقة ما تبحث فيه، ونوها إلى حقيقة مغيبة وهي أن اللسانيات ليست فرعاً من فروع علم النفس، بل إنها تمثل أبجدية نشاطه.¹

لم يرد أن يختم هذا الفصل دون التطرق إلى مسألة ذات شأن كبير وهي عناية سوسير باللسانيات التطبيقية، وليس كما كان يعتقد بأن سوسير كان يركن إلى مدارس المسائل التي تختص باللسانيات العامة، حيث كان يرى على سبيل المثال أن اللسانيات التاريخية والمقارنة كانت تقوم بتطبيق المعرفة اللسانية وفق البعد التاريخي تطبيقاً مجتزئاً، والتطبيق السديد للمعارف اللسانية التاريخية في مقارنة الأوضاع اللسانية يجب أن يختبر النسقية، لأنه المنهج السليم، كما أنه في مسألة تاريخية الصوت وأنية اللسان، كثيراً ما كان يعتمد على مناقشة خصائص القاعدة الصوتية الآنية من خلال التطبيق العملي، بالإضافة إلى العديد من التواردات الدالة على البعد التطبيقي للمعارف اللسانية في الفكر السوسيري.

3-5 الخاتمة العامة للكتاب:

يؤكد زواوي في خاتمة الكتاب على الحقيقة التي قام بشرحها في ثنايا فصول الكتاب من أن النموذج المثالي لمدارسة الألسن هو نموذج سيميائي نفسي اجتماعي، كما ألح على نفس المطلب الذي دعا إليه في الكتاب السابق من ضرورة إعادة النظر في كتاب المحاضرات، وأن للمتلقى العربي أن يمحس مكتسباته وفق لما استجد من فكر سوسير الحقيقي، لأنهم في الكتابات الجديدة تتماها المعارف التي من شأنها أن تتخذ اللغة واللسان موضوعاً لها، كي تسهم كلها في بلورة نظرية عامة، هذا العمل دعوة إلى إعادة قراءة سوسير، وفتح قناة تواصل بين اللسانيات العامة والفكر العربي الأصيل.

¹ - مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، ص 128.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

ساجل هذا العمل الكثير من تصورات سوسير التي تم ت إساءة فهمها بسبب قصور بالي وزميله عن الإلمام بكل حيثيات فكر الأستاذ من جهة، وعدم تمكنهما من جهة أخرى من الوصول إلى مخطوطاته، وهذا الكتاب تفصيل في وجهة النظر السوسيرية حول نهج اللسانيات التاريخية المقارنة المفتقدة لمعرفة حقيقة عن اللغة والألسن، بالإضافة إلى دراسة نحو بور رويال وإسهام المقولات الديكارتية في تحديد مبادئها، سعى الكاتب إلى أن يعطينا لمحة عن المعايير الانتقائية التي انتهجتها لسانيات القرن التاسع عشر في دراسة الألسن، هذا القصور هو الذي ألهم سوسير الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب، كما ناقش الكاتب العديد من المفاهيم التي شبه الخل والاضطراب في كتاب المحاضرات بل تم تهميشها رغم القيمة التأسيسية لها في المحاضرات اللسانية كل ذلك في سياق ما ستجده على الساحة اللسانية، كم قام بالتقعيد لمصطلحات غاية في العمق والدقة العلمية، كان لا بد من الإحاطة الجيدة بها لفهم عمق التصور السوسيري.

3-6 ملاحظات حول الكتاب:

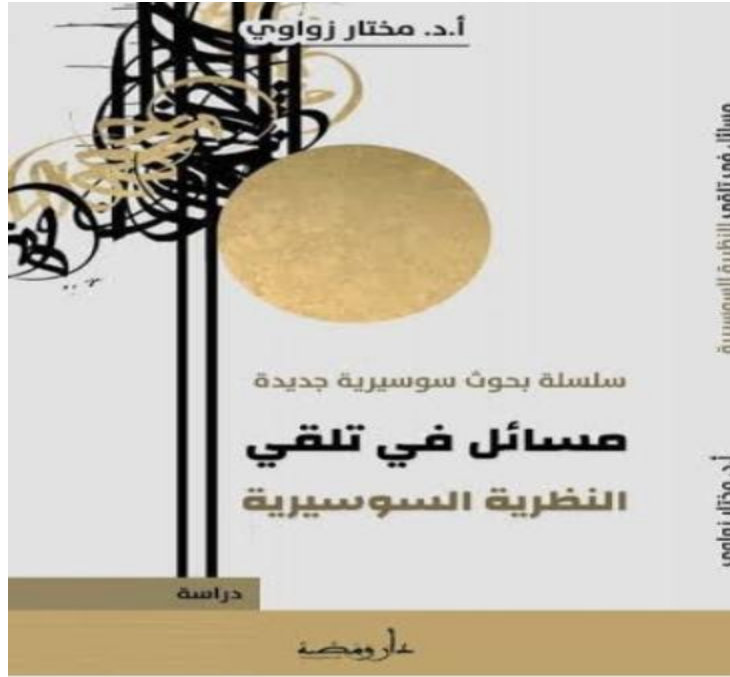
- كان هذا العمل صورة مصغرة من الانتقال من أفكار المحاضرات المختزلة والمحورة إلى أصل التجربة السوسيرية، ومما لا شك فيه أن الكمال لله، وأن العمل الإنساني مهما كان واضحا ودقيقا بل متقنا لا بد من أن يشبه بعض النقص، وأول ملاحظة نستنتجها من هذا الكتاب هو أن الكاتب خصص الفصل الأول لمبحث لمعالجة موضوع المخطوط، ثم ناقش في الفصل الثاني موضوع المخطوط بشكل أوسع، مما أوقع الكاتب في فخ التكرار، ولو أنه اكتفى بالفصل الثاني مغني عن مبحث الفصل الأول لكان أنفع.

- كما احتوى الفصل الثاني على مبحث جاء بعنوان (نحو بوررويال وفلسفة ديكارت اللغوية وموقف سوسير منها)، يتوهم القارئ أن في هذا المبحث مقولات نقدية صريحة تبين موقف سوسير من اللسانيات الديكارتية ونهج المدرسة، ولكن بعد التدقيق في محتوى الفقرات يتضح أنه استجلاء للمقولات الديكارتية وتأثيرها في عقلانية النحو عند أصحاب هذه المدرسة، ولا وجود بتاتا للمقولات السوسيرية حول فلسفة اللغة لدى ديكارت، وكان العنوان المناسب لهذا المبحث حسب رأينا هو (مدرسة بوررويال واللسانيات الديكارتية).

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

- جاء عنوان الفصل الرابع معنون ب(من المورفولوجيات إلى السميائيات)، لكنني نجد الكاتب يستبدل هذا المصطلح في هذا الفصل وفي باقي النصوص بمصطلح السيميولوجية، كما انه في مبحث آخر يستعمل تارة مصطلح علم النفس وتارة أخرى مصطلح السيكولوجية، ولو أن الكاتب التزم بمصطلح واحد ارتضه ترجمة أمينة ودقيقة للمصطلح الوارد في نص المخطوط لكان الأمر أكثر منهجية وانضباطا في جانب البحث الأكاديمي، بالإضافة إلى أن قضية الفرد المتكلم في كتاب المحاضرات تم معالجتها من قبل في كتابه السابق (دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات)، وتم تكرار أغلب سياق المعلومات في هذا المبحث.

4- قراءة في كتاب مسائل في تلقي النظرية السوسيرية



4-1 الوصف الخارجي للكتاب:

صدر عن دار ومضة كتاب جديد للأستاذ مختار زواوي ضمن سلسلة بحوثه في السوسيرية الجديدة كتاب بعنوان "مسائل في تلقي النظرية السوسيرية"، صدرت الطبعة الأولى من العمل في 2021، جاء حجم الكتاب متوسطا يحتوي على 205 صفحة.

كما هو موضح فقد غزا اللون الرمادي المحايد واجهة هذه السلسلة الجديدة، وهو من الألوان المتوازنة التي هي نتيجة مزج اللونين الأبيض والأسود، ويبدو أن درجة الأبيض

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

مختلفة عن درجة الأسود، لذلك جاء اللون رمادي فاتحاً، مما منح التصميم إشراقه وجاذبيته، وقد تم تدوين اسم المؤلف والعنوان في هذا الفضاء المحايد، وحسب الدراسات النفسية، فإن هذا اللون يدل على عدم الوضوح بالإضافة إلى معنى الفراغ الذي يرسخ دلالة الضياع، وبشيء من التأويل يمكن الربط بين درجة هذا اللون الضبابي وبين مضامين النص التي جاء القسم الأكبر منها لإيضاح سوء الفهم في تلقي فكر سوسير المتخيل، الذي قدم بطريقة مشبوهة عبر منافذ تأويلية خائنة لفكره، هذا الأمر الذي ولد فراغ بين سوسير البنيوي وسوسير الرجل، كما أن البحث في دلالة المحو الباني ومغزى الشطوب في مخطوطات الأستاذ قد تشوش إن أصرف الباحث في دراستها عن الهدف العام من هذه العودة، وتؤدي إلى متاهات تأويلية ينجر عنها ضياع في متاهات الشكاك الكبير.

يرمز طغيان درجة اللون الأبيض على درجة الأسود الداكن إلى تقليص الهوة ووجود ملامح لإشراقه جديدة ستم تلئ هذا الفراغ مع التحقيقات المتواصلة لمخطوطاته، وقد تم دمج هذا اللون الضبابي مع شكل هندسي وزخرفات، وتتم الدائرة وهي من الرموز الهندسية في هذا الفضاء على اللانهاية، رغم أنها أكثر الأشكال تكاملاً، سوى أن طبيعة النص السوسيري والظروف الخاصة التي صاحبت نشر أفكاره وظهور مخطوطاته من جديد تفتح المجال أمام قراءات لا نهائية لهذه العبقرية التي أبت وضع نقطة نهاية لصراعاتها الفكرية.

4-2 بيان من أجل مشروع نظرية في اللسانيات العامة:

كان هذا البيان أول ما دونه زواوي في هذا الكتاب، أعلم في بدايته أن البحوث التطبيقية التي زاولت السوسيرية الجديدة في الغرب قليلة جداً، مع الإشارة إلى انعدامها في اللسانيات العربية، ودعا إلى ضرورة الإقبال على النصوص السوسيرية الجديدة تفسيراً أو تأويلاً، لأن المشروع السوسيري الذي تم تشويبه هو في الأصل لسانيات موحدة بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، هذا الإقرار الذي سيكون له واقع كبير في نفس الباحث العربي.

ثم يوضح زواوي بعد التصديق على هذه الحقيقة إلى ضرورة استثمار هذا الإرث الجديد في التأسيس إلى منحى عربي جديد، وفي ذلك يقول «إن اللسانيات العامة خليفة بما

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

أبدعت من مفاهيم وتصورات، بأن تحاور اللسانيات السوسيرية الجديدة محاورة جادة¹.
بالإضافة إلى ذلك دعا إلى تقديم الفكر السوسيري دون اللجوء إلى اقتراض المصطلحات
والمفاهيم اللغوية

وللبرهنة على قدرة اللسان العربي على محاورة هذه النظرية عمد إلى شرح النظرية التي
وضعها سيمون بوكي (لسانيات دو سوسير التأويلية) التي تعمل على إبراز الصلة بين
اللسانيتين، ولا يخفى علينا قوة وقدرة اللسانيات العامة في مجال التأويلية، ثم ينتقل ليعرض
مشروعه المستقبلي الذي يعمل على توحيد علوم العربية، وهو في ذلك متأثر بالنموذج
السوسير الموحد بين اللسانيتين، ومنتهج في كل ذلك المعادلة السيميولوجية.

يرى الباحث أن اللسانيات العامة إذا رامت الشمولية والسعة، لابد من أن تدرس كل ما
خضت فيه العلوم العربية الأخرى، وهو هنا يقصد علوم القرآن.

3-4 مقدمة الكتاب:

استهل مقدمته بتوضيح طبيعة هذا العمل الذي هو مجموعة من المقالات التي كتبها
في مناسبات مختلفة، ومع ذلك فهي مستقاة من مصدر واحد وهو اللسانيات السوسيرية
الجديدة، وتصب إلى غرض واحد وهو التوحيد بين اللسانيتين.

ثم طفق مباشرة في عرض خطة البحث التي هي عبارة عن قسمين، أما 1 لقسم الأول
فيضم أربعة فصول تشترك في طبيعة تلقي اللسانيات السوسيرية كما هي موجودة في كتاب
المحاضرات باستثناء تلقي سيميولوجية لويس برييطو التي استندت إلى الطبقات النقدية، أما
القسم الثاني فقد ضم هو الآخر أربعة فصول يعالج الفصلان الأولان مسألة الكتابة
السوسيرية، وجاء الفصل الرابع لمناقشة مسألة القطيعة الانطولوجية التي أقامها سوسير مع
لسانيات عصرها أما الفصل الرابع تطرق فيه إلى قضية الشعر العربي في الفكر السوسيري.

¹ - مختار زواوي، مسائل في تلقي السوسيرية الجديدة، دار ومضة، الجزائر، ط2021، ص8

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

بدأ مقدمته بالحديث عن جهوده في نقل المصطلح الغربي اللساني على وجه الخصوص إلى اللسان العربي، وذلك عن طريق اللغة الواصفة، التي كانت العنصر الذي عالجه مباشرة بعد هذا العرض.

4-4 تمهيد في اللغة الواصفة وترجمة اللسانيات السوسيرية (اللغة الواصفة ونسقية

المصطلحات)

يذهب زواوي إلى الإقرار بضرورة أن يكون للباحث معرفة متقدمة حول المواضيع العلمية التي يعنى بالتعريف بها، وذلك من أجل التعرف على الوحدات الوصفية التي وضعت من أجل التعريف بالمعرف العلمية التي تنقلها هذه النصوص، وينوه الباحث إلى مشقة هذه العملية؛ أي تحصيل المعرفة من النصوص العلمية، وذلك نتيجة التجريد الذي انتهت إليه، ويزعم في هذا السياق أن قلة إدراك مجموعة من الباحثين العرب بضرورة الارتقاء إلى درجة التجريد هي التي عادة ما تحول دون تمثلهم للاختلافات القائمة بين مفاهيم اللغة واللسان والكلام.

كل هذا كان مقدمة للإشكالية التي يطرحها وهي مسألة المصطلحات واللغات الواصفة المنجزة لها، لأنها من بين المسائل التي لا ينفك الباحثون ينظرون فيها، وذلك راجع إلى أن المصطلحات هي مفاتيح العلوم، لذلك فإن العلوم في سعي دائم لتطوير اللغة الواصفة التي تكفل للمصطلحات أهم خصائصها وهي انتمائها إلى نسق من العلاقات التي تقيمها فيما بينها، وكان لابد من أن يقدم لهذا المفهوم القديم في الفكر السوسيري، وهو يعكس ثنائية الكلام والكلام عن الكلام، وهي على درجة من الصعوبة والتعقيد، وهي عبارة عن وضع مفهوم لمصطلح واحد خاص به، وتوصيفه وتصنيفه؛ أي قدرة الألسن جميعها على الكلام على نفسها، ويسعى زواوي إلى الاقتداء بالسلف في إنشاء لغة واصفة باللسان العربي متكاملة ومنسجمة الأركان متسقة العناصر، وأردف الحديث عن نشأتها وأهميتها فلا يمكن

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

للتصورات العلمية التعبير عن الوقائع المدروسة ما لم تترجم إلى اللغة الواصفة «إن في البحث عن الحقيقة يستلزم النظر في العلاقات القائمة بين الوقائع وما يقال بشأنها»¹

لا يتحقق هذا إلا بتوفر قدر من الأوصاف، وهذا ما أفضى إلى التميز بين لسان التخاطب واللغة الواصفة، وقد نشأ هذا التصور في حضان المنطق والفلسفة الغربية وهي تسعى إلى تعريف الحقيقة، ثم أتى على ذكر هذه المسألة في الفكر السوسيري التي تنبها إلى أهميتها في السنة التخاطب اليومية، وبدأ يتحدث عنها في أعمال ياكبسون، وبنفنيست، ويلمسليف، وأعرب عن صعوبة تقديم تعريف شامل جامع لمصطلح اللغة الواصفة، لأنه لقي من الرواج والتداول ما جعل منه مصطلح متعدد الاستعمال، وهذا ما أفضى إلى شيء من اللبس.

4-5 أصول المصطلح في اللسانيات العربية الحديثة:

بعد التقديم للغة الواصفة تطرق الباحث إلى مسألة لطالما أرقّت الوعي اللساني العربي، رغم الجهود الكثيرة المبذولة، وهي قضية المصطلح في اللسانيات العربية الحديثة، ونحسب أننا لا نبالغ عند التصريح بأن هذه الأزمة وصلت إلى ذروتها في تلقي نص المحاضرات، حيث تعددت المسالك التأويلية في تقديم المفاهيم وترجمة المصطلحات، وذهب الباحث في هذا الصدد إلى القول بأن المصطلح يصدر من مصدرين اثنين أما أحدهما فهو ما أنتجته الحضارة العربية من تصورات وعبرت عنه بمصطلحات بواسطة اللغة الواصفة، وكان الغرض الأساسي هو اكتشاف بنيات اللسان العربي، وطلب من الباحث العربي الاجتهاد في تمحيص ميادين معرفية أخرى واستجلاب كل ماله صلة باللسان العربي، والمقصود هنا علوم القرآن، أما المصدر الآخر ما تلقفته الحضارة العربية عن الحضارات الأخرى، سواء عن طريق الترجمة أو الاقتراض.

ثم تطرق إلى مجموعة من العوامل التي خلفت لنا هذه الأزمة، لعل أبرزها النزعة إلى التفرد وعدم الاطلاع على اجتهادات الآخرين، ويزعم زواوي أن التقارب بين عدد من

¹ - مختار زواوي، مسائل في تلقي السوسيرية الجديدة، ص9

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

التصورات التي أنتجها الفكر اللساني العربي والفكر اللساني الغربي هو الكفيل بالتعبير عن اللسانيات الحديثة تعبيراً سديداً، وعادة مرة أخرى للكلام في أزمة المصطلح في اللسان العربي، وحسب رأينا الخاص فإن الترجمات الخمس قد زادت من احتقان المشكلة، فأصبح كل متلق يتمثل الجهاز المصطلحي اللساني حسب الترجمة التي اطلع عليها، على سبيل المثال يغلب لدى الباحث اللساني في المغرب العربي مصطلحات الترجمة التونسية وهذا ما لا نتوسمه في البحوث الأكاديمية في المشرق العربي، كما أن عدم التكفل بنسقية المصطلحات بالنسبة إلى واضعي المصطلحات زادة من حدة الاختلاف، كل هذه العوامل حالت جداراً دون تمثل المعرفة باللسانيات الغربية ونقلها بشكل دقيق إلى اللسان العربي.

كان الموضوع الثاني الذي اشتغل عليه الباحث هو الترجمة اللسانية وترجمة اللسانيات السوسيرية، وقسم هذه الدراسة إلى قسمين أحدهما نظري والآخر تطبيقي، أما القسم الأول عمل فيه على رصد الفكر السوسيري في القرن الواحد والعشرين.

قدم لنا في هذا الإطار طرح سيحسن من واقع الدراسات اللسانية، ويسهم في تقليص الهوة بين الفكر النحوي اللغوي العربي وبين الفكر اللساني العالمي، وهو التوفيق بين القطاعات الثلاث التي تتقاسم الدراسات اللغوية في الوطن العربي، أما القطاع الأول فهو قطاع اللسانيات العربية، والقطاع الثاني فهو قطاع اللسانيات الغربية المعبر عنه باللسان العربي، أما القطاع الثالث فهو قطاع اللسانيات الغربية المعبر عنه بالألسن الغربية، وتكمن ميزتها حسب رأينا في أنه من شأن هذه الآلية تفعيل خاصية الحوار في مراكز البحث الأكاديمي، كما أنها تسهم في وعي المتلقي العربي بالدرس اللساني العربي والغربي، وتفعيل ميكانيزمات النقد لديه فلا يتقبل كل ما يطرح عليه من مسلمات، لأنه مدرك بفضل هذا الدمج بين القطاعات الثلاث ما هو بحث أصيل وبين ما هو مجرد حشو لا طائل منه، سيصبح له وعي ذاتي بكل المسلمات التي تطرح.

أشرنا فيما سبق أن زواوي في القسم النظري عمل على الوقوف على ملامح الفكر السوسيري في القرن الواحد والعشرين، وتعتبر العودة إلى سوسير من أهم ملامح هذا القرن، كما أن الساحة اللسانية شهدت بروز نظريات لا عهد لنا بها مثل اللسانيات الثقافية

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

والتداوليات العابرة للثقافات، هذه المباحث الجديدة التي تعبر عن التحول المستمر الذي يشهده الفكر الإنساني.

تناول في ملامح الفكر السوسيري التكوين اللساني وعدة الباحث المعرفية، ألزم الباحث في هذه النقطة بضرورة أن يكون له إطلاع على ما تركه اللغويون والأوائل من معارف وهذا ما يتطلب ازدواجية اللسان، فتكون لديه القدرة على تمثيل المعارف التي يطالعها ومن ثم التعبير عنها، وهذه الدعوة تذكرنا بجهود مدرسة الترجمة التي أسسها الطهطاوي للرقى بالذات الإنسانية وزيادة الوعي بمنجزات الآخر عن طريق آلية الترجمة، حيث كان الباحث يخضع إلى تكوين صارم، كما تطرق في هذا الإطار إلى علاقة الترجمة بالتأويل، حيث أضحت علم الترجمة والتأويلات ميداني بحث لا ينفصلان، لأن التأويل خطوة أساسية للترجمة، فهو يضمن الفهم العميق الذي يسهم في جودة العمل المقدم، وأصبح الركون إلى مفهوم البنية الكبرى؛ أي النظر إلى النص في كليته من ضوابط الترجمة العلمية، اقترح الباحث منهجية في الترجمة استقاها من سيميائيات غريماس من شأنها أن تستعمل في ترجمة النصوص العلمية.

أما القسم التطبيقي فقد ناقش فيه تعثر الباحث العربي في ترجمة فكر سوسير اللساني، إذ ليس مضمون النص لساني بامتياز، بل هو فضلا عن ذلك يستدعي مصطلحات ومفاهيم من مجالات معرفية أخرى، كما أن صعوبة كل عمل هو بصدد ترجمة فكر سوسير راجع إلى عدم اكتمال المشروع السوسيري واستقراره على جهاز مصطلحي، كما أن الموقف الذي اتخذته اللسانيات المعاصرة من البحث الفيلولوجي زاد من سوء الفهم كتابات سوسير. لذلك أصبح تأويل مضامين أفكاره ضرورة ملحة للتمثيل السديد لفكره.

إن المعرفة بالجهاز المصطلحي تعد واحدة من أهم العوائق في ترجمة الكتابات السوسيرية، عمد زواوي إلى عرض هذه المصطلحات على سياقين مختلفين للخروج من هذا المأزق، والسياق الأول هو سياق المعارف اللسانية واللسانية، وهنا يشير إلى ضرورة امتلاك المترجم لقدر كاف من المعارف اللسانية التي تتصل بهذا النص والنص المنقول إليه، فضلا

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

عن المعارف اللسانية التي اشتغل عليها النص اللساني؛ أي كل المعارف التي تراكمت في فكره.

أما السياق الثاني فهو السياق النصي الذي تواردت فيه هذه المصطلحات، وقد قدم الباحث في هذا العنصر تعامله مع مصطلح *morphologie* ومساهمة اللسانيات النصية في الكشف عن مدلوله، كما أضاف السياق النحوي الذي لم يحض باهتمام الباحثين مقارنة بالسياقات الأخرى، ويمكن بحال من الأحوال إلغاؤه في استخراج المعنى، وذلك عن طريق تحديد الوظائف النحوية التي تتخذها الكلمات حسب موقعها من الجمل.¹

4-6 القسم الأول: في تلقي فكر سوسير

أ- الفصل الأول: مشروع لويس برييطو السيميولوجي واللسانيات السوسيرية الجديدة

هذا الفصل هو دراسة في طبيعة تلقي الأرجنتيني لويس برييطو للسانيات السوسيرية موزعة على خمسة مباحث، رام فيها زواوي تقصي التأثير العميق الذي مارسه كتاب المحاضرات والمخطوطات على مشروع هذا السميولوجي، ولا يمكن الوقوف على ملامح العلاقة بين المفكرين إلا بالتعمق في مراحل الاتصال التي تمثلت في مرحلتين، مرحلة اتصال غير مباشرة عن طريق البنيويات الأوروبية، اطلع فيها برييطو على أعمال مدرسة براغ وكوبنهاجن والمدرسة الوظيفية، بالإضافة إلى قراءاته للترجمة الإسبانية لكتاب المحاضرات، أما المرحلة الثانية امتازت باتصاله المباشر بكتابات سوسير عن طريق قراءة تحقيقات غودل.

أما المبحث الثاني فكان حول الآثار العلمية لبرييطو هدف الباحث منها إلى تتبع مساره العلمي من خلال ما دونه من مقالات وبحوث وكتب، للوقوف على الأصول السيميولوجية في فكره، وكانت بداية إنتاجه اللساني حينما اتصل باندري مارتيني الذي مكنه من نشر مقالاته في مجلة *word*، ناقش في أول مقال له مفهوم الفونيم عند كل من تروبتسكوي ومشروع حلقة براغ.

¹ - ينظر: مختار زواوي، مسائل في تلقي السوسيرية الجديدة، ص 69

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

يود الباحث الإشارة إلى أن برييطو بدأ مشواره العلمي بمقال في الفونولوجيات وبعدها بدأ الاهتمام بقضايا في السيميولوجية، درس فيها مسألة العلامة، كما تطرق فيها إلى كتاب المحاضرات وبدأ بالانفتاح على تيارات سيميولوجية أخرى، وبدأت كتاباته العلمية تتوسع لتشمل مقالات حول الكتابة، والأسلوب، والفن، واللسانيات الوظيفية... إلخ، ثم يعرض لنا أهم مرحلة في مسار هذا الباحث وذلك باتصاله بالفيلولوجية السوسيرية ما بين (1956م-1960م) هذه المرحلة التي تمثل انتقالاً من البحث اللساني البنيوي إلى الاتصال المباشر بالمشروع السوسيري، كما عكف برييطو في هذه الفترة على إعداد تقارير نقدية عن نظرية فيرث، وباحث زواوي أهم الأفكار التي احتوى عليها فكر برييطو ومنها السعي إلى دراسة المعنى من وجهة نظر إسهام التعبير في تحقيقه، بالإضافة إلى التواصل الخارجي، والمقصود بها مفهوم الحال.

توسع في مشروع برييطو السيميولوجي الذي عمل من بداياته على تطبيق المعرفة اللسانية بوصفها نسقاً من العلامات على أنساق أخرى من العلامات، وذلك لاشتراكهم جميعاً في عدد من القوانين، ثم تطرق إلى مفهوم الفعل السيمي الذي يعتبر الحجر الأساس الذي أصل للسيميولوجية لديه من باب التواصلي، ثم أورد الباحث التصور السوسيري الذي مكنه من توطيد مشروعه السيميولوجي وهي فكرة التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، حيث أدرك سوسير أن عمل الأخيرة يتمثل في بلورة وقائعها العلمية الخاصة من خلال نقد الوقائع التي أفرزتها الممارسات العلمية السابقة، لكن العلوم الإنسانية خلاف ذلك تعتمد إلى استبدال المعرفة العلمية بمعرفة علمية سابقة، لأن المعرفة الأولى هي الموضوع الذي تعنى به هذه العلوم، كما تناول فكرة أن السيميولوجية كانت في تصور سوسير عبارة عن نظرية للمؤسسات تعنى بالقوانين التي تحكمها عموماً، وفي ختام هذا الفصل ناقش ملامح ممارسات التداوليات الضمنية في آثار سيميولوجيات برييطو.

ب- الفصل الثاني: الاستعارة بين تأويليات ريكور واللسانيات السوسيرية الجديدة:

خصص الفصل الثاني من هذا القسم للحديث عن طبيعة تلقي بول ريكور للفكر السوسيري، الذي درس مسائل التيار اللساني البنيوي من مناهج فلسفية، والمميز في فكر

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

ريكور هو التعدد المعرفي الذي وسمه به، وهذا ما شاق على الباحث من تتبع لكل المواطن التي عبر فيها عن موقفه من فكر الأستاذ وفق ما هو موجود في كتاب المحاضرات المنسوب إليه، لذلك اقتصر على دراسة كتاب الاستعارة الحية الذي احتوى على موقف رفض لأفكار النشرة، وكانت الغاية من دراسة هذا التلقي الانتصار لفكر سوسير الأصيل. كان من أوجه رفض الفيلسوف الفرنسي لمتن المحاضرات القول بالفصل بين اللسان والكلام، والاعتراض على إزاحة الكلام من الدرس اللساني، وقد اقتفى الفيلسوف الفرنسي أثر ياكبسون في ذلك، الذي رأى في الفصل المطلق بين السنن والمرسلات أمر يؤدي إلى صعوبة إدراك القدرة الخلاقة للغة.

استدعى بول الاستعارة لهذا السجال باعتبارها حجة دامغة تدحض فكرة الفصل، وطال نقد ريكور ثنائية الآنية والتاريخية، فقد انتهى وهو ينظر عن كثر في طبيعة الاستعارة المزدوجة إلى أن لها أبعاد نسقية وأخرى تاريخية، وهذا ما يفضي إلى انتماؤها المزدوج إلى اللسان والكلام، ونظرا لهذا الطابع المزدوج للاستعارة استدعى ريكور وجهة نظر مخالفة لما هو موجود، وهي عبارة عن تطور ثالث يجمع بين الآنية والتاريخية وهي مفهوم البانكرونية «إن ظاهرة كظاهرة الاستعارة لها أبعاد نسقية وأخرى تاريخية، إن تعدد دلالات الكلمة واقعة آنية، وإن هذه الكلمة تنطوي في الزمن الحاضر ضمن السنن على أشياء عديدة، ووجب والحال هكذا تصنيف التعدد الدلالي من جهة آنية، ولكن التحول الدلالي الذي يضيف إلى التعدد الدلالي، والذي أسهم في الزمن الماضي، في تشكيل التعدد الدلالي الآني يعد واقعة تاريخية»¹

ج-الفصل الثالث: التداوليات المدمجة وثنائية لسانيات اللسان ولسانيات الكلام

هذا الفصل هو تقديم للتداوليات المدمجة بشكل مختزل عند أوزفالد ديكر، هذا المبحث الذي يمثل أهم تطورات التداوليات في فرنسا، تستقي مسلماتها وجملتها من مفاهيمها وتصوراتها من لسانيات التلفظ، وهي إيدان بإدراج التداوليات كفرع من فروع اللسانيات.

¹ - مختار زواوي، مسائل في تلقي السوسيرية الجديدة، ص111

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

عمل زواوي على تقديم أهم أدواتها الإجرائية وهي مسألة التضمنين؛ أي تأويل الملفوظات قصد الوقوف على الأسلوب الضمني في المحادثات اليومية، وكان هذا المقال عبارة عن مقدمة تمهيدية في التداوليات المدمجة، و الرد على الكثير من النقود التي وجهت للمتن السوسيري، وخاصة في تجاوز ديكرو الفصل بين اللسان والكلام في بحوثه التداولية، اجتهد زواوي في تتبع آرائه في هذه المسألة وما انطوت عليه من قرارات، وقدم لدالتي ثنائية اللسان والكلام حسب ديكرو، الذي حصر دلالتهما في الثنائية المنهجية والمادية، وقد وعد قراءه بتخصيص مقال عن التداوليات المبرمجة يعرض فيه لهذه المسألة بشيء من التفصيل» أما دلالتها المنهجية فهي تستقيها من التمييز التقليدي بين الموضوع الذي يصوغه الباحث والمعطى الذي من شأنه تفسير هذا الموضوع، أما دلالتها المادية فهي تستقيها من دائرة المعطى فتحدد بها منطقتين من قبيل التمييز بين المقطوعة الموسيقية وعزفها، فكلاهما شيئين ماديين يمكن ملاحظتها مباشرة.¹

د-الفصل الرابع: عبد الرحمن الحاج صالح وثنائية اللسان والكلام:

المقال يندرج ضمن مجموعة من البحوث التي يسعى المؤلف من خلالها إلى التأسيس لمشروع نظرية عربية جديدة تقوم على مبدأ الوعي بثنائية اللسان والكلام وعدم الفصل بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام في الفكر العربي القديم.

استدعى زواوي في هذا الصدد اجتهاد الحاج صالح في بحثه في التراث اللساني العربي عن ثنائية شبيهة بثنائية سوسير، وقد توصل إلى أن النظرية العربية قد بينت على ثنائية الوضع والاستعمال، وهي حسبه أعمق وأوسع من نظرية سوسير وابتغى زواوي من هذا التقرير إعادة النظر في المسائل اللسانية التي عالجها الحاج صالح في كتابه الخطاب والتخاطب فراح يتحرى سلامة الاعتقاد في مصطلح الوضع في هذه المقابلة، وحسب ظنه فإِنَّ الحاج صالح لم يتمثل الازدواج اللغوي الذي تتصف به لفظة الوضع، فلم يوفق في

¹ - مختار زواوي، مسائل في تلقي السوسيرية الجديدة، ص120.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

التميز بين مفهوم الوضع الذي هو حالة لسان ما؛ أي الوضع القائم في الزمان والمكان
معلومات، ومفهوم الوضع الذي هو الابتكار الذي يؤول إلى المواضعة.¹

قدم سوسير مفهوم اللسان من خلال فكرة النسق وفي ذلك يقول « كل لسان نسق قائم
على اتحاد صورة سمعية وتصور خاص بكل مجتمع على حدة، نقول " اللسان العربي " أو "
اللسان الفرنسي " أو " اللسان الألماني " إلخ، واللسان بهذا المعنى مجموعة من العلامات
العرفية والاصطلاحية التي يتم التوافق عليها ليستعملها أفراد المجتمع لتلبية حاجاتهم اليومية
العامة والخاصة، إن اللسان مؤسسة اجتماعية.»² وعليه فإن اللسان بنسق نظامه المتجانس
يتكون من أنظمة صغرى تربطها علاقات تأثر وتأثير متبادلة، يضع بين يدي الدارس
اللساني المادة التي تمكنه من الاستقلال بعلم اللسانيات عن شعاب العلوم الإنسانية

4-7 القسم الثاني: بحوث سوسير

أ- الفصل الأول: قيل أن سوسير كان يمزق مسوداته

يعيد الفصل الأول النظر في التصريح الذي قدمه الناشران في مقدمة الكتاب،
ومضمون فحواه أن الأستاذ كان يمزق تبعا لمسوداته التي يحضر بها الدروس، وبعد إطلاع
الباحث على الفيلولوجية السوسيرية تبين له زيف هذه الحقيقة لأن سوسير لم يستغن عن
مسوداته التي كان يحضر بها دروسه، وكان تفكير سوسير حسب رؤية الباحث يمر
بمرحلتين، مرحلة تسبق الدرس يضع خلالها مسوداته للتعبير عن الأفكار الرئيسية وضعا
مؤقتا، أما المرحلة الثانية فهي خلال الدرس وهي المرحلة التي يختبر فيها أفكاره أمام
طلابه.³

للرد على الإقرار الذي صدر من الناشرين عمل ال باحث على وصف مجموعة من
مضامين النصوص القديمة، واقتصر على الملحوظة الأولى من السنة الجامعية 1907،

¹ - ينظر: المصدر نفسه ص 130

² - f. De Saussure, CLG/De Mouro، نقلًا عن: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة، ص 125.

³ - ينظر: مختار زواوي، مسائل في تلقي السوسيرية الجديدة، ص 144

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

وملاحظة ALK والتي هي حول تعريف الصوتيات التاريخية وتمييزها عن الصوتيات الفيزيولوجية، بالإضافة إلى الملاحظة الأولى من السنة الجامعة الثانية (1908-1909) وهي تتألف من ثلاث ملحوظات، أما الملحوظة الأولى فتعالج مسألة الثنائيات، أما الملحوظة الثانية فنناقش فيها نص لويتتي، أما الملحوظة الأخيرة فقد تحدث فيها عن الألسن السلتية، ولقد اهتم الباحث بالحديث عن الملحوظة الأولى وذلك لسهولة التعرف على مضامينها النصية في الدروس التي حققها غودل وهي إحصاء للثنائيات التي ينطوي عليها اللسان، وهي تعد اليوم أصلا من أصول التفكير اللساني كما أنها تمكن الباحث من فهم النشأة الأولى للمفاهيم والتصورات السوسيرية.

ب-الفصل الثاني:المحو الباني ودلالات الشطوب في المخطوطات السوسيرية

يعتبر هذا الفصل جزء من الفصل الأول تناول فيه زواوي مسألة الكتابة السوسيرية ولكن هذه المرة درس ظاهرة المحو في المخطوطات، وعمل على تفسير هذا المحو بربطه بطبيعة تكوين الفكر سوسيري هذا الفكر القلق الذي ينتهج منهج الفقرات الصغار، وهذه الكتابة المجزأة ناتجة عن طبيعة الموضوع ذاته، لأن المدخل إلى الوقائع اللسانية ليس له باب ولا منفذ واحد، كما أن الشطوب الكثير تدل على تفكير واع بصعوبة التعبير عن الوقائع اللسانية، كما أنها تفسير طبيعة الأسلوب الحجاجي في الفكر السوسيري.

كما ناقش دلالات الشطوب في مخطوطة ALK الذي ساهم في بلورة مشروع السيميولوجية لدى برييطو، كما أن رولان بارت على عكس ما كان يعتقد نهل مبادئه وتصورات السيميولوجية من دروس السيميولوجية للسنة الثانية التي حققها غودل، وجدد خاتمته بالدعوى التي ما توانى على التأكيد عليها من ضرورة الإسراع في مدارس النصوص السوسيرية الأصلية، كما ألمح إلى اجتهاداته الخاصة التي تسعى إلى تقديم تعريف جديد للسانيات العامة استئناسا بالمعادلة السوسيرية.

ج-الفصل الرابع:اللسان والإنسان والقطيعة الأنطولوجية في كتابات سوسير الجديدة

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

يتحدث هذا الفصل عن تحرر اللسانيات بفضل الأستاذ من قبضة الأنطولوجية، لكن اللسانيات عادت منذ أن وضع أوغن وريتشارد مثلثهما الدلالي من إقامة صلة بين اللسان ووقائع الأشياء، وتلقفت هذا الطرح معظم النظريات اللسانية التي عملت على التوفيق بينه وبين ما جاء به سوسير، ومن هذه النقطة سعى زواوي إلى تقديم نقد للعلاقة القائمة بين اللغة والواقع كما جاءت في كتاب المحاضرات، الذي كشف عن استقلال العلامة عن الواقع لأنها مواضعة وإرث تاريخي، وعليه توصل الباحث بعد وقفه على الحجج والمبررات التي قدمها سوسير المخطوطات إلى حقيقة أن الألسن لا تقيم علاقة مباشرة بعالم الموجودات، بل هي كيانات لسانية تسعى إلى اكتشاف طبيعتها، وليس لها وجود سوى وجودها في ذهن الفرد المتكلم.

أما المبحث الثاني فكان حول سوسير والشعر العربي، وهو مقال للبحث عن الإيقاع وعن موقع الشعر العربي من البحث في هذه الواقعة الشعرية، حدثنا فيه عن اهتمامات سوسير بالأدب والشعر والترجمة، وساهمت معرفته بالعديد من الألسن وخاصة اللسان اليوناني من ترجمة العديد من أشعار اليونان، من مثل ترجمته للشاعر اليوناني إسخيلوس قصيدة بعنوان "أجاممنون"، وقد قاده هذا الشغف بالموروث الكلاسيكي اليوناني إلى البحث عن ملامح مشتركة بين اللسانيات السوسيرية والفكر الفلسفي اليوناني، كما أن إجادته للسان اللاتيني مكنته من نقل بعض من أشعار هوراس إلى اللسان الفرنسي، وتجلت معرفته بالألمانية بترجمة مقال لزميله بليزغ جوهان توباك، وبعد وقوفه على إسهامات سوسير في مجال الترجمة واستفادته منها في دروسه في اللسانيات العامة، راح يتقصى اهتمامه بالشعر العربي من خلال مراسلاته العلمية مع برشام لإثبات فرضية إطلاع سوسير على الحضارة الإسلامية وعلى التراكيب الشعرية للسان العربي وهو يدرس قضية البنية الإيقاعية.

4-8 ملاحظات حول الكتاب:

-أشار الكاتب في عنصر (بيان من أجل مشروع للسانيات العامة) إلى ندرة البحوث التطبيقية في اللسانيات السوسيرية الجديدة، وتحدث عن عمل واحد فقط تجسد في رسالة دكتوراه أعدتها الباحثة كريولا لاتينول، غير أن استقراؤنا الجزئي للتأثير الذي مارسه هذه

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الحركة سواء في أوروبا أو آسيا أو أمريكا أفضى رغم أننا لم نغمس فيه كليا لضيق الوقت وشاسعة الموضوع الذي يتطلب الإلمام بكل ما دونه منذ صدور عمل غودل، لاحظنا وجود الكثير من البحوث التي اشتغلت على الجانب التطبيقي فيما يخص هذه الكتابات، بل واتخذت من مضامين التوقعات قاعدة لحل الكثير من مآزق الدرس اللساني الحديث.

- يرى زواوي أن التقارب في التصورات الـ ذي أنتجته اللسانيات العربية واللسانيات الغربية هو الكفيل بالتعبير عن اللسانيات الحديثة تعبير سديدا؛ أي أن التشابه في مضامين المقولات سيساهم في ضبط المصطلح اللساني بدقة، ولكن هل الفكر اللساني العربي قد حقق كل التقدم النظري والتطبيقي الذي حققه الدرس الغربي، نحسب أن الجواب عن هذا السؤال هو لا، فهناك ميادين بحث حديثة لم يكن للمفكر العربي عهد بها، ولا نحسب أننا نجد ما تستعويض به في التراث لتمثيل هذا المجال من مثل اللسانيات الحاسوبية، واللسانيات النفسية، بل إن اللسانيات الغربية اختبرت عن طريق الأجهزة الحديثة مناطق من الدماغ مسؤولية عن ملكة اللغة والإدراك، وليس الحل بالتوغل في القديم و الانفتاح على ميادين معرفية أخرى، بل بالموازنة بين المصدرين الذين ذكرهما الباحث.

-إن في مسألة نسقية المصطلحات التي يفترض زواوي أنها كانت مغيبة عن وعي الباحث العربي وهو بصدد وضع مصطلحات أو ترجمة للمفاهيم فيها شيء من المبالغة، فالمطلع على الأعمال الرائدة التي عملت على تمثيل المعرفة اللسانية بسوسير سواء بالترجمة أو الشرح أو البحث، يتوهم النسق الهندسي الذي يربط بين هذه الثنائيات، بل إن هناك من عمل على البحث حول المؤثر المباشر في هذه الهندسة التي وسمة الفكر السوسيري والتي جعلته ينظر إلى اللسانيات على أنها مجموعة من الثنائيات، وتكمن المعضلة في أن الباحث لم يحط بكل السياقات الفيلولوجية التي شكلت المصطلح اللساني، ومما زاد من تشويش الباحث هو عدم ثبات هذا الجهاز على مفهوم بعينه، وهذا ما لاحظناه مع مصطلحي العلامة والكلام اللذان تعددت مفاهيمهما وذلك راجع إلى أن سوسير لم ينتهي فيهما إلى مرحلة الحسم.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

-يعتبر زواوي هو أول باحث عربي دعا إلى إعادة التدقيق في المصطلح اللساني والاعتماد في وضع المسميات المناسبة للعلوم الوافدة على علوم القرآن، لكن أليس التراث اللساني العربي القديم كفيلا بهذه المهمة؟، كما أن الجهود الأولى في التأسيس للغة الواصفة لبنيات اللسانيات العربي كانت متأثرة بعلوم القرآن، وأصول الفقه، وعلم التجريد... إلخ، وهذا ما انعكس سواء على المصطلحات أو المفاهيم، بل ولا مأس الأمر أيضا الإجراءات المنهجية، كما أن البحث في ميادين معرفية أخرى من التراث ووضع المصطلحات اللسانية وفق هذه الآلية ألن يكون الأمر في النهاية شاقا سواء علي الباحث الذي لابد من أن يكون ملما بتراث السلف الإسلامي ويجلب مصطلحات غاية في التعقيد إلى الدرس اللساني الحديث؟، كما أن هذا النهج سيكون شاقا على القارئ العربي الذي لابد أن يحيط علما بسياقها الفقهي ليتمثل بدقة الرابط المفاهيمي للمصطلح اللساني؟

- المشروع الذي اقترحه لتحسين واقع الدراسات اللسانية، وذلك عن طريق التوفيق بين القطاعات الثلاث التي تتقاسم الدراسات اللغوية في المجتمع العربي، بتفعيل خاصية الحوار بين الباحثين وطلبة العلم، على الرغم من أنه سيسهم فعلا في تقليص الهوة، غير أن الباحث انطلق من فرضية تمكن الطالب الجامعي من اللسان الفرنسي والإنجليزي لدرجة تمكنه من الاطلاع على المقالات المتخصصة بهذه الألسن دون صعوبة تذكر، لكن الواقع على العكس من ذلك، فأغلب الطلبة والباحثين في الجامعات الجزائرية يعانون من نقص تأطير كبير في هذا الجانب.

-لاحظنا في العنصر التمهيدي الذي خصص لدراسة المصطلحات اللسانية واللغة الواصفة، أن هذه الآلية هي الحل المناسب للفوضى المصطلحية المفاهيمية التي يتخبط بها الدرس اللساني العربي، وقد عبر الباحث عن رفضه لعملية الاقتراض، لأن لسان الضاد ليس بحاجة إليه وذلك بما توفر لديه من مقومات، وقد عاب في تقريره إلى كل من يلجأ إلى هذه العملية التي تعكس قصور البحث في مجال المصطلحية، لكننا نجد في مقالاته التي جمعها على شكل كتاب يلجأ إلى عملية الاقتراض وخير مثال على ذلك: البانكرونية، الميتولوجيات، الأنثروبولوجيات البنيوية، الفيلولوجيات، الأنطولوجية، السيميولوجية... إلخ.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

-ناقش الباحث في مقال(قيل إن سوسير كان يمزق مسوداته) الدعوى التي مفادها أن سوسير كان يمزق تباعا كل مسوداته التي كان يخطط فيها مخطط الدراسة، وقد أثبتت التحقيقات الفيلولوجية افتراء الناشران في هذه المسألة، ماذا يعني هذا الكلام؟ ، هل تمكن الطالبان من الوصول إلى هذه المخطوطات، ومع ذلك صرح بكل وقاحة في المقدمة بهذا الكلام» وبعد وفاته سعيانا للاطلاع على مخطوطاته، وقد أتحت لنا هذه الفرصة بفضل مدام دي سوسور، فقدمت لنا الخطوط العامة الأصلية أو المناسبة لمحاضراته القيمة، وفكرنا أو الأمر أن نقارن بين مذكرات دي سوسور الشخصية والملاحظات التي دونها التلاميذ، ولكن خاب ظننا، فلم نجد في مذكراته شيئا من الملاحظات التي ذكرها تلاميذه في دفاترهم، ويبدو أن دي سوسور قد أتلف مسودات المخطوط العامة لمحاضراته، بعد أن انتهى من استخدامها، ولم نجد في مكتب سكرتيريه إلا ملاحظات قديمة، هي لا شك مفيدة، لكن يمكن إدخالها ضمن المحاضرات التي ألقاه في الأعوام الثلاث.¹

يتضح من خلال هذه المقطوعة أن الناشران بذل كل ما في وسعهما للانطلاق من المسودات التحضيرية لأستاذهما، لكن عند عجزهما عن الوصول إلى التوقيعات الأصلية توجهوا مرغمين إلى دفاتر الطلبة، كما أن حرص السيدة دي سوسير الشديد على المكانة العلمية لزوجها دفعها لرفض مشروع ميبه، الذي قد يؤدي إلى نتائج لا تحمد عقبها، والذي كان يستند هو أيضا إلى الانطلاق من تدوينات المحاضرات، كل هذا يؤكد عجز وصول الناشران إلى هذه الملاحظات التحضيرية التي اعتمد عليها غودل وأنغلر في إعادة تحقيق الدروس، والتي قام بتقديمها ابني سوسير ريموند وجاك في 1958 بعد عقود من إصدار النشرة، وبذل الاسترسال في النقد والتجريح في نية بالي وزميله كان الأوجب البحث في الخلفيات التاريخية التي حالت دون وقوع هذه الملاحظات في أيديهما، وحسب تأويلنا فإن هذه الملاحظات ضاعت في أكوام مسودات سوسير، كما صرح من قبل إلى طالبه غوتيه عندما أسر له عن مخطوط في جوهرى اللغة الذي ضاع بين كومة من مسوداته، وقد مرة

¹-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص5.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

بنا من قبل في إحدى المقالات التي تعنى بالجانب التاريخي لحياة هذا العبقري أن سوسير كان غزيرة الإنتاج لدرجة أن أخته كانت تشتكي من تكس مسوداته في غرفة مكتبه.

-احتوى الفصل الرابع على مبحثين هما (اللسان والإنسان والقطيعة الأنطولوجية في الكتابات السوسيرية الجديدة) و(سوسير والشعر العربي) وكما هو موضح من العنوان فليس أي هناك أي ملامح تربط بين المبحثين، فكل منهما مستقل، فالأول يمكن ضمه إلى كتابات سوسير في اللسانيات العامة التي عملت على تجاوز الرؤية الاختزالية التي تجعل من اللسان أداة تحيل إلى عالم الموجودات، أما المبحث الثاني يمكن تصنيفه ضمن الكتابات الأدبية التي عمل فيها زواوي على تقديم الشعر العربي في الفكر السوسيري.

- تميز هذا العمل على غرار الأعمال الأخرى التي طغت عليها كثرة الاقتباسات، بالوسع في الطرح والاسترسال في شرح جوانب الموضوع، ومعاينة مواطن القصور وتقديم المشاريع المستقبلية لترميم هذا الشرح.

ثالثا-قراءة في كتابات محمد الزين جيلي:

1-السيرة العلمية لجيلي محمد الزين:

أستاذ محاضر " أ" بقسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات جامعة عبد الرحمن ميرة . بجاية

شارك في العديد من الملتقيات ومنها : المشاركة في الملتقى الدولي في جامعة البشير الإبراهيمي حول النصّ التعليمي والملتقى المغاربي في ضوء مستجدات الدرس اللساني، يومي 26- 27 فيفري 2019 (مداخلة + عضو في اللجنة العلمية للملتقى) ، كذلك شارك في الملتقى الوطني حول اللغة العربية الراهن والمأمول بجامعة الشاذلي بن جديد بالطارف يوم 18 ديسمبر 2019. بمداخلة موسومة ب : أثر الهيئات والمؤسسات اللغوية في رقي اللغة العربية.

كما كان عضو باحث في مشروع بحث بعنوان: " التحليل التداولي للنصوص المكتوبة باللغتين العربية والفرنسية " من سنة 2010 إلى سنة 2013، وعضو في لجنة التكوين

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

بالدكتوراه الطور الثالث وهيئة تدريسيها ، عضو باحث أيضا في مشروع بحث بعنوان: دور الوسائط الرقمية في تطوير التفاعل الإلكتروني وتعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية بداية من 2021.

كما شغل العديد من المناصب البيداغوجية، حيث ترأس نائب رئيس القسم لمدة سنتين 2004 - 2005، وكان مسؤول تخصص علوم اللسان من سنة 2015 إلى 2018، ورئيس اللجنة العلمية لمجلة تعليمات ، كذلك كان رئيس تحرير مجلة تعليمات بداية من نوفمبر 2021، كما شغل عضو في مشروع البحث التكويني: دور الوسائط الرقمية في تطوير التفاعل الإلكتروني وتعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية بداية من 2021.

1- 2 المنشورات العلمية:

- البنية المفاهيمية للخطاب السوسيري المعقود لبيان موضوع اللسانيات -دراسة حاجية-، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، العدد 12، 2015.

- مسالك الاستدلال الحاجي في الخطاب السوسيري، مجلة دراسات فلسفية، العدد 07، 2016.

- الذات والموضوع في الخطاب اللساني، مجلة كلية الآداب، جامعة البشير الابراهيمي ديسمبر 2018.

- مقدمات المحاجة في الخطاب اللساني بين إشكالية الوضع ومعضلة التسلسل . سوسير نموذجاً، مجلة تعليمات، العدد 02 جوان 2019.

- الكتابة اللسانية العربية التمهيدية ونقل المفهومية، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مجلد 4-العدد 7، فيفري 2021.

- مصطلحات اللسانيات بين اضطراب الوضع وتبليغ المفهومية، مجلة ألف: اللغة، الاعلام، المجتمع، 2022 " صنف ب "

2-قراءة في أطروحة الدكتوراه:

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

نجد في هذا السياق مجموعة من الأطروحات التي عملت على استثمار هذا المنجز اللساني في فصولها، ومن ذلك أطروحة الدكتوراه لجيلي محمد الزين التي تواضع على تسميتها بـ "البنية الحجاجية في الخطاب السوسيري- دراسة مقارنة في المحاضرات والمخطوطات-" المقدم في 2016، تعتبر هذه الأطروحة من الأعمال المبكرة الرائدة في السوسيرية الجديدة، كانت الغاية منها العودة إلى الخطاب السوسيري لقراءة مسالك الاستدلال الحجاجي في خطابه المتضمن في النسخة الشائعة ومصادر المخطوطة والمنشورات المعاصرة، هذا الأمر الذي يساهم في معرفة درجة الانسجام في درجة البنية الحجاجية، ومعرفة المنهج الاستدلالي للمعلم في طريقة عرضه لتصويراته الاستيمولوجية، ومفاهيمه التأسيسية وفق منظور نظامي كلي، يفسر لنا بنية العلاقات الحجاجية التي سطرت نموذج منظومة الخطاب السوسيري ، وبالتالي الوصول إلى مسالك بناء المعرفة لديه، هذا الأمر كان منتقي في نشرة بالي التي فشلت في تقديم السند المنطقي والرباط الحجاجي في كليته.

وتتأتي أهمية هذه الدراسة على حد قول الباحث من كونها تربط الخطاب العلمي النظري بأصوله الحجاجية من جهة النشأة؛ أي بالسياق الحاضر له كما تربطه بالممارسة الحوارية التفاعلية.¹

كل هذا لغرض الكشف عن التفاعل الجدلي والحوار العقلاني بين الأستاذ ومعاصريه، ولا يتأتى هذا الأمر سوى بالوقوف على السياق المعرفي الذي هو عبارة عن مجموع الأفكار والمذاهب الفكرية والفلسفية واللسانية التي عاصرت سوسير، والتي كان لها دور كبير في بناء المنطق الحجاجي لديه.

3- قراءة في المقال:

أرفق هذه الأطروحة بمقال جاء مسطر تحت عنوان "البنية المفاهيمية للخطاب السوسيري المعقود لبيان موضوع اللسانيات -دراسة حجاجية-"، الصادر عن حوليات جامعة

¹ - ينظر: محمد الزين جيلي، البنية الحجاجية في الخطاب السوسيري -دراسة مقارنة بين المحاضرات والمخطوطات-

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

قالمة للغات والآداب في ديسمبر 2015، وموضوع المقال الكشف عن قرائن التنظيم في النسق الحجاجي للخطاب السوسيري، وذلك باستجلاء العلاقات الهندسية بين الحجج، ووضعها داخل المنظومة الحجاجية لفهم منطق الاستدلال السوسيري.

رابعا- منشورات علمية ذات صلة بلسانيات سوسير الجديدة

بالإضافة إلى هذه الكتابات التي عملت على تمثيل الكتابات السوسيرية الجديدة نجد مجموعة من المقالات التي سعت إلى التعريف بما استجد في المنجز اللساني الغربي، نذكر منها

1- مقالات علمية في مجلات مصنفة:

1-1 "مكانة لسانيات الكلام في الفكر السوسيري وفقا للمصادر الأصول " وهو مقال مشترك التأليف بين كافية بلهوشات ومفيدة بن وناس، الصادر عن مجلة اللغة الوظيفية، عدد 1، مجلد 2، 2022.

1-2 "تحولات المصطلح اللساني الحديث في ضوء القراءات الجديدة لمخطوطات سوسير مقارنة تأصيلية لجهود مصطفى غلفان "، إعداد كل من حمزة بريك ومفيدة بن وناس، الصادر عن مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، عدد 1، مجلد 13، المنشور بتاريخ 15-03-2021.

1-3 "العلامة وفق ما استجد في أدبيات الفكر السوسيري: دراسة في القراءات والتأويلات العربية الراهنة"، من إنجاز كل من طبيب شهنار ومفيدة بن وناس، الصادر عن مجلة لغة-كلام، العدد 01، المجلد 09، بتاريخ 01 جانفي 2023

1-4 "في الترجمة اللسانية وترحيل المعرفة السوسيرية الجديدة إلى اللسان العربي" وهو مقال المؤلفة مفيدة بن وناس، الصادر عن مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، العدد 05، المجلد 05، المنشور في ديسمبر 2022.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

5-1 "الملاح الفكرية والمصطلحات اللسانية السوسيرية الجديدة في ضوء

المخطوطات المكتشفة والكتابات الراهنة" وهو مقال من إعداد الباحثة مفيدة بن وناس،

صادر عن مجلة آفاق، العدد 2، المجلد 15، 03-06-2023.

5-1 مقال لامية قداش "لسانيات دو سوسير بين التمثل الغربي والتلقي العربي"،

الصادر عن مجلة دراسات معاصرة من المركز الجامعي تيسمست في أفريل 2020.

6-1 "قضايا اللسانيات السوسيرية القديمة والجديدة وتداولية اللغة في العصر

الحديث" وهو من إعداد ذهبية حمو الحاج، صادر عن مجلة كلية اللغات، العدد 26، بتاريخ

ديسمبر 2022

2-رسائل جامعية:

1-2 التقويم اللساني للكتابات اللسانية العربية الحديثة-جهود مصطفى غلفان

أنموذجاً- "حمزة بريك، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في 2022، وهذا البحث عبارة عن

تقويم نقدي للمنجز اللساني العربي لتأسيس منهج علمي موضوعي ودقيق يضبط الخطاب

اللساني الحديث والمعاصر، وكان الأنموذج الأنسب لبلوغ الغاية هي كتابات مصطفى غلفان

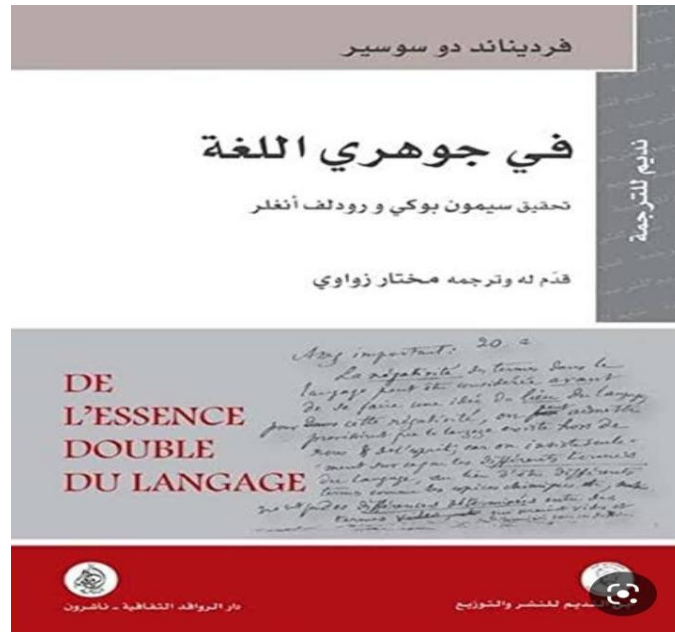
الذي عكف على مراجعة اللسانيات العربية مع محاولة التقويم وفق مبادئ علمية، ووفق

رؤية نقدية تعمل على الوقوف على الإشكالات للخروج بصورة نقدية تقويمية للسانيات

الحديثة، وفي هذا السياق عمل الباحث على تقديم المراجعات التقويمية للأستاذ المغربي.

المبحث الثاني: الترجمة الجزائرية للسانيات سوسير الجديدة

أولا-ترجمة كتاب في جوهرى اللغة



1- الوصف الخارجي للكتاب:

صدر أيضا عن دار الروافد الثقافية-ناشرون- ضمن سلسلة ابن النديم للنشر والتوزيع كتاب "في جوهرى اللغة" تحقيق سيمون بوكي ورودلف أنغلر، قدم له وترجمه مختار زواوي، في 2021، جاء حجم الكتاب متوسطا يحتوي على 246 صفحة.

احتوى تصميم غلاف الكتاب على ثلاثة ألوان رئيسية، اعتبرت ترجمان ا ثاني لعنوان الكتاب، وأول ما يلفت النظر هو المساحة البيضاء التي تعبر عن العقلانية والاعتزان لذلك احتوت على البناء التصميمي لعنوان المخطوط واسم المحقق ين واسم المترجم، أما اسم فردينان دو سوسير فقد جاء في الجزء العلوي من واجهة التصميم، كنوع من الدعاية لقراءة التوقيعات الأصلية لمؤسس اللسانيات العامة، وثان ما ينصرف إليه ذهن القارئ هي المساحة الرمادية التي قدمت نموذجاً من المخطوط الأصلي، والتي تشي بصعوبة قراءة هذا

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الفكر المتردد أو الوصول إلى النموذج النهائي الذي كان يحاك به الأستاذ في ظل مسوداته التي كانت مضطربة بين الجرأة ودلالة مخفية تعكسها كثرة الشطوب ولمحو الباني، ولعل ما يكسر هذا الحاجز هو تدوين العنوان في المقابل لذلك باللون الأحمر الذي دائما ما كان يوحي بالقوة والجرأة في الطرح، فهل كان هذا المخطوط على درجة من الجسارة لإقامة قطيعة إبستمولوجية مع أدبيات اللسانيات التاريخية المقارنة؟

قبل الشروع في تقديم الكتاب ارتضى زواوي أن يتقدم بكلمة شكر إلى سيمون بوكي، ويهدي هذا العمل إلى الباحث والمترجم العراقي تحسين عزيز رزاق.

2- مقدمة المترجم:

استهل هذه المقدمة بتنبه القارئ إلى القيمة الكبيرة التي يحتلها هذا المخطوط في أدبيات الفكر السوسيري، لأنه يقيم مسافة نقدية مع سوسير المحاضرات، كما أنه يعبر عن مرحلة حاسمة من مراحل تطور فكره اللساني والسيمائي، وهو أقرب إلى المصنفات العلمية لأنه يتخذ شكل التعريفات الوجيزة، ورغم عدم اكتمال صياغة بعض الفقرات سوى أن العمل تحكمه فكرة رئيسية كل هذا جعله يستدعي خاصية التأويل، وهذا ما صعب من مهمة ترجمته، وخاصة وأن النص يعود إلى لسانيات القرن التاسع عشر، التي أقام معها سوسير مسافة نقدية بعمده إلى تقديم مصطلحات مبتكرة والاستناد إلى مقولات فلسفية ورياضية... إلخ.

ثم يشرع زواوي بعد الحديث عن الصعوبات إلى تقديم خطة البحث، وبعد هذه الرحلة الطويلة التي قضاها في استقراء عبقرية هذا المفكر توصل إلى نتيجة مفادها صعوبة الفصل بين مشروعه اللساني والأنموذج السيميائي، وتكمن قيمة هذا المخطوط في أنه يجسد مرحلة مهمة في إعادة النظر في كل مسلمات النحاة الشباب ومدرسة بوب، ومضامينه كفيلة بتصويب الاعوجاج الحاصل في نص المحاضرات، ويأمل الباحث في الأخير أن يحقق العمل الغاية المرجوة منه وهي قراءة سوسير من المصادر المخطوطة.

3 القسم الأول: مباحث تمهيدية في اللسانيات السوسيرية الجديدة

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

3-1 المبحث الأول: مسائل في الترجمة وترجمة اللسانيات السوسيرية:

ابتدأ زواوي هذا المبحث بمعالجة مسائل عامة في الترجمة، التي تقتضي بالضرورة أعمال ملكة التفسير تارة وملكة التأويل تارة أخرى، وذلك لغرض تمثيل نسقين لسانيين مختلفين، وفي ذلك إيجاز لفعل الترجمة التي هي انتقال من النص المبتدئ إلى النص المنتهى، وقد أصبح ميدان التأويل من الركائز الأساسية التي لا بد من الإلمام بكل إجراءاتها المنهجية للإقدام على علم لترجمة، لأن التأويل هو العتبة الأساسية نحو ترجمة النصوص، وقد ولج زواوي إلى ترجمة النصوص عبر نهج أنموذجات ريكور (الرمز، النص، الترجمة) والتي تستند إلى السيميائيات ولسانيات النص والتأويلات، ووفق هذه المقاربة تصبح عملية الترجمة «نقل المعنى من نص سيميائي صيغ في نص سيميائي إلى نص آخر من سيميائي أخرى»¹

هذا النهج من سيمياء غريماس التي أصبحت تعرف بسيمياء الترجمة وتتألف من مرحلتين: مرحلة أولى تتكفل بالنص المراد نقله (من شرح وتسميت المقطوعات)، ومرحلة ثانية تعمل على إعادة إنتاج النص المؤول، والتي تتجسد في القسم الثاني، وتحدث عن قصور ترجمة الفكر السوسيري في البحوث العربية، والاضطراب الذي مس المصطلحات نتيجة عدم استثمار جهود الباحثين والتعاون في سبيل توحيد الجهود وتصويب منقولاتهم إلى العربية، ويرجع زواوي صعوبة ترجمة الفكر السوسيري إلى طبيعة الفقرات الموجزة، والصياغة غير المكتملة، والتردد المصطلحي، مما فتح الباب أمام التأويلات المؤقتة، كما أن الموقف الذي اتخذته البحوث المعاصرة من التحقيق الفيلولوجي زاد من سوء فهم كتابات سوسير، وكانت المعرفة بجهازه المصطلحي ضرورة ملحة للتمثيل السديد لفكره وأحالتها الباحث إلى سياقين مختلفين، أما الأول فيتمثل في سياق المعارف اللسانية والمعارف الموسوعية، وأما السياق الثاني فهو السياق النصي باعتباره مفهوم إجرائي يساهم في تحديد مفهوم المصطلح وفهم المراد.

¹ - فردينان دو سوسير، في جوهري اللغة، تح: سيمون بوكي ورودلف أنغلر، تر: مختار زواوي، دار الروافد الثقافية،

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

2-3 المبحث الثاني: مسائل في فكر سوسير اللسانياتي

عمل زواوي في هذا المبحث على دراسة مجموعة من المسائل هي ذات شأن كبير في فهم النسق التصوري لنظرية اللسانيات، وقد خص علم الرياضيات وتطور جهاز المصطلحات بعناية خاصة في هذا المبحث، لأن هاتين المسألتين تسهمان في تمثيل النص المترجم، وكانت أول المسائل التي تطرق لها هي ملامح الفكر السوسيري في القرن الواحد والعشرين في سياق النصوص الجديدة التي سمحت بقراءة مختلفة للسانيات السوسيرية، ومكنت من إعادة استثمار مفاهيمه الفكرية في حقول معرفية أخرى، ويكمن جديده في كتاباته المنشورة في 2002، هذه الجدة التي تخضع لمراتب متفاوتة، فبعض هذه النصوص تم تحقيقها في طبعة أنغلر النقدية، وفي مقابل ذلك نجد نصوص تكشف لنا عن معالم فكرية ليست لنا بها عهد، ويتمثل هذا الجديد في مفاهيم من قبيل الرباعيات، والتوازي، والترادف، والإدماج، كما حدثنا الباحث في هذا المبحث عن اهتمام سوسير بعلم عصره واستلهامه مفاهيم من الكيمياء والفيزياء والرياضيات.. إلخ، هذه العلوم أسهمت في نضج المشروع اللساني لديه، خاصة الفكر الرياضي الذي استعان به في مدارس الوقائع اللسانية، كما وقف أيضا على مسألة تطور فكر سوسير وجهازه المصطلحي، حيث كان الأستاذ يراجع دائما ما يقوم بتقديمه في محاضراته، فيقوم بتصويبها وإعادة تحقيقها لتناسب دائما وجهة نظر المنهج الموضوعي الذي يبتغيه للدرس اللساني، لذلك لا نجده يتوابع على مصطلح إلا وسارع للاستغناء عنه بمصطلح يكفل له الدقة العلمية.

3-3 المبحث الثالث "مسائل في تحقيق المخطوط (في جوهر اللغة)"

عمل زواوي في هذا المبحث على التعريف بهذا المخطوط وذلك بالوقوف على ترتيبه وتعديلات المحققين فيه، وتفسير سبب التسمية وتبرير الترجمة، فبدأ كلامه بسرد قصة المخطوط، وقد نتج عن طبيعة تكوينه والتعديلات التي قام بها المحققان، ظهور ملامح من الارتباب والشك في كونه الكتاب المنشود الذي تحدث عنه سوسير إلى طلبته، وكانت القرائن النصية التي وظفها المحققان من الدلائل على صدق فرضية كون هذا المخطوط هو الكتاب المنتظر، ويعتبر الألماني لودفيغ جاجر هو من ساق هذه الحجة بعد أن لاحظ تدخل

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

المحقّقين المباشر في إعادة هيكلة المخطوط وفق نسق متكامل، وهذا ما حجب التنظيم الأصلي الذي وضعه سوسير، ويؤكد الباحث أن هذا القول لم يجد له أي صدى أو اهتمام من قبل السوسيريين.

بالإضافة تصدى لدراسة موقع المخطوط من تصورات اللسانيات التاريخية المقارنة لأنها مسألة مغيبة من التدوينات التاريخية، كما سلط الضوء على حقيقة جديدة تتمثل في أن العقود الأخير التي عمل فيه السوسير على تحرير المخطوط ظهرت مرحلة جديدة تعكف على التحول من المقاربة التاريخية إلى المقاربة الآنية، وخص بالذكر تصورات جورج فان دارغابلانتر الذي تتقاطع تصورات المفاهيمية مع سوسير، وهذا ما افترض وجود تأثير مباشر من سوسير خاصة في موضوع الفرد المتكلم، ووقف في النهاية على عنوان المخطوط ودلالته.

3-4 المبحث الخامس: مسائل في العلامة عند دو سوسير

جاء هذا المبحث ليكشف لنا المقولات الفاسدة، والتحريرات الخاطئة التي مست مفهوم العلامة وخصائصها في كتاب المحاضرات، وكانت من أكثر القضايا التي أثارت غضب الدراسات الفيلولوجية الاختزال الذي مارسه الناشران على تطور المصطلحات في الفكر السوسيري، فانتقاله من مفهوم الصورة الصوتية والمفهوم إلى مصطلحي الدال والمدلول لم يكن بهذه البساطة التي تصورها متون النشرة، بل كان في الأصل معالجة لللبس الحاصل في مفهوم العلامة، الذي استعماله سوسير تارة للتعبير عن الكل وتارة وفق ما هو متواضع عليه في أدبيات لسانيات عصره من مقابلة هذا المفهوم لمفهوم الصورة الصوتية فقط، وقد كان لهذا اللبس عواقب وخيمة في فهم وتأويل مضامين الكتاب.

يعيب زواوي على الترجمات العربية عدم إدراكها الفرق المفهومي في استعمال مفهوم العلامة، ويرجع هذا الإخفاق إلى الجهل بالمعارف الموسوعية بالإضافة إلى عدم الإلمام الكلي بسيرة الرجل، ويمكننا الوقوف على التصور الأصيل للعلامة في المصادر المخطوطة التي أخرجت العلامة من العزلة التي فرضتها طبيعة التحريرات، وكشفت أن العلامة تكتسب

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

قيمتها من العلاقات التي تقيمها داخل النسق اللساني، ولا يقتصر جديد سوسير عند هذه النقطة فقط، بل تعدى بالعلامة إلى مجال التأويلات وتفسير النصوص، إذ أن هـاعتبار العلامة لحظة من لحظات التأويل التي تؤدي إلى التوكيد على أولوية الكلي وهو النص على المحلي وهو العلامة.

3-5المبحث السادس: مسائل في رباعيات دو سوسير

يفسر الباحث لجوء سوسير إلى التعبير عن الوقائع اللسانية بمصطلحات علمية دقيقة إلى طبيعة النهج العلمي الذي عمل على تأسيسه في جو أضحي عاجزا عن الاطمئنان إلى المصطلحات والمفاهيم التي انتهجتها الدراسات التاريخية المقارنة، وكان من أثر هذا التصور لجوؤه إلى مفهوم الرباعيات، وهو من المفاهيم الجديدة في تلقي فكره، عمل سوسير على إضافته إلى نسق نظريته الخاصة، وهذا المفهوم استعمل في الدرس الرياضي لتمثيل « أنساق العلامات القائمة بين متغيرات، لا تتحدد قيمتها إلا بالعلاقات التي تقيمها بينها.¹ وهذه الخاصية هي التي دفعت به إلى توظيف هذا المفهوم ضمن نسق مفاهيمه، وذلك بإضافة دلالة جديدة عن طريق النظر إليه من أفق الفرد المتكلم الذي لا يدرك الفكرة بمعزل عن الشكل، وإنما يدرك العلاقة الرابطة بين العلاقات.

كان أول من أشار إلى هذه النقطة هو الباحث جيلي محمد الزين في رصده للعلوم الموجودة في نص المحاضرات وفي ذلك يقول « يظهر ذلك من خلال المجالات التي يجري عليها قياس التمثيل حين يروم حمل الاستدلال في اللسانيات على علوم أخرى، ومن العلوم المذكورة في المحاضرات نورد منها على سبيل التمثيل: الرياضيات (حساب اللوغاريم)، والفيزياء (علم الإسقاطات)، والكيمياء (مركب الأكسجين والهيدروجين)، وعلم الفلك والجيولوجيا والأنثروبولوجية، والتاريخ والقانون والاقتصاد السياسي، وعلم النفس الاجتماعي.² »

¹ - فردينان دو سوسير، في جوهر اللغة، ص 121

² - جيلي محمد الزين، البنية الحجاجية في الخطاب السوسيري-دراسة مقارنة بين المحاضرات والمخطوطات، ص 63.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

يقدم لنا زواوي هذا المفهوم من منظور جدلية التاريخية والدياكرونية، ذلك لإمكانية تفعيلها على أنساق العلاقات الدياكرونية، وهذا ما يستحضر تشبيه سوسير النسق اللساني بلعبة الشطرنج من حيث أنه أوضاع قارة، أو في حالة تحول، ومن هذه النقطة استرسل في دراسة حجم التعديلات التي مست قضية العناصر الداخلية والخارجية للسان، مروراً إلى قضية اللسانيات القارة واللسانيات التطورية، منتهاياً إلى قضية التماثلات والوقائع والقيم استناداً إلى الأصول المخطوطة لرفع الغموض والتعبير عن الفكر السوسيري تعبيراً صادقاً، والجامع بين هذه المسائل الثلاثة هي تمثيلها في فكر سوسير بلعبة الشطرنج التي هي في توازي مع النظام اللساني الذي يكتسب قيمته بالاختلاف القائم بين العناصر داخل النسق ذاته، وناقش في ختام هذا الفصل مسألة القطيعة التي أقامه الأستاذ مع الأنطولوجيات الغربية، وختم هذا القسم بمكتبة البحث التي عاد إليها.

5- القسم الثاني في جوهري اللغة لفردينان دو سوسير

يضم هذا القسم مجموعة من النصوص السوسيرية المكتشفة، حققها كل من سيمون بوكيه ورودلف أنغلر، وأول ما قام به المترجم في هذا القسم هو ترجمة مقدمة المحققين، لأنه على أتم الوعي بأن هذه المقدمة تعتبر من العتبات الأساسية للولوج إلى مسائل هذه النصوص الجديدة، كما أنه لن يرتكب طبعاً نفس الخطأ الذي ارتكبه مجموعة من الترجمات العربية بحذف مقدمة الناشرين، مما ولد اعتقاد راسخ لدى المتلقي العربي أنه يقرأ لسوسير، وكان واقع الأمر عكس ذلك، حيث كانت أفكار الأستاذ تمر عبر مسالك تأويلية عديدة مما ولد لنا في الأخير نصاً ملفقاً.

بدأ المحققان الحديث عما أنتجه فكر سوسير في اللسانيات العامة، هذه العبارة التي لم تكن تدل في ذلك الوقت على محتوى مفهومي موحد، ويعلل المحققان إثبات هذه العبارة في عنوان الكتاب بقولهما لأنها دالة على مجموعة من أفكار خاصة، من مجموع دروس اللسانيات¹، ثم يقوم المحققان بتقسيم هذه الأفكار إلى ثلاثة حقول معرفية، تم التطرق إليها

¹- ينظر: فردينان دو سوسير، في جوهري اللغة، ص 168.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

من قبل، ولقد كشفت قراءات بوكي و زميله أن المشروع العلمي لسوسير أقل جزما مما عبر عنه الطالبان، لأن الفكرة كانت أقل يقينا في المقولات التي يسطرها، كان الأستاذ في مسوداته لا يتوانى من إبداء الشكوك بشأن المسائل التي تثير قلقه، والتي لم يتمكن فيها من تسطير قانون نهائي، وكان يسخر هذه الشكوك لتحقيق مزيد من الاكتشافات، ثم تم الانتقال إلى التعريف بعمل غودل وإنغلر، ومن هذا المقام تم التطرق إلى المحدثات التي أسر بها سوسير بعكوفه على التأسيس لكتاب يعيد النظر في المفاهيم المؤسسة لعلم اللغة، ثم شرع في الحديث عن الخطوات التي إتباعها في تصنيف وتحقيق المخطوطة التي تم العثور عليها في 1996.

بعد نقل مقدمة المحققين، شرع المترجم في تقديم محتويات النص المترجم، وقد احتوى على تسعة وعشرين مبحثا، في شكل أسلوب المقطوعات، يتخلله الكثير من الحذف.

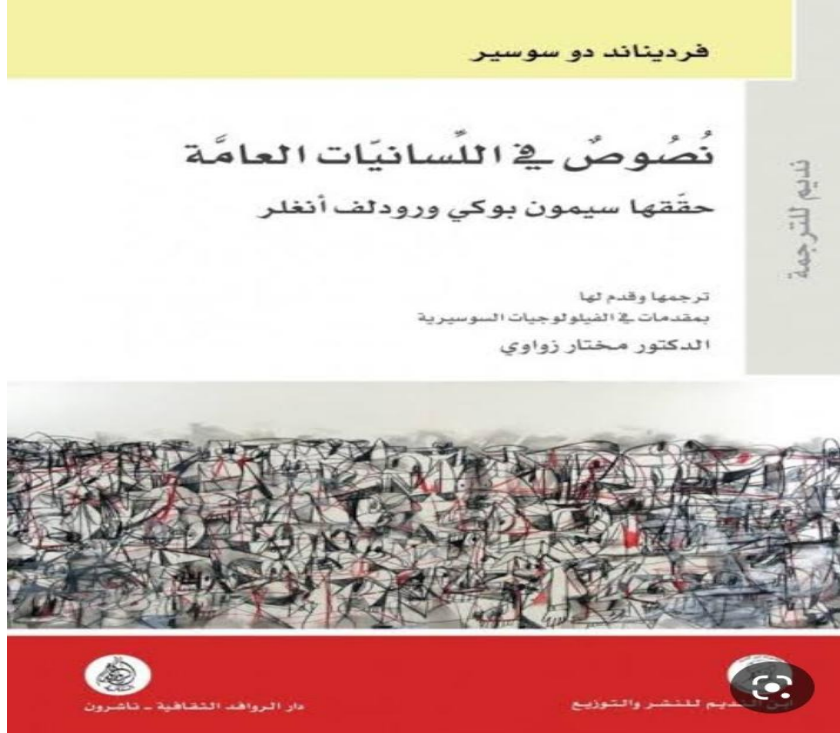
6-ملاحظات حول الكتاب:

- نجد أن زواوي يستعمل ضمير التأنيث مع الباحث فرانسوار راستي حيث يقول في إحدى تدويناته «استنتجته فرانسوار راستي»¹.

-من الأمور التي تثير الحيرة أن زواوي قبل إصدار هذا المؤلف أفرد كتابه من المورفولوجيات إلى السيميائيات ، نهج فيه منهج غريماس السيميائي، وذلك بالتقديم للعمل الهدف بعمل مستقل يكون بمثابة عتبة تمهيدية تساهم في استيعاب مضامين وسياقات النص المترجم، تتناول فيه التعريف بمضمون المخطوط وعالج مسائل مركزية، وتكمن ملاح حيرتنا في إعادة استدعاء الباحث لهذه المباحث في القسم الأول من الكتاب، بل إن بعض العناوين التي تشي أنها تعالج مسائل جديدة، هي تكرار لمضامين مستلة من العمل الأول، مع بعض التغير في العناوين والتصرف في سياق الفكرة، ولا نعلم الدافع الخفي الذي جعل زواوي يقدم على عملية تكرار محتوى أعماله.

¹ - المصدر نفسه، ص53.

ثانيا- ترجمة كتاب: نصوص في اللسانيات العامة



1- الوصف الخارجي:

صدر عن دار الروافد الثقافية "ناشرون" ضمن سلسلة ابن النديم للنشر والتوزيع كتاب للدكتور مختار زواوي بعنوان نصوص في اللسانيات العامة، ترجمها وقدم لها بمقدمات في الفيلولوجيات اللسانية، صدرت الطبعة الأولى في 2021، جاء حجم الكتاب متوسطا يحتوي على 216.

احتوت واجهة الكتاب على الألوان التالية: الأصفر الفاتح، الرمادي الفاتح، الأبيض، الأحمر، الأسود، إن أول ما نلاحظه ونحن نقوم بقراءة بصرية لواجهة الغلاف هو هيمنة واستحواذ اللون الأبيض على أكبر جزء، بالإضافة إلى بروز إطار عريض يحتل الواجهة العليا للغلاف ومكتوب بداخله وبلون أسود اسم فردينان دو سوسير ثم تحته وبنفس الشكل

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

ولكن بخط أكبر حجما نجد إطارا أكبر مركزيا يحمل عنوان العمل والمحققين واسم المترجم، وفي حاشية الكتاب نجد اسم دار النشر، أما القسم السفلي فقد احتوى على إطار يوجد فيه نوع من الرسم السريالي لمجموعة من الرجال والنساء تتشابك أجزاء من أجسامهم، ولا تبرز منهم سوى العيون بشكل أقل وضوحا، وقد احتوى هذا الإطار التشكيلي على رسومات غير أخلاقية، نظن أن الأستاذ نتيجة تعقيدات هذه الرسوم وصعوبة فهمها سوى من قبل المتخصصين في هذا المجال، لم ينتبه لها، ولولا ذلك ما كان ليحيز نشرها، وإلى الأسفل نلاحظ وجود اسم دار النشر، مع رسمه مصغرة لابن النديم وكل ذلك باللون الأحمر.

ما يواجه القارئ وهو يطالع الغلاف ذلك الإطار الذي كتب عليه اسم فردينان دو سوسير وتحت مباشرة وداخل إطار أكبر وبخط أضخم احتل المساحة المركزية من الكتاب عنوان الكتاب والمحققين والمترجم، والحقيقة أن الإطار الأول والثاني يشكلان مساحة واحدة، كونهما كتبه باللون الأسود على خلفية فاتحة، والهدف من ذلك بالدرجة الأولى هو الإشهار بالمؤلف أولا، ثم بالعمل المترجم ثانيا، أما الشكل السفلي من الكتاب فهو يمثل امتدادات تجريدية تحيل إلى طبيعة تلقي الفكر السوسيري التي ما خلت منذ نشر كتاب المحاضرات من إثارة الجدل بين مدافع ومعارض، ولم تسلم المخطوطات المكتشفة من هذا المصير أيضا، لذلك نرى في هذا الرسم التجريدي ازدحاما يعكس شرارة في الأفكار وعيون مترقبة لما ستقدمه وتكشفه التحقيقات من خفايا الفكر السوسيري، أما أسفل الغلاف فنجد أن الإشهار بدار النشر من خلال الاسم والعلامة الإشهارية وهو من الأمور المؤلفة والتي تكون بغرض الإشهار لدار النشر.

2- المقدمة العامة:

هذه النصوص هي ترجمة جديدة يقدمها زواوي إلى المتلقي العربي، تنتمي إلى كتابات سوسير في اللسانيات العامة التي تم نشرها في عام 2002، وهذا العمل استكمال للترجمة التي قدمها لكتاب في جوهرى اللغة. وصار في هذا العمل على نفس منوال الكتاب المترجم السابق، بمعنى التقديم للترجمة بعدد من الفصول التي لها علاقة مباشرة بالنصوص المترجمة، ولقد تحدث في سياق هذا العمل على أهم المسائل المرتبطة بسوسير، وعناية

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الفيلولوجيات السوسيرية بتركته الفلسفية والسيميولوجية واللسانية بالإضافة إلى ما دونه طلبته.

عرض غاية البحث التي أجملها في ثلاثة أمور وهي التنويه بأن سوسير لم يضطلع بتدريس اللسانيات العامة بل درس من قبل ومن بعد مادة النحو المقارن وتاريخ الألسن الهندية الأوروبية، وهذا الطرح يفضي إلى الغاية الثانية، وهي أن هاتين المرحلتين المتواليين لا يعبران عن قطيعة بل هما انعكاس صادق لمشروع لساني أصيل لم تكتمل معالمه كلها لوفاة الأستاذ، وأما الهدف الثالث وهو تبرئة الأستاذ من انتهاجه في بحوثه المقارنة للممارسات المقارنة التي شاعت في عصره، بل كان الأستاذ على حد تعبير الباحث « كان سوسير إذا أراد المقارنة بين لسانيين أو أكثر عمد إلى استخلاص الخصائص المميزة التي تميز هذا اللسان أو ذاك في دائرة الألسن الأخرى التي قارن بينها»¹

بادر الباحث إلى شرح خطة البحث حيث خصص القسم الأول لدراسة مسائل ذات صلة بتدريس سوسير للسانيات المقارنة، وخاصة في المرحلة البارسية التي تكاد تكون غير معلومة للباحثين الشباب، على الرغم من الأهمية التي ينطوي عليها هذا العقد من مشوار سوسير العلمي، أما وظيفة وطبيعة القسم الثاني فهـ و عبارة عن مقدمات تاريخية تمهيدية لمجموعة من النصوص السوسيرية الجديدة، وليست مقدمات نظرية نقدية، لغرض التأسيس للنسق الفكري السوسيري، كما عاد الباحث إلى ترسيخ نفس الغاية التي دعا إليه في مجمل أعماله السابقة، وهي الكف عن التعلق بكتاب المحاضرات.

3 القسم الأول: مقدمات في اللسانيات العامة

تطرق الباحث في هذا الفصل إلى حلقة الامتداد بين بحوث سوسير في اللسانيات المقارنة وما أسس به مشروعه غير المكتمل في اللسانيات العامة، حاول الباحث في هذه النقطة تنفيذ وجود قطيعة في النسق الفكري لسوسير، لذلك عمد إلى قراءة فيلولوجية في

¹ - فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، تر: مختار الزواوي، دار الروافد الثقافية، ط1، 2021، ص9.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

النصوص السوسيرية منذ انتسابه إلى جمعية باريس اللسانية و أصدر العديد من المقالات منذ عام 1877م إلى غاية 1912م.

أقام هذا القسم على خمسة مباحث، خصص المبحث الأول لمدارسه تجارب سوسير اللسانية المبكرة، وبالتحديد فكرة النسق الكلي للألسن، وكان متأثراً بشدة في هذا الطرح بفكر أدولف بكتي وآرائه اللسانية الإثنوغرافية، أما العامل الثاني حسب زواوي فهو تأثره في طفولته بجده ألكسندر جوزيف دوبر ثلاس، فورث عنه سوسير الولوج بكل ما له صلة بالألسن القديمة وتاريخها العريق، وحضارتها المتفردة، وخصائصها الأنثولوجية¹

أما المبحث الثاني (من النحو المقارن إلى اللسانيات العامة) فهو المبحث التأسيسي للقسم الأول، ابتغى من فقراته تنفيذ التفريق الذي يقيمه مجموعة من الباحثين بين بحوث سوسير في المرحلة الباريسية ومرحلة جنيف، والفكرة التي ابتغى التأكيد عليها أن سوسير اتخذ النحو المقارن وسيلة أساسية للتأسيس للسانيات العامة، وكان الغرض من انتهاج النحو المقارن هو إدراك طبيعة الصلة الداخلية بين الظواهر، كما كان يتطلع إلى مفهوم النسق وهذا ما يمكن أن نلتمسه في مذكرته (حول النسق الأصلي للصوائت في الألسن الهندية الأوروبية).

ولإثبات العلاقة التلاحمية بين الدرس المقارن واللسانيات العامة، خصص الباحث الفصل الثالث لدراسة اللسان الغوطي في الفكر السوسيري، بمعنى استخلاص أفكاره في اللسانيات العامة من دروسه في النحو الغوطي، وهذا يفضي بنا إلى وجهة النظر الثانية، وهي حسب الباحث التقابل بين الوحدات اللسانية، لأن هوية اللسان تستخلص من مجموع خصائصه المميزة، لذلك عمد سوسير إلى استخلاص اللسان الغوطي من خلال المقارنة بين اللهجات، وكانت هذه الممارسة في المرحلة الباريسية هي تأسيس لمنهجية مقارنة جديدة تتمثل في فردانية اللسان ومفهوم النسق، وتعد هذه الفكرة حسب الباحث من بين أهم منجزات

¹ - فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص 23

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الفيلولوجية السوسيرية لأنها تعبر عن أصالة فكره في إقامة أسس ابستمولوجية ومنهجية دقيقة.

أما المبحث الرابع فقد سلط الضوء فيه على ملامح من تاريخ فكر سوسير، التي أبرزت لنا موقف سوسير من اللسانيات المقارنة، وطريقة المقارنة الجديدة التي عمل بها في ظل ثنائية فردانية الألسن ومفهوم النسق، وساهم ثراء البحوث الفيلولوجية في فهم خصائص الكتابة لديه والعناية التي كان يوليها للجانب الأسلوبي، كما مكنت الفيلولوجية من تصويب الكثير من أفكاره، وتسعى الفيلولوجية حسب الباحث إلى الوقوف على معالم نظرية أصلية معلومة الأركان، متسقة العناصر، مستوفية الأساليب، ولم يرض زواوي مغادرة القسم دون أن يقدم نموذج من البحوث الفيلولوجية التي ناقشت مسائل في كتاب المحاضرات مستندة في ذلك إلى دفاتر الطلبة وتوقعات الأستاذ، لذلك قرر أن يكون المبحث الأخير في القسم الأول بحثاً فيلولوجياً في الفصل الأول من مقدمة كتاب المحاضرات وهو (لمحة عن تاريخ اللسانيات) هذا العنوان المختلق من طرف الناشر، وفيه الكثير من الخل، لذلك كان من الضروري وضع هذا المبحث في ميزان النقد.

3-1 الفصل الأول: تدريس اللسانيات العامة بجنيف:

تناول هذا الفصل المرحلة الثانية من النسق الفكري لسوسير، والتي اصطلح على تسميتها بمرحلة جنيف، راما الباحث منها تفنيد كل من زعم بإمكانية الفصل بين المرحلتين، اعتمد في هذا الفصل على الإنتاجات السوسيرية والسيرة المهنية له ابتداء من عام 1891، ولكي يوضح الباحث واقع تدريس اللسانيات قبل تعيين سوسير خلفاً لجوزيف وارتيما، كان عليه أن يبين للمتلقى الإجراءات التدريسية التي كان معمولاً بها، لم يكن الدرس اللساني في النصف الأول من القرن التاسع عشر مستقلاً عن تدريس الفيلولوجية، وكانت اللسانيات مادة علمية ملحقة بها، وكان الدرس اللساني النحوي آنذاك غالباً ما يقتصر على تدريس اللسانيات القديمة، ولم تكن منجزات اللسانيات التاريخية المقارنة قد انتقلت إلى جنيف.¹

¹ - ينظر: فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص55، 56.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

هذه اللحظة الموجزة تفسر لنا واقع تدريس اللسانيات الجنيقية قبل سوسير، قدم لنا في هذا العنصر تدريس وارتيمار مادة اللسانيات بجامعة جنيف لأكثر من ثلاثة عقود، رغم أنه لم يكن متخصصا في لسانيات عصره، بل كان اهتمامه الأول لاهوتي، وبذلك لم تكن له المؤهلات العلمية لتولي تدريس هذه المادة، وكان غالباً ما يقوم بتلقين محاضراته من مضامين مقالات ميشال بريال دون منهجية واضحة أو وعي نقدي، ويرى الباحث أنه نتيجة لهذا الجهل بالخطوات الكبيرة التي خطتها المدرسة الألمانية مع اللسانيات التاريخية والمقارنة ظل تعليم اللسانيات في جنيف يقتصر على تعليم اللسانيات القديمة، وكانت الفيلولوجية هي المادة العلمية الوحيدة التي تركز لتعلم الألسن، ولم يكن اللسان السنسكريتي مقترحا ضمن قائمة الألسن الأجنبية المدرسة آنذاك.¹

ولتمثيل واقع اللسانيات في جنيف في المرحلة التي تولى فيها وارتيمار التدريس، ينقل لنا الباحث معارضته الشديدة لإقامة كرسي في النحو المقارن لفائدة سوسير، لأنها حسب اعتقاده مجرد إضافة إلى مادة اللسانيات التي كان يدرسها، كما أن هذه المادة تتطلب المعرفة باللسان السنسكريتي، ويقرر هذا المبحث الجهل بهذا اللسان الذي يعتبر الدعامية الأساسية لانفتاح اللسانيات على مصاف البحث العلمي.

لتبين الإضافات التي أحدثها سوسير في تدريس اللسانيات بجامعة جنيف كان من الإلزامي استقصاء مضامين كل الدروس التي ألقاها خلال هذه الفترة، لذلك عالج زواوي في المبحث الثاني محتويات دروس سوسير في اللسانيات ما بين (1891-1912) وكان المميز في عمل سوسير إدراكه للتأخر الذي عرفته جامعة جنيف في حقل اللسانيات التاريخية المقارنة، فسعى أثناء العقد الأول إلى تدريس النحو المقارن للألسن الهند أوروبية، وبدأ رويدا رويدا بإدراج اللسان السنسكريتي باعتباره العنصر الفاعل في اللسانيات المقارنة، وبذلك يكون سوسير ابتداء مشواره التعليمي بتدريس مادة الصوتيات ثم مادة اللسان السنسكريتي،

¹ - ينظر: فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص 58.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

وأراد الباحث في هذه النقطة التأكيد على أن الأستاذ لم يكن منسلخا في محاضراته في مقياس اللسانيات العامة عن التصورات والمفاهيم التي قعد لها في اللسانيات المقارنة.

لما كانت هذه المرحلة أي محاضرات سوسير الافتتاحية التي ألقاها في نوفمبر 1891 من أهم الوثائق التوثيقية لفكره، كانت موضوع المبحث الثالث، يرى زواوي أن هذه المحاضرات تكشف لنا أهم المسائل النظرية والآراء الحاسمة التي توارت عن المجتمع اللساني، لأن سوسير سعى فيها إلى تحديد موقع اللسانيات من العلوم التاريخية وذلك بإبراز الصلة الوثقى التي تصل دراسة اللغة بدراسة الألسن، وهو تأكيد على الانتقال من معاينة الجزئيات إلى أعمال التجريد في الدراسات اللسانية، و يفسر هذه الرغبة نحو التعميم والتجريد بالنقود التي تعرضت لها المذكرة، لذلك عمل سوسير على التوجه نحو تفكير عام حول اللغة.

هذه الفكرة هي التي أسهمت في تأليف كتاب في جوهرى اللغة، ومن جهة أخرى عمل على تقرير الطبيعة التاريخية للسانيات في مقابل التصور البيولوجي، وتكمن الجدة في هذا الطرح في توثيق تاريخية اللسان، بمعنى أن الألسن لا تنزع إلى التغيير عبر الزمن، بل تستند إلى مبدأ آخر لم يتم الإشارة إليه، وهو مبدأ البقاء والاستمرار، وهو لا يعني الثبات بأي حال من الأحوال.

ختم هذا الفصل بحديث مقتضب عن مشاركة سوسير في المؤتمر الدولي العاشر للمستشرقين واللسان اللتواني، هذا المؤتمر الذي يعتبر حدثا مهما في سيرته المهنية والفكرية، وذلك راجع إلى المداخلة التي ألقاها حول النبر في اللسانيات التاريخية، ويوضح لنا الباحث قيمة هذه المداخلة بأنها كانت حصيلة رحلة علمية إلى لتوانيا درس فيها النبر التاريخي، وتكمن قيمة هذه الرحلة في مسار سوسير العلمي في أنها تمثل التقعيد للانتقال من المكتوب إلى المنطوق، والتخلص من ممارسات النحو المقارن.

2-3 الفصل الثاني: دروس سوسير في اللسانيات العامة (1907-1911)

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

يعتبر هذا الفصل تنتمه للفصل السابق، قدم فيه البرنامج أو النموذج السوسيري الذي حضره في سبيل إعادة تنظيم تدريس اللسانيات العامة، تناول زواوي في المبحث الأول المسائل اللسانية التي ناقشها الأستاذ إثر توليه تدريس المقياس، وكانت أولى المسائل التي عالجها هي تعريف اللسانيات من الخارج، وذلك بتحديد موقعها من العلوم الإنسانية، والتعرف على العلاقات التي تقيمها مع عدد من العلوم الأخرى.

كان غرض الباحث من هذا الفحص النقدي لتسلسل مضامين الكتاب تبيان الفوق بين تحريرات الطالبان في تصميم أبواب الفصول مقارنة بالترتيب الذي عمل به سوسير، وقد كشف هذا الفحص أن المسائل التي فتح بها الأستاذ دروسه تم دفعها إلى مواطن هامشية، وكانت هذه المسائل التي عكف عليها في العام الأول تنتمي إلى أدبيات عصره، ويمكن الاستغناء عنها في فهم وتمثيل فكره، كما أعلم زواوي القارئ أن هذه الممارسات والتنظيرات في مجال اللسانيات التاريخية المقارنة لم تكن الغاية من المشروع اللساني « بل أضحت مقدمة لبناء تصورات جديدة عن طبيعة الظاهرة اللغوية»¹.

لتبيان عجز الناشرين في التعبير عن فكر أستاذهما تعبيرا سديدا، قام الباحث في المبحث الثاني بنقل ما حققه كريستيان بوتا في تحريره لترتيب الدروس الفعلية التي ألقاها سوسير، بما دونه طلبته طيلة الثلاث سنوات الجامعية، هذا التحري الذي كشف لنا ملامح فكر سوسير الأصيل ومشروعه غير المكتمل.

انتقل إلى المبحث الثالث الذي خصصه لتقديم البرنامج الذي اقترحه سوسير في 1906 لتدريس مادة اللسانيات العامة مترجم إلى اللسان العربي، وذلك لما ينطوي عليه هذا التقرير من اقتراحات جديدة، قدم هذا التقرير لكلية اللغات والعلوم الاجتماعية لإعادة تنظيم مادتي الفيلولوجية واللسانيات، وأول الملاحظات التي يمكن تسجيلها بعد الاطلاع على هذا التقرير هو وجوب دراسة اللسانيات استنادا إلى التمييز بين اللسان بوصفه وضعاً قائماً ودراسته بوصفه شيئا يتحول، وتقرر في هذه الجلسة الفصل بين المقياسين.

¹ - فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص 88

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

أما المبحث الأخير عرف به بطلبة سوسير للسنوات الثلاث، ثم عمد بعد ذلك للحديث عن كراساتهم وما نشر منها، وكان عدد الطلبة الذين حضروا الدروس قرابة الثلاثين، دأبوا يتحققون مما فهمه من أستاذهم ليستقروا على الأصح منه، كما ناقش في هذا السياق المسائل التي شغلت بال الباحثين حول ما إذا كانت كراسات الطلبة مشاريع نصية يعتد بها لتحقيق فكر سوسير، أو أنها نصوص مستقلة بذاتها؟ ، بالإضافة إلى مسألة الشك في نسبة كتاب المحاضرات إلى سوسير، ثم يضطلع الباحث لتوضيح موقفه من هذه المسألة، بتقديمه لموقفين أحدهما يركن إلى أن فكر سوسير الحقيقي فكر مفقود لا سبيل إلى التعرف عليه بالرغم مما دونه الطلبة، والآخر لا يتخرج من نسبة كتاب المحاضرات إلى سوسير.¹

يقدم زواوي اقتراح رغبتنا فيه بعد اطلعنا على السوسيرية الجديدة والاحتفاء الكبير الذي حظيت به في الغرب، وهو تقديم ترجمة عربية جديدة للكتاب تراعي فيها الترجمات الخمسة، مع إرفاق ذلك كله بكل المعلومات الفيلولوجية، بهدف التيسير على الطلبة لتمثيل فكر هذا العبقري، ثم عمد إلى ذكر إسهامات ألبير رايدلنغر في هذا السياق.

3-3- الفصل الثالث: تاريخ الفيلولوجية السوسيرية

أما الفصل الثالث فقد جاء للحديث عن بواعث نشأة الفيلولوجية السوسيرية التي هي في الأصل إحياء للمنطوق والمكتوب من فكره، وكان زواوي على وعي بأن هذا المبحث ما كان له أن ينشأ لولا النقود التي وجهت لمضامين كتاب المحاضرات في العقود الثلاثة من القرن الماضي، ثم في شكل اتهامات للناشرين، وانطلاقاً من هذه النقطة أسس للمبحث الثاني الذي جاء مسطر تحت عنوان (في التاريخ للفيلولوجية السوسيرية وبواعث نشأتها)، قام فيها بالسرد التاريخي للبواعث التي ساهمت في ظهور هذا المبحث، ولعل الفضل الأكبر يعود إلى إيريك بويسنز الذي تجرأ على توجيه نقود لإنجيل الدرس اللساني الحديث، والتشكيك في نسبته إلى صاحبه، كما ساهمت شكوك هنري فراي التي صرح بها إلى غودل

¹ - ينظر: فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص105.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

في تعجيل وتيرة التحقيقات كما أن حملة النقود ضد النشرة التي شنها إدوارد بيشون وإيميل بنفست في نهاية ثلاثينيات القرن العشرين من ظهور حركة السوسيرية الجديدة.

كان لا بد للباحث أن يتوسع في البداية الفعلية التي أسست لنا ما أصبح يعرف بالفيلولوجية السوسيرية، وكانت البداية مع مقال لبويسنز جاء تحت عنوان (سوسير ضد سوسير)، ناقش ميزة التناقض في العديد من الأفكار التي احتوت عليها النشرة، وكان هذا الأمر حدثا بارزا، وكان له عظيم الأثر في الجمهور السوسيري، ومن هذه النقطة راح يتوسع في سرد تفاصيل السجال الذي نشأ بين منتقدي الخلل في الفكر السوسيري والمدافعين عن إنجازات شارل بالي وزميله، ولقد أسهمت هذه الأجواء المشحونة في نشأة الفيلولوجية السوسيرية، لأنها في الحقيقة أفضت إلى إدراك عدم توفيق الناشر في فهم وتأويل مقاصد الأستاذ.

انتقل في المبحث الرابع للحديث عن إسهامات غودل في تصويب المعرفة باللسانيات السوسيرية الأصلية، وهذه البحوث سواء في الفيلولوجية السوسيرية، أو تفسير العديد من المسائل اللسانية، أو في تطبيق فكره اللساني، تعبر عن فهم عميق لفكر أصيل، ثم أضنى الباحث إلى عرض المنهجية التي صاغ بها غودل فصول كتابه، والظروف التي أفضت به إلى هذا التحقيق، ثم يطلعنا على الأسباب التي حالت في البداية دون تحقيق الرواج والأثر البالغ لكتاب (الأصول المخطوطة لكتاب محاضرات في اللسانيات العامة)، ويمكن إجمالها في سببين الشغف بالفكر التشومسكي في أمريكا، والركون إلى لسانيات السنن في أوروبا.

وما كان الحديث عن السوسيرية الجديدة ليستوي ويزداد عمقا وتنوعا دون ذكر جهود انغلر، وخاصة طبعته النقدية حول كتاب المحاضرات، الذي عمل فيها على نقد وتحليل عدد من المفاهيم والمسائل السوسيرية، ووصف فكره في الكثير من المقالات والبحوث، والآن يجب إعادة النظر في الفكر السوسيري، وإعادة تقييمه على أساس جميع النصوص الأصلية المعروفة حتى الآن، وليس من قبيل المبالغة التحدث في هذا الصدد عن سوسير ثان كما

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

يتحدث المرء عن " فتغشتاين ثان"، مع اختلاف أن " سوسير الثاني" يسبق زمنيا الأول"، وأن " الأول" يجب اعتباره " سوسير الزائف".¹

3-4 الفصل الرابع: تلقي فكر سوسير الأصيل

تحدث في هذا الفصل عن التلقي السوسيري للمنجز السوسيري الجديد، ولقد ميز أماكز في هذا التلقي بين مرحلتين اثنتين، أما المرحلة الأولى تمتد من نشر الكتاب إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد هيمن عليها الجدل جراء اختلاف الآراء بشأن عدد من الثنائيات السوسيرية، أما المرحلة الثانية فإنها تبدأ من 1945 وتم العمل فيها على إعادة تفسير الفكر السوسيري، تفسيراً منسجماً منظماً، وذلك بإعادة النظر في التركيب الذي اعتمده الناشران.²

راح الباحث وفق هذه المستجدات يستطلع ملامح جديدة في تلقي فكر سوسير من مثل فكرة النسق الهندسي اللساني التي رام سوسير التأسيس لها، بمعنى ترتيب النظريات التي تقيم اللسانيات مقام النسق الهندسي، إذ لا يجب على الباحث في التصور السوسيري أن يقتصر على التعبير عن الوقائع اللسانية تعبيراً صحيحاً في شكل متوالية من الآراء، بل عليه أيضاً أن يجتهد في ترتيب هذه الآراء والتنسيق بينها؛ أي أن تتخذ شكل هندسي.³

كان هذا الطرح دافعاً قوياً للباحثين في البحث عن النسق الداخلي الذي قاد تفكير سوسير إلى المبادئ وفق هذا الشكل، ثم يعرج الباحث إلى مسألة أخرى أثرتها التحقيقات الفيلولوجية، وهي تتعلق بالطابع التوليدي للتركيبات ضمن اللسان، وقد ناقش مسألة انتمائها إلى اللسان أو الكلام؟.

¹ S.Bouquet, ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure, Article, Paris, vol 29, N2, 2016, p2.

² - ينظر: فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص 142، 143.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص 145.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

أفضى البحث إلى أن هذا التناقض ناجم عن تردد سوسير نفسه في هذه المسألة، وقد أفلح الناشران في التعبير عن هذا التردد بصدق، وذهب زاوي يعلل هذا التردد من خلال العودة إلى الهندسة الفكرية لنص الدروس، الذي يقترن فيه مصطلح التركيب تارة بالكلام لأنه كإجراء يقتضي حرية الانتقاء التي يتمتع بها الفرد المتكلم في موقع المفردات المؤلفة لهذه التراكمات.

يشير الباحث إلى أنه في قراءات أخرى نجده يشير إلى انتماء المركبات إلى دائرة اللسان، لأن التركيبات ليست حرة، وعمل في المبحث الثاني على تقديم موقف تشومسكي السلبي من الفكر السوسيري، ولقد كان موقفه متباين من الإرث السوسيري خلال مساره اللساني، فكان يتأرجح بين الإعجاب والنقد غير المؤسس، رغم إطلاعه على عمل غودل، وفسر هذا الأمر بقصور فهم تشومسكي السديد نتيجة رداءة ترجمة باسكين، وكان زاوي موافق للقول الذي يرى في هذا الموقف السلبي الذي اتخذ تشومسكي من اللسانيات سوسير أنه لم تحركه مواقف علمية بقدر ما حركته مواقف إيديولوجية.¹

أما المبحث الثالث والأخير فقد أوضح فيه الباحث موقف السيميولوجيات الفرنسية الإيجابي، حيث أن سيميولوجية لويس برييطو ورولان بارت استنادا إلى سيميولوجية سوسير في التعقيد لتصوراتهما، وهي نصوص تنتمي كلها، باستثناء النص الأخير، إلى دائرة السوسيرية الجديدة.

4 القسم الثاني: نصوص في اللسانيات العامة لفردينان دو سوسير

تم التقديم في هذا القسم النصوص الجديدة التي خطها سوسير بنفسه، ناقش فيها العديد من المسائل في اللسانيات العامة، ولقد رتب المحققان هذه النصوص في مجموعات خمس:

— أما المجموعة الأولى فهي تضم ستة نصوص تشترك كلها في ابتدائها بعبارة "Item".

¹ - ينظر: فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص 157.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

-أما المجموعة الثانية فتشتمل على خمسة نصوص، صنفها المحققان ضمن فئة "نصوص أخرى في اللسانيات العامة"، وأطلق عليها تسمية "وثائق جديدة".

-أما المجموعتين الثالثة والرابعة فلا يشمل كلاهما إلا على نص واحد، وهما نص "الملحوظة حول الخطاب"، ونص "من أين نبدأ؟".

-وأما النصوص المتبقية وعددها ثمانية، فقد صنفها ضمن مجموعة المسودات التي كان سوسير يحضر بها دروسه في اللسانيات العامة، وأطلقا عليها أيضا تسمية "وثائق جديدة".¹

إن الفكرة الأساسية التي اشتغل عليها زواوي في هذا الكتاب هي التدليل على أنه لا وجود لقطيعة بين المرحلة الباريسية والمرحلة الجنيقية، بل هما في الأصل مرحلتين متواليتين من مشروع لساني أصيل، وللبرهنة على صدقية ما يفترضه عمل على الاستقراء الفيلولوجي لدروس النحو المقارن وتاريخ الألسن الهند أوروبية، ثم عكف بعد ذلك على ربطها بما أنجزه سوسير في ميدان اللسانيات العامة، وليفيا بحق الفيلولوجيات السوسيرية قام بعملية جرد لأسماء الطلبة، ودفاترهم، وكان القسم الأخير من هذا العمل ترجمة لكتابات في اللسانيات العامة، والملاحظ على هذا القسم غلبت اختصار المباحث، وكثرة الحذف، والتشتت بين الفقرات، وكأنه غير منتزع من نفس المفكر، يعكس لنا هذا القسم فكر شارد، متردد، حائر، وهذا ما تعبر عنه المباحث القصيرة التي في الغالب لا تستوفي أركان المضمون.

5-ملاحظات حول الكتاب:

- بما أن الجزء أو القسم الأكبر من هذا الكتاب هو عبارة عن مقدمات في الفيلولوجية السوسيرية، كان من الحتمي على الباحث أن يتطرق في هذا السياق إلى أشهر الباحثين في النحو المقارن، منهم المعلوم لدى القارئ اللساني العربي ومنهم المجهول، ولو أن الباحث

¹-سعيد هادف، نصوص في اللسانيات العامة:إصدار جديد لمختار زواوي، بوابة إفريقيا الإخبارية، 27-06-2021،

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

أفرد فهرس بالأعلام الذين استدعاهم في سياق مسجلاته من مثل أوغست بوت، هرمان إبيال، لويس هافي.. إلخ، كان البحث أغنى والصورة أوضح.

- أما الملاحظة الثانية التي يمكن تسجيلها في هذا العمل هو تكرار نفس الاضطراب في الجانب المصطلحي الذي شاهدناه في الأعمال السابقة، ففي القسم الأول وبالتحديد في المبحث الثالث نجده يصوغ عنوان المبحث بـ (باريس: الدروس في اللسان الغوطي)، من عنوان المبحث نتوهم أنه تواضع على هذا المصطلح، لكن ما إن نبدأ القراءة حتى نجده يستبدل حرف الغاء بالقاف، فيصبح اللسان القوطي، ظننا بادئ الأمر أنه مجرد خطأ إملائي، لكن تكرار هذا الأمر في باقي الصفحات، والتأرجح بين القوطي والغوطي، أكد لنا أنه هناك التباس في تعريب هذا المصطلح لدى الباحث، وفي هذا المقام نسوق بعض الأمثلة « في استخلاص الخصائص المميزة للسان الغوطي. »¹ كذلك قوله «من أجل استخلاص المميزات بلسان بعينه؛ أي اللسان ال قوطي. »²، كما نجد هذا الالتباس يزحف إلى أسماء الأعلام أيضا (روني أمكار، أمكار، أماكير)

-إن من الصعوبات التي صرفت المتلقي العربي عن فهم والإلمام بكل حيثيات التصور السوسيري كما هو موجود في كتاب المحاضرات راجع في المقام الأول إلى طبيعة المفاهيم الهندسية التي تحتاج إلى متلقي مطلع على منجزات أدبيات القرن التاسع عشر، ونجد أن الباحث ينطلق من أساس وقوف المتلقي العربي على كل سياقات الفكر الغربي القديم، فنجده يستعمل مفاهيم غاية في الأهمية لتقرير حقيقة والكشف عن ملامح جديدة من فكر الأستاذ من مثل: الإلفيلا، الألمانية العليا، الألمانية القديمة، نحو فريديخ كريستيان دياز للألسن الرومية.. إلخ، كما أن المبحث الذي خصص لدراسة اللسان الغوطي نجد أن زواوي لا يعطينا ولو لمحة بسيطة عن طبيعة هذا اللسان الجرمانى المنقرض، وكان لزاما على القارئ في هذه الحالة الرجوع إلى مراجع أخرى لتزود بمعلومات يجهلها تساعده في فهم عمق الطرح.

¹ - فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص 38

² - المصدر نفسه، ص 39

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

نجد أن الباحث في مقدمة الكتاب وفي أثناء عرضه لخطة الفصل الأول يؤكد أن سبب الجهل والتجويع المعرفي الذي عرفه الدرس اللساني في جنيف قبل تولي سوسير التدريس، هو أن وارتيمار كان يلقن طلبته في اللسانيات ما كان ينقله عن الألمان، والغريب في الأمر أن مسار التجديد الذي كانت تسترشد به البحوث العل مية في الدراسات اللسانية الأوروبية صادر عن المدرسة الألمانية، ويكون وارتيمار بذلك ممن واكب التجديد المنهجي سواء على المستوى النظري أو التطبيقي، غير أننا نجد الباحث يقرر في مبحث من هذا الفصل أن وارتيمار كان يكرر ما ينقل عن ميشال بريال فلا يزيد فيه شيئاً، ومنه يزول سوء اللبس، وأن ما تم إثباته في المقدمة ما هو سوى سهوه من الباحث، ولكن يبقى لدينا سؤال محير وهو: ألم يكن ميشال بريال من أعمدة الدراسات التاريخية المقارنة في المدرسة الفرنسية؟، إن له جهوداً ليتمكن إنكارها في إثراء الدرس اللساني الفرنسي، كما أنه كان مواكب لكل مستحدث دونه في عصره، فكيف لم يستفيد من تصوراته والدقة العلمية في بحوثه، والتزم بعباءة الفيلولوجية؟

-خصص زواوي القسم الأول لمدارسة الكتابات السوسيرية في المرحلة الباريسية، ولقد لفت انتباهنا عدم حديث الباحث في هذه المرحلة عن رسالة الدكتوراه (الإضافة المطلقة في اللسان السنسكريتي) التي ناقشها سوسير في 1880، وهي تؤكد الفكرة التي رام الباحث إثباتها من التطور والتحول المتدرجين في المشروع السوسير في كلتا المرحلتين، وفي ذلك يقول الباحث « يوجد في هذه المذكرة جانب من الجدة والحدثة، وذلك في ميدان التركيبات، وكانت هذه المذكرة ضمن المرحلة المقارنة، لكن هناك تصور أصيل وهو تصور مؤسس اللسانيات العامة، وهو منهج آني»¹، وبذلك تكون مكملة ومتممة لما أبدعه سوسير في مذكرة النسق الأصلي للصوائت في الألسن الهندوأوروبية، ولما كان هذا القسم معقود للكتابات السوسيرية في المرحلة المقارنة التي كانت تنطوي على ملامح اللسانيات العامة، كان من

¹ - فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، ص 62.

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الأنسب ضمها إلى مباحث القسم الأول الذي اشتغل على هذه الفكرة، وليس الحديث عنها في الفصل الأول الذي انحصر في واقع تدريس سوسير في جنيف.

-كان من مميزات الترجمة التونسية كما سبق الإشارة تبسيط الشواهد السوسيرية التي كان يسوقها للتدليل على موضوعية ما يذهب إليه، أو محاولة تقريب الصورة أكثر بالبحث عن بديل عربي مناسب للشاهد السوسيري، وهذا ما سهل على القارئ الإحاطة بحديثات المحاضرات وفهم مضامينها، لكننا نجد زواوي لا يولي لهذه المنهجية بال، وينطلق من مسلمة معرفة قارئ كتابته لنظام اللسان اللاتيني واليوناني، فنجده يسوق الكثير من النصوص التطبيقية في قضايا المرحلة المقارنة، دون إرفاق توضيح أو تبسيط لأركان هذه الإجراءات.

-أما الفصل الثاني الذي عمد فيه الباحث إلى تقديم النموذج السوسيري لتنظيم مادة اللسانيات عمد الباحث بادئ الأمر إلى الحديث عن السنة الجامعية الأولى (1907)، وذلك لإبراز قصور الناشران في الالتزام بالترتيب الكرونولوجي الذي نهجه سوسير، ليشمل بعد ذلك الفصل الثاني الذي قدم فيه ترتيب المحاضرات الجامعية أثناء السنوات الثلاثة على هدى تحقيقات كريستيان بوتا، لنجد في المبحث الثالث يعودنا بنا إلى الخلف وبالتحديد إلى 27 أكتوبر 1906، هذا التاريخ الذي قدم فيه سوسير تقريره إلى كلية اللغات والعلوم الاجتماعية لإعادة تنظيم مواد التدريس المعمول بها؛ أي قبل شهرين من بداية تدريس المحاضرات، وكان من باب الالتزام بمعايير الترتيب التاريخي وسياق المضامين، تقديم هذا المبحث إلى قائمة الفصل الثاني، لتكون قطع اللوحة منسجمة مع بعضها البعض.

-أشرنا فيما سبق إلى أن زواوي في الكتاب الذي يعتبر فاتحة كتاباته في السوسيرية الجديدة، يعطي صورة مبتورة عن هذه الحركة، لأنه اكتفى فقط بطبعة التكوين وتلقي الكتاب، ثم انتقل بعد ذلك لمناقشة مسائل ومفاهيم في فكر الأستاذ، دون أن يعطي للقارئ صورة واضحة المعالم عن سبب نشوء الفيلولوجية السوسيرية وإسهامات مؤسسيها، وكان على القارئ أن

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

ينتظر إلى أن يقوم زواوي بإصدار كتابه هذا ليكمل لوحة الفسيفساء، كما نرى أن الفصل الثالث من الكتاب (تاريخ الفيلولوجية السوسيرية) كان من المفروض أن يكون الفصل الثاني في كتابه الأول، ليكون تسلسل الفصول وفق نسق مفاهيمي أكثر دقة ووضوحا.

-أوضح زواوي أنه اعتمد في القسم الثاني على المقدمات التاريخية التمهيدية، وليس على المقدمات النظرية النقدية، عمل على ترجمة جملة من المسائل في السوسيرية الجديدة، لكن لنا أن نسأل، هل عدم إرفاقه لتفسيرات وشروح لكثير من النصوص التي جاءت مختزلة جدا، بل ويتخللها الحذف، بل وفي الكثير من الأحيان يتم الانتقال من عنوان إلى عنوان آخر دون تمثيل نسق داخلي يعين على الفهم، هل هذا أمر صائب؟، ألم يكن من المستحسن أن يعكف على تفسير هذا القسم الذي لا تتعدى صفحاته 26 صفحة، بما توافر من بحوث اللسانيين المحدثين الذين هم مخولون أكثر من غيرهم للإقدام على تأويل هذه المقطوعات، فلا نحسب أن القارئ لسوسير المحاضرات هو ند لهذه العملية التي تتطلب الإلمام بكل ما دونه حول السوسيرية، أي الإحاطة التامة بالفيلولوجية السوسيرية التي كانت معينا لفرانسوا راستي في فهم ومقاربة النسق الهندسي لفكر الأستاذ.

-كما خلت نهايات الفصول والكتاب من خاتمة عامة تكون حوصلة لما تقدم، وتعزز من الفهم وتربط بين المباحث.

ثالثا - المقالات المترجمة:

1- نجد أن القليل جدا من الجهود الجزائرية عكفت على تقديم ترجمات تساهم في استئصال تعاليم المحاضرات من تلقينا للفكر السوسيري، وفي هذا المقام لا نجد طوال السنوات الخمس سوى ترجمة واحدة فقط لمقال " السيميولوجيا السوسيرية بين الدروس في اللسانيات العامة والبحث حول الخرافة "، لميشال أريفيه ترجمة رشيد بن مالك، وتكمن جدة هذا المقال المترجم لأفضل قارئ للفكر السوسيري في أنه بصدد دراسة العلامة اللسانية في سياق الشخصية الخرافية، للوقوف على السمات المشتركة والاختلافات، وتكمن القيمة

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الجوهرية لهذا البحث في أنه يقدم لنا النصوص التأسيسية التي تساهم في فهم راهنية السيميائيات قبل إلقاء الدروس الثلاثة، الذي سجل سكوت غريب حول سيميولوجيا الخرافة.

المبحث الثالث-الاحتفاء بلسانيات سوسير الجديدة في مراكز البحث الجزائرية

نعمل في هذا المبحث على تقديم المؤتمرات والندوات العلمية التي نظمت للاحتفاء

بمئوية سوسير

أولاً- تم تقديم ندوة حول "اللسانيات: مائة عام من الممارسة"، المنعقد بمناسبة الذكرى

المئوية الأولى لوفاة سوسير، انعقد في 26 نوفمبر 2013، بمخبر أبحاث اللغة والأدب

بجامعة بسكرة، وحسب النظرة السريعة التي ألقينها على هذه الأعمال انكشف لنا أن هذه

الندوة كانت جميع توقيعاتها بناء على الفضاء المعرفي الذي سطر حدوده وقوالبه شارل بالي

في الأوساط العلمية.

ثانيا- نظمت جامعة الجزائر 2 في الفترة ما بين 14 و16 نوفمبر 2016 ملتقى دولي موسوم بـ

"اللسانيات 100 سنة بعد دروس سوسور"، والمطلع على البرنامج يلاحظ دوران أكثر من

عنوان حول المستجدات الحاصلة بعد اكتشاف المخطوطات، أو حسب ما سماه الملتقى في

جلسته الأولى "الفكر اللساني لدى سوسور بين الدروس والكتابات"، ولعل ما يلفت النظر أن

تجليات التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الباحث فرانسوا راستي كان أحد الأعلام المشاركين في هذا الملتقى بورقة تحمل عنوان

"كيف نقرأ دي سوسير".¹

¹ - ينظر: وليم.ج.كاراسكو، النظر إلى الوراء لرؤية الآتي، تر: محي الدين محسب، ص352،353.

التلقي الجزائري للسانيات السوسيرية الجديدة

الفصل الرابع:

التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

المبحث الأول: الكتابات المغربية التي قدمت لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته

المبحث الثاني: الكتابات المغربية التي عملت على ترجمة لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته

المبحث الثالث: احتفاء المغرب بلسانيات سوسير الجديدة

المبحث الرابع: الكتابات التونسية التي قدمت لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته

تمهيد:

نروم في هذا الفصل تمثيل سياق التلقي التونسي والمغربي لحركة السوسيرية الجديدة، والتي عملت على استئصال التصورات الكلاسيكية القديمة، وذلك بالتشكيك أولاً في حقيقة نسبة أصالة نص المحاضرات إلى صاحبه، كذلك تبديد الصورة النمطية المبسطة والمختزلة لتصوراته الفكرية، وتقديم أدبيات فكره الجديد ة والتي تعمل على ترهين مقولاته من خلال القراءات والتأويلات الغربية لتوقعاته الخاصة وتدوينات مستمعيه، لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية في اللسانيات العامة المرسخة حول معرفتنا بفكر سوسير والتي لطالما تم تقديمها في شكل ثنائيات منعزلة، كما نسعى إلى فحص انتماء هذه الكتابات إلى سوسير الحقيقي أم أنها كما تشي به بعض العناوين استجلاء لأثر سوسير المزيف.

كما تطرقنا في هذا السياق إلى بعض الكتابات العربية الراهنة التي لم تتمثل المعرفة الفيلولوجية الجديدة حول السوسيرية، وظلت كتاباتها حول سوسير النشرة، وهذه القضية التي دفعتنا إلى البحث عن أسباب التجاهل العربي لبرنامج السوسيرية الجديدة، كما نظرنا في طبيعة النقد القاسي الذي تعرض له الناشران على إثر هذه التحقيقات، كما قدمنا وجهة نظرنا من هذه المعرفة الجديدة حول سوسير.

المبحث الأول: الكتابات المغربية التي قدمت لسانيات سوسير وفقاً لمخطوطاته

أولاً - قراءة في كتابات مصطفى غلفان

1- السيرة العلمية لمصطفى غلفان:

من مواليد 9 مايو 1952م بالدار البيضاء، المملكة المغربية، حصل على دكتوراه السلك الثالث في اللسانيات العامة في جامعة باريس في 7 يونيو 1980، حاصل على دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة حسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء في 1991، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش ثم الدار البيضاء،

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

عين الشق، عضو الهيئة الاستشارية بمجلة الدراسات المعجمية، الرباط، المغرب،
عضو سابق في عدد من مجموعات البحث والتكوين بكليات الآداب المغربية، نشر ما
يزيد على ثلاثين دراسة في مختلف المجالات اللغوية: اللسانيات العامة، واللسانيات
العربية ومعجميات اللسانيات ومصطلحاتها.

من مؤلفاته:

-اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات في النشأة والتكوين، الدار البيضاء،
مكتبة المدارس، المغرب، 2006.

-في اللسانيات العامة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010.

-اللسانيات العربية الحديثة: أسئلة المنهج، عمان، دار ورد للنشر والتوزيع، 2011.

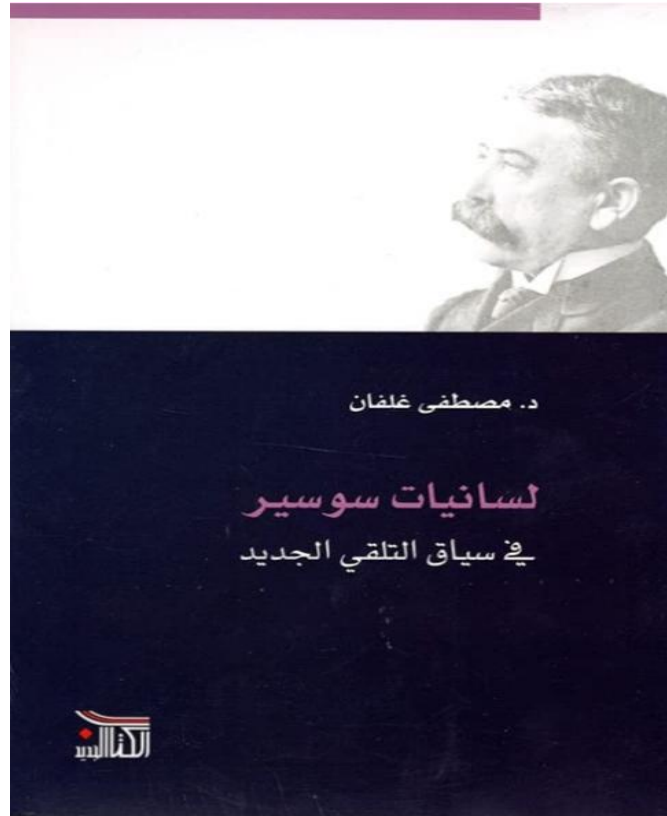
-اللسانيات التوليدية: من نموذج المعيار إلى نموذج البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة،
بالمشاركة. إربد، عالم الكتب الحديث، 2010، وقد صدرت الطبعة الثانية في جزأين.

-اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، بيروت، دار الكتاب
الجديدة المتحدة، 2017.

-اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية،
الدار البيضاء، منشورات كلية دار الآداب، عين الشق 1998، ط 2، دار الكتاب
الجديدة المتحدة، بيروت، 2017.¹

¹-ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2017، ط 1.

2- كتاب لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد



2-1 الوصف الخارجي:

قدم مصطفى غلفان في 2017 كتابه بعنوان " لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، تم نشر الطبعة الأولى من طرف دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، جاء حجم الكتاب متوسطا احتوى على 243 صفحة.

تعتبر أغلفة الكتاب من العتبات الأساسية للولوج إلى عالم النص، وذلك لإعطائها تصورا أوليا عن خصوصية المحتوى المقدم في شكل إشارات دلالية لرمزية الألوان والتشكيل التراجيدي، ونجد أن فضاء هذا التصميم اتسم بالبساطة في التقديم، حيث استدعى مصمم الغلاف صورة هي الأكثر تداولاً على أغلفة الكتب لسوسير في مساحة بيضاء زادة من إضاءة تفاصيل ملامح الصورة، في حين عمل في الجزء السفلي على تقديم اللون البنفسجي الذي هو نتيجة اعتدال بين كميات متساوية من اللونين الأحمر والأزرق، ليعكس هذا المزج دلالة الوضوح والعقلانية والتوازن، ومن بين أهم دلالاته

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الاستقراء للنفاذ إلى عمق الحقيقة لأنه في تفاعل دائم مع التفكير وجوهر الأشياء، ومع كل هذا فإنه يرمز إلى الغموض والتردد، يجمع بين المتناقضات، ولعل القارئ لسطور هذا البحث يستشعر الخيط الخفي الجامع بين الحمولات الدلالية لهذا اللون وبين سيكولوجية سوسير، فهذا اللون تعبير صادق عن عبقرية الأستاذ وصبوه إلى الكمال أمام واقع لساني يتفه من منجزه البحثي، شخص متناقض نهاري وليلي، يتسم بالبصيرة في رؤية نقدية دقيقة، وفي نفس الوقت يجمع بين الوضوح والغموض بين الكمال والنقص بين اليقين والشك، وهذا ما سينبري الكاتب على كشفه في سياق متاهات جديدة لأستاذ اللسانيات العامة.

2-2 مقدمة:

استهل مصطفى غلفان العمل بقائمة الرموز المستعملة، وفق ما هو معمول به في البحوث والمقالات الغربية، ثم تحول إلى المقدمة ليوضح مسألة لطالما أرقّت كل من اطلع على النشرة، فتلقي لسانيات سوسير تم دائما عن طريق مسالك تأويلية يشوبها الكثير من الخلل والتعديلات، فلم يتمكن الباحثون من الولوج إلى فكره مباشرة بل دائما تتم العملية عبر وسائط، وهذا ما انت ج لنا أكثر من سوسير، وذلك راجع إلى تعدد القراءات التي تخضع إلى السياق الزماني والمعرفي، هذا الأمر الذي ولد دوامة من الأسئلة وحاجز من الغموض حول هوية سوسير الفكرية، وبعد هذه المقدمة التمهيديّة التي زاد فيها الكاتب من الشك والريبة من متن الدروس، وكل ما هو ماثل في فكرنا على أنه يمثل الهوية السوسيرية، يدخل الباحث في صلب الموضوع والذي يتجسد في سوسير وسياق تلقيه الجديد وفق جملة من المصادر الأصول.

يذكر الهدف من هذا البحث المستحدث بالنسبة إلى القارئ العربي، وهو إطلاعه على أدبيات تلقي لسانيات سوسير بصورة غير مسبقة، وقد حصر موضوع الدراسة في أهم الإشكاليات العامة التي أثارها التلقي الجديد، دون التغلغل في الجزئيات والتفاصيل،

وفي نهاية المقدمة توجه الأستاذ بالشكر الخالص والتقدير لكل من ساهم في ظهور هذه الطبعة.

2-3 قراءة في فصول الكتاب

أ- الفصل الأول: العودة إلى سوسير

افتتح الفصل بعنوان قليل الكلمات عميق الدلالة، ثم أرففه الباحث بمبحث في شكل سؤال هو (ما وراء العودة إلى سوسير؟) الذي شحن بدوره بمجموعة من الأسئلة التي هي في صلب النقاش الدائر في الثقافة الأوروبية، وهي نفس الأسئلة التي تدور في ذهن كل من سمع في وقتنا الحاضر بعبارة العودة إلى سوسير، لأن نظريته أصبحت مستهلكة، بل وتم تجاوز ثنائياته المستقلة، ليجب غلفان أن مكانة سوسير في تاريخ الفكر الإنساني تضيف على كل مشروع فكري شرعية الحادثة.¹ هذا من جهة الرد على من يتوهم عتقت اللسانيات السوسيرية، أما الجديد الذي تحمله هذه العودة هي الاطلاع المباشر على الصورة الأصلية للنصوص الجديدة.

أما المبحث الثاني فجاء لمناقشة شكل حضور سوسير المتميز في الفكر اللساني الحديث، وذلك بفضل عمق مفاهيمه ودقة منهجيته في التأسيس العلمي للسانيات، التي كانت مركزا نهل منه اللسانيون والبنويون وغير البنيويين تعاليمهم، وكان غرض الباحث من هذا التقديم الكرونولوجي البرهنة على أن كل النظريات بما حققتها من نجاح تدين في ذلك في جوانب كثيرة إلى النظرية السوسيرية، التي أقامها وفق تصور إبستمولوجي جديد وواضح ودقيق، عمل غلفان في هذا الإطار على الوقوف ضمن السياق المعرفي في تلقي اللسانيات السوسيرية، الذي كان من العوامل المباشرة والفعلية

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 17

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

في العودة إليه، وقد أجمل هذا التلقي في مرحلتين أساسيتين: مرحلة التلقي المباشر، ومرحلة البحث عن سوسير الحقيقي.¹

تبدأ المرحلة الأولى بعد صدور الطبعة الأولى من المحاضرات، وقد تم تلقي المقولات السوسيرية في سياق معرفي مكبل بإجراءات اللسانيات التاريخية، وهذا ما أدى إلى التقليل من حماسة العروض المقدمة لنص الدروس، وقام غلفان بالتمثيل بنموذج بارز ومهم في مرحلة التلقي المباشر يتجسد في طالب الأستاذ وزميله الفرنسي انطوان ميه، ليس لأنه يعد أول من تحدث عن الكتاب بعد صدوره، بل لأنه على علم بأن المشروع ليس مهياً للنشر، فهو عبارة عن صياغة أولية قام بها الناشران بالاستناد إلى دفاتر طلبة مبتدئين، وبحكم العلاقة المتينة التي كانت تحكمه مع الأستاذ الراحل أبدى تحفظاً واضحاً إزاء مضامين الدروس، ومع ذلك كان لمييه الكثير من الملاحظات، وما لا يوجد له تعليل من وجهة نظر غلفان هو حصر المشروع السوسيري في شكل ثنائيات فقط، في مقابل مكونات المنظومة النظرية والمنهجية، ليتضح أن سوسير لم يفهم من أقرب الباحثين إليه، وكأن الباحث يريد أن يقول لنا من خلال هذا الشاهد الذي استدعاه في التلقي المباشر للمحاضرات، عسر فهم المنظومة الفكرية الجديدة التي جاء بها سوسير في ظل سياق معرفي لا يزال يقدر المنهج التاريخي، وهذا ما ألجم النسخة الشائعة من الانتشار في المجتمع الأوروبي.

أما المرحلة الثانية فكانت مع سوسير الحقيقي الذي بدأت العناية به مرة أخرى منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وهذه المرة بالاعتماد على المصادر الأصول للكتاب، وقد ارتبطت هذه العودة بالبحث عن سوسير الحقيقي في مقابل سوسير الذي صممه الناشران، توسع غلفان في جهود رواد هذه الحركة الفيلولوجية الذين عملوا على تأويل جديد للهندسة النسقية السوسيرية بالعودة إلى النصوص الأصلية، وقد كشفت

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 27

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

هذه القراءات أن كل ما يتعلق بالأستاذ يعج بالتناقض سواء في طبيعة تصوراته، أو تأويلها، أو المجالات الفكرية التي بحث فيها، وهذا ما أفرز رؤيتين منهجيتين متقابلتين في التعامل مع اللسانيات السوسيرية، رؤية بنيوية ترى أن تصورات سوسير في اللغة تجسد نسقا نظريا مغلقا، ورؤية هيمنوطيقية ترى أن تصورات سوسير تمثل نسقا مفتوحا تقيم عناصره الداخلية علاقة جدلية فيما بينها.¹

بعد طرحه لتعددت واجهات سوسير وهو فكر واحد، التي لا نبالغ إن قلنا أن اللسانيات السوسيرية الجديدة زادت من تضخيم هذه المشكلة بفتح قنوات التأويل المؤقتة، يستدعي غلفان تكنيكه المعروف في إشراك القارئ في عملية البحث، بطرحه مجموعة من الأسئلة التي يستدعيها مقام الحديث، ليحمله طرفا فعلا في هذه العملية، والإشكالية التي يعالجها هذه المرة وجدت لها طريقا في العديد من البحوث العربية، بعد النتائج التي توصلت لها التحقيقات الفيلولوجية، وهي هل كتاب المحاضرات يشكل استمرارية أو قطيعة مع لسانيات القرن التاسع عشر؟، اختلفت الآراء وتباينت الأحكام، ويعرض لنا الباحث وجهتي نظر، يرى أصحاب الاتجاه الأول أن سوسير درس القضايا النظرية العامة والمنهجية للغة من منظور نقدي، ودروسه لم تكن إلا استمرارا لتقاليد عصره، وأما أصحاب وجهة النظر الثانية وزعيماتهم هي كلودين نورماند، فيؤكدون على القطيعة الإبستمولوجية بين مرحلتين لكل منها سماتها النوعية، ويؤكد الباحث أن أصحاب هذا الموقف لم يوضحوا بالضبط أين تتجلى ملامح هذه القطيعة. لقد شابت تصورات الأستاذ بعض معالم النقص في مقارنة الظاهرة اللغوية مقارنة شمولية، وهذا ما كان سببا في ظهور سوسير الصارم الجامد، ولكن مصطفى غلفان

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 44، 45.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

يرد على هذا النقض بقوله إنه ليس موضوعيا أن يتحمل الرجل تبعات التوظيف السيئ لمفاهيمه اللغوية.¹

بعد هذا العرض الذي حاور فيه غلفان سوسير الذي شكله نص الدروس، ينتقل بنا إلى السبب الذي دفعنا إلى العودة إلى سوسير، أو إلى بداية الدرس اللساني الحديث، هذه العملية صارت في اتجاهين مختلفين، تأخذ العودة إلى سوسير في المنحى الأول طابعا ذاتيا يقوم على حنين معرفي للماضي، ويحصر اللسانيات السوسيرية في الصورة الزاهية التي رسمتها الدراسات البنيوية، في حين تذهب دراسات أخرى إلى القول بأن اللسانيات السوسيرية استنفذت كل مكوناتها²، وأصبح السؤال الملح في هذا السياق هو ما الذي ستقدمه لنا هذه العودة إلى أدراج الماضي ؟ ، ويرى غلفان أن هذه العودة تقتضي النظر في اللسانيات السوسيرية كنسق في حد ذاته، في إطار رؤية مزدوجة تجمع بين التحليل الإبستمولوجي للمفاهيم والمنظور التاريخي النقدي للعلوم؛ بمعنى وضع الفكر السوسيري في سياقه التاريخي والمعرفي العام.³

يرفض الباحث العودة التي تعمل على تضخيم صورة سوسير باعتباره المؤسس الفعلي للسانيات الحديثة، بل لابد من أن تكشف لنا هذه العودة عن السياق المعرفي الذي شكل لنا فكر الرجل، في مناخ فكري تبلينه بين الاستمرارية والقطيعة، هذه العودة التي كانت حصيلة الانتقادات الكثيرة التي وجهت لمشروعه حتى ظهرت عبارة أصبحت شعارا يعكس شرارة في متن الدروس وهي (سوسير ضد سوسير)، هذا ما أدى إلى تحول نوعي مع التعامل مع كل ما نشر باسمه، وهنا يعيب غلفان على أقطاب اللسانيات البنيوية اختزالهم لسانياته في شكل ثنائيات مستقلة، رغم أنهم كانوا الأقرب تاريخيا وتصوريا إلى سوسير.

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص53.

² - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص58، 57.

³ - ينظر: المصدر السابق، ص60.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

يعود بنا الباحث مرة أخرى إلى تلقي سوسير عن طريق نص الدروس، وهذه المرة يستدعي عضو من مدرسة براغ الذي انتقى بعض المفاهيم من ¹ الأستاذ وهو تروبتسكوي، حيث نهل منه مفهوم اللغة والقيمة والتقابلات وتمييز اللسان عن الكلام ¹، التي كانت الطروحات الأساسية التي انطلقت منها الحلقة، كما استجلب التلقي الشكلائي الذي تمثل في جهود هلمسليف الذي أضفى على النظرية السوسيرية بعد تجريدي وشكلائية دقيقة، ورغم الإعجاب الكبير الذي يكونه للفكر السوسيري، خاصة لمفاهيم الاعتباطية والعلامة ومفهوم النسق.. الخ، غير أنه أبدى بعض التحفظات من الرؤية الاختزالية لتصوراته.

يؤكد غلفان بعد كل ما سبق ذكره أن أصحاب القراءات الأولى اكتفوا بالتعامل مع اللسانيات السوسيرية حسب الغايات والمعايير النظرية والعلمية التي حاول أن يجدها في كل منها على حدة، بينما أهمل مشروع اللسانيات في صورته العامة والمتكاملة ليختزل في ثنائيات معزولة استثمرت بشكل متفرق عند هذا الفريق أو ذاك. ²، وعليه فهذه القراءات لم تتمكن من الوصول إلى جوهر الفكر السوسيري الخالص، ولا تزال التأويلات التي انطلقت من قراءات المصادر الأصول في بحث مستمر عنه، وقد أسهمت هذه المحاولات في إزالة جوانب الغموض عن مقولاته، ومن المفارقات التي توصلت لها محاولات إعادة القراءة هي ملامح لفكر متردد قلق في معالجة الظواهر اللغوية، وهو خلاف لسوسير البنيوي، ويجزم غلفان أن المقاربات الفيلولوجية رغم أنها أسهمت في تجاوز التناقضات في نص الدروس وجعلت فكره أكثر قابلية للفهم، غير أنها لا تزال غير قادرة على تغيير الصورة النمطية للمشروع السوسيري والتي تختزل ثنائياته في شكل مستقل، وذلك جراء عدم ربط نص الدروس بالسياق التاريخي الذي ظهرت فيه، وهذه الحركة سبينة رؤية ترى في الدروس وحدة عضوية ومركزا للسانيات

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 65

² - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 77.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

السوسيرية، كما أن هذه المعالجة تهمل النسق التصوري العام للسانياته وأساسه الإبستمولوجية وطبيعة النظرية والمنهجية، وقلما تناولت أجراً المفاهيم السوسيرية، حيث عمل سوسير على إجرائية مفهوم اللغة في التحليل التركيبي، ومفهوم المورفيم كوحدة دنيا في التحليل التركيبي التوزيعي.¹

كما انتقد الطريقة الكرونولوجية التي انطلق منها عمل انغلر، بالإضافة إلى أن هذه الحركة اتخذت من نص المحاضرات مركزية البحث عن المسارات التكوينية والتفسيرية، مما جعل هذه الحركة تسقط في القراءات المؤسسة على التأويل الشخصي، ومع ذلك أصبح من الإلزامي قراءة سوسير في سياق المصادر الأصول والدراسات النقدية التي استطعت أن تنفذ إلى عمق نظريته، وتقدم صورة صادقة عن فكره.

ب- الفصل الثاني: حياة في متاهات اللغة

جاء هذا الفصل لتقديم الحياة الفكرية للأستاذ وأبرز الأحداث الحاسمة، بالاعتماد على مجموعة من المصادر في مقدمتها نص الذكريات، أما المصدر الثاني فيتمثل في الملحوظات الببليوغرافية النقدية التي كتبها دومورو، أما ثالث المصادر فهو الدراسة التي أنجزها الباحث الألماني هانفير، ولعل أهم دراسة عن حياة سوسير هي التي أنجزتها كلوديا والمميز في هذه الدراسة انطلاقاً من التحليل النفسي الفرويدي للكشف عن الجوانب اللاوعية في حياة الأستاذ.

تحدثنا عنه فنقول: كان الباحث سوسير رجلاً حساساً وواثقاً، ولكنه هش ويمكن بسهولة اعتباره مهووساً لأنه باحث عن الحقيقة، كان يعيد النظر باستمرار في فرضياته من أجل إبراز عيوبها الخفية لمدة ثلاثين عاماً تقريباً حاول فهم المبادئ الحقيقية التي تحكم اللسان وبفضل قوة فكره ومعرفته وقدرته الكبيرة على العمل كان سوسير مقتنعاً

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 84، 85.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

في شبابه أنه قادر على إيجاد هذه المبادئ، ولم يرغب في نشر أي شيء قبل التأكد تماما من صحتها، لذلك لم تكن حياته لتبدأ بحياة المنظر، بل بحياة الباحث.¹

بعد أن قدم غلفان عينات من هذه الدراسات عمل على تتبع المسار العلمي، وذلك بتقديم أولا أفراد أسرته الأرستقراطية المعروفة بمستواها العلمي والفكري، ليقدم لنا بعدها مباشرة صورة للساني في سن الرابعة عشرة ونصف، ثم للساني وهو في رحاب جامعة لايبزيغ، ليضعنا عند مرحلة حاسمة في مسار اهتماماته اللغوية وهو النبوغ المبكر في مذكرة النسق التي حملت ملامح التجديد النظري والمنهجي، وذلك بإعادة بناء نسق المصوتات، وتقديم حل غير مسبوق والوصول لجواب نهائي في مسألة أثرت الكثير من الجدل، وأصبحت دراسته سندا مرجعي للبحوث الفيلولوجية المقارنة، وقد ساهم هذا التصور الجديد في معالجة الظواهر اللغوية وتجديد منهج المقارنة وذلك بالتقليل من قيمة اللسان السنسكريتي باعتباره الأنموذج الذي يقدم صورة مطابقة تماما للسان الهندوأوروبي الأول.²

بعد الانتهاء من هذا الجانب في المسار العلمي لحياة سوسير، يغادر بنا الباحث إلى مدينة الأنوار، وقد عرفت هذه المرحلة من حياته نشاط عملي متميز، أعقبه العودة إلى الوطن لظروف شخصية، وعرفت هذه المرحلة من حياته عزلة تامة وصمتا قاتلا، قدم لنا فيها الباحث الدراسات التي عملت على تفسير هذا الصمت المفاجئ.

ج-الفصل الثالث: سوسير المخطوطات

يختصر العنوان مضمون الفصل، سوسير المخطوطات؛ أي أننا أمام فكر سوسيري لم نعهده من قبل، سنصادف فكر ا مغمورا لمؤسس اللسانيات الحديثة، سوسير المخطوطات مقابل سوسير الدروس، بين ثنائية المتخيل والحقيقي، الصورة والرجل،

¹-CLUDIA MejiaQuijano, Sous Le Singe du Doute, Présentation des texte d'émile Constantin, in CFS N5 , 2005,p43.

²- ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص111

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

تقدم هذه الدراسة صورة مفصلة عن مضمون المصادر الأصول، استهل غلفان حديثه بالكلام عن المخطوطات التي منحتها عائلة سوس ي إلى المكتبة العامة والجامعية بجنيف في 1913، ثم تم إرفاق مجموعة جديدة من المخطوطات في 1955، كما تضم المكتبة دفاتر الطلبة.

كما ذكر مقتنيات مكتبة هوتون بهارفارد في 1967، واستنادا إلى ما سبق قام الباحث بالتمييز بين الأرشيف السوسيري والذي تنحصر مهمته في جمع كل النصوص المتعلقة بشخصيته وفكره، ومجمل المخطوطات التي اعتمدها في أبحاثه الجامعية، أما بالنسبة إلى المتن السوسيري فالمقصود به مجموعة النصوص التي كتبها الأستاذ شخصيا، والملاحظ أن هذه النصوص عبارة عن فقرات قصيرة، كما تضم مسوداته خواطر متفرقة، وجل مخطوطاته لم تتم صياغتها بشكل تام، وهذه النصوص الأصلية منها ما نشر في حياة سوسير ومنها غير المنشور الذي تم تحقيقه ونشره فيما بعد.¹

لعل أبرز وأهم هذه النصوص غير المنشورة هي مسودة في الماهية المزروجة في اللغة، بالإضافة إلى مسودة تحمل عنوان كتابات في اللسانيات العامة، وجاءت معظم هذه النصوص بأسلوب المقطوعات، عمد غلفان إلى توصيف المخطوط، وتقديم المحتوى، والملاحظات المسجلة حول المسودات، كما سجل ملاحظات حول القصور الفيلولوجي في إخراج كتابات في اللسانيات العامة.

يستحضر غلفان جانبا جديدا في الحركة السوسيرية الجديدة وهو اعتماد كل من غودل وانغلر وكوماتسو في التحقيق الفيلولوجي على أبرز الطلبة الذين استمعوا إلى سوسير وفي مقدمتهم دفاتر قسطنطين لدروس العام الثالث، وتعتبر تدويناته من أفضل ما كتبه، عمل على المحافظة على المضمون في النقل، وكان وافيا على قدر كاف لتصورات الأستاذ، وتكمن الميزة الثانية لهذه الدفاتر في أن الناشر ي لم يكونوا

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 132، 133، 135.

على علم بوجودها، ولم يتم ذكرها إلا مع تحقیقات غودل، وقد أوضحت الدفاتر الكثير من المقولات الغامضة وأزالت الالتباس الحاصل في أقسام النشرة.

د-الفصل الرابع: سوسير الوجه الآخر

يتضح من هذا العنوان أننا في موعد مع سوسير لا عهد للمتلقي اللساني به، هذه المرة لن نحاور سوسير اللساني، ولا سوسير المقارن، بل وجه آخر وهو سوسير الجنس التصحيفي وسوسير الحكاية الخرافية والأسطورة، والمميز في العناوين التي يصطلح عليها غلفان سواء في الفصول أو المباحث الفرعية، أنها تكون مختزلة ولكن في نفس الوقت تغني عن محتوى النص بدقة كلماتها، فتصبح مرآة تعكس في حروف قليلة فحوى المباحث.

كان أول المباحث في هذا الفصل هو (الوجه الآخر سوسير الجنس التصحيفي) يكشف لنا فيه غلفان عن قضايا فكرية عكف سوسير على دراستها تتجاوز حدود اللسانيات، ومن أهمها فرضية الجنس التصحيفي، هذا المبحث الذي اهتم به في العقد الأخير من حياته، ويفسر بقاء هذا المبحث في طي الكتمان إلى مسائل تتعلق بماهيته وموضوعه وغاياته والإجراءات المتبعة فيه، مما دفع سوسير إلى وضع فرضيات غير قائمة على دليل مادي يناقض بعضها البعض الآخر، وفي ظل غياب دليل ملموس على هذه الظاهرة وعدم الوصول إلى جواب نهائي قرر سوسير أن يغلق ملف هذه القضية، ويعلق فرانسوا على هذا التوجه الغريب بقوله: لماذا قضى سوسير سنوات في دراسة مجموعة نصوص من العصور القديمة " الفيدية، واليونانية، واللاتينية والجرمانية؟، ليس بالطبع للعثور على شهادات نحوية، ولكن للتشكيك في تركيبها الدلالي وانتظامها الصوتي، لماذا الإصرار على دراسة هذه النصوص؟، والتي كانت

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

ستدمر بين عشية وضحاها ما كان الأستاذ يبينه في جامعة جنيف؟، نحن في الحقيقة نبحث عن سوسير ليلي تحت الجامعة النهارية.¹

أما المبحث الثاني فجاء يعرفنا بسوسير الحكاية الخرافية والأسطورة، هذا البحث الذي يتزامن مع تدريسه للسانيات العامة، وبحثه في الجنس التصحيفي، لم يوجه هذا الموضوع كغيره من بحوث سوسير إلى النشر، وظل مجهول إلى أن أشار إليه غودل، وقدم غلفان تقسيمًا لمواضيع هذا المخطوط، وبداية هذه الدراسة وطريقها إلى النشر، وكانت الغاية من هذه المغامرة الفكرية البحث عن الأصول التاريخية للحكاية الخرافية والأسطورة، وبين غلفان أن المقصود من تاريخ الخرافة التي يدرسه سوسير ليس هو التاريخ الفعلي، وإنما التاريخ الذي استند إليه في سرد وقائع الخرافة وحكيها موازاة بالحدث التاريخي الفعلي.²

بعد تقديم مسائل نظرية تخرج عن مجال تخصص الأستاذ، كان حري أن يغلفان أن يجيبنا عن هذا السؤال: لماذا الجنس التصحيفي والحكاية الخرافية؟، هذا اللغز الجديد الذي يضاف إلى درج سوسير الذي لا يزال يثير الكثير من الأسئلة، وكالعادة انشطر الدارسون حول دوافع هذا الانغماس الخفي إلى العديد من الآراء، وكل واحد بدأ يحكم من الزاوية التي ينظر فيها إلى حياة سوسير الفكرية والعلمية، وهناك من تعسف حتى جانب حدود الصواب، ربط مجموعة من الدارسين هذه العناية بالصدمة الألمانية؛ أي أن هذه المباحث ما هي إلا تعبير مدوي عن إحباط سوسير بسبب ما تعرضت له المذكورة، لكن ألم تأت نتائج هذا الإحباط متأخرة كثيرا؟، في حين يذهب دارسون آخرون للقول بأن هذه القضايا الفكرية هي كرد فعل للفوضى التي يعيشها الدرس اللساني، ويؤكد غلفان أنه مهما كانت الدوافع والأسباب الحقيقية وراء الاهتمام بمسائل اعتبرت

¹ -François Rarstier, Saussure et les texte: de la philologie des texte saussuriennes et la théorie saussurienne des texte, texte (revie – texto . net), vol xlv, n3, 2009, p2.

² - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص165، 166

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

بعيدة عن سياق التصورات الجدية، فإن أهمية مباحث الجنس الصحفي تمثلت في تقديم إمكانيات مغايرة للتعامل مع النص أيا كانت طبيعته¹

استنادا إلى ما سبق عمل الباحث على تقديم جملة من النتائج التصويرية في الدراسات الأدبية والرؤية الجديدة للنص جراء الاطلاع على تمارين الجنس الصحفي، فلم يعد النص يقتصر على الرؤية الضيقة التي ألزمته بها الدراسات البنيوية، بل أصبح النص في انفتاح مع الوعي واللاوعي، نص يضم نصا، وهو عودة إلى الذات المبدعة التي تم إبعادها من نص الدروس.

لاحظ غلفان أن مبحث الحكاية الخرافية والأسطورة جاء على خلاف مبحث الجنس الصحفي، لأنه لم يخالف المبادئ والقوانين التي سطرها سوسير في دروسه، بل هي في كثير من الأحيان تفعيل لتعاليمه اللسانية، ونجد أن هذا المبحث يتقاطع على مستوى الرؤية المنهجية المتمثلة في المنظور السيميولوجي مع اللسان من حيث الموضوع الخاص، العلامات والرموز.

أشار غلفان إلى أن سوسير قبل شروعه في إلقاء الدروس لم يكن يقيم أي فرق مفهومي بين العلامة والرمز، وافترضه قيام تحليل الحكاية الخرافية على الرمز فيه إرهابات لمشروع السيميولوجية، كما نجد أن قضية الرمز تثار أيضا في مقاله عن اللغوي ويتتي، ولم تترك القضية هكذا في حالة فوضى، لأنه مع تنامي الفكر السوسيري وزيادة حسه النقدي حول كل ما يقوم بتدوينه، أوصله في النهاية إلى الكشف عن طبيعة الفرق بين العلامة والرمز في دروس العام الثالث، ولكن هناك قاسم مشترك بينهما توصل إليه، وهو كونهما أنساقا تواصلية تتمتع بخاصية النقل عبر الزمان.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 171

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

ختم هذا الفصل بمبحث (تعدد مواهب أو انشطار هوية) وهو مكمل لمبحث (لماذا الجنس التصحيفي والحكاية الخرافية والأسطورة) ليعود بنا غلفان مرة أخرى إلى فرضيات الدارسين حول تنوع مباحث الفكر السوسيري واختلافها تصوريا ومنهجيا، فهل هو تمزق فكري؟، هل تعدد هذه النصوص تجسد المتناقض داخل الواحد؟، فهناك من حاول إقامة قطيعة إبستمولوجية بين هذه البحوث، في مقابل توجه عمل على إيجاد نوع من التكامل بينهما؛ أي وحدة فكره وتجانسه، ونجد أن غلفان يؤكد هذا الطرح الذي ينظر إلى المتن السوسيري في شمولية تعكس فكرا واحدا.

هـ- الفصل الخامس: نص لم يكتبه مؤلفه

جاء هذا الفصل للإحاطة بجوانب كانت مغيبة عن القارئ العربي، وهي الأسباب وراء عدم إقدام سوسير على كتابة ونشر تعاليمه في اللسانيات، بالإضافة إلى خلفيات التكوين والنشر لنص الدروس التي لا تزال في كثير من جوانبها لغزاً مغلقاً، ويفسر الدارسون بادئ الأمر هذه الأسباب بمصطلح نفسي هو فوبياء الكتابة، والتي عبر عنها سواء في رسائله، أو بهروبه من فكرة النشر، كما أن طبيعة موضوع اللسانيات تحول دون تقديم صيغة نهائية لطبيعة النسق اللساني المتشابك، كما يفسر هذا التردد بوضع مؤلف في اللسانيات إلى معتقده البروتستانتية الذي ينطلق من الشك في كل ما هو بديهي وواضح.

وبعد ذلك يسلط الباحث على مسائل من قبيل دراسة المصادر، وكيفية الترتيب، والظروف التاريخية التي أتاحت وصول النص في هذه الصورة، بدأ أولاً بدراسة المهمة الصعبة التي واجهت الناشرين في إخراج النص إلى النور، لم يكتبه صاحبه ولم يحضر هذه الدروس القائمين على التحرير، أما السبب الثاني فهو طبيعة المادة المستقاة من دفاتر متباينة في طرائق تأويل ما يلقي في مدرجات جنيف، ستكون سندا في ظل غياب المسودات الأصلية في إعادة تحرير مضامين الدروس، وفي ظل هذه الظروف

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الاستثنائية كان الطريق الأنسب لإخراج الدروس هو الانطلاق من دروس العام الثالث وإعادة الصياغة التحرير.

يفترض غلفان أن صنيع الناشرين من إعادة بناء النصوص بناءا جديد الرغبة في صياغة الفكر السوسيري في شكل شمولي يقوم على الموضوعية، لكنه مع ذلك لا يتوانى من الإفصاح عن صعوبة هذه الغايات التي تنطلق من نصوص شفوية، كما أنتجت عملية إعادة التكوين بروز السوسيرية الجديدة تحكمها مرجعية نظرية ومنهجية محددة في سياق ثقافة الناشرين اللغوية ومعرفتهما العميقة بتصورات أستاذهما وتأويلها الخاص.¹

عمل الباحث على إبراز مكانة الدروس في الفكر الحديث، والملاحظات الإيجابية التي سجلت في وصفه من إشادة بالمنهجية الجديدة والتصور المؤسس للسانيات العامة وهذا ما أدى إلى تهافت الباحثين على الترجمة، وقدر غلفان أن هذا النجاح المنقطع النظير هو الحجة التي غيبت أي نقد فيلولوجي، وكان الغموض والتناقض الذي يكتنف أقسامه السبب الذي دفع إلى التشكيك في نسبة الكتاب إلى صاحبه، واتهام الناشرين بتحويل التصورات والمفاهيم الأساسية، بطريقة تخدم تصوراتهما الخاصة، لهذا نجد غلفان يطرح هذا السؤال كعنوان للمبحث التالي (هل تعرضت دروس سوسير لوصاية بالي؟)، وهنا إشارة إلى الملابس التاريخية والمؤامرات التي كانت تحاك في الخفاء، والنزاعات حول حقوق ملكية نشر مشروع سوسير، كما يضرب سببا آخر وهو سلطة بالي في الأوساط اللسانية الأوروبية من أي تقييم نقدي لنص الدروس، وبعد كل ما سبق عرضه من أدلة تجزم انتحال الناشرين، ما دلالة سوسير مؤلفا مقابل دلالة ناسخين ناقلين لتعاليم سوسير؟، وبشيء من الغلو يحسم غلفان هذه القضية من منطلق

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، 196.

مقومات العمل؛ أي أن سوسير الدروس هو مؤلف خيالي، وأن النشرة من إنجاز بالي وزميله.

و- الفصل السادس: مسارات البحث عن الخطاب المفقود

يتحدث هذا الفصل عن التحقيقات الفيلولوجية والفحص النقدي للمصادر الأصول والتي قدمها كل من غودل وأنغلر و دومور، افتتح غلفان هذا الفصل بزيادة جرعة الشك في كل ما تم تضمينه في متن الدروس المنسوب إلى سوسير، وذلك برشق القارئ بمجموعة من الأسئلة التي تزيد من ارتياحه حول مسارات التأويل بين سوسير الأستاذ وسوسير الدروس.

أدى الجدل الذي دار عقب نشر الدروس إلى ظهور الدراسات النقدية، التي أشارت إلى غموض الخطاب السوسيري، بالإضافة إلى التنويه إلى المسودات التي لم يعتمد عليها الناشران، وهذا ما هيئ لظهور منعطف جديد في التعامل مع نصوص الدروس وكان ذلك مع صدور مؤلف المصادر المخطوطة لدروس في اللسانيات العامة لروبرت غودل في 1957، الذي يعتبر أول محقق فيلولوجي لنص النشرة.

أحاط غلفان في هذا المبحث بكل محاولات غودل في نشر المسودات التي لم تعتمد ضمن مصادر النشرة، وبفضل جهوده أصبح من الممكن التعرف على فكر سوسير الحقيقي، ورغم حجم التعديلات والتحوير الذي وقف عليه غير أنه لم يشكك في موضوعية وأمانة الناشرين إزاء تعاليم الأستاذ، وما ميز عمله النقدي هو الاعتماد على المصادر الأصول الجديدة التي أصبحت متاحة في مكتبة جنيف، وعمل غلفان على تقديم نماذج من عمل غودل لمقابلة نص الدروس بالمصادر الأصول مع إرفاق الترجمة.

إن الفحص النقدي الذي قدمه غودل كان بداية لمنعطف جديد نحو البحث عن الخطاب المفقود، وهذا ما حفز أنغلر على تقديم طبعته النقدية، واعتبره غلفان رائد

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الدراسات الفيلولوجية السوسيرية بفضل تحقيقه الدقيق والشامل، ولم ينكر أنغلر في طبعته النقدية قيمة العمل الذي قدمه بالي و سيشهاي، وهو في هذا النهج يبتغي مقابلة نص الدروس بالمصادر الأصول، وذلك بتقديم النصوص معزولة عن بعضها البعض، لرصد عتبات البناء ومواضع التدخل في شكل صفحات متقابلة، وقد ساهمت هذه الهندسة برؤية شمولية لمصادر نصوص النشرة، كما ساهم في إعادة تكوين الخطاب المفقود في صورته الأولية برصد السياق التاريخي والمعرفي، وقد استحضر غلفان نماذج من هذه الطبعة النقدية لتوضيح خطة العمل بشكل أفضل، ولتوضيح أيضا حجم التعديلات والتحوير الذي طال دفاتر الطلبة.

كما قدم قدم لنا التحقيق الموسوعي الذي أنجزه دومورو على هامش ترجمة النشرة إلى اللسان الإيطالي، وعمل على رصد التأثير الإيجابي للنصوص السوسيرية في كل المجالات الفكرية، كما عمد إلى المقارنة بين أفكار سوسير ولغوين آخرين «وبفضل الدراسة النقدية أصبح المهتم باللسانيات السوسيرية يمتلك سجلا مذهلا من الإحالات والمصادر التي تناولت المفاهيم الأساس في الدروس بالتعليق والترجمة والنقد.¹» وبفضل صرامة الدراسات الفيلولوجية أصبح من الضروري العودة إلى الدراسات النقدية لقراءة وفهم مضامين الدروس.

ز- الفصل السابع سراب التجانس:

يمكن وصف هذا الفصل بأنه فصل تطبيقي للجهود الفيلولوجية التي سعت إلى إعادة تمثيل الفكر السوسيري في سياق المصادر الأصول، وللوقوف على حدة تصرف الناشرين فيما أتيح لهما من دفاتر ومسودات، لكشف سراب التجانس في متن الدروس، ويتجسد تدخل الناشرين في عدم تجانس المصادر أولا، حيث كشفت التحقيقات أنهما لم يعتمدا بشكل دقيق كل المصادر الأصول التي أشار إليها في مقدمة الكتاب،

¹ - مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص238.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

وليوضح غلفان حجم التغيرات التي مست المنظومة الفكرية لسوسير عمد إلى نشر نهج سوسير في تقديم الدروس وفق التسلسل الزمني الأصلي، ووفقا لما تم نشره في تحقيقات كوماتسو، والتي أبانت إخلالهما بالترتيب الأصلي، عامدين إلى إعادة الترتيب وفق رؤيتها الخاصة.

ملح التدخل الثاني يتمثل في التطعيم الخارجي؛ بمعنى أن بالي وزميله لم يعتمدا بشكل كلي على مادة الدروس، بل قاموا بإقحام مصادر تخرج عن حدود الدروس، ويفسر هذا الإدماج بأنه تكملة للتصور وزيادة في توضيح النص الأصل، وهذا ما أدى إلى تنافر المحتوى.

قام بإضافة العديد من الفقرات والجمل وفق تأويلهما الخاص الذي أدى إلى تغيير مقاصد الأستاذ، ونجم عن سوء فهم الخطاب الشفوي إهمال اللسانيات الخارجية، وحصص موضوع البحث في النسق الداخلي المجرد المغلق، ونجد التصور الحقيقي لهذا الطرح في مسودات الطلبة التي أوضحت أن اللسان يمكن أن يدرس من وجهة نظر العلوم الإنسانية.

تتضح صورة التعديلات وحجم الحذف ودلالاته مع ما أصبح متوفرا من مخطوطات، كما عمد الباحث إلى الإشارة بإيجاز إلى بعض التعديلات التي طالت مواد الكتاب وزادت من حدة الغموض، منها تصور سوسير لمفهوم القيمة، والتعبير الذي أدخله بالي وزميله على رسم مدار الكلام، كما رصد تعديل هما للمنظومة المصطلحية دون مراعاة للسياق المعرفي والزمني، وتم التقديم كل هذا بشكل مفرط في البساطة لا يعكس أي من جهود الرجل في ضبط الهندسة النسقية للمصطلحات المتداولة.

بالإضافة إلى كل ما سبق ذكره لم يراع الناشران الحركية المستمرة التي عرفها الفكر السوسيري، حيث كانت تصوراتهم تختلف من درس إلى آخر، واقتاد لنا غلفان بعض

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

النماذج التي تعكس الحركية المتجددة، ومن هذه النقطة يلج بنا إلى فكر الشكاك الكبير ليصور لنا مظاهر التردد وكثرة التكرارات التي طبعت نصوصه الشفوية أو المكتوبة، الأسئلة المفتوحة، وهذا الخطاب القلق، علاوة على تنوع الصياغة في المقولات، وهذا الأمر راجع إلى غياب نقطة يمكن الانطلاق منها لدراسة اللسان، والتي لم يصل في تأمله العميق في صلب إشكالاتها إلى تصور نهائي، وفي المقابل لذلك نجد النشرة تقدم النص على خط ثابت، لا تعكس دينامية فكره، بل تقدم لسانياته في شكل متجانس ومن منظور نهائي.

أدت الرغبة إلى عرض فكره في شكل تام إلى تقديم نظريته في شكل تعليمي ذو طابع تربوي، والابتعاد عن كل ما هو نظري مجرد، وبسبب طبيعة تعامل بالي وزميله مع مصادر الدروس لم يتردد بعض الدارسين بوصف ما قاما به بأنه نوع من الاستخفاف الفيلولوجي.¹

يختم الباحث هذا الفصل بإبدائه الإعجاب الشديد من صنيع بالي وششهاي، وذلك بتحويل مادة متنافرة إلى نص متكامل يعتبر وثيقة تاريخية لكل مهتم بالفيلولوجية السوسيرية.

2-4 خاتمة:

خاتمة غلفان كانت على نهج الكتاب وذلك بإثراء الموضوع بمجموعة من الأسئلة المفتوحة حول ملامح الصراع الفكري بين سوسيري الحقيقي وسوسير الدروس.

2-5 ملاحظات حول الكتاب:

-من الملاحظات التي يمكن تسجيلها على هذا العمل هو خلو المقدمة من تصور لخطة البحث، والتي تعتبر الفهرس الثاني لكل من رام الإلمام بتصور عام حول

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 294.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

موضوع الكتاب، ولا نجد في فهرس الكتاب ما يغني القارئ عن البتر الذي حدث في المقدمة، فقد جاء الفهرس في شكل سبعة عناوين تشي عن سبعة فصول، دون التطرق إلى ذكر المباحث، وفي هذا الإجراء تعسير على القارئ الذي صار من الإلزامي عليه الإطلاع على العناوين الرئيسية والمباحث المركزية للإلمام بحيثيات الكتاب.

-بعد أن حدد لنا غلفان شكل الصورة التي تم في إطارها العودة إلى الفكر السوسيري، وهو في هذا المقام يمهد للمتلقي العربي للانتقال به من التلقي المباشر لسوسير الدروس إلى سوسير المصادر الأصول، نجده يضبط العنوان التالي (سوسير ضد سوسير)، هذه العبارة التي كانت السبب المباشر في ظهور الدراسات الفيلولوجية مع غودل، نجد أن هذا المبحث كان مؤخر وكان من الأنسب من باب التدرج في الموضوع والإلمام بالظروف التي هيأت لمثل هذا الانتقال بشكل أكثر استفاضة تقديمه، لأنه يعتبر الحد الفاصل بين سوسير المزيف و سوسير الحقيقي، ونجد أن غلفان لا يولي هذه العبارة التي هي في الأصل عنوان كتاب، عناية كبير سوى الإشارة لتعرض سوسير لانتقادات كثيرة في صبغة تعميمية، تزيد من ضبابية المرحلة وغموض ملامح التحول.

- يرى غلفان أن الحركة الفيلولوجية جعلت من نص الدروس مركزا للمصادر الأصول تدور حوله وتتطلق منه، مما جعل نصوص سوسير الأصلية منذ غودل سجينة علاقة تبعية لنص الدروس.¹ لكن المشددات التي تأججت بين المنتقدين للتناقض الواضح في نص الدروس وبين المدافعين عن نزاهة الفكر السوسيري تضخمت بشكل كبير، فكان من الإلزامي وكعتبة أولى الانطلاق من مركزية نص الدروس لتبيان درجة التعديلات ومستوى التغييرات، لتكوين الصورة الصحيحة عن الأستاذ فكان لابد من البحث عن سوسير الرجل قبل معالجة سوسير الصورة، وليس من المنطقي أن يقطع البحث

¹-ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 87، 88.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الفيلولوجي صلته مع نص الدروس مع طبعة أنغلر النقدية ولا مع غيرها من الأعمال التي تروم إعادة هيكليّة للسوسيرية الجديدة، وهذا ببساطة راجع إلى طبيعة التوقعات التي تأتي في صورة مبتورة وكذلك الخطاب الشفوي الموقع من قبل طلبة مبتدئين، لا يمكن إقامة قطيعة إبستمولوجية مع كتاب يؤسس لنظرية جديدة رغم ما يحمّله من صراعات وتناقضات، والانطلاق من مخطوطات شبه مكتملة، سيبقى نص الدروس رغم كل ما قيل وسيقول مركز الفكر السوسيري، فلا يمكن اليوم أن نطلب من متلق للسانيات وهو يروم المعرفة بالنظرية السوسيرية الإطلاع على الطباعات النقدية لكل من غودل وأنغلر... إلخ، بل كل ما يسعنا قوله هو قراءة كتاب المحاضرات في سياق المعالجة الفيلولوجية لهذه النصوص.

-وعد غلفان في فصل (حياة في متاهات اللغة) والذي يسعى إلى فهم عمل سوسير في شموليته، أن يتجنب التفاصيل والجزئيات المعروفة لدى أغلبية الباحثين، في مقابل ذلك سيكتفي بعرض أهم الأحداث الحاسمة في حياة الأستاذ العلمية والتي تحمل في طياتها معرفة جديدة استنادا إلى السياق المعرفي والنفسي، لكننا في مباحث كثيرة في هذا الفصل نجده يطنب في الحديث عن جزئيات أسهبت الكثير من البحوث العربية في تناولها، مثل تقديم العائلة السوسيرية، أو الوقوف على ميول سوسير اللغوية المبكرة، بالإضافة إلى تفاصيل دراسته في جامعة لايبزيغ، ونشاطه العلمي القيم في مدينة الأنوار، وعودته إلى جنيف وحالة الصمت والعزلة.

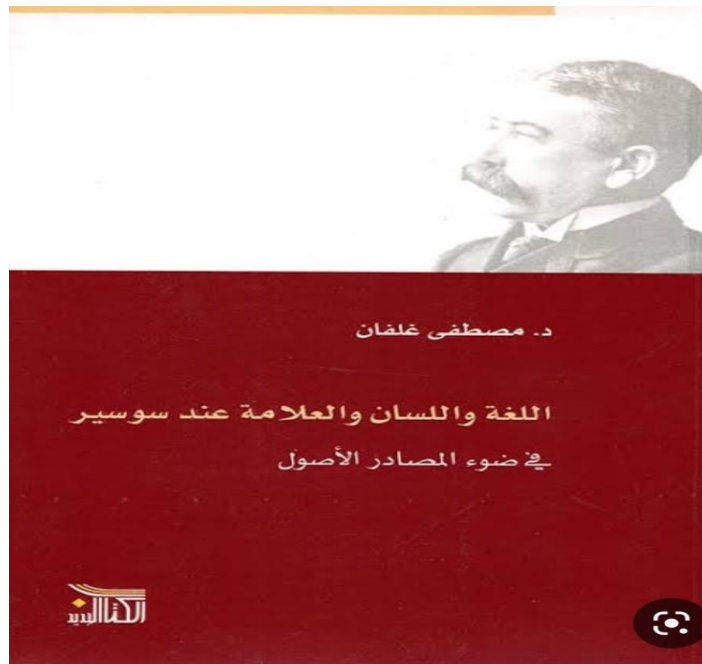
- نلاحظ أن متن غلفان دائما ما يأتي بمجموعة من الأسئلة العميقة التي تلم بكل جوانب الموضوع، بل إن هذا النهج كان حاضرا أيضا في مقدمات عناوين الفصول والمباحث، وغالبا ما ينحاز إلى طرف معين، بل يكتفي بعرض وجهات النظر ويؤيد من هو أقرب إلى الصواب، وأحيانا يختم صمته دون أن يعطينا جواب نهائي على الإشكاليات التي أثارها، وذلك راجع إلى صعوبة الإلمام والرصد الفيلولوجي لكل منجزات الفكر السوسيري، كما أن أغلب الدراسات التي كان موضوعها الرئيسي

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

السوسيرية الجديدة هي في الحقيقة مجرد وجهات نظر، خضعت لتأويل ذاتي وبالتالي فهي لا تخلو من هاجس الشك، وتبقى الحقيقة عند سوسير فقط، بالإضافة إلى أن هذا النهج هو طابع الأستاذ الذي دائما ما يختم توقعاته بعلامة استفهام، وبأسلوب المقطوعات، ليعكس ما يدور في الأعماق من قلق وحيرة، سطرته عباراته القلقة ونتائجه غير النهائية، فكيف والحال هكذا أن يتوصل غلفان إلى جواب نهائي وهو ينطلق من فكر متردد.

-ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها أيضا أن غلفان يرى أن العودة إلى سوسير الحقيقي لم تأتي من أقطاب اللسانيات البنيوية، الذين كانوا الأقرب تاريخيا وتصوريا إلى سوسير، وهو عتاب صريح على عدم وقوف المدارس اللسانية الأوروبية على النص المنسوب إلى سوسير، وتكريسهم اختزال لسانياته في شكل ثنائيات مستقلة، ومع أنه أشار في فقرات أخرى أن سلطة بالي المعرفية منعت من التحقيق من مسودات العمل، وعليه كان من المتعذر إقامة تحقيقات في حياة بالي وزميله رغم كثرة التقييمات للنص، ونجد أن هذه التحقيقات وجدت طريقها بعد فترة قصيرة من وفاة الناشران.

3- قراءة في كتاب "اللغة واللسان والعلامة في ضوء المصادر الأصول"



3-1 الوصف الخارجي:

صدر عن دار الكتاب الجديد كتاب في السوسيرية الجديدة د مصطفى غلفان بعنوان "اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول"، في 2017، جاء حجم الكتاب متوسطا حيث احتوى على 388 صفحة.

جاء تصميم الغلاف على نفس شاکلة التصميم السابق كما هو موضح من الصورة، والشئ الوحيد المختلف بين التصميمين هو الاختلاف في اختيار اللون الذي يحمل المعلومات الأساسية للعمل، حيث وقع اختيار المصمم في استعانه بالعناصر غير اللفظية كوسيلة جديد لقراءة نسيج النص بدرجة الأحمر الذي يحمل دلالات رمزية مكثفة، والمقاربة الدلالية التي يستدعيها اللون مقارنة بمحتوى العنوان هو معنى المغامرة، فالباحث بصدد اقتحام مغامرة تأويلية جديدة في خبايا ودهاليز الفكر السوسيري، وذلك عن طريق الإجابة عن التساؤلات القلقة، واستجواب حالات الصمت في حياته، وكذلك مناقشة طابع المفاهيم المترددة والكتابات المتناقضة في سياق المصادر الأصول.

3-2 مقدمة:

استهل غلفان كتابه الثاني في السوسيرية الجديدة بقائمة من الرموز المستعملة، بعدها تأتي مباشرة المقدمة التي يذكر فيها القارئ بعمله السابق، وهذا العمل هو تكملة لما تم تقديمه في كتابه اللسانيات السوسيرية في سياق التلقي الجديد، ويعتزم في هذه الدراسة أن يدرس ثلاثة مفاهيم مركزية في اللسانيات السوسيرية وهي اللغة واللسان والعلامة في ضوء المصادر الأصول، وذلك لما لها من دور مركزي في تحديد الموضوع، واحتوت المقدمة على كلمة شكر لكل من ساهم في ظهور هذا العمل إلى النور.

3-3 مدخل عام: السياق المعرفي للسانيات سوسير قراءة تاريخية

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

قبل الولوج إلى صلب الموضوع فضل غلفان تقديم السياق المعرفي الذي أدى إلى التحولات العميقة سواء على المستوى النظري أو المنهجي في اللسانيات، لغرض تبيان القدرة التي تميزت بها تأملات سوسير في التفاعل مع اللحظات التاريخية والمعرفية الحاسمة.¹ كما أن الفكر اللساني هو جزء من الفكر الإنساني العام، ومن هنا يغدو رصد تاريخ اللسانيات هو في جزء منه رصد لتاريخ الأفكار، ومن هنا يغدو أيضا الوقوف عند النظرية اللسانية متعذرا دون الوقوف عند المحيط الثقافي العام، ليس هناك فواصل صارمة بين الحقول المعرفية، بل هناك علائق فيما بينها تمكنها من تبادل التأثير والتأثر. من هذا المنطلق نربط نظرية سوسير بالحركة الثقافية التي سادت في القرن 19.²

قام أولا بتسليط الضوء على المنجزات العلمية والرؤية الجديدة التي تد ارس بها مواضيع البحث، هذه الدقة العلمية والموضوعية استهوت العلوم الإنسانية، وفي مقدمتهم الدرس اللساني الذي سعى إلى اقتراح مقاربات جديدة في دراسة اللسان، وقد بدأت هذه التحولات منذ اكتشاف العلاقة بين اللسان السنسكريتي والألسن الهندو أوروبية، هذا الأمر الذي مهد لظهور النحور المقارن مع فرائز بوب الذي رأى أن ظاهرة تقارب الألسن موضوع جدير بدراسة مستقلة.

استرسل غلفان في ذكر رواد المقارنة وأهم منجزاتهم العلمية، والتنافس الذي دار بينهم وبين رواد الفيلولوجيا الكلاسيكية إلى ظهور اللسانيات التاريخية التي كانت متأثرة بتصورات اللساني ويتينتي والفيلولوجيا الرومانية والجرمانية، عمل النحاة الجدد على إعادة بناء الألسن تاريخيا متجاوزين البحث الذي يقتصر على عقد مقارنة بين مجموعة من الصيغ، ولم تكتف الدراسات التاريخية بإحداث تحويل تاريخي جذري في نتائج

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2017، ص9

² - ينظر: ربيعة العربي، سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

المقارنة بل تمكنت من إقامة قطيعة إبستمولوجية مع التصور الطبيعاني، وجعلت للسانيات التاريخية هي المقاربة الوحيدة لدراسة اللسان، وعمل سوسير في ظل هذه الأجواء على تحديد طبيعة انتماء اللسان إلى العلوم التاريخية، وذلك بالنظر إلى مسألتين، تتمثل المسألة الأولى في النظر إلى الإبداع اللغوي، والفصل بين اللسانيات التزامنية واللسانيات التعاقبية، والمقصود عند سوسير بعبارة اللسان علم تاريخي أن لكل لسان في حد ذاته تاريخا متوصلا من الأحداث اللغوية.¹

كما هو متداول لا يجب أن نضع اللسان في صلب التاريخ، ومن وجهات النظر السوسيرية أيضا المخالفة للسانيات التاريخية الصيغة التقنية الجديدة والتي تعتبر المفهوم المركزي لتصوراتهم، والتي تتمثل في مفهوم القوانين الصوتية التي ترى أن التعبيرات الصوتية تحدث وفقا لنهج ثابت، لكن سرعان ما بدأ هذا القانون في التهاوي بعد تراجع قيمته النظرية، فأنكشف للمهتمين به أن النتائج التي توصل إليها جزئية، في حين أن روادها كانوا يزعمون أن نتائج المنهج شمولية لا تعرف أي استثناءات.

قلل سوسير من شأن هذا التصور الذي يدرس الوحدات الصوتية ليس ضمن الكلمات التي تريد فيها ولكن في شكل نسق من القيم الذي ينتج عن هذا التعبير، ومن ملامح الجدة في خطاب النحاة الجدد الاهتمام بالنشاط الكلامي والألسن المنطوقة، وفي هذه المبادئ تجاوز للسانيات المقارنة التي اتخذت من الألسن الميتة موضوع الدراسة، ولكن الذي تعاب عليه هذه المدرسة حسب سوسير عدم تحديدهم مظاهر اللغة، وعدم الاكتراث بالحدث اللغوي، وهو غير محصور في فعل التصويت القابل للملاحظة والقياس، بل هو ذو وظيفة مزدوجة مكون من صوت ومعنى، إضافة إلى هذه الخاصية له ميزة أخرى وهي مبدأ المطابقة.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 90.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

كما قدم غلفان الأخطاء التي ارتكبت في مرحلة المقارنة على مستوى الموضوع والمنهج والمصطلح والتي سبقت الإشارة إليها في أعمال مختار زواوي، وكانت أول الملاحظات التي سجلها سوسير هي غياب منهج دقيق يمكن معالجة الموضوع من خلاله، كذلك الجهل بطبيعة الموضوع وتضخيم دور اللسان السنسكريتي بافتراض أنه الأقرب إلى الأصل، كذلك لاحظ سوسير أنه يتم في اللسانيات المقارنة اعتماد احد فروع الألسن داخل مجموعة معينة ممثلا للفصيلة اللغوية بأكملها.¹

من الآراء الخاطئة كذلك الجزم بأن الصوت a هو الصوت الأكثر اكتمالا ووضوحا لذلك تم وضعه في أعلى درجات السلم، وحصر عنايتهم باللسان المكتوب الذي لا يمثل إلا جزءا من هوية اللسان، كذلك عدم اهتمامهم بالصيغة القياسية التي تمثل منطلق الإبداع اللغوي، ومن مظاهر ضعف تصوراتهم أيضا تصوير اللسان على أنه وثيقة تاريخية لحياة الشعوب، فيما يعرف بعلم الإحاثة اللغوية، وكان لهذه المحدودية في دراسة الظاهرة اللغوية دور حاسم في طروحات سوسير التي تأسست على فلسفة العلوم والإبستمولوجيا، وقد أوصلته تأملاته المستمرة ووضع الأسئلة والاستمرار في البحث عن الحقيقة والوحدة الملموسة إلى تحديد موضوع اللسانيات ورصد آليات وقوانين عمل اللسان، ويشير غلفان إلى السياق المعرفي الذي قدم فيه سوسير تصورات، الذي لم يكن جاهزا لاستيعاب الأبعاد المنهجية والنظرية في مشروعه اللساني، مما دفعه إلى العزلة ورفض كل التعاليم التي تلقن في عصره.

كما تطرق إلى دلالة مفهوم اللسانيات العامة وتطورها بالاستعانة بالسياق المعرفي الذي ظهر فيه هذا المصطلح، فتقصى المقصود بالتسمية، والموضوع الذي يعالجه، والكتابات التي تحيل عليه، بهدف الوقوف على العوامل التي أسهمت في جعله مبحثا

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 50.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

علمي، ومن النتائج التي توصل إليها أن التصورات والأدوات المنهجية التي اقترحت لإنجاز برنامج اللسانيات العامة تبلورت بشكل واضح عند دعائها من قبل.¹

قدم لنا هذا المفهوم في الأدبيات اللسانية السوسيرية، وتبين أنه لا يوجد شيء واضح أو تعريف محدد ومباشر لهذا المفهوم سواء في مسوداته المكتوبة أو نصوصه الشفوية، وكان سوسير يفضل في بداية توليه مقياس اللسانيات العامة تسميته بفلسفة اللغة، وهذا الأمر دفع كالفية إلى التشكيك في الموقع التأسيسي لبرنامج اللسانيات العامة، خاصة وأن هذا الاهتمام الفكري كان في آخر حياته بالإضافة إلى تنوع اهتماماته العلمية، كما غدى هذا الشك عدم الإقدام على تدوين تصورات أو التعبير عن آرائه، كذلك طبيعة التلقين الارتجالي، والاعتماد على ملاحظات ورؤوس أقلام بشأن هذا الموضوع

كل هذه المسائل جعلت كالفية يرى أن قضايا اللسانيات العامة عولجت بشيء من الإهمال واعتبارها سوسير وسيلة منهجية إلى غايات أخرى، وهذا البحث جاء في سياق الحاجة إلى مجال معرفي قائم على أسس ومبادئ واضحة ومضبوطة تسمح لسوسير بأن ينجز في إطارها أعماله اللغوية والمعرفية.²

عمل الباحث على دحض هذه الفرضية وذلك بإثبات قدم اهتمامات سوسير بمشروع اللسانيات العامة سواء في محاضراته الباريسية أو النصوص المخطوطة المكتشفة، والنتيجة التي يتوصل إليها القارئ بعد هذا المدخل العام أن تأملات سوسير كانت في تفاعل دائم مع أفكار معاصريه وسابقيه، وهذه القراءة العميقة لكل هذه المنجزات الفكرية هي التي أسهمت في تأسيس لسانيات عامة لها مكانة علمية متميزة.

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 61.

² - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 69.

3-4 الباب الأول: اللغة واللسان

أ- الفصل الأول: من وجهة النظر إلى الموضوع

أول ما يصادفنا في هذا الفصل عبارة اللساني الفيلسوف وفي ذلك إشارة إلى أن تحديد الموضوع ومنهج الدراسة من مهام الفيلسوف، ويبقى على العالم التقيد بمقترحات الفيلسوف، غير أن هذه المسألة لم تكن من الأمور البديهية التي اشتغل بها رواد اللسانيات التاريخية المقارنة، وكان من الضروري على سوسير في ظل هذه الوضعية أن يتقصد دور الفيلسوف، وكانت من الصعوبات التي واجهته في ضبط حدود الموضوع هي تحديد الوحدات الملموسة التي هي من الأمور المعطاة قلبيا في العلوم الدقيقة، وكان الحل الأنسب هو الانطلاق من اللسان الذي هو عبارة عن مجموعة من الوحدات تشتغل في شكل هندسة نسقية، ولم تكن هذه المسألة بكل هذا الوضوح في ذهن الفيلسوف، وكان عليه البحث عن وحدات ملموسة تكون حاضرة في وعي الفرد المتكلم، لا بد لهذه الوحدات ألا تكون مادية صرفاً أو معنوية صرفاً

يصور لنا غلفان حجم الصعوبات والإشكالات التي كان على الفكر السوسير أن يخوضها والأسئلة التي كان لابد من أن يصل فيها إلى حل نهائي لتعيين الوحدة اللغوية، وهذه الوحدة تتميز بخاصيتين أساسيتين هما الماهية المزدوجة والتي تقوم على ضرورة الجمع بين عنصرين متتافرين هما الصوت والمعنى، أما الخاصية الثانية وهي أن الكيانات اللغوية ليست معطاة في حد ذاتها ولكنها نتيجة إعمال الفكر، والتي تستلزم وجهة نظر تكون مقياساً.¹

نتيجة الطابع المعقد لموضوع اللسانيات، رأى سوسير أن الحل الأنسب للخروج من هذه الدوامة هو الحديث عن وجهة نظر قبل مباشرة الحديث عن الموضوع، وهو عكس المنطق الذي تعمل به العلوم الدقيقة، ونلاحظ أن هذا المصطلح المركزي في نص

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 93، 94.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الدروس جاء مهملا في النسخة الشائعة، وتكمن وجهة النظر وقيمتها اللسانية في أنها هي التي تخلق الموضوع، وتجعل من البساطة فهم الحدث اللغوي، وما كان ينقص حتى يكون البناء سليما هو نقطة انطلاق محددة وثابتة تكون معيار لترتيب الأحداث العامة ولتأسيس الاستدلال عليها.¹

تحرى غلفان وجهة النظر الأساسية الممكنة في الدرس اللساني وهما وجهة النظر التزامنية ووجهة النظر التعاقبية، ويؤكد سوسير في حديثه عن هذا المفهوم على أن قيمته الحقيقية تأتي من وعي الأفراد المتكلمين لأنهم معيار لتحكيم أي قضية، ذلك لأنهم حلقة وصل في النشاط الذي يحدث بين اللسان والكلام، وبالعودة إلى مادة الدراسة في اللسانيات المقارنة نجد أن طرح سوسير جاء مناقضا لما كان سائدا في تلك الفترة، فهو يؤكد انه لا بد من دراسة جميع مظاهر التعبير الإنساني دون الاختصار على لسان مشهور أو حقبة كلاسيكية.

بعد أن بسط لنا غلفان الصعاب والإشكالات المعقدة التي خضها الفكر السوسيري لتحديد الوحدات اللغوية الملموسة موضوع الدرس اللساني، يعيدنا مرة أخرى إلى صلب هذا النقاش ليرسم لنا المعايير التي رسمها سوسير للسان في دراسة الموضوع، وأول المهام التي يسندها إليه هي وضع جميع تاريخ الألسن المعروفة وهذا ما سيساهم في وضع القوانين العامة في اللغة، ولا يخرج نطاق هاتين المهمتين عن الحدود التي وضعتها اللسانيات التاريخية المقارنة، أما الجديد الذي يقدمه الأستاذ فهو الموجود في المهمة الثالثة والذي يتمثل في البحث عن القوى العاملة في اللسان؛ أي القوانين العامة التي تتحكم فيه، وبذلك يكون قد حدد للسان المادة والموضوع والمهام التي يجب توحيها في الدرس اللساني، وكان الحديث عن قيام اللسانيات العامة تتأسس على تصورات جديدة، يفترض الحسم في العلاقة التفاعلية بين اللسانيات والعلوم الأخرى.

¹ - ينظر: المصدر السابق، ص 37.

ب- الفصل الثاني: من اللغة إلى اللسان:

يتأسس موضوع اللسانيات على ضرورة التمييز بين ثلاث مكونات أساسية وهي: اللغة، واللسان، والكلام، عمد غلفان كإجراء أولي إلى توضيح خصائص كل مستوى، وما سجله كبدائية هو ازدواجية الملكة اللغوية بمعنى أنها دائماً تمتلك جانبين، ليس لأحدها قيمة إلا بالآخر، وينطبق هذا المبدأ أيضاً على مستوى اللسان، فداًئماً ما يوجد جانب مزدوج في مكوناته وهذا ما صعب من مهمة تحديد جانب واحد يكون موضوع الدراسة، ولا يخرج مستوى الكلام عن هذا القانون فهو يمتلك جانباً فردياً وجانباً اجتماعياً وبالتالي فهو يخضع لمبدأ الازدواجية.

قبل أن يسترسل في جزئيات هذا الموضوع، أراد أن يقف بالقارئ عند محطة هي من المرسخات في ذهنه حول الفكر السوسيري، وتتمثل هذه الحقيقة في مصطلح الثنائية التي هي ليست من إنتاج الدروس، كما أنها توحى بنوع من الاستقلال بين المفاهيم التي أسست لنا اللسانيات العامة، وتلافياً لأي قراءة سطحية لمفاهيم الأستاذ لا بد من تبني مصطلح الازدواجية الذي يضمن التفاعل والحركة الدائمة بين الطرفين، كما نجد أن هذا المفهوم هو بوابة العبور لفهم الهندسة النسقية للأستاذ.

وفق هذا الطرح يمكننا أن نعيد النظر مرة أخرى في الهندسة المفاهيمية في شكل من الترابط والتفاعل، ويمكن أن نتلمس هذه الحقيقة في العلاقة بين اللغة والألسن التي تعتبر المادة الملموسة لإدراك كينونة اللغة، وهذا القول يفترض بالضرورة أنه «يتعذر تصور دراسة علمية للألسن لا تستند إلى رؤية نظرية في اللغة ومبادئ عامة حولها»¹ وهذا ما يجسد علاقة ترابط متبادلة بين المبادئ العامة والمبادئ الخاصة، ولم يترك الباحث الباب مفتوحاً بل سعى إلى تحديد ما يضمن الانتقال من الظاهرة اللغوية إلى ما هو خاص بالألسن، والذي يتمثل في اللسان الذي يمثل تعميم المبادئ

¹ - مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 119

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الخاصة، وبالتالي يكون المنفذ الوحيد الذي يضمن لنا الانتقال مما هو عام في اللغة إلى ما هو عام في الألسن، واللسان نتاج جماعي عرفي للغة قائم على وحدة ملموسة تشتغل داخل نسق هندسي.

إضافة إلى هذا الفصل ميز سوسير بين اللسان والكلام، وهو تميز بين ما هو جماعي وما هو فردي بين ما هو جوهري وبين ما هو عرضي، وللبرهنة عمليا على هذا الفصل قدم سوسير مثالا لمريض الأفازيا حيث يفقد المريض به القدرة على الكلام ومع ذلك يظل متمكنا من نظام اللسان ويفهم ما يوجه إليه من خطابات، أما الحجة الثانية التي يقدمها سوسير فتتعلق بالألسن الميتة التي يستطيع اللساني دراسة قواعد نسقها العام رغم عدم وجود أفراد يتكلمون بها، وفي هذه الأمثلة فصل بين اللسان والكلام.

في سياق الحديث عن اللسان و الكلام يلج بنا غلفان إلى موضوع لطالما أرقى كل من إطلاع على كتاب الدروس وهو التهميش الذي تعرض له الكلام في مقابل اللسان الذي حظيه بمكانة مركزية في التحليل البنيوي، ويقدم لنا غلفان صورة للنقد الذي تعرضت له هذه الثنائية مع كل من باختين وياكسون، وهذا النقد تغذى على ما تم تقديمه في النسخة الشائعة، أما سوسير المصادر فكانت له وجهة نظر مختلفة حيث يرى أن اللسان يشكل الدائرة الأكثر فردية؛ أي اللسان الفردي،¹ وفي هذا الكلام إشارة إلى التفاعل والتداخل بين الجانبين، فالكلام يجسد هوية اللسان لأنه يخرج من حيز التجريد إلى الوجود الفعلي.

كما تطرق إلى المسار الذي قطعه هذه الثنائيات قبل أن يصل سوسير في شأنها إلى قرار نهائي وحاسم في نص الدروس، فلم تكن المسائل واضحة في شكل قانون نهائي، بل نجد سوسير في محاضراته الافتتاحية لا يقيم أي تميز منهجي بين اللغة

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 132

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

واللسان بل يعتبرهما شئاً واحداً، كما أنه لم يفصل بين وحدة اللسان ووحدة الكلام، مما أدى إلى نوع من الارتباك والالتباس في تصوراتها، كما ناقش غلفان سكوت بالي وزميله عن المخطوط الذي عرضه في السنة الثالثة « الألسن - اللسان - الملكة اللغوية. »¹

هذا التقسيم انعكاس للعلاقة القوية التي تربط اللسان بالألسن، لأنها ميدان اشتغال اللساني للوصول إلى التجريدات العامة في لسان معين، ونجد أن هذه العلاقة الوطيدة تحضر فاترة في نص الدروس، حيث يقيم الناشران تراتبية بين اللسان والألسن، في حين أن اللسان وهو المبدأ المركزي في اللسانيات نتيجة العلاقة بين اللغة والألسن، هذه العلاقة التي لم يستطع الناشران الإلمام بكل حيثياتها في الفكر السوسيري، والجديد الذي قدمه سوسير اتخاذ اللسان موضوعاً للسانيات وذلك بدراسة البنية الداخلية التي هي السبيل الوحيد لرصد خصائصه، وهي دعوة إلى التميز بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية التي لا تقدم معلومات عن نسق القيم.

ج- الفصل الثالث: لسانيات اللسان ولسانيات الكلام

يعود بنا غلفان مرة أخرى إلى قضية اللسان والكلام لأنها الأساس في تحديد موضوع اللسانيات، ويلفت نظر القارئ إلى أن هذا التميز لم يكن من إبداع الفكر السوسيري، بل كان متداولاً من قبل العديد من اللغويين، لكن الأستاذ تمكن من النفاذ إلى خصائص هذه الثنائية والتأسيس للسانيات الحديثة، وكان اعتماده على اللسان كمرکز للانطلاق راجع إلى طبيعة الكلام التي لا تعرف الانتظام لأنه مظاهر عَرَضِيَّة، ورغم العلاقة اللزومية التي تربطهما غير أن سوسير لاحظ أن لكل منهما سماته النوعية المميزة، لذلك فرض لكل مجال علم خاص به.

غلفان في هذا الفصل لا يكرر المعلومات الواردة في الفصل السابق، بل إنه تناول من قبل ثنائية اللسان والكلام، وفي هذا المقام يتناول النظرية الخاصة بكل علم منها؛

¹ - المصدر السابق، ص 137

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

أي لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، ومن الخطأ السعي إلى دراستهما من وجهة نظر واحدة لأن ذلك يؤدي إلى نتائج مبهمة نتيجة المجال الخاص وموضوع البحث المختلف الذي يقتضي نهجا مغايرا.

كما عمل الناشران على إقامة تراتبية وهمية بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، وأصبح من الممكن بفضل المصادر الأصول التعرف على التصور الحقيقي لسوسير، فهو لم يصف حسب ما هو موجود في دفاتر الطلبة الكلام بالثانوي بل هـ و من إضافات الناشرين، وكان ينظر إلى لسانيات الكلام كمجال مستقل ومتميز عن لسانيات اللسان، وتكشف كراسات الطلبة حجم التلاعب في هذه المسألة، ومرد هذا السوء هو التلقيح المفاهيمي الذي تعرض له مصطلح الكلام أثناء فترة إلقاء الدروس. وفي خضم هذا السجال يقدم لنا غلفان مسألة تمس هذا التميز وهي مسألة انتماء الجملة إلى لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، هذه القضية التي عرضت بشكل متناقض في نص الدروس، فإذا نظرنا إليها من زاوية المركب جاز اعتبارها وحدة مجردة تنتمي إلى اللسان، أما إذا نظرنا إليها من زاوية أنها توليف من الكلمات فيمكن حينها القول بأنها نشاط فردي، وتحسم تصورات سوسير المصادر هذا الجدل وذلك بالنظر إلى الجملة على أنها مجموعة من الصيغ المنتظمة التي تستورد من نسق اللسان في شكل مركبات وبذلك جاز القول بأنها تنتمي إلى اللسان، أما الحجة الثانية التي يتم الاستدلال بها هي مسألة القياس الذي هو ليس إبداعاً من عدم بل محاكاة لصيغة متواضع عليها والتي هي من أنماط اللسان، هذا القانون ينطبق بالضرورة على كل توليف للجملة الذي يحتم اللجوء إلى ظاهرة نحوية.

د-الفصل الرابع: اللسان بين الواقع والتجريد

يوضح لنا غلفان في هذا الفصل بأن سوسير ليس أول من قال بأن اللسان مؤسسة اجتماعية بل هو متأثر بتصورات ويتني، الذي جعل من هذه الحقيقة عتبة فاصلة بين

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الأنموذج الطبيعي واللسانيات التاريخية، ورغم هذا التأثير غير أنه يوجد اختلاف في وجهات النظر، حيث عمل سوسير على إضافة بعض التعديلات لتتلاءم مع اللسانيات الجديدة التي يتصورها.

تتمثل أولى هذه التعديلات في تغيير حدود هذه المؤسسة من اللغة إلى اللسان، أما وجهة النظر الثانية فهو النظر إلى اللسان على أنه مؤسسة ليس لها نظير لأنه مؤسس على مبدأ الاعتبارية، كما أننا في حاجة دائمة إلى استعمال وحداته التي تقدر بالملايين، بينما نجد محدودية في وحدات المؤسسة الاجتماعية الأخرى، وإذا كانت مسألة أصل اللغة واضحاً عند ويتني في كونها مواضع اجتماعية نجد أن هذه الحقيقة تفرق سوسير، وذلك لغياب مطلق لنقطة البداية.

يذكر لنا الباحث أيضاً موقف ميه الذي يرى في اللسان القوة الاجتماعية ، وهو متأثر في كل هذا بتصورات دور كايم، هذه المسلمة التي يفسر بها التطور اللغوي، وتدرس اللسان من الخارج، ورفض ميه المشروع السوسيري الذي ينظر للسان على أنه نسق مجرد لا يستند إلى بيئة اجتماعية ولا تاريخية، وعمل على تنفيذ هذا التصور بإثبات القوة الاجتماعية في المؤسسة اللسانية، في حين يؤكد سوسير على استقلاليته.

إن هذا الصراع حول قيمة الحدث الاجتماعي ودوره في الدرس اللساني تقديم لمحاولات عملت على مد جسور التأثير بين المنجز السوسيري والحدث الاجتماعي عند دور كايم، ويستنتج الباحث أن هذا التأثير كان على مستوى المنهج العلمي، ولم يكن على مستوى المفاهيم والتصورات، وفي رصده للمفاهيم التي يسندها سوسير إلى اللسان لاحظ أن الحدث الاجتماعي كحقيقة ملازمة لوجود اللسان تبدأ بالتلاشي إلى أن تختفي ليكتفي بالنسق التجريدي الذي يختصر في العلاقات الداخلية.

يدعم غلفان هذا التصور لأن دراسته من وجهة نظر تاريخية أو اجتماعية لم تقدم لنا طريقة واضحة يمكن من خلالها ضبط اللسان الذي هو الموضوع الأساس الذي

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

يضمن استقلالية اللسان، وانتقل سوسير من الملموس إلى المجرد رصدًا لسمات اللسان النوعية، ويكمن الجديد الذي أضافه لمفهوم اللسان في تجاوز رؤية معاصريه التي تربطه بالبعد الاجتماعي والنفسي التي لا تكفي لتفسير وجوده، بل نظر إلى هذه المسألة في شموليتها ليؤكد في نهاية تحليلاته أن اللسان قسم من علم أعم هو السيميولوجية، وهو الضامن الوحيد لاستقلالية اللسان عن العلوم المزاحمة له.

هـ- الفصل الخامس: الثبات والتحول: التزامن والتعاقب

يحدثنا غلفان في بداية الفصل عن فعل الزمان في اللسان الذي يحدث فيه تغيرات تطال البنيات اللغوية ويجسد هذا الأمر الجانب السلبي من التأثير، أما الجانب الإيجابي فيتجسد في استمرارية وجوده رغم اعتباطية العلامة، وبالتالي يكون اللسان حالة متميزة من الثبات والتحول، ومفهوم استمرارية اللسان هو تصويب لمفهوم توالد اللسان الذي كان مستعملًا عند رواد المقارنة، ويؤكد سوسير أن هناك استمرارية للألسن فقط والتي تخضع لكل لحظة إلى التحول.

في خضم الحديث عن الثبات والتحول في اللسان كان لا بد من توضيح مسألة أثارت التباسًا مفاهيميًا وهي مسألة اللسان في التاريخ وتاريخ اللسان، فالأول يحيل على الأحداث التاريخية، أما المفهوم الثاني فيدل على تاريخ التطور وما ينجر على ذلك من تغيرات في بنية اللغة.

جاء هذا الفصل لإعادة ترتيب موقع اللسانيات التعاقبية من فكر سوسير، والتي جاءت في الدروس مهمشة على حساب البعد التزامني الذي ينظر إلى اللسان على أنه نسق مغلق يخضع إلى ثبات مطلق لتكشف لنا المصادر الأصول أن البعد الزمني حاضر بقوة في كل تأملاته سواء اللسانية أو الأدبية، والتحول اللغوي حسب سوسير والقائم على الاستمرارية المطلقة هو رد على نهج النحاة الجدد الذين يحصرون التطور اللساني في الجانب الصوتي في حين أنه يفترض جانب المعنى أيضًا.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

يختم غلفان هذا الفصل الأخير في هذا الباب بمبحث (الأبعاد المنهجية للصيرورة الزمنية) الذي جاء ليصور لنا النهج الذي قطعه تأملات سوسير في قضية الثبات والتحول في اللسان، كانت أول العوائق في هذه المسألة تقطيع اللسان زمنيا، وكان الحل الأنسب للكشف عن عامل الزمان في اللسان هو تقسيمه إلى حالات، وقد أفضت تصوراته حول العلاقة بين الزمان واللسان إلى ظهور ثنائية التزامنية والتعاقبية لكل منهما منهجيتها الخاصة ومبادئها المستقلة، يعنى الأول بدراسة اللسان في رهنيته أما الآخر فيهتم بتاريخ اللسان، وهذا التجديد لا يعنى الفصل بل يجب الترابط والتداخل ويكمن الفرق الجوهرى بينهما في أن التزامنية تمثل الانتظام في النسق، أما التعاقبية فنجد أنها تتضمن أي قانون «بل هي مجرد مجموعة من الوقائع الخاصة المتفرقة التي تتم بخاصية العرضية».¹

كما أن الدراسة التاريخية تقوم على كيفية وعي الأفراد المباشر بلسانهم، هذه القضية الراهنة هي التي تهم المتكلم، أما مسألة تسلسله عبر الزمان فهي مسألة مغيبة في ذهنه، ويعلل سوسير أسبقية المنظور التزامني على التعاقبي انطلاقا من أن نسق اللسان في الحاضر هو نسق قيمي محض لا شيء يحدده ويعينه من الخارج إلا ما كان من حالة مؤقتة عابرة لألفاظه وحدوده.²

يستند في هذا الفصل بين العلمين إلى مبادئ تصويرية تتمثل في وجود استقلال نسبي بين قانون النسق في ذاته وبين تطوره، كما أن دلالة العلامة وقيمتها شيان غير ثابتين، ولا تدرك هذه القيمة المتغيرة إلا ضمن نسق محدد، وأخيرا تحرير البحث اللساني من كل عامل خارجي والمقصود هنا هو العامل التاريخي، ونظرا لتداخل العلمين بشكل يصعب الفصل بينهما من الناحية الإجرائية وجهت جملة من الملاحظات إلى صنيع سوسير.

¹-مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص214.

²- ينظر: المصدر نفسه، ص218.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

نجد أن تصورات سوسير لفكرة دراسة النسق التزامني قد اكتسبت مفهومًا جديدًا مع مدرسة براغ، حيث عمت هذا المفهوم ليصبح من أساسيات المنهج التاريخي المقارن، بمعنى أن التطور يحدث في عناصر النسق برمتها، بذلك تقوم المعالجة التاريخية على النسق الوظيفي، وركز ياكسبن في هذا السياق على دراسة الفونولوجيا التعااقبية، وفي هذا الأمر دعوة إلى تجاوز مفهوم التطور عند سوسير الذي يرى أن التطور أمر عرضي، أما ياكسبن فيؤكد على وجود عوامل تخضع بالضرورة لقوانين تسطر عملية التطور، ويختم غلفان بتقنيد عملية إقصاء عنصر التاريخ من البحث السوسيري.

3-5 الباب الثاني: العلامة اللغوية

أ- الفصل الأول: المنظور السيميولوجي

تطرق غلفان في الباب الأول إلى السيميولوجية بشيء من العجلة مع التنبيه إلى معالجة هذا الموضوع بشكل تفصيلي في هذا الباب، الذي عمل في بدايته على رصد سمات الأنساق السيميولوجية، وذلك بالوقوف على ما هو مشترك على وجه الخصوص بين النسق اللساني والأنساق التواصلية الأخرى، فقام بتقصي هذه السمات أولاً مع نسق الكتابة وتوصل إلى اشتراكهما في الطابع الاعتباري والقيمة السلبية والقيمة الخلفية، كما أن قيمة العنصر تتحدد داخل النسق وهو ما يؤدي إلى التقليل من قيمة المادة، كما أن كلا النظامين يرفضان الموافقة والتعاقد، كما أن كليهما يقوم على المواضعة، وهذه السمات تدرج تحتها باقي الأنساق التواصلية الأخرى، والملاحظ لا يحدد بشيء من التفصيل معالم وهوية هذا العلم غير الإصرار على حقه في الوجود.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

يرجع سوسير أسباب عدم استقلاليته كعلم إلى أن اللسانيين لم ينفذوا إلى الماهية الحقيقة لطبيعة أنساق العلامة المتنوعة والمستعملة في الحياة اليومية، كما أنهم لم ينتبهوا إلى خصائصها المشتركة على الرغم من تنوع أشكالها ومكوناتها في التعبير.¹

رغم تعقد الوحدات في النسق السيميولوجي غير أن الجميع يخضع لمبدأ القيمة، ولا توجد القيمة سوى في الكيان الاجتماعي، وعليه يكون اللسان نسقاً من العلامات وما يتشكل منه هو النسبة التي يقيّمها الفكر بين هذه العلامات.²

يستدعي مقام الحديث عن القيمة عنصر أساسي وهو مفهوم العلاقة التي تجمع الوحدات المنتمية إلى النسق نفسه، وهذه العلاقات إما علاقات ترابطية أو علاقة مركبية، وتساهم هذه العلاقات المنتظمة في معرفة طبيعة الارتباط القائم بين الوحدات، لأنها تعطي كل عنصر من عناصر النسق قيمته في إطار العلاقات التي تجمعها أو تفرقه، ويرى سوسير أن هوية الأنساق السيميولوجية مقدمتها اللسانية تكتسب من المؤسسة الاجتماعية التي تضمن لها الاستمرار عبر الزمان، وهذا ما يكسب اللسان وجميع الأنساق السيميولوجية الحياة، ونستخلص أن اللسانيات تمكن من إقامة علم خاص بالأنساق التواصلية انطلاقاً من تحديدها الطبيعة النوعية الخاصة بالوقائع السيميولوجية وذلك بترقب مواطن اشتغالها في إطار عام يأخذ في الحسبان سماتها المشتركة بصرف النظر عن طبيعتها المادية.³

نجد غلفان يقدم لنا مرة أخرى وجهة نظر كالفية التي تقلل من المكانة التصويرية للسيميولوجية في المشروع السوسيري، فهي جاءت كما تقصها في دروسه مختزلة ليتمكن صياغتها في شكل نظري عام، ويفسر هذا الحكم الصادر إلى التلاعب الحاصل في النشرة من حذف للمقدمة السيميولوجية، وتوضح لنا أبعاد هذه القضية والعمق الذي

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 240

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 247

³ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 261

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

اكتسبته في تصوراته السابقة في مخطوط في الماهية المزدوجة للغة، بل إن هذه القضية حاضرة في وقت مبكر في تحليل الحكاية الخرافية والأسطورة الجرمانية، ورغم العلاقة المتينة بين اللسانيات والسيميولوجية غير أن هناك بعض الضبابية في هذا الموضوع من سكوت الأستاذ على مباحث الحكاية الخرافية والأسطورة في دروسه مع أنها في صلب النموذج السيميولوجي.

ب- الفصل الثاني العلامة اللغوية:

جاء هذا الفصل ليحدثنا عن الجذور المعرفية لإشكالية العلامة، وهو تسليط الضوء على التصور السطحي الذي يرى في اللسان ثبثا من الأسماء التي تقابل أشياء في العالم الخارجي، هذا التصور الفلسفي الذي تعدو جذوره إلى أرسطو، وقد رد سوسير على هذا التصور البسيط الذي يرى أسبقية واستقلالا للفكر على اللغة، هذا التصور يرجع حقيقة اللسان إلى قسم الأسماء فقط متغاض عن الأفعال والحروف، كما أن إدراك هذه الأشياء يختلف من مكان إلى آخر.

يرد سوسير على التصور الفلسفي الذي يرى في اللسان ثبثا من الألفاظ بالقول إن التبدل الذي يصيب أركان العلامة اللغوية يقيم حجة على قصور هذا التصور، كما أن مكونات العلامة ليست أشياء بسيطة كما هي مصورة، بل هناك نوع من الاقتران بين حدثين مختلفين وهما الصورة السمعية التي تمثل الأثر النفسي للصوت والصورة التصويرية، وبذلك تكون العلامة كيانا نفسيا، ويخضع كيان العلامة في البداية إلى مبدأ الاعتباطية، ويميز سوسير بين نوعين من الاعتباطية، النوع الأول هو ما يعرف بالاعتباطية المطلقة والتي تعني أنه لا يوجد مبرر بين الدال والمدلول، وهناك الاعتباطية النسبية ويوجد فيها تبرير نسبي بين الصور السمعية والتصوير، والذي يجب أن يركز عليه الدارس حسب سوسير هو الاعتباطية المطلقة لأنها هي الأصل في الألسن.

أما الذي يرى في ظاهرة الأمونوماطوبيا وصيغ التعجب دحض لمبدأ الاعتباطية المطلقة، فأن هذا الطرح لا يفسر إلا القليل من هذا الكيان الكبير، ويمكن دحض هذه المقولة بسهولة، أما المبدأ الثاني الذي يحكم العلامة هو مبدأ خطية الدال، هذا المفهوم الذي تم التقليل من قمته في انتظام اللسان، حيث تم التركيز على الجانب الصوتي فقط، ولم ينتبه معاصروه إلى امتداد الأصوات في شكل سلسلة كلامية، وهذا ما يترتب عليه مباشرة الطابع الزمني الذي له بعد واحد وهو البعد الخطي.¹

ج- الفصل الثالث العلامة اعتباط أم ضرورة

أدى الطرح الغامض والصياغة التي قدمت بها مسألة العلامة منذ صدور النشرة إلى ردود أفعال متباينة وولدت جدلا واسعا، والذي زاد من حدة النقاش تقاطع تأملات سوسير مع التصورات الفلسفية القديمة، وهذه القضية هي التي رام الباحث توضيح صورتها في هذا الفصل.

يؤكد غلفان أنه يبدو للوهلة الأولى أن هناك تقارب بين المفاهيم والمصطلحات، ويبدو أن سوسير قام بتعديل الصياغة فقط، لكن عند إمعان النظر يتضح أن الأمر ليس بهذه البساطة، لأنه رفض أهم المقولات الفيلولوجية في هذا الشأن ومن أهمها أن اللسان ليس ثباتا من الأسماء، هذا القول الذي يفترض أن الألفاظ معزولة عن بعضها البعض، في حين أنها تكتسب دلالتها وقيمتها من داخل النسق، ومن مظاهر الجدة في تصويره رفضه الخوض في مسألة أصل اللسان؛ لأن نتائجها غير مفيدة والصواب الانطلاق من اللسان كحدث أولي.

كما أن في تمييزه بين مصطلحي العلامة والرمز دلالة صريحة على موقفه الذي يؤخذ بالعلامة كتجسيد لحدود الاعتباطية بين الدال والمدلول في مقابل الرمز الذي يبقى على هذه الصلة، كما تظهر لنا أيضا جدة المقاربة السوسيرية في إشكالية العلاقة

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص282

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

بين الكلمات والأشياء موازنة بما هو موجود في الدرس الفلسفي الذي انقسم أصحابه إلى فئتين: فئة ترى أن هذه العلاقة طبيعية وليست اصطلاحية؛ بمعنى أن هناك تطابق بين المعنى والشيء الذي يدل عليه، أما الفئة الثانية فتري أن العلاقة بين الكلمات والأشياء علاقة مواضعه، وكانت الدراسات السابقة تنظر إلى العلامة على أنها أداة تسمح لمستعمليها بالربط بينها وبين العالم الخارجي، وذلك بالتعاقد بين التصور والعلامة التي تدل عليه، وهو ما يؤدي إلى اعتبار اللسان ثبت من الأشياء المعطاة قبليا.¹

مظاهر التحول النوعي في التصور السوسيري تمثل في تجاوز الثنائية القديمة والعمل على التميز بين مكونات العلامة وتحديد العلاقة التكاملية والاتحادية بين الدال والمدلول، كما عمل على إقصاء المدلول عليه لكي يتجنب الخوض في مسألة الإحالة، ويرى غلفان في المقاربة الاعباطية للعلامة أنها تمثل تحولا نوعي في التعامل مع معطيات الدرس الفلسفي القديم، ويعمل سوسير من خلال هذه النظرية على التخلص من كل الإشكاليات التي قد تقحم الدرس اللساني في مجالات أخرى.

يلمح غلفان إلى أن سوسير وإن كان قد اتفق مع نحو بورروايال في مسألة المزج بين اللغة والعلامة، فإن تجديده يكمن في أنه لا يتحدث عن علاقة تمثيل وتناظر بل عن علاقة اقتران بين الصورة السمعية والتصور وهو ما يجسد علاقة تبادل بين حدود الطرفين أ- ب، وكان غالبا ما يتم الخلط بين الاعباطية والمواضعة ويرفض سوسير هذه النظرة السطحية، والاعباطية ليست حصر الرابط بين الدال والمدلول، كما رفض سوسير النقاش في مسألة أصل اللغة، لأن نتائجها غير مفيدة والصواب الانطلاق من اللسان كحدث أولي.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 296

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

كما أن في التمييز الذي يضبطه بين الرمز والعلامة دلالة صريحة على موقفه من العلامة التي تجسد حدود الاعتبارية بين الدال والمدلول، وإنما أيضا في الأبعاد والأدوار التي تقوم بها الاعتبارية داخل النسق التصوري برمته، ف إن صفة المواضعة ترتبط بالطابع الاجتماعي للسان وبالتالي من العلامات التي يتشكل منها.¹

كان من الواجب بما أننا نخوض في موضوع اعتبارية العلامة أن يعرض لنا الباحث الانتقادات التي قدمها بنفنيست انطلاقا من فهم سوسير للاعتبارية والبراهين التي استدلت بها وصيغة الارتباك والتناقض في الطرح، فسوسير بعد أن اقتصر في تعريف العلامة على الدال والمدلول نجد هيستدعي وعي المدلول عليه، وبنا بنفنيست تصويره على أن العلاقة بين العلامة والمدلول عليه اعتبارية أما بين الدال والمدلول فهي ضرورية وعليه فالاعتبارية لا توجد سوى في الشيء المادي، ونجد أن أريفيه يدافع عن هذا الغموض لأنه لا مفر من العبور على مفهوم المرجع الذي هو انعكاس لسمات المدلول، ويرى في مقولة بنفنيست بمسألة الضرورة تكرار بطريقة مغايرة للمثال الشهير الذي قدمه سوسير لوجهي الورقة، وما هو ضروري يكمن في البعد الاجتماعي.

سوسير ليس أول من استعمل مصطلح الاعتبارية عمل غلفان على توضيح هذا المفهوم وفق ما هو متوفر في المصادر الأصول التي كشفت عن تعلق هذه الظاهرة بعلاقتين، علاقة داخلية بين طرفي العلامة وعلاقة تقيمها العلامات داخل النسق الواحد، وفق هذا التصور تكون اللسانيات جزء من السيميولوجية، ولا يتحرج الباحث من ابدأ رأيه بشأن غموض المفاهيم وطريقة الاستدلال في هذا الموضوع الذي هو نتيجة سوء فهم بالي وزميله لتصورات الأستاذ، وكشفت لنا الدفاتر ملامح التلفيق في نص الدروس، فالرجل عندما أكد أن الرابط بين الدال والمدلول ذلك بغرض توضيح أن

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص304.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

هذا الرابط اعتباطي، أما هذان الطرفان فهما غير منفصلين في ذهن المتكلم، ومع ذلك فليس له الحرية في المساس بهذا النظام سواء بالاختيار أو التغيير لأنه أمر مفروض.

د-الفصل الرابع: اعتباطية العلامة اضطراب الصياغة وسوء الفهم

نظرا للقيمة المركزية له ذين المفهومين في النسق التصوري السوسيري، خصص غلفان هذا الفصل لهما لأنهما يمكننا من فهم أسس البناء النظري للسانيات الرجل، قدم لنا كفاتحة مفهوم العلامة هذا اللفظ الذي كان يثير الكثير من اللبس والغموض لدى سوسير نتيجة دلالاته المزدوجة، فمرة يدل على الوحدة اللغوية ومرة أخرى يدل على الدال فقط، وكان أستاذنا يرجح المعنى الأول، كما عمل على اقتراح بدائل تعوض هذا اللفظ، وظل لفترة يتأرجح بين مجموعة من المصطلحات، حتى عقد العزم في نهاية العام الثالث على ضرورة تحديد لفظ العلامة تحديدا دقيقا للدلالة على المجموع، والانطلاق منها كأساس للتحليل.

لا نجد لهذه الصعوبات الاصطلاحية للتعبير عن مسائل لغوية دقيقة ولا القلق المفهومي أثر في نص الدروس، ونجم عن اضطراب الصيغة وسوء الفهم أن ربط المتلقي لنص الدروس الاعتباطية بالعلامة في كليتها، في حين كان الأستاذ يريد اعتباطية الدال في علاقته بالمدلول، أما مظهر اللبس الثاني هو تصويره للرابط هو الذي برر عنده نسبية القيم، في حين وردت أوراق هذه القضية مخالفة لهذا التصور في تحريرات الناشرين.

من مظاهر الإرباك أيضا في النشرة الأمثلة التي استعملت للدلالة على وجود مدلول واحد مقابل مجموعة من الدوال، في حين أن التعدد حسب الصياغة اللسانية يطال حتى المدلول، وقد طالت تعديلات الطلبة حتى الرسوم التوضيحية، ففي الرسم التوضيحي للاتحاد بين الدال والمدلول اتضح أن رسم الشجرة في هذه الخطاطة هو من إقحام الناشرين، وهذا الأمر يعيدان إلى قضية تصور اللسان على أنه ثبت من

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الألفاظ، كما نجد الخطاطة الأصلية مصحوبة بسهم واحد فقط ينطلق من الدال إلى المدلول، وبالقول في أسبقية المفاهيم على الدال تعبير عن موقفهما فقط، ونجد في تعريف العلامة بأنها إتحاد بين الدال والمدلول دلالة على أننا أمام كيان لغوي موجود مسبقا ومعطاة قبل أي تحليل، وهو ما يناقض قول سوسير بأنه لا وجود للموضوع قبل تحديد وجهة النظر التي تكون سابقة على التحليل.¹

كما لم يكثرث بالي بمفهوم الاعتباطية النسبية، وهذا ناتج عن اضطراب الصياغة وسوء التصور للاعتباطية عامة، ويقرر غلفان أن في تصويره للعلامة واللسان واللغة انطلق من الجانب النفسي للظاهرة اللغوية، وقد توغل الناشران في هذه النزعة حتى قدم معظم المفاهيم المركزية في اللسانيات من الجانب النفسي الصرف.

3-5 الخاتمة:

يفسر لنا غلفان في الخاتمة سبب تركيزه على هذه المفاهيم الثلاثة وذلك بحكم مركزيتها في التحليل اللغوي وقيمتها التأسيسية في النسق السوسيري، وقد سمحت لنا المصادر الأصول بقراءة جديد لهذه المفاهيم والكشف عن الملامح الحقيقة للسانيات، والمميز حقا في هذا العمل هو قراءة هذه المفاهيم وفق السياق المعرفي الذي ظهرت فيه بالتدرج من وعي الأستاذ إلى أن اكتملت في شكل صياغة نهائية في نص الدروس.

3-7 ملاحظات حول الكتاب:

- نجد أن في هذا العمل أيضا تم تغيب تفاصيل خطة العمل في المقدمة، غير أن نهج العمل كان أكثر وضوحا من الموضوع السابق، فنجد أن الباحث عمد إلى تقسيم الكتاب إلى أبواب والأبواب إلى فصول والفصول إلى مباحث.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص337

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

- نجد أن غلفان في عنصر المدخل العام الذي عمد فيه إلى شرح السياق المعرفي للسانيات السوسيرية، يسوق لنا شواهد من فصائل لسانية متنوعة ترجع إلى أطوار متفاوتة في القدم، دون محاولة تبسيط الدراسة وتقديم إسقاطات على اللسان العربي من باب تقريب الصورة والإبانة عن المقصد، مما ولد عسر في هم المقاصد والغايات.
- أثبتت الدراسات المعاصرة أن مرض الأفازيا يفقد المصاب به القدرة على فهم لسانه الشفوي والكتابي، وبالتالي فإن الأنموذج السوسيري الذي أقامه حجة للفصل بين اللسان والكلام ضعيف المنطق، ونجد أن غلفان يكتفي بذكر القضية كما هي مقدمة في المتن السوسيري دون التحقق من نتائجها بما توصلت إليه الدراسات العلمية الحديثة.
- نجد أن الباحث في الفصل الخامس الذي جاء تحت عنوان (الثبات والتحول: التزامن والتعاقب) لا يتورع من استعمال جميع المصطلحات الموجودة في الترجمات الخمس، بخصوص هذه الثنائية، فنجد في الفقرة الواحدة يستعمل تارة التاريخية وتارة أخرى التعاقبية... إلخ
- نلاحظ أن غلفان بعد أن وافق على مصطلح الازدواجية بديل مفهومي مناسب يعكس الرؤية السوسيرية التي كانت تتقصى الظاهرة اللسانية في جميع أبعادها التصورية، في مقابل مصطلح الثنائية الذي يشي بالتضاد والتقابل وهو عكس تصريحات الأستاذ، يعود مرة أخرى في فقرات الكتاب إلى استعمال مصطلح الثنائيات كبديل للازدواجية.
- إن منهج والغاية من هذا الدراسة جعل الباحث يتوغل في التجريد لتقديم الملامح والسياق الذي تشكلت فيه هذه المفاهيم في الوعي السوسيري.

4- قراءة في مقال "دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول لمصطفى غلفان

"دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول لمصطفى غلفان ، الصادر عن مجلة أنساق في فبراير 2018،

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

تطرق في هذه القراءة إلى جوانب التلقي في نشرة 1916 وذلك بترقب حجم التعديلات والتحويلات التي مست النص الشفوي، فأخرجته أو لم توفق في فهم مقاصد الأستاذ في نطاق معين، هذا الارتباك الذي مس جوانب أساسية في اللسانيات العامة، دفع المجتمع العلمي إلى وصفه بالجريمة الشنعاء التي اقترفها الناشران في حق أستاذهما، وفي هذا المقام لا يوجد أحسن من مقولة جاكبسون التي تختزل كل كلام قيل في حجم التعديلات التي مست المنظومة الفكرية للأستاذ، لقد كان هناك تغيير في الأسلوب، فعندما يضع سوسير علامة استفهام، يضع الناشران نقطة نهاية، وبذلك تحول السؤال إلى معتقد.¹ أما الحقيقة فإنهما كانا ضحية اختلالات فيلولوجية أدت إلى سوء فهم في تصورات الرجل، هذا ما دفع غلفان إلى تقصي جوانب هذا الغموض والتناقض في النشرة في ضوء المقاربات الفيلولوجية، وقد تطرق إلى هذه القضية بشيء من التفصيل في كتابه "لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد" في فصل سراب التجانس.

ثانيا- منشورات علمية قدمت لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته

1- من أهم المنشورات العلمية المعاصرة التي عملت على مواكبة مستجدات الثقافة اللسانية الغربية نجد مقال بعنوان "زعموا أن سوسير بنيوي" لمبارك حنون منشور في نيزبان في 2019، باحث الأستاذ المغربي فكرة متجذرة في المنجز اللساني العربي منذ عهد معرفتنا بسوسير ولسانياته العامة، وكانت المسألة التي عمل على تقويضها تقضي بكون الرجل ليس بنيويا بل هو في الحقيقة باحث في اللسانيات العامة، اهتم بلسانيات اللسان ولسانيات الكلام وبذلك يكون بنيوي وغير بنيوي، بفتح المجال أمام هذا اللون من الدراسة هو بذلك في عودة تأصيلية اكتشافيه للمشروع السوسييري، وذلك بتقديم مراجعة نقدية للقراءات أحادية الجانب.

¹-فرانسوارا راستييه، أن نقرأ نصوص دي سوسير، نقلا عن محروس السيد بريك، التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء المخطوطات المكتشفة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، الجزائر، المجلد 10، ع 2، 2017، ص 1316.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

2- "راهنية سوسير من خلال برنامج السوسيرية الجديدة" لمحمد الملاح ، وهذه الورقة

البحثية قراءة جديدة في الفكر السوسيري في سياق القراءات الجديدة للسانيات المخطوط، والتي أسفرت عن ظهور قطبين أساسيين غيرا رؤيتنا للسوسيرية الجديدة، يروم القطب الأول إقامة مسافة نقدية مع نص الدروس فيما يعرف بالفيلولوجية، أما القطب التأويلي فيعمل على تقديم فهم جديد لتعاليم الأستاذ وذلك بإعادة قراءة تراعي السياق التاريخي والمعرفي، كل هذه المسالك لغرض ترهين هذا الفكر المنفتح على إشكالات معاصرة في الدرس اللساني، ومدى نجعته في حل الأزمة التي عرفها المشهد المعرفي في مجال اللسانيات والعلوم المعرفية.

المبحث الثاني: الكتابات المغربية التي عملت على ترجمة لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته

أولاً:ترجمة مقالات ضمن كتاب العودة إلى سوسير:

1- وكانت أولى الترجمات من تقديم عبد الجليل محمد الأزدي ويوسف الإدريسي، لأجيرداس جوليان غريماص "راهنية سوسير"، وهذا العمل بمناسبة الذكرى الأربعينية لصدور النشرة، ويناقش فيه الباحث سبب تجاهل اللسانيات الفرنسية المقولات السوسيرية ورفضها لكل ما جاءت به مدرسة جنيف، وسبب كل هذا الوفاء لتعاليم النحو التاريخي، ظل اللسانيين الفيلولوجيين متمسكين بمواقف مسبقة رافضين التفاعل الحاصل بين المناهج البنيوية والتاريخية والغنى ال ذي أضافته على بحوثهم، وتجاوز حدود هذه النهضة من الدرس اللساني إلى استثمارها في العلوم الإنسانية.

2- وكانت المداخلة الموسومة بـ "النظر إلى الورا لروية الآتية: إعادة اكتشاف

سوسير" لوليم ج كاراسكو، ترجمة محي الدين محسب ، يحدثنا كاراسكو في هذا البحث عن أصل التجربة السوسيرية، والجو المعرفي الذي سطر في سياقه تصوراته الثورية، يحدثنا كذلك عن الأسئلة التي كانت تورقه، والإشكاليات التي كان لابد من أن

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

يصل فيها إلى حسم ليكون كل شيء منسجم، يحدثنا عن الاعوجاج الذي كانت تسير في نهجه الدراسات اللسانية والنظرة النقدية الفاحصة التي كانت تشك في كل المعطيات، يعيد تقديم مفاهيم أساسية في فكره بقراءة للمصادر المخطوطة، ورغم مشقة فهم التوقيعات المبتورة والتي تفتح المجال الواسع أمام العديد من التأويلات، فإن الباحث يجد في هذه الصعوبة الحافز الحقيقي للعودة إلى سوسير الذي سيقودنا إلى فتوحات جديدة.

3- "بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات" ورقة بحثية من تقديم سمون بوكي، ترجمة مبارك حنون، يعيب بوكي في هذا المتن عدم انشغال الباحثين بالمصادر المخطوطة التي تم إعداد وتنسيق كتاب المحاضرات في ضوء مضامينها، والذي لا يقدم لنا التصور الحقيقي ولا المغامرة الفكرية التي جعلت الأستاذ يضع الأسس الفلسفية لعلم اللغة، ويناقش المسألة التي ما فتأت التدوينات المعاصرة تقدمها كعتبة وكلوحة إشهارية للولوج إلى اللسانيات السوسيرية الجديدة وهي مؤامرة الصمت التي حفت بنشر المحاضرات بالقضاء على مشروع ميه ورو غار وهو المستمع الألع لنص الدروس، كل ذلك دعا الباحث إلى وصف عمل الناشر بأنه مجرد تلفيق، ويحدثنا على أن هذه الأعمال الشارحة التي فتحت مجال البحث أمام المسودات السوسيرية تجهلت تجاهلا تاما من 1957 إلى 1974 لأنها لم تكن كافية لتزيح من الأذهان الغموض التاريخي لتلقي هذه النشرة.¹

4- وكان لابد في هذا السياق من الترجمات التطرق إلى أفضل قارئ لسوسير وهو فرانسوا راسيتيه الذي فتح مجال جديد لمحاورة الفكر السوسيري في بحثه الموسوم بـ "سوسير في المستقبل - كتابات مكتشفة وتلقيات جديدة مدخل إلى إعادة قراءة سوسير -"، ترجمة حافظ إسماعيل علوي وحسن المودن، ينطلق الباحث من قراءته

¹ - ينظر: سمون بوكي، بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تر: مبارك حنون،

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

للفكر السوسيري من نص الكتابات دون المرور على الطقوس المقدسة من قبل السوسيريين الجدد والتي تتمثل في البدء من نص المحاضرات، باعتباره الإنجيل المقدس الذي لا يمكن رغم التلفيق الذي كشفت عنه التحريات من تجاوز سطوته ونفوذه على الدرس اللساني سواء الحديث أو المعاصر، ويتجاوز فراسسوا أيضا دفاتر الطلبة التي اعتبرت من المصادر الأصلية التي تعتبر من المسالك الضرورية في وقتنا الحالي لفهم عبقرية الرجل.

5- اتخذ فرانسسوا نهجاً مخالفاً تماماً فعمل على استتطاق ومحاورة فكر سوسير بسوسير نفسه مباشرة دون أي واسطة يمكن أن تشوش على الهدف وهو جعل سوسير يتكلم، ورغم هذا النهج الجديد والمتفرد إلى أن العملية لا تخلو من ريبة التأويل الذي يخضع بالضرورة إلى النزعة الإيديولوجية حول سوسير المصور، عمل الباحث في هذا المجال على الكلام عن المفاهيم التي وضعها سوسير لتجاوز الأنطولوجية الأرسطية والتأسيس لفلسفة اللغة وفي ذلك إخضاع اللغة إلى المنطق الفلسفي.

6- أما رولان بارط فقد نشر مقال موسوم بـ "سوسير الدليل والديمقراطية- قراءة سياسية"، ترجمة عبد الجليل بن محمد الأزدي، يتدارس الباحث في هذا المقال فكرة التماثل التي طرحها سوسير ضمن النسق التصوري للظاهرة اللسانية، ويجسد التماثل عنده كينونة اللسان، فهو الوسيلة الناجعة للإبداع والخلق، وفي هذا تجاوز للرؤية التي كانت تقتصر على دراسة الأصوات، فلم يعد ينظر إلى اللسان من منظور الاشتقاق لكن من مبدأ التماثل، لقد كانت مسألة اعتبارية الدليل تروق سوسير لأنه يفتح المجال أمام الزمن والفوضى والموت في النسق اللساني، وهذا ما دفعه إلى وضع قاعدة التماثل والقيمة لضمان البقاء والاستمرار.

7- "رد ياكبسون على محاضرات سوسير" مقال لـ "لادسلاف مطجكا"، ترجمة ربيعة العربي، إن هذا المقال محاولة للوقوف على إسهامات النظرية السوسيرية في تحديد منظور رومان ياكبسون التصوري، هذه المقولات أيضا كانت موضوعاً للنقد الشرش

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

من قبل الروسي، الذي لم يستغ كل الإجراءات المنهجية التي جاءت بها المنظومة السوسيرية، ومن النقاط الضعف التي نعر منها الروسي هي الفصل بين الجانب الآني والتاريخي، هذا الفصل الوهمي الذي لا يمكن تفعيل آلياته في الدراسة الفعلية التي تتطلب تفاعلا متبادلا بين الحقلين، وتوحيد في الرؤية بين المنظورين.

8- "القطيعة السوسيرية" لكلودين نورمان، ترجمة عبد الرحيم حميد، يتناول هذا المقال القطيعة الإبستمولوجية التي أحدثها التداوليون مع السوسيولسانيون في الستينيات، ومع ذلك يبدو أن سوسير الأصل لم يتم تجاوزه بعد، وهو يتطلب المزيد من الجهد لإعادة قراءاته وتحليل المخطوطات وتقييم جدة تصوراتها.

9- ومرة أخرى بحث لفرانسوا راستيه "أن نقرأ نصوص دي سوسير"، ترجمة حسن المودن وحافظ إسماعيل علوي، يناقش فرانسوا في هذا المقال حقيقة كثيرا ما نوه إليها مختار زواوي في كتاباته السوسيرية وهي إلى الآن لا تزال منتهجة في قراءة سوسير عبر نص المحاضرات، ورغم جهود كبار الفيلولوجيا الذين أكدوا على ضرورة تجاوز نص المحاضرات الصارخ بالتناقضات، لا يزال هذا النص عند الكثير يمثل المتن الأساسي والوحيد لقراءة المنظومة السوسيرية، وعمل في هذا البحث على مناقشة المشكلات الهيرمينوطيقية التي يطرحها لنا المتن السوسيري، لإضافة فصل آخر إلى الأسطورة على حد تعبيره.¹

10- وكان عنوان هذا البحث "هكذا تكلم سوسير أو كما يبدو أنه تكلم - يوم من حياة سوسير - " لجورج موان، ترجمة عبد القادر فهم شيباني، لتوضيح الاختلاف الحاصل بين دفاتر الطلبة التي استند إليها بالي وزميله في عملية الإعداد والتنسيق وبين نص المحاضرات نفسه، عمد موان نفسه بالاستناد إلى الملاحظات التي سجلها الطلبة الأربعة وهم: ريدلينغر، وبوشاري، وغوتيي، والسيدة سشهاي، إلى جعل سوسير

¹ - ينظر: فرانسوا راستيه، أن نقرأ نصوص سوسير، تر: حسن المودن وحافظ إسماعيل علوي، ص 448، 449.

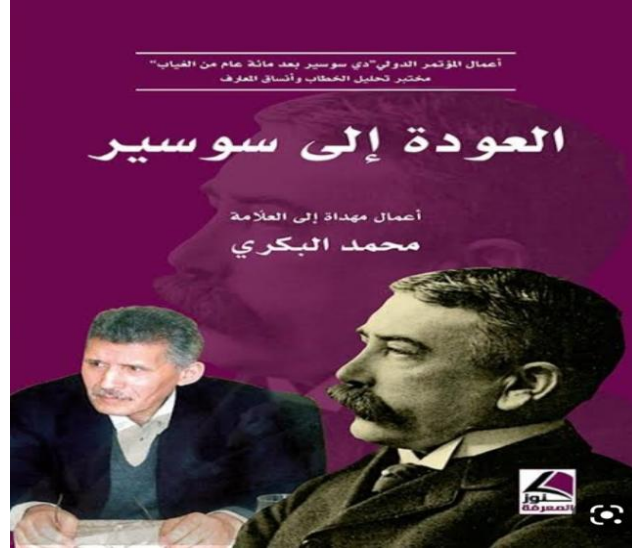
يتكلم أو جعل القارئ يعيش افتراضيا يوما من هذه المحاضرات، وذلك بتقديم المحاضرة الثانية الممتدة بين سنتي 1908 و1909.

ثانيا - قراءة في مقال العودة إلى سوسير ليونغ هو شي

قال اللساني المغربي محمد الملاح بترجمة مقال متميز ليونغ هو شي "العودة إلى سوسير"، الصادر عن مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، يجدد يونغ هو شي في هذا البحث النقاش حول رهنية المعرفة السوسيرية، التي مازلنا نبحت عن الطابع الإشكالي لأسئلتها هذا الأمر الذي فتح المجال أمام الهيرمنيوطيقة، كل هذا يدعونا إلى العودة إلى منبع التجربة وليس إلى الأصل التاريخي؛ أي تجاوز الأنموذج لمقاربة سوسير نفسه، الذي هو في الحقيقة غير قابل للتحديد الدقيق، ويرجع ذلك لعجزنا عن جعله يتكلم - الغياب المستمر لنقطة التقاء -، ففي سياق القراءات التأويلية أصبح كل قارئ فيلولوجي يقدمه وفق تصوره الخاص، وفي هذا النهج استحضار لجهود الناشرين التي انطلقت من تأويل خاص حسب ما هو متوفر، هذا ما دفع بالباحث إلى وصف هذا السجال الكاذب بالفراغ، لأنها عودة إلى أصل التجربة وليس إلى صورة الرجل الحقيقي.

المبحث الثالث: احتفاء المغرب بالسانيات السوسيرية الجديدة

أولا - قراءة في كتاب دو سوسير بعد مائة عام من الغياب - العودة إلى سوسير -
تقديم حافظ إسماعيل علوي وعبد الجليل الأزدي:



1- الوصف الخارجي:

هذا الكتاب عبارة عن أعمال مؤتمر دولي جاء تحت عنوان (دو سوسير بعد مائة عام من الغياب)، من تنظيم مختبر تحليل الخطاب وأنساق المعارف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض بمراكش، وتم إهداء هذا العمل إلى العلامة محمد البكري، وكان الإعداد والتنسيق من تقديم حافظ إسماعيل علوي، وعبد الجليل الأزدي، صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في 2017، عن دار كنوز المعارف، والكتاب ذو حجم كبير احتوى على 479 صفحة.

جاء البناء التصميمي لواجهة الغلاف ساطعا في فضاء اللون البنفسجي الذي يعكس قوة ونفاذة الشخصيات الحاضرة على الغلاف، وذلك بالعمل على ترهين الفكر السوسير من خلال المصادر الأصول التي فتحت المجال أمام عودة جديدة لعبقرية هذا الرجل، كذلك تكريم جهود العلمية للعلامة محمد البكري.

2- ناصية التقديم:

يوضح المنسقان الغرض من هذا المؤتمر الذي نظم للاحتفال بالذكرى المئوية لسوسير، وكذلك لتكريم فضيلة العلامة الدكتور محمد البكري، الذي تم تضمين سيرة بأهم جهوده العلمية، وكان اشتغال أعمال المؤتمر على ترهين فكر سوسير، وذلك عبر إعادة قراءاته مجددا، وهذه الأعمال تجمع بين الكتابة والترجمة.

3- وكانت المداخلة لأولى في هذا العمل من تقديم د عبد الرزاق بنور بعنوان "حول إمكانية مقارنة إبستمولوجية للسمياء -سيميوطيقا بورس أم سيميولوجيا سوسير"، عمل الباحث على مقارنة النظرية السيميائية وهو على وعي بالازدواجية التي تختص بها، فهي على حد تعبيره « الموضوع والمقاربة وهي الواصفة والموصوفة، وهي النظرية والإجراء».¹

هذه الازدواجية تتطلب معالجة إشكالية تأرجح السيمياء بين كونها علم العلوم أو رافد لدراسة العلوم؟، هذا السؤال الذي عمل الباحث على تقديم جواب شاف له، فعمل كخطوة أولى وكإجراء منهجي على تحديد مهمة الإبستمولوجيات من ضبط للتسمية وتحديد للأبعاد والأهداف والمبادئ العامة، وتقديم للسميائيات واستخلاص للخصائص المشتركة بين البحوث السيميائية.

فعالج بادئ الأمر إشكالية التسميات عند كل من سوسير الذي تشكلت لديه في سياق البحث اللساني مرتبطة في ذلك بالبنوية، أما بورس فقد صاغها وفق الرؤية الفلسفية المنطقية، وهذا الاختلاف أفضى إلى اهتمام المقاربة السوسيرية بكل ما هو نظامي ووظيفي، ودعا بورس إلى التخلي عن هذه المقابلة ووضع مبادئ للسمياء عامة، وذلك بتعميم المظاهر الخاصة، وليس تبريرا خاصا لغياب دلالة عامة.

¹ - عبد الرزاق بنور، حول إمكانية مقارنة إبستمولوجية للسمياء -سيميوطيقا بورس أم سيميولوجيا سوسير؟، أعمال

المؤتمر، دار كنوز المعارف، 2017، ط1، ص13

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

قام بتحديد أبعادها وذلك بتحديد مكوناتها الأساسية، وضبط للمصطلح الذي هو عرضة للتكثيف ولد نوع من اللبس، وأضعف من كل حظوظ السيمياء في إبقاء كل شروط المواصفات الإبستمولوجيا والارتقاء إلى درجة العلمية، وأنتج لنا نظرية تهدر المصطلح.

لعل من العوائق أيضا التي حالت دون استقلال هذا المجال هو ارتباطه بمجالات علمية أخرى، فهو عاجز إلى يومنا هذا عن إقامة قطيعة إبستمولوجية، مما أدى إلى انعدام موضوع محدد لها يقيد حدود مجالها ، وإذا انتقلنا إلى العنصر الآخر نجد أن السيمياء عاجزة أيضا على استيفاء مطلب تحديد المجال فهي على حد تعبير الباحث «عاجزة عن رسم حدود تقيد العلامة وتميزها عما يمكن كذلك»¹

كما تطرق إلى الأهداف التي يشكك البعض في وجودها، وكان العمل على إقامة سيمياء نظرية ردع لهذه الشكوك، لأنها وحدها الكفيلة بتفصيل الأهداف.

كما تعرض إلى السيمياء وتوطين المعنى، هذه المسألة التي أثارت الكثير من الجدل بين من يعتبر أن المعنى يهم العلامة لأنها حاملة للدلالة، وبين من يميز بين الدلالة والمعنى، ويعتبر أن المعنى سياقي بالدرجة الأولى.²

فتح هذا الأمر الجدل بين من يتصور العلامة خارجة عن سياق الاستعمال وهذا ما أدى إلى ظهور سيمياء بديلة تتجاوز مقومات السيمياء الكلاسيكية، وتثبت أن العلامة تكتسب قيمتها ضمن السياق الثقافي، ولا سبيل للحديث عن العلامة خارج سياق الاستعمال، وهذا ما يعرف بالسيمياء الاندماجية.

4- أما المداخلة الثانية فكانت من تقديم عز الدين مجدوب بعنوان "تطور نظرية العلامة اللغوية بعد سوسير" ، هذا العمل عبارة عن دراسة إلى ما آت إليه نظرية

¹ - ينظر: عبد الرزاق بنور، حول إمكانية مقارنة إبستمولوجية للسيمياء، ص35

² - ينظر: عبد الرزاق بنور، حول إمكانية مقارنة إبستمولوجية للسيمياء، ص48.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

العلامة اللغوية بعد نشر كتاب المحاضرات، وذلك بالتدقيق في التعديلات التي أجريت على التصور السوسيري لإقامة نظرية علمية دقيقة تستوعب تنوع¹ واختلاف جميع الألسن، فجعل البداية مع نظرية هلمسليف التي انطلق فيها من المقولات السوسيرية وقام بإعادة صياغة جديدة للمصطلحات، كم اعتمد على نظرية الفونيم التي وضعها نيكولاي تروبتسكوي، وكان فحوى نظريته أن كلا من الدال والمدلول يتكون من مادة وشكل «ولا يمكن بناء الوصف اللغوي بالاعتماد على مادة الدال ولا على مادة المضمون بشكل منفصل، بل يكون بالاعتماد على ترابطهما»¹

يشمل هذا الاختلاف الجانب الصوتي والصرفي والتركيبى، أما في جانب المدلول فعمل على إثبات اختلاف الألسن في تحليل التجربة البشرية وذلك بالوقوف على نظام الألوان، ونظام الضمائر، ثم ذهب إلى تقديم نظرية فريغه في تدقيق العلامة اللغوية إلى المدلول والمعنى والمرجع «إن المعنى هو علاقة ووحدة لغوية أخرى داخل نظام لغوي معين، أما الإحالة فتتعلق بعلاقة قول تام بالعالم الخارجي ضمن استعمال محدد، ولذلك يمكن أن تختلف وحدتان لغويتان من حيث المعنى ولكن تتفقان في الإحالة»²

كما قدم لنا نظرية إيغور ملتشوك التي تنطلق من المتكلم لدراسة اللسان، وهو بذلك انطلق من المدلول إلى الدال، ويرى أن اللسان يخض لقيود في تأليفه لا يمكن تحليلها إلا بالمدلول ولا بالدال، وفي هذا التصور تقديم جديد لاعتباطية العلامة، وفي الأخير قدم لنظرية جوزيف غرينيرغ التي قامت بتعديل الاعتباطية الجذرية وذلك بوضع مفهوم الكليات الاستلزامية.

5- وكان المقال التالي من توقيع نعيمة سعدية"فردينان دو سوسير ودوره في توسيع الدرس اللساني المعاصر - آفاق لسانيات الكلام-" تذهب الباحثة إلى القول بأن

¹ - عز الدين المجذوب، تطور نظرية العلامة اللغوية بعد سوسير، ص 63

² - عز الدين المجذوب، تطور نظرية العلامة اللغوية بعد سوسير، ص 73

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الاتجاهات التي درست الظاهرة اللغوية كان ميلادها الحقيقي مع التفرقة التي أقامها سوسير بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام هذه التفرقة التي أنتجت لنا لسانيات النص ولسانيات الخطاب ولسانيات الملفوظ والأسلوبية.. إلخ، متجاوزة بنية الجملة الصغرى إلى البنية الكبرى التي هي النص، الذي أصبح موضوعا مستقلا بذاته.

عملت على دراسة امتداد لسانيات الكلام في نظرية هلمسليف الذي يعتبر أحد مؤسسي لسانيات النص، والذي أصبح منطلقا وغاية عملية الوصف، فعمل من خلال نظرية المنظوماتية على تقديم منهج إجرائي منطقي، يمكن من فهم النصوص من خلال عملية الوصف الشامل المحكم والبسيط، وبفضل هذه الأبحاث ظهرت أشكال جديدة في اللسانيات المعاصرة منها الأسلوبية والسيمياء ولسانيات التلفظ والسيمياء التي هي من إنتاج لسانيات الخطاب، ويعود الفضل في ظهورها إلى ثنائية سوسير.

6- أما المقال الذي نحو بصدد قراءته فهو من تقديم باحث تونسي وهو عبد الفتاح الفرجاوي "الحدث اللساني في دروس سوسير"، يمكن تصنيف هذا المقال تحت بند البحوث التمهيدية الشارحة للمفاهيم السوسيرية، عمل الباحث على تقديم المنهج العلمي الإجرائي والبعد النظري العام في نظريته وفق ما هو موجود في كتاب المحاضرات، ولتوضيح نوعية النقلة التي أحدثتها السوسيرية، قام بتقديم البدايات الفعلية للدرس اللغوي والملح المميز لكل مرحلة، مع توضيح عميق لنظريته والهزة العنيفة التي أحدثتها في القرن الواحد والعشرين، كما عرض أهم التيارات اللسانية التي جعلت من كتاب المحاضرات إنجيلا للدرس البنيوي.

7- "خبايا كتاب محاضرات في اللسانيات العامة آلبرت سيشهاي وشارل بالي في قفص الاتهام" هذا المقال من تقديم الباحث الجزائري عبد القادر فهم شيباني، يستشعر القارئ لعنوان المقال أن هذا الموضوع هو أول ما نصادفه في أعمال المؤتمر التي انبرت للتشكيك في كل ما هو بديهي ومسلم به في نص المحاضرات، الذي هو

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

في الأصل من تحرير محررين لم يكونا من المستمعين المباشرين لهذه المحاضرات، ومستقى من مصادر غير متجانسة.

وللتدليل على التناقض الحاصل في متون الكتاب عمد الباحث إلى توضيح عجز الناشرين عن تأويل مقاصد الأستاذ والحفاظ على تصوره الأصيل، وذلك بتقديم فهرسة للعمل والاستبدالات المصطلحية... إلخ، وفي هذا الإطار استحضار للجهود الفيلولوجية التي سعت إلى العودة إلى سوسير الحقيقي في ضوء ما توفر لهم من دفاتر الطلبة ومسودات الأستاذ، التي هي عبارة عن عملية أولية من الكتابة، ونجد أن الباحث لا يجحد جهود بالي وزميله الذي لولاهما لطوا النسيان صفحة سوسير من التاريخ، ومع ذلك لا بد من إعادة قراءة لفكره في سياق المصادر الأصول.

8- "السانيات الجغرافية في النص السوسيري، ما بقي منها؟ مقارنة تأصيلية في

أعراف التأسيس وضوابط الإجراء" من تقديم نعمان عبد الحميد بوقرة، تكشف لنا هذه الورقة ضوابط اللسانيات الجغرافية في الفكر السوسيري هذا الإنجاز الذي استفادت منه أوروبا أيما استفادة، نجد أنه لم يحقق ذاته ولم يجد طريقه إلى الآن في المنجز العربي، وقد حاول الباحث استطرار أهم الركائز في مسيرة اللسانيات الجغرافية وأنساقها المعرفية والمنهجية والإجرائية، وما يمكن استثماره في بناء أنموذج نظري قابل للتنفيذ في اللسانيات العربية.¹

عمل على تقديم اللسانيات الجغرافية قبل سوسير وبداياتها الفعلية مع فنكر وجيل جيلرون، كما عالج هذا الموضوع عند سوسير في نظريته اللغة واللسان والتي اعتبرت النواة للسانيات الجغرافية الوصفية، فاشتغل على وصف وتحليل اللسان المتكلم به بالمكان، ويرجع سوسير عامل التطور إلى عامل الزمان بالدرجة الأولى، ثم يأتي

¹ - ينظر: نعمان عبد الحميد بوقرة، اللسانيات الجغرافية في النص السوسيري ما بقي منها؟ مقارنة تأصيلية في أعراف التأسيس وضوابط الإجراء، ص 162.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الحديث عن عامل المكان كفاعل في هذا التغير، واستند الباحث إلى قراءة آراء ماري بوباي كأنموذج للسانيات الجغرافية بعد سوسير، ومن الملاحظات التي سجلها فقر الدراسات العربية والمشاريع العلمية في هذا الجانب الذي يسهم في توضيح العديد من المسائل التي تمس اللسان العربية.

9- أما مقال عبد الجليل محمد الأزدي " إمبريالية البنية وإمبراطورية الدليل مردودية البنيوية وحدودها في حقل النقد الأدبي " عالج فيه تضخم مفهوم إمبريالية البنية في جميع العلوم الإنسانية وخاصة في الخطاب الأدبي، ويعلل هذا الأمر بتوسع الرأسمالية الدولة الاحتكارية في العالم، كما أن البنية مخصصة بذلك الأمل في الوصول إلى جديد المعرفة، وذلك بالتحول في طبيعة الموضوع للوصول إلى الوحدة المفاهيمية المنسجمة، وقد أدى تبني شعار إمبريالية البنية وإمبراطورية الدليل إلى تهميش الذات، وذلك بإلغاء دور المؤلف من النص الأدبي المنتج له، ويفسر هذا مرة أخرى بالتحولات نحو الإمبريالية التي عملت على التقليل من قيمة الذات الإنسانية في هذا التصور البنيوي، مناهضة للنظرية الرومانسية، كما عمل على دراسة النص الأدبي بالأديولوجيا وعلاقة الأدب بالتاريخ.

11- يصادفنا في هذا السياق مداخلة د محي الدين محسب "خطاب اللغة في الأدب وتحولاته الأبنيمولوجية"، يستدعي الباحث التصور السوسيري لمناقشة قضية اللغة في الأدب باعتباره مرجعاً مباشراً للثورة التي أحدثت في نظرية اللغة ونظرية الأدب لدى كل من الشكلايين والبنيويين والأسلوبيين والسيمائيين وفي هذا الأمر سعي إلى إعادة رسم خريطة هذه القضية بدءاً بتوضيح مقولات سوسير في بحوث الحكاية الخرافية والجناس التصحيفي التي احتوت على قيم سيميائية.

تتلخص رؤيته للأدب في أنه لا ينفك يقيم جسور تواصل مع الكتابة، كما أن خصوصيته جعلته غير خاضع للتعاقبية ولا ملتزم لقانون الخطية، وللإحاطة بطبيعة اللغة بالأدب عمل على تقديم العلاقة التاريخية بين اللسانيات والنقد الأدبي، والتي

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

تتميز بمرحلتين، المرحلة الأولى وهي مرحلة (العلاقة / الهوية)، حيث كان ينظر إلى اللغة الأدبية على أنها مصدر قواعد اللغة، أما المرحلة الثانية فهي العلاقة العلمية والمنهجية مع الأساليب التعبيرية والتي هي امتداد لتصورات اللسانيات والشعريات اللسانية، وذلك بدراسة العناصر القارة في النص الأدبي، التي تمنحه خصوصيته؛ أي تشخيص نظامية الأدب.

10- أما مقال النظام اللساني وآلية عمله من تجريدات سوسير والبنويين إلى تحقيقات التلفظيين فهو من تقديم الطيب ديبة، وبما أن مفهوم النظام يعتبر الوحدة المركزية والمفهوم المحوري في اللسانيات البنيوية، والذي كان السبب المباشر الذي مهد للانتقال من لسانيات اللسان إلى لسانيات الكلام وظهور لسانيات التلفظ، عمل الطيب دبة على تقديم مفهوم النظام وآليات عمله لدى سوسير أولاً، ثم لدى اللسانيين البنيويين الذين عكفوا على الاستثمار الإجرائي لهذا التصور.

قدم لنا بادئ الأمر أفضل قارئ لسوسير الذي تجاوز ما قدمه الأستاذ وذلك في معرض حديثه عن أهمية المحتوى في اللسانيات، والذي رأى فيه تحديد جديد لمفهوم النظام، وهو أنسب لبيان حقيقة الكيان اللغوي من خلال اعتباره مجموعة من الصور، أما أندري مارتني فعمل على استثمار هذا المفهوم في المجال التطبيقي وذلك بالدراسة الوظيفية للوحدات التركيبية، في ظل العمل بمبدأ الملازمة التواصلية، وكان أكثر من استثمار المنهجية السوسيرية هم لسانيو حلقة براغ بدراستهم للنظام الفونولوجي، والجامع بين هذه المدارس « هو دراستهم لمفهوم النظام واشتغالهم بأدوات عمله اللساني بما يسمح باستخراج النماذج اللسانية المجردة المختزنة في الواقع اللغوي الجمعي لأي مستوى من مستويات اللسانيات التي يدرسونها».¹

¹ - الطيب ديبة، النظام اللساني وآلية عمله من تجريدات سوسير والبنويين إلى تحقيقات التلفظيين، ص 296

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

عرض للنظرية التلفظية وقوفا على الخلفيات المنهجية والأبعاد الإبستمية في قضية النظام، مع ضرورة الانتقال من اللسان إلى الكلام، وقد بدأ هذا التحول اللساني مع أسلوبية بالي الذي انصرف إلى دراسة المظهر الانفعالي النفسي للسان، وفي ذلك تجاوز للنظرية سوسير المجردة المغلفة إلى التحقيق الفعلي للنظام، ويحدثنا في هذا الإطار عن مؤسس هذه النظرية وهو بنفنيست الذي قدم ثنائيات الملفوظ والتلفظ، وفي ذلك رد على من يزعم باستحالة استخلاص قوانين الملفوظ انطلاقا من التلفظ، وهي دعوة إلى دراسة التلفظ في سياق الملفوظ، وهذا المقال بسط موجز للتحول المعرفي في موضوع اللسانيات وظهر النزعة الجديدة.

12- أما حافظ إسماعيل علوي فقدم ورقة بحثية بعنوان "ترجمات المحاضرات في اللسانيات العامة في ميزان النقد" وهذا المقال باختصار عبارة عن تقديم للترجمات العربية الخمس، بالإضافة إلى المراجعات النقدية التي دونها كل من حمزة بن قبلان المزيني، وعبد السلام المسدي، وعز الدين المجذوب.

وننتهي بهذا المقال من مجموعة الكتابات العربية التي عالجت جوانب مختلفة من متاهات الفكر السوسيري.

13- ملاحظات حول الكتاب:

- جاء في واجهة العنوان كلمة مئة مكتوبة وفق الشكل التالي (دي سوسير بعد مائة عام من الغياب)، والأصح لغويا كتابتها وفق الشكل التالي (مئة)، أمام ما هو معمول به في العنوان فهو نهج قديم في التوثيق لكي لا يختلط على القارئ الشكل مئة ومنه، لذلك تم إضافة حرف مد إلى الميم لتفادي أي لبس، ولكننا الآن وبالاتماد على أحدث آلات الطباعة لسنا بحاجة إلى هذا الإجراء في الكتابة.

- يبدو من عنوان المؤتمر أن هذا العمل هو احتفال بالذكرى المئوية لصدور كتاب المحاضرات لسوسير، تم تنظيمه يومي 13-14 أبريل 2017، في حين أن مئوية

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

سوسير تم الاحتفال به من قبل أغلب مراكز البحث العالمية في 2016 هذا التاريخ الذي يوافق 100 عام بالضبط على إصدار النسخة الشائعة.

- إن ما يلفت الانتباه في مداخلة عبد رزاق بنور في تقديم السيميائيات عند سوسير انه يقتصر على المفهوم البسيط والمختزل الذي تم تقديمه في متن المحاضرات، والذي كشفت الطبعة النقدية عن قصوره الكبير في الإلمام الكلي بالبعد النظري والإجرائي لمفهوم السيمياء في تدوينات الرجل، كما يبدو أن الباحث لا يزال يرادف بين سوسير و العبارة الختامية للنشرة.

- نلاحظ أن مقال سعدية نعيمة والذي اتخذ من التفرقة التي أقامها سوسير بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام الموضوع الرئيسي لهذا المقال، وذلك بجعله الأفق الذي مهد للانطلاق من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، سوى أنها درست هذه المفاهيم المركزية في التصور السوسيري وفق المعادلة الغامضة التي لا تخلو من تلفيق الناشران.

-إن القارئ لمقال عبد الفتاح الفرجاوي يشعر أنه في حقبة الستينيات والسبعينيات يأت القرن المنصرم، فمقاله لا يعد أن يكون مجرد تكرار للبحوث التي عملت على تمثيل فكر الأستاذ من مستندات المحاضرات، وذلك بالشرح والتفسير، وهو حسب رأينا لا يجد له مكان في عنوان المؤتمر الذي هو عودة إلى فكر السوسيري الأصيل في سياق المخطوطات والتوقيعات الحقيقية، في حين أن هذا المقال اجترار أو عودة إلى قديم مستهلك، عودة إلى فكر تحوم حوله كل أنواع الشبهات.

- لم يحتوي مقال حافظ إسماعيل علوي ترجمات محاضرات في اللسانيات العامة في ميزان النقد على ببليوغرافيا.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

-من الملاحظات التي يمكن تسجيلها في المقال المترجم لوليم.ج. كاراسكو هو الخل في ترقيم الصفحات، كما أن هذا النص المترجم مبتور، فالجملة الختامية جاءت كآلاتي» وهناك تواز آخر بين الثنائيتين في هذه السلسلة من الرسوم التي تبدو.¹

-إن القسم الذي خصص للكتابة جاءت أغلب مقالاته التي دونت ضمنه دراسة للمبادئ اللسانية التي سطرت لنا الدرس اللساني والنهضة في العلوم الإنسانية وفق الإجراء البنيوي، ورغم أن هناك مقالات أشارت إلى حركة السوسيرية الجديدة غير أنها لم تستند إلى أساسيات الموضوع، بل تقصت نص المحاضرات والمدارس اللسانية التي لم تخرج عن عباءة البنيوية في تقديم صورة سوسير، كما لاحظنا أن هناك مقالات اتخذت من سوسير عتبة أولية للمرور إلى الموضوع الأساسي، وكأن المقال لم يفرد ليناقد جانب من المغامرة الفكرية للأستاذ، بل جعلت منه بوابة من الإلزامي المرور عليه والبدء به للمرور إلى إشكاليات أخرى.

المبحث الرابع: الكتابات التونسية التي قدمت لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته

أولاً - قراءة في كتابات حسين السوداني

1- السيرة العلمية لحسين السوداني:

أستاذ مبرّر حاصل على الدكتوراه في اللسانيات من الجامعة التونسية بدرجة الشرف الأولى وعلى درجة شهادة الدراسات المعمقة بدرجة الامتياز، عضو فريق البحث في " تحليل الخطاب" ثم في مخبر " نحو الخطاب وتحليل البلاغة" بجامعة منوبة بتونس، أستاذ علوم اللغة بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس وجامعة تونس الافتراضية.

أنجز العديد من البحوث في اللسانيات، وله مشاركات علمية بالألسنة العربية والفرنسية والإنجليزية في علوم اللغة في جامعات عربية وفرنسية وبريطانية وألمانية،

¹ - ولیم کاراسکو، النظر إلى وراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف سوسير، تر: محي الدين محسب، ص404.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

واهتمام بتطبيقات علمي اللسانيات والسيمولوجيا انطلاقا من رسائل ماجستير أشرف عليها وبحوث أخرى أنجزها في سياق لسان الإشارات والترجمة، يرأس تحرير مجلة "الميزان والترجمة" الصادرة عن المركز الوطني للترجمة بتونس.¹

2-قراءة في كتاب أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي - التلقي العربي للسانيات-



2-1:تقديم محتويات الكتاب

صدر عن المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسية ضمن سلسلة "دراسات لسانية معجمية لسانية" كتاب للأستاذ حسين السوداني بعنوان " أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي - التلقي العربي للسانيات-"، صدرت الطبعة الأولى في 2019، وجاء حجم الكتاب متوسط يحتوي على 343 صفحة.

2-2 الوصف الخارجي

¹-حسين السوداني، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، تاريخ الاطلاع 2022-10-12 news.dohadictionary.org

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

جاء العنوان وفقا لما هو معمول به في العتبات السيميائية للصورة من ذكر لاسم المؤلف وإرفاق العنوان بجانبه في طليعة الغلاف باللون الأسود، وإرفاق دار النشر في الحاشية السفلية، لكن اللافت للانتباه والكاثر للنمط التقليدي في هذه التصميم هو بروز إطار يحتوي على صورة سوسير التي أصبحت منتشرة في الآونة الأخيرة، على أغلب المصنفات التي اهتمت بالنصوص الجديدة لدروسه والمراجعات الفيلولوجية، وقد جاءت هذه الصورة كقوس قزح من حيث كثافة الألوان التي تصدرت بها وخاصة اللون الأخضر الباهت.

أما وجه سوسير الذي كان مسرحا لتراقص هذه الألوان فإن اللون المسيطر كان الأبيض الساطع، وكأن هذه اللوحة تعكس محتوى هذا العمل الذي جاء لدراسة التلقي العربي للسانيات السوسيرية وذلك عن طريق قراءة قنوات الهجرة المعرفة ودراسة تاريخ الأفكار التي تباينت من حقبة زمنية إلى أخرى وفق المستجدات الحضارية والمعرفية، كأن كل لون هو أيقونة مشفرة تختزل تمثيل البحوث العربية في فترة زمنية للتصورات السوسيرية.

أما اللون الأبيض الذي اكتسح باقية الألوان فهو المنهج الذي اعتمد عليه السوداني بين المزوجة بين مستويين من الاستقراء، جعل الأول للإمام بالملابس التي هيأت إطلاع الدارسين على النظريات وسياقات توظيفهم لها وكيفيات عرضهم لأسسها، هذا النهج أو المراجعة النقدية هي الكفيلة بتجسيد عمق الأثر السوسيري في البحث اللغوي العربي.

استهل الباحث كتابه بعد فهرس المحتويات، برصد تاريخي لأهم المحطات العلمية في حياة العلامة سوسير، و قدم لهذا العمل عبد السلام المسدي الذي كان مشرفا على هذا المبحث الأكاديمي، ويرى المسدي أن الموضوع المقترح يعتبر فتحاً غير مسبق

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

في حقل اللسانيات العربية، بل فتحا في مجال الكشف عن بعد جديد من أبعاد العلم وهو رحلته خارج حدود فضاء نشأته.¹

2-3 مقدمة عامة مدخل الى حوافر البحث وغاياته

ابتداء سوداني مقدمته بإبراز قيمة الفكر السوسيري في الدرس اللساني، ثم حدد السياق الذي يندرج فيه عمله البحثي وهو رصد الفكر العربي الحديث من البحث اللساني، وذلك عن طريق استقراء أثر سوسير في البحوث العربية، وقد أوضح المنهجية الإجرائية التي اعتمد عليها في هذا الرصد والتي تتمثل في مستويين، المستوى الأول هو المستوى الكمي والمقصود به التتبع التاريخي للفكر السوسيري في المصنفات اللسانية العربية.

أوضح السوداني في مقدمته أن رصد الأثر السوسيري لا يقتصر على الدرس اللساني بل يتجاوزه الى مجالات معرفية أخرى، وتم في المقدمة ضبط الحيز الزمني الذي يمتد من تاريخ صدور الكتاب الى أواخر القرن العشرين، وقد قرر الكاتب أن يخصص قسما في آخر الكتاب يتجاوز الإطار الزمني الذي حدده ليدرس فيه البحوث الناشئة التي أعادت تجديد النظر في المشروع السوسيري.

ثم تدرج السوداني الى الحوافر والغايات الحقيقية التي دفعته للخوض في هذا العمل من رغبة في مراجعة المعرفة، وهو حافز عام، أما الحافز الخاص فيتعلق بالفكر الغربي من جهة، وبقيمة الأثر السوسيري من جهة أخرى، أما الحافز الأخير والأهم هو الموقع التأسيسي للفكر السوسيري ضمن البحوث الغربية المعاصرة، ثم بين الأساس الذي أقام عليه دراسته، وذلك بالاعتماد على منهجية إحصائية تعتمد على الكتابات السوسيرية،

¹ - حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي - التلقي العربي للسانيات -، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2019، ص14.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

وكذلك الإحالات التي تشتمل عليها الدراسات اللسانية، معتمدا في كل ذلك على حسن التوزيع المعتمد في الزمان والمكان.

قام سوداني في هذا السياق بتقديم أعمال أنجزت في أواخر الثمانينيات وفق تتاليها الزمني، فعرض عمل ألفة يوسف (المساجلة بين فقه اللغة واللسانيات عند بعض اللغويين العرب المعاصرين)، كما قدم لعمل حلمي خليل (العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث)، كما ذكر ببحث عماد الحاج ساسي (فردينان دي سوسير عند اللغويين العرب المعاصرين)، وكان العمل الأخير الذي تحدث عنه هو لعبد السلام المسدي (ما وراء اللغة بحث في الخفيات المعرفية)، وقد خلاص سوداني بعد هذا الاستقراء الى أن الأثر السوسيري في البحوث اللغوية العربية المعاصرة تراوح بين صبغة التعميم وبين رؤية أحادية، وفي ظل هذه المراجعات جاء هذا العمل لمراجعة اثر سوسير في البحث اللغوي العربي، بالإضافة الى استقصاء حركة البحوث اللغوية انطلاق من رسم خريطة زمنية لتطورها واهم منجزاتها.

في الأخير قدم خطة بحثه الاستقرائية والتي اعتمد فيها على الرصد الزمني لأطوار تعامل اللغة مع الفكر السوسيري، وزواج في هذا العمل بين ثنائية الآنية والتي تعمل على دراسة مدى حضور المقولات السوسيرية في البحوث اللغوية خلال فترة زمنية واحدة، بين الزمانية التي تعمل على تتابع هذا الحضور في تعاقب مراحل الدرس العربي، وهذا ما سيحقق للبحث الدقة المنهجية والشمول في رصد الحركة التي تنتظم هذا الفكر.

قد اشتمل الكتاب على سبعة فصول وخاتمة، سنطرق الى مضامينها بشيء من الإيجاز.

2-4 قراءة في فصول الكتاب

أ- الفصل الأول: دروس فردينان دي سوسير بعد مئة عام

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

جاء الفصل الأول فصلا تأطيريا جعله سوداني مدخلا لرسم خريطة زمنية لما بعد ظهور سوسير، وجاء هذا الفصل التأطيري مقسما الى خمسة مباحث، تناول المبحث الأول الحياة العلمية لسوسير في فترة سادت فيها الدراسات التاريخية، وهذا المبحث يغطي المرحلة الألمانية من مشواره العلمي، أما المبحث الثاني فخصص لتقديم ملامح عن المشروع السوسيري من حيث صياغة مفهوم نظام اللغة، ويمكننا التواضع على تسمية هذه الفترة بالمرحلة الباريسية، ثم ينتقل السوداني للحديث عن أهم حلقة في هذه السلسلة وهي المرحلة الجنيقية التي قدم فيها الأستاذ أهم أفكاره الجوهرية، وعمل فيها على إرساء أرضية مفاهيمية لمنهج جديد في دراسة اللسانيات.

يرصد سوداني ثلاثة قرائن على سعي سوسير لإرساء هذا النظام الجديد وهي: أولا محاولة استجلاب مفهوم النظام من دوركايم، ثانيا ويتمثل في مجموعة من المراسلات بينة وبين تلميذه ميه والتي عبر فيها عن قصور المنهج التاريخي في دراسة الظاهرة، أما الدليل الثالث الذي يسوقه هي الاختلافات الجمة التي نشأة بين سوسير والنحاة الجدد في الكثير من القضايا اللسانية، والتي وصلت الى حد الخصومات الفكرية والسجلات السلبية، ويخلص الباحث من كل هذا الى أن فترة إلقاء الدروس في جنيف تمثل خلاصة المنظور السوسيري الحقيقي لقضايا اللغة¹

أما المبحث الثاني فجاء لتقديم كيفية انتشار دروس سوسير من الجامعة الى العالم، وذلك بعد نشر كتاب المحاضرات، وأشار الباحث الى أن أهم عائق كان السبب المباشر في تأخر الانتشار المبكر للمقولات السوسيرية خصوصته مع المدرسة الألمانية، التي سببت له الكثير من الأذى والجروح النفسية، لكن عوامل أخرى ساهمت في تخفيف القيود والرقبة الفكرية التي فرضها اللسانيون الألمان على النشر، وهي اختلاف انتماء من تتلمذ علي يديه، والذين كان لهم اثر في تأسيس حلقات لسانية تستثمر آراءه

¹ - حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 48

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

القيمة، وكان للشبان الروس اثر كبير في نشر أفكاره وتطويرها، وكانت هذه المعطيات هي التي جعلت اللسانيين يدركون العمق المنهجي في الطرح السوسيري، وأصبحت آراءه المحور الأساسي في المؤتمر الدولي الأول في اللسانيات الذي انعقد في لاهاي 1928.

بعد هذه الرؤية التي عمل فيها الباحث على توضيح الملابسات التي هيأت لتظل آراء سوسير مغمورة، جاء المبحث الرابع لدراسة اثر سوسير في البحث اللغوي العربي، ويفسر تأخر التعرف وانتشار مقولاته في السياق العربي بالملابسات التي حالت دون تمثيل فكره في السياق الغربي، وذلك أن الجامعة المصرية كانت في تعاقد مع الجامعة الانجليزية، وعليه قام المستشرقون الألمان بتدريس اللسانيات في مصر وفق التوجه السائد عندهم في مقاربة الألسن، وكانت قنوات هجرة المعرفة اللسانية يتم عن طريق مجموعة من الباحثين الذين أوفدتهم الجامعة المصرية الى الجامعة الانجليزية، وكان هذا الجيل هو المحطة الفاصلة بين ما قبل السوسيرية وما بعدها، وكان الانفتاح على الفكر السوسيري في المغرب العربي يتم عبر قنوات معرفية مباشرة لأنهم كانوا في تعاقد مع الجامعة الفرنسية، فكانوا أكثر وفاء لأصل التجربة وأكثر وعي بعمق التصور السوسيري وذلك لتمكنهم من لسان البحث ومادته.

أما المبحث الخامس فجاء لرصد اثر الدروس في مسار البحوث اللسانية والعلوم المجاورة، والتي تتضح في أربع مستويات أساسية، أما المستوى الأول من هذه الدروس يتجسد في كسر الطوق الذي فرضته أعراف المنهج التاريخي المقارن، أما المستوى الثاني فهو نقل البحث من النوازع الذاتية والشوائب الايدولوجية في اقتفاء اثر اللغة الأقدم الى البحث في حيزت الكليات اللغوية، الذي بناه سوسير على تصنيف الظاهرة اللسانية الى كوني واجتماعي و فردي، وقد حقق هذا المنظور الشامل مدخل ثالث ليكون ذا اثر واسع في العلوم الإنسانية وهو المستوى الثالث، والذي ترتب عنه مستوى

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

رابع تمثل في انفتاح البحث اللساني على آفاق جديدة وذلك بفضل الاستثمار الجيد لآراء سوسير.

يريد سوداني من هذا الفصل التأطيري تقرير حقيقة مفادها أن الدروس كانت الأرضية التي حددت المسارات الكبرى في العالم، سواء أكانت تطوير لآرائه أو إقامة جدل وسجلات نقدية ومثمرة معها، بالإضافة إلى التنويه إلى أن سوسير تمكن من أن يصوغ من شتات الدراسات التاريخية المقارنة جهازا نظريا منسجم المكونات دقيق الأطراف متكامل الجزئيات.

ب- الفصل الثاني: من نشوء المعرفة اللغوية العربية المعاصرة إلى اكتشاف فردينان دو سوسير

هذا الفصل مقدم لدراسة منشأ التجديد في الدرس اللغوي العربي، وذلك لا يتم دون تقصي ملامح المشهد اللساني في القرن التاسع عشر، يرى الباحث أنه لابد إذا رومنا الخوض في تاريخية الأثر السوسيري لابد من البحث في قنوات التلقي، لأنها تشكل الفضاء المعرفي الذي رسخ وحفز الإقبال على المعرفة السوسيرية، لذلك راح الباحث يتدارس ملامح التجديد في الدراسات اللغوية العربية في القرن التاسع عشر، وقد بدا أولا بدراسة خصائص هذا المناخ العلمي في الغرب، وكانت فكرة التطور هي الموجه الأساس للدراسات اللسانية، وقد منع هذا المنهج أي إمكانية للتجديد، وكان الغرض من التطرق إلى هذا العنصر هو إعمال خاصية المقارنة بين السياق الغربي والسياق العربي في الفترة نفسها، بالإضافة إلى دراسة الإطار الذي مهد للتجديد.

عكف سوداني على دراسة ملامح التجديد في الدرس اللغوي العربي والتي بدأت تظهر في الشام لأنها كانت مهياة أكثر من غيرها للاتصال مع الثقافة الفرنسية، وذلك راجع في تقدير الباحث لعوامل جغرافية وثقافية، وبدأت بوادر هذه الحركة تنشط في لبنان التي سعى أعلامها إلى دراسة اللسان العربي من وجهة نظر اللسانيات التاريخية

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

المقارنة، ومن ابرز أعلام هذا الاتجاه جرجي زيدان، انستاس ماري الكرمل، شكيب ارسلان، جير ضومط وإبراهيم اليازجي.

مثلت هذه العينة لتيار ناشئ في القرن التاسع عشر يروم دراسة العربية في إطارها السامي، ولم تكن الساحة المصرية مغيبة عن حركة التجديد التي تمت في سياق تعليمي، وذلك عن طريق إرسال البعثات الطلابية الى فرنسا، وكان رفاعة الطهطاوي أهم رواد التجديد في هذه الفترة فأسس مدرسة للترجمة، بالإضافة الى الاشتغال على الترجمة انجازا وإشرافا، كما انه نادى بضرورة إنشاء مجمع للسان العربي يعمل على تطوير وتجديد مناهج التعليم، كما عمد الى إحياء النحو وتيسره للطلبة.

في ظل هذه النهضة الفكرية التي يعيشها الشرق العربي ينقل لنا الباحث بالتوازي حالة الدراسات اللسانية في المغرب العربي التي كانت تخضع للممارسات التقليدية بحكم الخضوع للاستعمار في هذه الفترة، وبدأ محيا التجديد يظهر عقب الاستقلال، وذلك في النصف الثاني من القرن العشرين، وعليه كانت بؤادر النهضة الفكرية والعلمية من المشرق العربي لأنه كان الأسبق في الاطلاع على اللسانيات الغربية.

توسع الباحث في هذا الرصد لملاحق التجديد في المبحثين الآخرين، فجاء المبحث الثالث لرصد اتجاهات البحث اللغوي المعاصر في المشرق العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين والذي تحدد بمحددتين أساسيتين هما: التعاقد مع الجامعة الألمانية لاستقطاب مجموعة من المستشرقين للتدريس في الجامعة المصرية، ثم إيفاد مجموعة من الطلبة للدراسة في لندن بتأطير من اللساني الانكليزي فيرث.¹

حصر اتجاهات البحث اللساني في المشرق العربي في خمس اتجاهات أساسية وهي: الدراسات اللسانية المقارنة، التحليل النحوي والمعجمي للنصوص العربية، الدراسات اللسانية التقابلية، دراسة اللهجات وتاريخ اللسان العربي، دراسات التراث

¹ - حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص84.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

اللساني العربي، ولم يتمكن الفكر السوسيري أن يشق لنفسه الطريق في ظل هذا المناخ العلمي الذي حدده المستشرقون الألمان والذي كان الموجه الأساسي للاتجاهات الأربعة، أما الاتجاه الأخير (دراسات التراث اللغوي العربي) يقدر سوداني أنه نمت مرتبطاً بخرجي مدرسة لندن، وكان أكثر من غيره استجابة لاحتواء المقولات السوسيرية.

جاء المبحث الرابع لدراسة بواكير البحث اللساني في اللسان العربي، وذلك بالتأسيس للجامعات بعد الاستقلال، وانبثق الوعي المعرفي بالسوسيرية منذ مطلع العقد السادس مع المدرسة الفرنسية وهذا ما جعل الدرس اللساني في المغرب مقتنياً لأثر الثقافة الفرنسية، وهذا ما ساعد في وعي مبكر واستثمار متميز للمقولات السوسيرية، ورغم هذا الاتصال المبكر فإن عوائق من طبيعة نفسية وحضارية وقفت دون تمثيل كتاب المحاضرات، وبالتالي كانت عائقاً في مواكبة مستجدات البحث اللساني عموماً، وهذه العوائق تتمثل أولاً في تقديس لسان البيان الذي يعكس الهوية الإسلامية والوحدة العربية ويتمثل العائق الثاني في حصر البحث اللساني العربي في مبحثي الصوتيات ودراسة اللهجات كما ظهرت ملامح مفاضلة بين النحو واللسانيات التي اعتبرت تجاوزاً لحرمة القاعدة النحوية، وذلك لقيامها على الوصيفة في مقابل المعيارية التي تمثل الدرس النحوي.

والحقيقة أن الاختلاف هو اختلاف خصوصية منهج فقط كما أن الموقف من هذا العلم مقترن بموقف مسبق من لسانه، لأن الكثير من الباحثين ينجزون بحوثهم بلسان أجنبي، وقد رأى الكثير في هذا الأمر تبعية للآخر وتكدس موفق حضاري من العربية، كل هذه العوائق حالت دون وصول الأثر السوسيري.

ج- الفصل الثالث: الوصفية في البحوث اللغوي العربي المعاصرة

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

عمل الباحث في هذا الفصل على الحفر الدقيق في ثنايا مكونات الخطاب اللغوي العربي للكشف عن وجوه حضور الفكر السوسيري الضمني خلال المرحلة الأولى التي احتكرت فيها المدرسة الألمانية اتجاه الدرس العربي فجاء المبحث الأول بعنوان (الوصفية من خارج دروس سوسير)، عمل فيها على رصد الدراسات التي لجأت إلى المقولات السوسيرية دون إحالة مباشرة، وقد تمثل هذا التوجه في حركتين هما: حركة تيسير النحو وإصلاح كتبه، وأما الحركة الثانية فكانت إحياء النحو، حيث يرى سوداني أن كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى يحمل جهاز مخصوص من المفاهيم وهو مفهوم النظام الذي اعتبره مصطفى الأساس الذي يقوم عليه اللسان، كما تظن لحضور ثنائية تاريخي تطويري ونظامي في كتابات المستشرق الألماني بير غشتراسر، ويستدعي في هذا السياق جهود مرمجي الدومنيكي وبجته حول المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامة، ويقوم توجهه على فكرتين مركبتين هما المواضعة والنظام، الذي يمثل عنده طور الاكتمال في الكلام¹

أراد من هذا الاستقراء تقرير حقيقة لطالما كانت مغيبة عن الوعي العربي وهي أن البحوث في هذه الفترة كانت تتمثل مفهوم النظام الذي يستدعي بالضرورة مفاهيم منها الوصفية والاعتباطية، ومع ذلك لا يتخرج من التصريح بأن هذه المقولات يصعب الحسم فيها، وعليه تبقى مرجعية لسانية نهائية.

أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان (اكتشاف سوسير)، وفي هذا القسم رام الباحث الوقوف على الحضور المباشر للمقاربات الوصفية في الكتب العربية، ومن أوجه الفرادة على حد تعبيره أن قنوات هجرة المعرفة اللسانية تحققت من خلال عالم اجتماع وهو علي عبد الواحد وافي، وذلك عن طريق كتابه (علم اللغة) الذي عني بتقديم الجانب النظري من العلم، بالإضافة إلى كتابه (فقه اللغة) وهو تطبيق لهذه

¹ - حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 109

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

المعطيات على اللسان العربي، وقد اصطبغ العمل بوجهة نظر عالم اجتماع، ويفترض سوداني انطلاقاً من استقرائه لما دونه عبد الوافي أن مرجعيته في مباشرة هذا العلم تاريخية مقارنة، وأشار الى أن ذكره لسوسير كان عارضا؛ بمعنى أنه استحضّر مقولاته عند الخوض في مبحث علم الاجتماع وليس بما يحقق للرجل موقعا تأسيسيا في تاريخ البحث اللساني.

أما ظهور سوسير ضمن الدراسات اللسانية والمبنية على خلفية معرفية معاصرة كانت مع ابراهيم أنيس، وقد فسر اهتمام أنيس بالبنوية الصوتية وغلبت الصبغة التطبيقية على بحوثه بالتوجه الذي طبع المدرسة الانجليزية في الدراسة اللسانية نحو الاهتمام بالبنوية والدراسات الصوتية، وخلص الباحث من تحليل كتابات أنيس الى أنه جمع بين القديم والحديث والزمني والآني وبذلك لم يلتزم بتوجه لساني مخصوص، ويشير في سياق حديثه عن أهمية القنوات الخارجية في تأسيس اللسانيات الغربية، الى مؤلفين لهما قيمتهما وهما مقال لمييه (علم اللسان)، وكتاب لجوزيف فندريس، وقد تأسس موقع صريح لآراء سوسير بفضل هذه الجهود.

د- الفصل الرابع: من اكتشاف فردينان الى نشأة المبحث الأسلوبي

يدرس هذا الفصل تبلور الوعي باللسانيات السوسيرية خلال أواخر الثمانيات والسبعينيات من القرن العشرين، وجاء هذا الفصل مقسم على محورين: أولهما لخرجي مدرسة لندن وتقديم النظرية السوسيرية وثانيهما لدراسة انخراط المغاربة في المبحث اللساني ونشأة المبحث الأسلوبي، وجعل المفاصل الزمنية تخضع هذه المرة الى تبلور الوعي العميق بالمقومات النظرية اللسانية لا بتحقيب زمني خالص.

بدأ سوداني حديثه في الفصل بتقديم خريجو مدرسة لندن الذين تركزت جهودهم في ثلاث تيارات، يتصل التيار الأول في الوصفية ونقد التراث اللغوي العربي، وكان اتجاه هذه الفئة الى التدريس هو الذي جعل التراث النحوي المجال التطبيقي لمقولاتهم التي

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

أصبحت وفق المقاربة الوصفية تتسم بالجزئية والتقليدية؛ أي أن التأصيل كان يغلب عليه الطابع الفلسفي والاحتكام الى المعيارية.

ظل هذا المناخ الفكري والصراع بين القديم والحديث فترة طويلة من الزمن، وأصبح من الضروري استحضار الدراسة الوصفية كبديل علمي ومنهجي لما كان سائدا في الدراسات الغربية، وقد حكم هذا التوجه في ضرورة تجاوز المعيارية والصبغة الفلسفية عناوين البحوث، وفي هذا الإطار يستدعي الكتاب جهود تمام حسان ومن الملاحظات التي سجلها في تقديمه للسانيات الوصفية عدم الدقة والارتباك المصطلحي في الثالوث اللساني، وذلك راجع الى الخلفية الانجليزية التي استقى منها حسان تقسيمه، لأنها توفر تقسيم بين مستويين في اللغة (Language) و (Speech)¹، وكان هذا من الأسباب المباشرة في حجب المفاهيم وعدم تمثيل المعرفة السوسيرية تمثيلا سليما، كما ناقش الخليفة الذهنية لما ذهب إليه حسان من التمييز بين الدراسة المعيارية والدراسة الوصفية، ومقومات هذه النقلة والفرق عنده بين الوصفية والمعيارية والقطعية التي أحدثتها على في مستوى المنهج والغاية والنتائج.

الملاحظات التي سجلها الباحث في استطراده في استتطاق مؤلفات تمام حسان هو غالبية المنحى التطبيقي الذي وازى تقديمه لآراء سوسير، ويشير في هذا الصدد إلى أول دراسة سعت إلى تقديم اللسانيات السوسيرية تقديمًا نظريًا وهو عمل محمود السعران (علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي)، والذي تميز بالتبصر الدقيق في المقولات المفاهيمية المنهجية المصطلحية الدقيقة التي يثيرها فكر الرجل، أنه حصر تميز سوسير بين الآنية والزمانية على مجال الدلالة فقط، في حين أنه أراد بها النظام اللساني في شموليته، كما تطرق الى الأشكال المصطلحية لديه، وعدم تمثله الحدود

¹ - حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص137.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الفاصلة بين المصطلحات، كذلك لجوؤه الى أسلوب البدائل والمترادفات الذي يقيم أمام المفهوم حاجزا يحول دون دقة المصطلح واختصاصه¹.

خلص سوداني من استقراء مؤلفات هذا التيار الى أن اشتغال خرجوا مدرسة لندن بالتدريس هو الذي جعل المجال التطبيقي هو الأول لاحتواء السوسيرية من منظور التراث اللغوي، فكان القصور في القاعدة النحوية الدافع لتطبيق النظرية اللسانية التي كانت مرنة وملائمة لمقتضيات العصر، ولم يكن إمامهم كلي بالنهج الوصفي، وهذا ما منعهم من تقديم آرائه بشكل كلي في عمق مفاهيمها ومنهجها وذلك لغلبة المنجز التطبيقي على النظري.

خصص المبحث الثاني لدراسة الحضور السوسيري في المغرب العربي، الذي تميز كما سبق الإشارة بالاتصال المباشر بالمدرسة الفرنسية، وكان من أهم الأعلام المبشرين بهذا العلم أحمد الأخضر غزال في المغرب وعبد الرحمن الحاج صالح في الجزائر، وصالح القرماي في تونس، هؤلاء الباحثين كان لديهم وعي أعمق بالسوسيرية.

استرسل في ذكر جهودهم التأسيسية وقد رصد في هذا الإطار الاشتغال بتيسير النحو ودراسة اللهجات في خضم تقديم اللسانيات الحديثة، ومن جوانب الجدة التي عاينها في تطور وعي المغاربة بالمنجز السوسيري والتي كانت مغيبة عن المشاركة ، أن الحاج صالح ذهب في تحديد سوسير لموضوع اللسانيات في مستوى اللسان، وفي المقابل لذلك تم منح الكلام قيمة ثانوية بأن جعله لاحقا للسان²، ويلاحظ سوداني أن عرض الحاج صالح للنظرية تم على هيئة وحدات وثنائيات مفهومية وهو حسبه يظل قاصرا في الكثير من الجوانب في تشكيل المستويات التي تربطها، ويعود هذا النهج في

¹-ينظر: حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي ، ص150.

²- ينظر: عز الدين المجذوب، تطور نظرية العلامة اللغوية بعد سوسير ، ص162

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

عرض التصور السوسيري وفق ثنائيات الى رؤية مونان التي تجسدت في كتاب (لسانيات القرن العشرين).

تميزت جهود المغاربة بالعمق في التعامل النظري الشمولي مع الفكر السوسيري في مقابل ضمور الجانب التطبيقي الذي قويت أواصره في جهود المشاركة التي اقتصرت على بعض من الجهاز المفاهيمي.

يعود بنا مرة أخرى الى المشرق العربي ليرصد الأثر السوسيري في فترة السبعينيات بعد أن سلط الضوء على هذه الفترة في المغرب العربي، وكان الغرض من هذا الرصد لفت القارئ الى تنامي الوعي بمعالم النظرية، واللغويين الذين استدعاهم في هذه الفترة ليقوم بتحقيق شامل في تمثيلهم للسانيات العامة هم كمال محمد بشر، وحسن ظاها، وريمون الطحان، وعبد الراجحي، ومحمود فهمي حجازي، ورمضان عبد التواب، وأنيس فريحة، وقد قسم اتجاهات استحضارهم الى ثلاث اتجاهات: أولها الاتجاه الوصفي في الدراسة اللغوية وهو اتجاه استعراضي يقدم للنظرية، ومن لغوي هذا الاتجاه أنيس فريحة، ومحمود فهمي حجاز، وكمال بشر.

أما الاتجاه الثاني فهو يعمل على وصل اللسانيات الوصفية بالتراث النحوي لإرساء منهج علمي في دراسة اللسان وهناك من اسند الى اللغويين العرب القدامى فضل السبق، ويرى في هذا القول كسر للحاجز الوهمي الذي بناه المتلقي العربي مع اللسانيات الغربية وذلك باقتناعهم أنها ليست غريبة عن مورثنا اللغوي، وقد تراوحت هذه الجهود بين استقراء أوجه المعيارية والبحث في جهاز منهجي مخصوص هو المصطلح، ومن أعلام هذا الاتجاه محمود فهمي حجازي، والراجحي، وريمون الطحان.

أما الاتجاه الأخير فكان حول الأثر المعرفي للسوسيرية في مباحث فلسفية لسانية، سعى رواد هذا الاتجاه الى المزج بين ما هو فلسفي وما هو لساني، وقد وفرت وجهة النظر السوسيرية حلولاً لكثير من المسائل المتعلقة بفلسفة اللسان، والملاحظة التي

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

سجلها من خلال هذا الرصد الزمني، أن مباحث فلسفة اللغة انطلقت من العمق النظري للمقولات السوسيرية، وهذا خلاف ما وجدناه مع جيل الرواد الأوائل من اللغويين الذين لم يتمثلوا الهندسة المفاهيمية الدقيقة.

بالتوازي مع الاتجاه الفلسفي كانت نشأة المبحث الأسلوبي من تفاعل اللسانيات مع النقد الأدبي، ويؤكد الباحث على أن فلسفة اللغة واللسانيات تمكنا من التوظيف الجيد للنظرية الوصفية العلمية وكانت هذه المحاورة بين أجيال، بالإضافة إلى مباحث فلسفة اللغة واللسانيات الدور الفعال في التأسيس للوعي المعرفي العميق باللسانيات السوسيرية، كما يمكن تسجيل اثر المعطيات الاجتماعية الثقافية في توفير قنوات هجرة المعرفة.¹

هـ- الفصل الخامس: تبلور الوعي باللسانيات السوسيرية والسعي الى تقديمها

تقديمًا متسقًا

جاء هذا الفصل وفق الجدول الزمني الذي ألزم به سوداني بحثه في تقفي اثر السوسيرية في الدراسات اللغوية العربية، هذا الفصل مكمل للفصول السابقة في تقصي الملابس الفكرية التي شكلت لنا المؤلفات العربية خلال الثمانينيات وقد بوبها في ثلاثة اتجاهات وهي:

اتجاه أول اهتم برصد موقع المنظومة السوسيرية في صيرورة البحث اللساني الحديث، وقد تمثل هذا المنحنى في جهود كل من محمد الحناش وميشال زكريا اللذان عرضا آراء سوسير انطلاقًا من تقديم أعلام اللسانيات الحديثة، وعبد الصبور شاهين الذي عمد الى دراسة إسهام الأستاذ في اللسانيات الجغرافية، ويرى الباحث انه قدم

¹-ينظر: حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 199.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

اللسانيات من وجهة نظر تكشف عن الوعي بمركزية الدرس السوسيري في اللسانيات الحديثة، فأشار منذ البداية الى انشغال سوسير بمستويي اللغة والكلام.¹

أما كل من الباحثين رمضان عبد التواب، وعبد العزيز مطر، وعبد السلام المسدي، فقد تراوحت جهودهم بين الوقوف على التحولات الكبرى التي أحدثتها المعرفة السوسيرية في البحث العربي وبين السعي الى التمثيل الدقيق والعميق للجهاز المفاهيمي الذي اختزل النظرية السوسيرية في شكل ثنائيات أو ثالوث، وأدرك سوداني بعمق بصيرته أن الجامع المشترك بين سائر هذه البحوث تمثيل الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة، التي أصبحت في هذه الفترة من أكثر العوائق في وجه البحث اللساني.

أما أصحاب الاتجاه التجريبي فقد قاموا بمراجعة التراث اللغوي العربي في ضوء السوسيرية، وتنامى العمل بهذا المبحث فأصبحت دراسة اللسان تخضع الى المنهج الوصفي، مع إقامة تناظر بين علوم العربية واللسانيات الحديثة واستنباط مقولات مثل الوصفة والعلمية، ومن اللغويين الذين نشطوا في هذا الميدان نجد: حلمي خليل، كريم زكي حسام الدين، إميل بديع يعقوب، ريمون طحان، محمد عبد، احمد سليمان ياقوت.

هناك من انطلق في تأسيس نظرية تسعى إلى وصل القديم بالجديد لإعادة هيكلة قواعد النحو بطرق تكون أكثر ملائمة للتطور، ويرى الباحث أن هذا التوجه تتداخل فيه المسألة اللساني بالبعد الحضاري فيخرج الجدل من سياقه المعرفي الناظر في اتساق المعرفة الى المساجلة حول درجة جدتها وأصل انتمائها.² ولم يخرج رواد هذا الاتجاه أيضا من عباءة المساجلة وعقد المقارنات بين مبحثي فقه اللغة وعلم اللغة، ويكشف هذا الاستقراء كيف أن مقولات سوسير أصبحت معيار يحتكم إليه لقياس الدقة المنهجية للتراث اللغوي.

¹ - عز الدين المجذوب، تطور نظرية العلامة اللغوية بعد سوسير، ص208.

² - ينظر: حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص228.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

أما أصحاب الاتجاه الثالث فقاموا بتخصيص كتبهم لعرض نظرية سوسير والتوسع في جزئياتها، وقد قسم الباحث تقديمهم الى ثلاثة انساخ: فالنسخ الأول هو محاكاة تامة لبنية نص الدروس، أما النسخ الثاني قدم أصحابه آراء سوسير وفق ثنائيات أطرافها متضافرة، وأما النسخ الثالث فقد أعاد أعلامه بناء اللسانيات السوسيرية وفق معمار هرمي قاعدته مفهوم النظام وأواخر تدريجاته التبشير بعلم السيميولوجيا.¹ ومن ابرز رواد هذا الاتجاه مبارك حنون ومحمد حسن عبد العزيز.

و- الفصل السادس: ترجمة دروس فردينان دي سوسير وإشكالية المصطلح اللساني

حدد سوداني هذا الفصل لمعالجة ثلاثة قضايا طارئة على الدرس اللساني وهي أسباب تأخر فعل الترجمة وظهور خمس ترجمات في فترة متلاحمة وأخيرا قضية إشكالية تعريب المصطلح اللساني، الذي كان نتيجة حتمية لتراكم الترجمات العربية وعدم الاستفادة من بعضها البعض.

يرجع تأخر ظهور الترجمات العربية للدروس رغم القيمة التأسيسية لها في البحث العربي الى تأخر الوعي المعرفي العميق بالنظرية السوسيرية، والذي لم يتحقق إلا مع جيل السبعينيات والثمانينيات، الذين تمكنوا من تشكيل رؤية متماسكة لنظريته، ويغدو من المنطقي حسب رأيه من وضع ترجمة للدروس تعكس تنامي الوعي اللساني بالجهاز النظري لان الترجمة فعل لاحق للاستيعاب من الناحية الزمنية وهو عمل معرفي يتقضى إطارا معرفيا حاضنا.²

ناقش الباحث في المبحث الثاني الترجمات العربية لكتاب المحاضرات، واختلاف الأصل المترجم عنه كما عمل على استقراء ومراجعة مقدمات المترجمون ليتمثل مدى

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 232.

² - ينظر: عز الدين المجذوب، تطور نظرية العلامة اللغوية بعد سوسير، ص 205.

حضور التواصل وانتفاء القطيعة بين الجهود العربية وهذا ما لم يتحقق سوى مع الترجمة العرقية، لكنها على حد تعبيره لا تشي بمراجعة جهود الآخرين في الترجمة أو بنقدها واستثمارها.¹ وهذا نتيجة تلاحم الفترة الزمنية التي ظهرت فيها الترجمات الخمس.

ترتب عن تباين الترجمات العربية إشكالية تمس مصطلح المعرفة، وإشكالية تعريبه التي هي حصيلة غياب الوعي بخصوصية المصطلح اللساني، لذلك راح يتدارس موارد المصطلح اللساني العربي المعاصر، وأول ما يسجل في هذا المحور هو أن المترجم اللساني يبحث على ما يناظره في التراث العربي الذي يمثل المورد الأساس للمصطلح اللساني الحديث.

أما الوجه الثاني من موارد المصطلح اللساني هو ظاهرة التعريب التي يفترض أن يفترض اللغوي الدال والمدلول مع الإخضاع لمنهج اللسان العربي، وهناك من يستعيز عن كل هذا بالنظام الاشتقاقي ليشق دلا جديد لمدلول جديد، ويرى سوداني أن السبب المباشر لهذه الفوضى المصطلحية غياب التنسيق بين البحوث العربية ومترجمي الدروس وهذا ما أنتج لنا جزر لسانية.²

لتمثيل حجم المشكلة بشكل أكثر وضوحا يعمد الباحث إلى استقراء تفرعات هذا العلم لينتهي الى دقائق جزئية، ويعتمد في ذلك على الترجمات الخمس، وقد عمد أولاً في هذا الباب الى التشتت الذي لامس نقل هذا العلم وقد أحاله من منطلق ترجمة اللفظ الدال على العلم الى ما يرتبط به وهو الثالوث اللساني اللغة واللسان والكلام، كما تدرج في معالجة بنية الجهاز المصطلح اللساني في الترجمات العربية مع ثنائية الآنية والزمانية التي يتقرر من خلالها الجانب الزمني للبحث في دراسة النظام اللساني

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 255.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 269.

الذي عرض نماذج من تعدده المصطلحي، وقد توصل الى أن الترجمات المنجزة باستثناء الترجمة التونسية، تخلق مسافة بين المعرفة بسوسير والمطلع عليها بلسان واحد نظرا الى ما وراء هذه الترجمات من تباين في المصطلح واختلاف في خطط الترجمة، وهو تعدد لا يحقق التراكم النوعي وإنما يكرس التجميع الكمي.¹

وانطلاقا من هذه النقطة يدعو الباحث بعد الوقوف على الشتات المصطلحي ومزالق الترجمة الى تمثيل دروس سوسير في مشروع متكامل يحقق شروط المعرفة العلمية.

ز- الفصل السابع: السوسيريات الجديدة

درس سوداني في الفصل الختامي التلقي العربي للسوسيرية في مطلع القرن الحادي والعشرين، ويقسم توزيع الدراسات المتعلقة بسوسير في السياق الغربي الى مستوى يقوم باستثمار هذه الدروس ومستوى آخر يقوم بالتأريخ أو ما يعرف بالفيلولوجية السوسيرية، ويعكس هذه المرآة على واقع الدرس العربي لينتهي إلى أنه لا يوجد من اجتهاد في تطوير دروسه أو استثمارها.

خص المبحث الثاني لدراسة خصائص التلقي الجديد لسوسير، وقد انطلق هذا التلقي من تشكيك الكتابات ال غربية من صدقية نسبة كتاب المحاضرات إليه، والتي كانت مواكبة لما أنجز في الغرب في السياق الأوروبي، وقدر سوداني أن النقود التي وجهت إلى السوسيرية هي السبب المباشر في العمل على نصوصه مرة أخرى وفق نهج يتحرى الدقة العلمية والشمول في التحري والأمانة في التوثيق.

ورد المبحث الثالث لتحديد الإطار الجديد للتلقي العربي في مطلع القرن الواحد والعشرين، الذي اتخذ من الوعي بالسوسيرية شعارا للتجديد، وينطلق هذا الوعي مما تم الوصول إليه أو اكتشافه من وثائق نادرة تحمل توقيعات الأستاذ، وقد قسم سوداني

¹ - ينظر: عز الدين المجذوب، تطور نظرية العلامة اللغوية بعد سوسي، ص 286

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

انطلاقاً من إطار التلقي الأوروبي الجديد معياراً لذلك الكتابات العربية إلى قسمين، يعمل القسم الأول على التثمين للسوسيرية والتعريف بالمفاهيم التي ارتبطت به، أما الثاني فينشد إعادة قراءة سوسير في ضوء مراجعة لمسار اهتمام الكتابات الغربية المعاصرة به.¹

يعود الباحث إلى إصدار نفس الحكم وهو انطلاق التلقي الغربي من البناء، وجمود التلقي العربي عند نقطة التأصيل والتمثيل، وفي هذا الصدد يستدعي نموذج عربي في التعامل مع المنجز الغربي والذي يكشف عن خلفيات الأزمة النفسية أكثر من تجسيده لوعي حقيقي بالمنجز الغربي، ويعتبر هذا الأمر من أهم العوائق أمام التجديد سواء في التعامل مع التراث أو مع اللسانيات، ويوجه هذا النقد إلى ثلاثية عبد العزيز حمودة في كتاباته المرايا المحدبة، المرايا المقعرة، الخروج من التيه، ولتجاوز جميع العوائق في سبيل استثمار لسانيات جديد لا بد من إنتاج ترجمة جديدة لدروس سوسير في ضوء المتجدد من الطباعات الصادرة، والاعتماد على ما استقر من مصطلحات، بالإضافة إلى ترجمة المستدرجات من الطباعات النقدية التي صدرت لاحقاً، وهذا ما سيوفر زوايا جديدة من فكر سوسير.

2-5 خاتمة عامة:

جاءت الخاتمة العامة للكتاب لترسيخ ما تم استنتاجه من مباحث هذه الفصول، علاوة على توضيح النهج الذي ارتضاه سوداني في تقصي الأثر السوسيري في الدرس اللساني العربي، وفق وجهين، يمثل الوجه الأول استخراج شكل الحضور السوسيري،

¹ - حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 300.

أما الوجه الثاني فتجسد في رسم صيرورة الدراسات اللغوي العربية الحديثة في ظل الانفتاح على اللسانيات الغربية عامة واللسانيات السوسيرية خاصة.

2-6 ملاحظات حول الكتاب:

- طرح سوداني حقيقة مفادها أن نظرية الجنس التصحيفي هي الأساس المتين الذي بنا عليه بالي الأسلوبية التعبيرية، دون التدليل على مصدر هذا الاستنتاج ، أو عقد لملاحم التأثير بين دفاتر الجنس التصحيفي وأسلوبية بالي، والمطلع على منجزات بالي يلاحظ أنها انطلقت كرد فعل للإقصاء الوهمي الذي تم في متن الدروس لوحدة الكلام، لكنها في المقابل استثمرت المنظومة المفاهيمية والمنهج الوصفي في التأسيس لآليات وإجراءات المنهج الأسلوبي، وقد ظلت دفاتر الجنس التصحيفي كما مر بنا سابقا حوز عائلة آل سوسير لمدة نصف قرن، ثم تم إيداعها في مكتبة جنيف؛ أي بعد وفاة بالي وعليه يكون من المستبعد إطلاعه عليها أو استثمارها في دراسته.

- مرة أخرى يقرر سوداني حقيقة دون أن يشير إلى المصدر الذي يستجلب منه معلوماته، فالعبرة التي يقرر فيها أن موضوع اللسانيات الوحيد والصحيح هو اللسان معتبر في ذاته ولأجل ذاته هي من صياغة بالي وسشهاي وليس من وضع سوسير حسب إشارتهما.¹ ولا نعلم كيف توص ب إلى استنتاج أن هذه الصياغة من وضع الناشران، مع أن التحقيقات أثبت أنها كانت شائعة في فكر فرانز بوب، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الناشران على حسب علمنا لم يصرحا بأن هذه العبارة من وضعهما، بل تم تركيبها ضمن المقولات السوسيرية، ولو كان الأمر كذلك من البداية لجنبتنا هذه الحقيقة حصر الفكر السوسيري في المدرسة البنيوية.

ومن الملاحظات التي سجلها شوقي بوعناني في مراجعته لهذا الكتاب:

¹-ينظر: حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص145.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

- الملاحظة الأولى تتعلق بعنوان الكتاب ومضمونه، إذ أن عنوان الكتاب المعلن هو "أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي"، لكن ما لاحظناه أن الكتاب يتجاوز هذا الحد الذي رسمه الباحث، ليرصد أثر سوسير أينما وجد في الفكر العربي في علم الاجتماع، أو في النقد الأدبي، أو في الأسلوبية، لذلك فعنوان من قبيل "أثر دي سوسير في الفكر العربي" قد لا يكون بعيدا عن مضمون الكتاب رغم تركيز صاحبه على الفكر اللغوي.

- لاحظنا في مستوى المنهج وجود ثنائية كامنة في البحث اللساني غير معلن عنها وهي التمييز بين الحضور المباشر والصريح لسوسير والحضور الضمني الذي يعبر عن سوسير بطرق مختلفة، لكن هذا المنهج الذي يعمل على تقصي وجوه الحضور الضمني لمفاهيم سوسير أدى بالباحث إلى محاولة إثبات صلة بين كتب تيسير النحو التي ألفت في الثلاثينيات من القرن العشرين واللسانيات مما أدى في النهاية إلى تردد الباحث بين وجود هذا الأثر وبين التشكيك فيه.¹

- يبدو لنا أن سوداني في رصده للأثر السوسيري يأخذ في كثير من الأحيان دور الشاهد والناقل لواقعة يشاهدها رأي العين، دون أن يعمل ملكة التحقيق والتحليل والنقد، هذا إذا افترضنا أن الباحث أنجز هذه الرسالة وهو مل بكل حيثيات السوسيرية الجديدة، ونحن نقصد من هذا الطرح دراسته للأثر السوسيري في سياق التلقي الجديد للمعرفة السوسيرية، أما من ناحية الثنائية التي ألزم بها نفسه وهي الاستقراء الآني والزمني فقد تميزت بعمق التبصر والتقويم الموضوعي وذلك بالنفاذ إلى جزئيات الموضوع مع ربط كل ذلك بنسيج كلي.

¹ - شوقي بوعناني، عنوان الكتاب (أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي: التلقي العربي للسانيات)، دار نشر جامعة قطر، مجلة تجسير، ج1، ع1، 2020، ص145، 147، 146.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

- يؤكد الباحث على أن جدة اللسانيات السوسيرية تتمثل في القطيعة المعرفية التي حققتها، ولكن الفيلولوجية الجديدة فندت هذا التصور وكشفت أن أصل التجربة السوسيرية يمثل امتداد أكثر من كونه قطيعة إبستمولوجية، هي تقويم نقدي للدراسات التاريخية المقارنة والانطولوجيا الفلسفية، هي ضبط منهجي للموضوع وتقعيد مفاهيمي وتصويب لوجهات النظر.

- علاوة على ما تقدم فإن سوداني في الفصل الذي وسمه بـ "السوسيرية الجديدة"، لم يتخرج من كتابة هذه الملاحظة: لم تؤدي التحقيقات الفيلولوجية في كل الأحوال إلى تقويض ما أنجزه بالي وزميله.¹ بل يذهب أبعد من ذلك في دفاعه عن الناشرين حيث يقول عن مسألة أصل موضوع اللسانيات، وهي المسألة التي كثيرا ما أخذ عليها جامعو دروس سوسير من حيث أنه لم ترد في أصل الدروس الجملة الختامية، والحق أن هذه الجملة إن لم توجد بحرفيتها فإنها من روح دروس سوسير، وهي من الخلاصات الأساسية للتوجه الذي يريد سوسير إرساءه.²

- افترضنا بعد ما جاء في هذا التقرير أن سوداني لم يدرس حيثيات الموضوع وتفاصيل القضية بشكل معمق، لكننا تفجأنا باستحضاره رواد هذه الحركة في السياق الغربي، بل إنه ما توانى في مدح الكتابات العربية التي تعمل على التأصيل لهذه الحركة ومواكبة ما تم التوصل إليه في الثقافة الأوروبية، بالإضافة إلى قراءاته " كتابات في اللسانيات العامة"، والتي حسب تقديره لا تقدم جديد عمى هو موجود في نشرة 1916، ونحن لا نعلم سبب هذا الدفاع المستमित عما أنجزه الناشران، لعل هذا النص يجيبنا عن موقف حسن سوداني من الحركة الفيلولوجية، يذهب مصطفى غلفان للقول بأن دومور لم يهتم كثيرا بطبيعة التباين الحاصل بين دروس الأعوام الثلاثة ولا بمسألة ترتيبها وعلاقتها بالنسق التصوري العام عند سوسير، وإنما جعل كل

¹ - حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 297.

² - ينظر: المصدر السابق، ص 302.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

موضوعات تحقيقه الموسوعي تدور حول نص دروس في اللسانيات العامة منه ينطلق وإليه يعود، عمل دومور على التقليل من أهميتها ودورها بالنظر إلى قلة عددها معتبرا أنها غير أساسية لا تمس في شيء البنية التصورية العامة التي يجسدها نص الدروس.¹

وقد ندد سوداني في الكثير من فصول الكتاب بقيمة الطبعة النقدية لدومور، بل جعلها ركن أساسي في المشروع الذي دعا إلى إنجازه، ومنه يكون متأثر فيما ذهب إليه من تصريحات بطبعة دومورو التي تقلل من هفوات التعديلات التي قام بها الناشران، ولو أنه اطلع على الأبحاث التي أنجزها غودل بشكل دقيق وتفحصي لأدرك أن النسخة الشائعة تمثل تحريفا دقيقا للسانيات السوسيرية.

- لا يندرج هذا الكتاب في سياق السوسيرية الجديدة بشكل دقيق وليس كما هو الشأن مع الكتب المتخصصة في هذه المسألة، ونحن نذهب إلى هذا القول لأن القضية جاءت مهمشة في آخر الكتاب، خصصت لها عشرين ورقة قارن فيها سوداني بين أشكال تلقي دروس سوسير والمخطوطات المكتشفة في الغرب وبين أشكال البناء والاستثمار في سياق التلقي العربي، كما تناول ظاهرة التشكيك في الدروس، وهو يرى أن هذه الموجة من عدم اليقين في نسبة الدروس لصاحبها هو الذي ساهم في ظهور الطبعات النقدية التي أكدت هذه النسبة وثمنت من جهود الناشرين، كما يفترض أن ما صدر مؤخرا من دراسات عربية تعمل على التأصيل للسوسيرية الجديدة في سياق ما أصبح متوفر من وثائق نادرة ما هي سوى توسعة لما جاء في نشرة 1916 ولا يوجد فيها تقويض لمادة الكتاب، و هو بهذا الطرح يضرب عرض الحائط بجهود كل أعلام هذه الحركة ويقوض مشروع مختار زواوي.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 89، 90.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

- والذي جعلنا أيضا نفترض أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون سنداً فكرياً أو مرجعاً في البحث لمن رام تمثيل الفكر السوسيري الحقيقي، هو أن هذا العمل في الأصل مقدم لنيل شهادة التعمق في البحث من الجامعة التونسية وهي شهادة فوق الماجستير ودون الدكتوراه من ناحية القيمة العلمية، عمل فيها على دراسة الأثر السوسيري في المنجز اللساني العربي لغرض مراجعة كيفية إسهام اللسانيين العرب في الدرس اللساني الحديث، لذلك عمل على دراسة هذه المسألة في مستواها الكمي والكيفي، فيحصي الأعمال التي استحضرت التصور السوسيري وقيمه المعرفية والمنهجية، وهو لا يبتغي الوقوف عند حدود دراسة أثر سوسير لكن يروم الدخول إلى حركة الفكر السوسيري في كلياته انطلاقاً من دقائق جزئياته، فجعل من النظرية السوسيرية مدخلاً لاستقصاء البحوث اللغوية العربية المعاصرة.¹

فدرس ما قبل سوسير وما بعد سوسير انطلاقاً من تاريخ صدور الكتاب، ونحن لا نبالغ إذا قلنا أنه لم يتم الإشارة إلى السوسيرية الجديدة أو تصويب الفقرات المستلة من النشرة وفق ما تم تقديمه من تحقيقات وطبعات نقدية، سوى استحضار طبعة دومور 1972، ولم ينهل منها سوى الجوانب التاريخية التي انطلقت من تقديم رؤية شمولية للدروس من حيث الأصل والامتداد والتفاعل.

- من المقولات التي استحضرتها سوداني في الفصول الستة والتي كانت من رواسب النشرة، وأصبح من الضروري إعادة النظر فيها مع ما تم تحقيقه من وثائق وما توصل إليه من مخطوطات، استدعاء النقد العربي والغربي للفكر السوسيري كما هو مؤصل في النشرة دون أن يثبت بطلان وزيف هذا التلقي والافتراء، فستشهد بنقد بالي لسوسير لإعطاء اللسان كل هذه الصبغة الذهنية التجريدية، ولا يزال علم السيميولوجيا مدرجاً ضمن علم النفس الاجتماعي، كما لاحظنا في استنتاج القرماضي وهو بإزاء تقديم

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 21، 37.

تجليات التلقي المغربي والتونسي لسانيات السوسيرية الجديدة

المعرفة السوسيرية إلى المتلقي العربي التناقض بين مكانة ثانوية الكلام أمام مستوى اللسان في كتاب المحاضرات، فيرى القرمادي أن سوسير رغم انه قام بإقصاء الكلام فإنه لا يتخرج من إسناد جميع التغييرات إلى الكلام، بل كل ما هو زمني في اللسان ليس كذلك إلا بواسطة الكلام.¹

في ظل هذا الجو المشحون بالتناقضات التي يسجلها القرمادي حول ملامح التضارب في فقرات الكتاب كان من الواجب أن يتطرق سوداني إلى ما أصبح من الحقائق التي ليس عليها غبار في الثقافة الغربية من زيف ما هو منسوب إلى الفكر السوسيري، لقد أسهمت المصادر المخطوطة في إضاءة الكثير من مواضيع نشرة 1916 ومكنت اللسانيين من إعادة رسم القلب النسقي والبناء النظري للفكر السوسيري، وأوضحت لنا ملامح لسانيات الكلام من مشروعه المعرفي فقد كان على يقين بالعلاقة التلازمية التي تجمع بين أواصر لسانيات الكلام ولسانيات اللسان والدور يضطلع به الأخير في العملية التواصلية.²

3- قراءة في مقال دروس سوسير بعد مائة عام لحسين السوداني

كما أرفق الباحث هذا العمل بمقال "دروس سوسير بعد مائة عام" الصادر عن مجلة المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس في 2018، وهو مستل من الأطروحة التي سبق التقديم لها، راجع فيه المنعرج الذي اتخذته البحث اللساني العربي بعد التلاقح مع قنوات هجرة المعرفة السوسيرية.

المبحث الخامس - جهود المشاركة في تمثيل برنامج السوسيرية الجديدة

أولاً - ترهين برنامج السوسيرية الجديدة في الخطاب اللساني المشرقي

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 165.

² - كافية بلهوشات، مفيدة بن وناس، مكانة لسانيات الكلام في الفكر السوسيري وفقاً للمصادر الأصول، مجلة اللغة والوظيفة، ج 9، ع 1، 2022، ص 125.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

1- لعل من الكتب المبكرة التي عملت على تقديم هذه المعرفة إلى القارئ العربي من خلال عملية نقل المعرفة هي ترجمة محمد خير محمود البقاعي كتاب **ل ميشال أريفيه "البحث عن فردينان دو سوسير"** ، والمميز في هذه الترجمة علاوة على أنها من الأعمال المبكرة في الأقطار العربية، أن أستاذ السيميائ خاص الترجمة العربية بمقدمة مهمة يوضح فيها الأغراض الخافية من هذا العمل الذي يقدم لنا تعقيدات وتنوعات فكر سوسير على المستوى اللساني وعلى المستوى السيميائي، للتدليل على القيمة التأسيسية لهذا المفكر في تطور مجال العلوم الإنسانية، عمل على إعادة معالجة وقراءة تعاليم سوسير لاستجلاء أسرار وخفايا متنه، وفق رؤية مغايرة تتوخى الدقة والوضوح والموضوعية.

2- وكانت من الجهود المبكرة التي نهضت بتقديم هذا المجال ترجمة ربما بركة لكتاب **"فهم فردينان دو سوسور وفقا لمخطوطاته - مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات -" لويك دوبيكير**، الذي عزم للتقريب في الأصول والمصادر المخطوطة التي هي في محاكاة مباشرة للهندسة المفاهيمية لأستاذ جنيف، لإعادة هيكلة فكره بعيدا عن أفكار النسخة الشائعة، وفي ذلك يقول تسعى المقاربة المعتمدة على تتبع الترتيب الزمني للمخطوطات، مع المحاولة في أن تبقى قدر الإمكان من تطور فكر سوسير، إنها مقارنة نسبية تهدف إلى استخراج ترابط الأفكار التي قادته إلى نظرية محددة في اللسانيات العامة، وهذه النظرية تظهر في النهاية، في كل ترابطها، من دون أن يستطيع أن يكتبها في كتاب جميل.¹

3- أما كتاب **"النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية" لماري آن جورج إلياسرفاني**، ترجمة محمد الراضي، فإن هذا الكتاب لم يخصص لتقديم النظرية السوسيرية الجديدة بل هو موضوع لمناقشة النظريات اللسانية الكبرى ابتداء من القرن

¹ - ينظر: لويك دوبيكير، فهم فردينان دو سوسور وفقا لمخطوطاته (مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات)، ص 253.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

التاسع عشر والتي ساهمت في تحديد مسارات لسانيات القرن العشرين، وكان يستوجب هذا الغرض المرور بالتعاليم اللسانية التي ناقشها الباحث وفق طبعة تومور وأنغلر ونشرة كوماتسو وجهود بوكي.

4- كذلك نجد أن كتاب **ميلكا إفيثش "اتجاهات البحث اللساني"** المنشور في 2000، لم يوضع لمناقشة كل حيثيات الفيلولوجية السوسيرية، والمطالع لصفحات هذا البحث القيم، وهو من الكتابات المترجمة المبكرة في بداية القرن الواحد والعشرين يلاحظ إشارة الباحثة الى انجاز غودل في مجال السوسيرية الجديدة، الذي كشف عن خفايا التكوين المشبوهة التي لم تتناسق في محاور كثيرة مع مقولات الأستاذ، وعمدت إلى التدايل بالتمييز الفاسد بين اللسان والكلام، بالإضافة إلى العديد من المسائل التي خان فيها قلم الناشران المقاربة السوسيرية.

ثانيا: كتابات المشاركة التي قدمت للنموذج السوسيري

1- قدم الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري مقال موسوم بـ "ليس العبقي معيار للحقيقة" الصادر عن مجلة الفيصل في 2016، وهو نقد للفكر السوسيري المتردد الذي لا يثبت على رأي، وهو نقد أيضا لكل من يعتبر هذا الفكر المتأرجح القائم على التلميحات الخافية معيارا للحقيقة أو أشبه بالقانون الملزم علينا قياس جده منجزاتنا به.

2- قدم محروس السيد بريك مقاله " التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة"، الصادر في 2017 عن مجلة البحوث والدراسات، ويحاول هذا المقال الإلمام بملامح التلقي العربي الراهن للحركة السوسيرية الجديدة، ومدى مواكبة هذا التطور المعرفي، والغرض الأساس هو تمثيل الجهود العربية اللسانية في هذا الميدان، فهل وقفت الأقلام عند حدود نقل المعرفة أم تجاوزت ذلك إلى نقد وتقويم المعرفة اللسانية؟، فعمل الباحث أولا على رصد الترجمات الراهنة التي واكبت

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

المتغيرات الجديدة، ثم عمل على تجلي المعرفة العربية، وأخيرا الاحتفاء بمثوية سوسير، دأب الباحث على تعقب التدوينات والمحاولات الجادة في التأليف وإطلاع المتلقي العربي على الكتابات السوسيرية الحديثة التي ظلت أسيرة لسوسير النمطي مقيدة بالأفكار التقليدية لكتاب المحاضرات.

3- "مخطوطات فردينان دو سوسير وأثرها في تأسيس اللسانيات السوسيرية الجديدة"

لصلاح الدين يحيى، وكما هو موضح من العنوان فهذا مقال تمهيدي للسوسيرية الجديدة يقدم لنا سوسير النموذجي الذي تم اختزال مقولاته وبالتالي تم التقليل من قيمة نظريته ومنهجه، وسوسير الحقيقي الذي نجد الصورة المكلمة والنهائية لنظريته في المخطوطات الأصول والمصادر والتي تساهم في قراءة جديدة لنسقه التصوري، وهذه دعوة إلى الإقبال على اللسانيات السوسيرية الجديدة.

4- أما المقال الذي نحن بصدد الآن فهو من تقديم الأستاذ عبد القادر فهميم الشيباني

بعنوان "أسرار التأليف هكذا سمعنا المعلم في الكتاب: " محاضرات في اللسانيات العامة"، صدر عن مجلة أيقونات بكليات التقنيات العليا، قسم اللغة العربية والدراسات الإماراتية، في 2018، ويبدو أن هذا البحث سيختص بسرد أسرار عن الخلفيات المشبوهة لإعداد النشرة، التي هي في الأساس من تحرير ناشران لم يكونا من المستمعين المباشرين، وتم الاعتماد في عملية إعادة البناء على مجموعة من المصادر غير المتجانسة، هذا الوضع المقلق من الفوضى بين ملاحظات غير مكتملة ومصادر متناقضة، دفع بالي وزميله إلى إخضاع هذه النصوص الناشرة إلى أقصى درجات الانسجام وذلك بتشكيلها ضمن نسق متكامل الأركان واضح التصورات، هذا الزيف الذي عمل الباحث على كشف أسرارته وذلك بالتحري عن اليد الخفية التي شكلت لنا في النهاية نص المحاضرات.

ثالثا - جهود عربية مازالت في راهنية النسخة الشائعة:

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

سنقدم في هذا المبحث منشورات عربية معاصرة ما تزال إلى يومنا هذا في معتقل سوسيري التقليدي المتخيل، ولم تتمثل المعرفة الجديدة والضجة التي أحدثتها نشر كتابات مختار زواوي ومصطفى غلفان، وكأن هؤلاء الباحثين في برجم العاجي بمنأى عن مستحدثات الدرس اللساني.

1- وأول هذه الأعمال التي نعرضها هي مقال "فردينان دي سوسير وتأسيس المفاهيم الأمهات للسانيات والإنسانيات رؤية نقدي"، لعبد الفتاح فريخ بدرية ، المنشور من قبل الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية في 2021، ودارت ورقات هذا المقال حول الثنائيات السوسيرية كما هي في نص النسخة الشائعة، وأثرها في ظهور اللسانيات الاجتماعية والأطلس اللساني، كل هذا بمعزل عن الكتابات العربية التي عملت على تمثيل الحركة الجديدة ونقل لسانيات المخطوط.

2- أما ثاني هذه الدراسات فهي من تقديم الأستاذ عطاري الطيب "اعتباطية العلامة اللغوية فكرة عربية قبل سوسير"، الصادر عن الدراسات اللسانية في 2018، يشي عنوان البحث أن الباحث يتبنى النظرة المختزلة للعلامة اللسانية كما قدم لها الناشران، ويعمل وفق هذه الرؤية عن البحث والكشف عن مرادفات إجرائية تقابلها في الموروث اللساني العربي.

3- ودرس ختيم عزوز في مقاله "تلقي اللسانيات البنيوية في الدرس اللغوي العربي بين السياقات التاريخية وطبيعة التلقي"، المنشور في مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب في 2021، طبيعة التلقي العربي للطفرة التي أحدثتها نشرة 1916، وذلك بالعمل على رصد مستويات التلقي بالإضافة إلى الإشكالات والعوائق ليستخلص في النهاية النتائج.

4- وعلى هذا النحو أيضا جاء بحث علي أحمد الشروش وعاطف عبد الكريم السلامات "بحث في دي سوسير عالما لسانيا فذا" ، المنشور في 2015 في مجلة

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

كلية الآداب واللغات، جامعة طنطا، زاوله لدراسة المنطلقات النظرية للسانيات السوسيرية وفق ما هو موجود في الكتب التمهيدية.

5- كذلك نجد أن مقال " كيف تعرف اللغويون العرب على فردينان دو سوسير " للخبر داودي، الصادر في 2015 عن مجلة دفاتر بحوث علمية، لم يخرج عن نطاق البحوث السابقة، فالكاتبة رغم اعتمادها في مصادر بحثها على كتاب ميشال أريفيه الذي يعتبر من أهم المصنفات الحديثة التي اهتمت بفتح النص السوسيري على مسالك تأويلية جديدة، غير أنها ألقت نظرة سريعة على هذا الكتاب، وانحصرت ورقتها الباحث في طبيعة تلقي البحث اللساني العربي لمضامين نص الدروس فقط، وكانت بمنى عما يدور في الأوساط العلمية من تحولات جذرية تمس موروثنا الحديث الذي بدأ مع تلقي النسخة المملوكة من سوسير.

6- أما المترجم تحسين رزاق فسعى إلى تقديم نص روسي للباحث كاشكين بعنوان " سياق النظرية السوسيرية ونتائجها " ، المنشور بتاريخ 2018، يتوقع القارئ أن هذا النص لا ريب أنه ضمن المنشورات العلمية التي عملت على تمثيل معرفتنا الجديدة بتوقعات الأستاذ، خاصة وأنه مترجم من الثقافة الروسية التي عرفت هذا المنجز الغربي قبلنا، ومع أن صاحب المقال أشار إلى أن الفكر السوسيري أعمق مما هو موجود في شكل نصوص مقتضبة، وأوسع من دراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته، وغيرها من الأفكار التي لازمت ذكرى الرجل، سوى أنه في العرض يقدم لنا مبادئ علم اللسانيات في سياق رؤية سوسير المتخيل، الذي اتخذ مقياس للتأثير الفكري الذي مس جميع جوانب منظومة العلوم الإنسانية.

هذه بعض النماذج من الكتابات اللسانية العربية المعاصرة التي كانت بمعزل عن متابعة كل نشاط في مجال التخصص، ولو عكفنا على تقفي أثر كل البحوث التي لم تتمثل المعرفة السوسيرية الجديدة لأعيننا الأمر، لذلك اكتفينا بهذه النماذج التي تمثل قلة من كثرة، وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من المحتويات على قنوات اليوتيوب، والتي

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

زاد الطلب على محتواها بعد جائحة كورونا، باعتبارها فضاء رقمي يسهل من عملية التعليم، نجد أن الكثير من القنوات التي هي وجهة الباحث اللساني، لازالت تلقن الطلبة تعاليم سوسير من مضامين النشرة، وفق رؤية اختزالية مبسطة لثنائياته النسقية، وعند تواصلنا مع أصحاب المحتوى واستفسارنا عن سبب تقديمهم لسوسير البنيوي التقليدي وعدم مواكبة الكتابات الجديدة، كان الجواب واحد وهو عدم الإطلاع على هذا المستحدث اللساني الجديد من جهة، ومن جهة أخرى كان عليهم الالتزام بالمقرر الدراسي كما هو.

رابعا-التجاهل العربي للمعرفة السوسيرية الجديدة:

لم تتأخر الثقافة العربية في تلقي مفاهيم المحاضرات وتقديم ترجمة مبكرة لهذا المنجز، بل إن هذه الجهود التي عكفت على دراسة كل ما يتعلق بمتن النشرة والتأثير الذي مارسه في مجال الدراسات اللسانية والإنسانية عن طريق الترجمة والنقل، تأخرت للمرة الثالثة في استيعاب الحركة الفيلولوجية والأمر المثير للحيرة هو انه في ظل هذه الافتتان المعرفي بالنسق الهندسي السوسيري كانت هناك حركة موازية في اللسانيات الغربية تعمل على تقويض هذا النموذج وتعمل على إقامة تحقيق فيلولوجي شامل لكل ركن من أركان النشرة، ولنا أن نسأل أين الباحث العربي من كل هذا؟، لماذا هذا التغيب التام للسوسيرية الجديدة في الأوساط العلمية العربية؟.

لعلنا نجد الجواب إذا عدنا إلى طبيعة التلقي الذي كان في المشرق العربي يتمثل سياق المعرفة عن طريق تعاليم المدرسة الإنجليزية الفيرثية التي مازالت في انغماس كلي مع طروحات النسخة الشائعة، أما المغرب العربي فقد كان يتقفى تعاليم هذه المعرفة من الثقافة الفرنكفونية التي كانت في مرحلة تجاوز للبنوية المنغلقة على نفسها إلى حدود لسانيات الخطاب، والتي هي نفسها لن تولي هذا التحقيق الفيلولوجي الذي بدأ مع غودل من جنيف أية أهمية فإميل بنفنيست في محاضرة افتتاحية بمناسبة إحياء

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

ذكرى "سوسير بعد نصف قرن" يذكر مؤلف غودل لكنه أضاف مباشرة بخصوص

دراسته المتن السوسيري: أن هذا ليس موضوع الحديث.¹

بالتالي فالأوساط العلمية في هذه الفترة الحساسة من الانتقال من لسانيات اللسان إلى لسانيات الكلام، ومن المنهج الوصفي إلى المنهج التوليدي التحويلي كانت في حالة خروج من الأزمة البنيوية التي كانت نتيجة الانبهار بالنسق السوسيري المزيف، وفي أثناء هذا الخلع والتجاوز لتعاليم الأستاذ، كانت المدرسة الجنيقية في بداية خوض غمار هذا التحقيق وهذه الاكتشافات، التي كانت ربما تشي في هذه المرحلة الانتقالية بنوع من الهوس والتقديس لسوسير الذي يعتبر مركز لا يمكن تجاوزه خاصة بالنسبة إلى أعلام هذه المدرسة، وكأنها دعوة إلى إحياء الكتابات السوسيرية التي بدأت تطرم تحت المنجزات الجديدة، وتغييبها في هذه الفترة رافقه انطماس لملاحها في المنجز العربي.

لكن هذه الحركة بدأت في التوسع وفرض مجال لها خصوصا مع ظهور طبعة أنغلر النقدية وطبعة تومور الإيطالية، وزاد الاحتفاء بها خصوصا مع ظهور لسانيات المخطوط والكتابات الأدبية، ورافق هذه الشهرة كتابات تمهيدية في مختلف الثقافات مع إتباع ذلك بترجمات لنشرة 2002، التي ترجمت إلى ثلاث عشرة لسان.²

ومنذ مطلع الألفينيات عمل بعض الباحثين على تقديم ترجمة لأعمال قيمة قدمت قراءة عميقة لهذا المنجز الغربي، ومع ذلك بقت هذه الحركة في طي النسيان لدى المتلقي العربي، رغم أنه استفض في تقديم اللسانيات العامة حد التخمة، وأصبحت كل

¹- ينظر: فرانسوا راستيه، سوسير في المستقبل كتابات مكتشفة وتلقيات جديدة مدخل إلى إعادة قراءة سوسير، تر: حافظ إسماعيل علوي وحسن المودن، ص455.

²- ينظر: محروس السيد بريك، التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة، مجلة اللساني، ج1، ع1، ص9.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

محاولة للكتابة أو الخوض في غمار الموضوع اجترار لا طائل منه، فما سبب هذا التأخر؟.

يفسر هذا الأمر مرة أخرى بنظرة المثقف العربي إلى الثقافة الغربية التي هي صاحبة الخطوة الأولى في كل مجالات المعرفة، وقد عملت المجتمعات العربية على تقفي أثرها في كل شيء إلا القلة القليلة حتى كان شبه انعدام لنظرية لسانية عربية أصلية لا تمازج المناهج الغربية، كان الدرس اللساني العربي انعكاس لما توصلت له البحوث الأوروبية والأمريكية، فبعد الانتهاء من الاحتفاء باللسانيات العامة ظهرت لسانيات الملفوظ التي فتحت مجال الحوار مع لسانيات الكلام وأعلنت من قيمته بعد التهميش والإقصاء الذي شهده في المرحلة البنيوية ، فإفككت الأقلام العربية على تقديم هذا التوجه الجديد الذي يعلي من قيمة لسانيات الكلام، أما الأقلام العربية التي هي صدى للثقافة الانجليزية فعملت على مواكبة القطيعة التي أقامها تشومسكي مع المنهج الوصفي الذي يقف عند حدود الوصف فقط لا يتجاوزه إلى التفسير والتحليل.

يفسر انطلاقا مما سبق سبب تأخر تمثيل الكتابات السوسيرية إلى 2017 مع كتاب مصطفى غلفان " لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد لمخطوطاته"، الذي كان فتحة هذه الحركة العربية التي زاولت الحركة الفيلولوجية السوسيرية.

والنلاحظ أن أغلب الباحثين المحدثين يشتغلون بترجمة المؤلفات الغربية التي عالجت التوقيعات السوسيرية دون أن تكون لهذه الترجمة غاية سوى التعريف بهذه النظرية وتقديم نقد لنسخة الناشران، إلى متى سيظل الدرس اللساني العربي أسير المنجز الغربي؟، إلى متى سنظل بين ثنائية التقديم التمهيدي والنقد المفاهيمي والبحث عن معادل في الدرس اللساني العربي؟، متى سنصل مرة ثانية إلى مرحلة الإبداع والتجديد من حوض المعرفة العربية الخالصة دون الاعتماد على جهد الغير؟، هل وضع النظريات وتقديم المفاهيم الإجرائية والمناهج العلمية حصر على الثقافة الغربية؟، أو نحن من اخترنا عباءة التقليد التي لا تتجاوز في الأغلب حدود الترجمة والبحث عن

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

معادل عربي؟، وكأن العقول العربية رسمت لنفسها حدودا عند هذه النقاط تتخرج من تجاوزها، وكان الوعي العربي اقتنع بدور الكمبرس، وأن دور البطولة دائما من نصيب الغرب، إلى متى سنظل نرى ذواتنا في الآخر؟.

المبحث السادس: حقيقة جنائية الناشران على فكر سوسير الحقيقي:

أولا- الناشران في قفص الاتهام:

توصلت الدراسات الفيلولوجية في تحقيق نصوص سوسير مقارنة بالمصادر الأصول إلى سوء فهم بالي وألبرت لفكر أستاذهما، ذلك لأنهما لم يراعى الجانب الحركي في دروس السنوات الخمس، وما اعترى المفاهيم من ارتباك وما أصاب الجهاز المصطلحي من اضطراب نتيجة حالة القلق الفكري الذي يعيشه سوسير في موضوع يصعب تحديد بداية الانطلاق فيه، هذا الاعتراف الذي ما توانى الجيل الجديد من السوسيرية من التدليل عليه في كثير من المسائل، وتفسير بمقتضاه عتبات الاختلاف بين نص الدروس وفقرات الطلبة وتوقيعات الأستاذ، لكن ألم تشي العلاقة المتينة التي كانت تجمع الأستاذ بأنجب طالبيه في جنيف، ونحن هنا لا نتحدث عن طالبيين مبتدئين، بل إن لكل من بالي مؤسس الأسلوبية التعبيرية و سيشهاي اللساني المحنك في مجال الدراسات اللسانية، باع كبير في هذا المجال، فكرة عن هذا المشروع الذي هو في طور الإنجاز؟.

لم يتمكن الأستاذ من الصياغة النهائية لهذا النموذج التصوري في اللسانيات العامة، بل إنه كان يختبر مجالات معرفية جديدة في خلوته وهو بصدد إلقاء محاضراته، ولنا أن نسأل مرة أخرى، ألم يكن الناشران على علم بهذا القلق الفكري وفوبياء الكتابة التي يجاهدها الرجل؟، قطعا كانت الإجابة نعم، ففي إشارات كثير ألمح الناشران إلى إطلاعهم المباشر على هذا المشروع، ومدام الحال كذلك، هل كان من الممكن تقديم نظرية غير كاملة تدعي التأسيس الموضوعي للسانيات العامة، وذلك

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

بتقصي القصور المنهجي في اللسانيات التاريخية والمقارنة؟، هل كان من الممكن

الانطلاق من جهاز مفاهيمي يشوبه الفوضى وعدم الدقة؟.

من أساسيات البناء السليم أن تكون صلبة الأساس؛ بمعنى نضج النظرية، وتوقع

الأسئلة والتصدي للانتقادات قبل صدورها، والانطلاق من رؤية شمولية تكمل نواقص

لسانيات القرن التاسع عشر، ألم يتوقع الناشران كم السخرية والتهكم الذي سيتعرض

إليه العمل إن نشر في تلك الصورة التي تتم أكثر شيئا عن عدم الوصول إلى جواب

نهائي، كما أن الهندسة المصطلحية تحمل مفاهيم متباينة ليتمكن الوقوف على فحواها

إلا بالرصد التاريخي والمعرفي لفكر الرجل، ومدام الحال كذلك، نفترض أن الناشر

كانا على أتم اليقين بالتباين الحاصل في الصياغة غير النهائية في الخطاب الشفوي

لكل طالب، ولم يكن الحل أمامهما سوى إعادة البناء والتركيب مع المحافظة قدر

المستطاع على فحوى الفكر السوسيري، بإعمال التأويل في حدود الممكن.

تقديم أستاذ صارم جاف تعكس تصورته قوة وعمق فكره، أفضل من أستاذ متردد قلق

فكريا مرتبكا متباينا في منهجه، ليتمكن هفي ظل هذه الصورة من زعزت القيمة

التأسيسية التي كانت تنبؤوها الدراسات التاريخية أو إقامة قطيعة ابستمولوجية بملاح

شكاك لا نملك منه سوى فقرات مبنورة.

يفسر مصطفى غلفان السبب الكامن وراء اختيار الناشرين دروس العام الثالث نقطة

للانطلاق، وذلك لما اتسمت به تأملات سوسير أثناء هذا العام من عمق في التحليل،

ونضج في تصور القضايا اللغوية، ودقة في وضع المفاهيم وصوغ المصطلحات

المناسبة لها مقارنة بما قدمه في العامين الأول والثاني.¹

وعليه يمكن القول أنهما لم يكونا غافلين عن طبيعة النص ولكن بفضل الحس

النقدي كان الأنسب مزاوله العمل من صياغة دقيقة شاملة موضوعية ونهائية، كما أن

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 249

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

الجيل الجديد من السوسيريين دأبوا على التنبيه على أنه لا يمكن قراءة مضامين دفاتر الطلبة وتوقيعات الأستاذ بمعزل عن نشرة 1916، لأنه العتبة الأساسية لفهم مضامين ما تم تقديمه من تحقيقات أولية.

أليس هناك حل يغني عن العودة لنص محرف مشوه، يبدو أن المحققين توصلوا إلى أن النهج الذي قدم به الناشران النسخة الشائعة هي الصبغة المتميزة للدروس، حتى أن طبعة كامتسو التي عمدت إلى إعادة نشر كل الدفاتر وفق تسلسل دروس المحاضرات على امتداد خمس سنوات لم تغن المتلقي للسانيات السوسيرية عما تم تقديمه في عمل بالي وزميله، كما أنه عند الإشارة إلى صنيع الطالبان تجد كلمات من قبيل تعديل، تحريف، تأويل، تحوير، هذه العبارات التي تشي - رغم ما تحمله من تجريح لنيتهما - بالوعي بصعوبة الوصول إلى ضبط نهائي لهندسة مفاهيمية متشابكة، ثم لا يتحرج البعض من القول بأنهما لم يفهما عبقرية الرجل مع أنهما كانا الأقرب تاريخيا ومعرفيا وبالتالي الأنسب لتمثيل هذه العبقرية عن سواهما.

ثانيا - أين سوسير:

أثارت الحركة السوسيرية الجديدة ضجة واسعة في الأوساط الغربية والتي انتقل صدها بعد مدة طويلة إلى العالم العربي، والفكرة الأساسية التي قامت عليها وروجت لها كشعار هي العودة إلى سوسير الحقيقي الأصلي وليس إلى سوسير المتخيل الذي نسجه الناشران وفق تأويلهما الخاص، وقد زاد هذا الإلحاح بضرورة إعادة قراءة وفهم هذا الموروث الكلاسيكي خاصة بعد ظهور مخطوطات مشتل البرتقال التي يزعم أنها خلاصة لنظريته في اللسانيات العامة، ولكن بعد الاطلاع الموسع على ما كتب من منشورات علمية تعرف بجهود هذه الحركة وبعد الاطلاع على ترجمة مختار زواوي لنشرة 2002، والتأويلات الموسعة التي عملت على تقديم قراءات متنوعة لهذه الملاحظات، اتضح أننا لسنا في عودة تامة إلى سوسير بل نحن في خضم عودة إلى

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

قراءات فيلولوجية جديدة لتعاليم الأستاذ التي لطالما كانت في شكل استفهامات تعكس إشكاليات أقرب من طرح مسلمات ومعتقدات نهائية.

هذا الفكر المتردد القلق المتناقض في أحيان كثيرة هو الذي ألقى المحاضرات على مدار خمس سنوات على مجموعة قليلة من الطلبة لا تفقه كثيرا في هذا المجال الحديث، وبالتالي صعوبة في الإلمام الكلي بعمق وسعة الخطاب الشفوي أثناء عملية التلقين مما يؤدي إلى تبسيط أو تحريف للمقصد أثناء عملية التأويل، هذه الدفاتر المتباينة هي التي انطلقت منها عملية الهدم وإعادة البناء من قبل بالي وألبرت والتي تستلزم بالضرورة إعادة تأويل جديدة وإضافة تعديلات لترميم الشروحات التي هي نتيجة حتمية لنموذج غير مكتمل في طور الإنجاز مر بالعديد من المسالك التأويلية، في ضوء هذه الفوضى تم إنجاز نشرة 1916م والتي كانت المسؤول المباشر في تكوين سوسير المتخيل في أذهاننا ردحا من الزمن.

نفس النهج سلكته الدراسات الفيلولوجية والطبعات النقدية في عملية التحقيق والكشف عن خبايا متن النسخة الملفقة، فأغلب جهود هذه الحركة انطلقت من توسع في عدد الدفاتر التي أهملها الناشران، أو كانت مغيبة عنها في إعادة اكتشاف الخطاب الأصلي، فقدموا لنا قراءة تأويلية لتأويل قسطنطين، وتأويل باتو... إلخ، التي هي في أحيان كثيرة تشي بفهم مختلف لنفس الفكرة.

ثم جاءت الهبة عند العثور على لسانيات المخطوط التي هي في شكل أسلوب مقطوعات يتخللها الكثير من الحذف والاختصار والشطب، ولعل القارئ وهو يطالع هذه المسودات يتبادر إلى ذهنه مجموعة من الأسئلة منها: ما الذي قاله سوسير ولم يكتبه؟، أو ما تلك الفكرة التي ما لبثت أن لمست أطراف قلمه حتى اختفت؟، لما كل هذا التردد في تحرير مسودات لن يطالعها غيره؟، ما دلالة تلك الشطوب؟، لما النصوص مختزلة إلى تلك الدرجة مع أنها كانت موجهة للنشر حسب التبويب العام

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

ومخاطبة القارئ في سطورها؟، هل كان فعلا مؤلف موجه إلى النشر وهو على تلك

الهيئة التي هي أقرب إلى الملاحظات والفقرات المبتورة من نص يحوي فكرة تامة

ونهاية؟، لماذا لم ينفذ هذا المشروع رغم أنه بدأ العمل عليه قبل وفاته بما يقارب 23

سنة؟، هل هي فوبيا الكتابة كما صرح من قبل؟، أو الخوف من التعرض إلى التهكم

والسخرية مرة أخرى؟.

تبقى هذه الأسئلة والكثير غيرها دون جواب نهائي لأن سوسير لن يجيبنا بل أتباعه

ومؤوله الذين يعملون على استنتاج توقعاته كل حسب تأويله الخاص ووجهة نظره

إزاء الموضوع، وإذا كان راستييه ابتعد قدر الإمكان عن دفاتر الطلبة والمركزية التي

يمارسها نص الدروس، واعتمد فقط على الكتابات السوسيرية التي تمثل نقطة العبور

الوحيدة لقراءة وتأويل وتقويم المتن انطلاقا من السياق التاريخي والمعرفي، لكن يبقى

عمله محاولة تأويلية لهذه التساؤلات لهذا المحو، لهذا الصمت، وفي هذا المقام

يستحضرنا مقولة لنورماد قال في نصها «أن نختار الضياع داخل سحر هذه التدوينات

المتناثرة، المتكررة، التي تتخللها بياضات تأتي أحيانا في شكل نقط حذف مثيرة

للفضول (...)؟ وفي الأحوال كلها، لا يمكن للمرء إلا أن يتوقع إعادة بناء، وهي بالتالي

تأويل.¹»

¹ - فرانسوار راستييه، أن نقرأ نصوص دي سوسير، تر: حسن المودن، ص463.

تجليات التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة

بالتالي فإن الفكرة التي قامت عليها هذه الحركة ليست كما هي مصورة من عودة إلى سوسير الحقيقي، بل هي عودة تفرض المرور على المتاهات التأويلية التي تهيمن عليها في جوانب كثيرة الذاتية وإعلاء من شأن هذا الفكر الذي هز الفكر الإنساني بداية من القرن العشرين، هي عودة إلى خطاب مؤول ولكنه أكثر تحرياً للدقة وللأمانة العلمية والشفافية في النقل، ومع ذلك فليس الأستاذ هو الذي يتكلم، ليس هو الذي يدون بل من يقرؤونه.

خاتمة

خاتمة:

أفضت الدراسة لجملة من النتائج والتوصيات أبرزها:

- انطلاقا من المعطيات الفكرية والمعرفية لسوسير، اكتشفنا أنه شخصية منعزلة مهمشة من قبل أقرانه، وكانت الصدمة الألمانية من الدوافع المبكرة التي عجلت بحالة السكون التي كانت تجسد مأساة فكرية، لولا الحركة التي قام بها شارل بالي وزميله، لمات هذا المشروع غير المكتمل مثلما مات صاحبه.

- أصبح من غير الممكن فهم الخطاب السوسييري الذي أسس به الدرس اللساني دون تفحص البناء المرحلي المنظم الذي شكل لنا هذا النموذج، في خضم الانصهار مع أقطاب فكرية مختلفة.

- إن التفاعل بين الدراسات الإنسانية والبحوث العلمية الدقيقة لم يتوقف لحظة عن التلاحق، وتعتبر الميزة التي تفردت بها الدراسات اللسانية في الحقبة التي عايشها سوسير الطفرة النوعية التي حدثت في مجال الدراسات النموذجية بفضل دقة نتائجها، لذلك أصبحت مثالا يحتذى به في دراسة اللسان البشري، ولعل هذه أهم سمة ميزت المحيط المعرفي ال ذي قدم فيه الأستاذاهم طروحاته النقدية.

- إن النقد النقوي الذي قدمه سوسير إلى مدرسة بوب أو غيرها من التيارات الفكرية ليس كما يزعم أنه أراد إقامة قطيعة إبستمولوجية مع محيطه الثقافي، بل كان في تفاعل مستمر مع المستجدات العلمية، ولا يمكن فهم الهندسة النظامية للسانيات السوسييرية سوى برصد الحقول المعرفية التي عايشها في إطار جدلية الامتداد والقطيعة.

إن عدم وقوف الناشران على الطابع الخاص لكل دورة، والبناء الهيكلي المتناسق بينها، أدى إلى تشويه وتحريف الكثير من المقولات السوسييرية، وكان لابد في خضم هذا المشروع الضخم من نظرة كلية تتقصى كل تفصيلة في جميع أبعادها.

- هناك خلل ترتيبي، حيث نلاحظ أن الناشران لم يلتزما بالترتيب الكرونولوجي الذي انتهجه سوسير في نص الدروس، كما أنهما عمدا في الكثير من المواضع إلى عدم الإفصاح التام عن جميع تصوراتهما، كما هو ملاحظ أيضا أن الطالبان قاما بإضافة مقولات على أنها لسوسير وهي ليست من تدويناته، والدليل من ذلك العبارة التي كانت خاتمة ومعبرة عن لسانياته، وما هي في حقيقة الأمر إلى تصور يعود إلى مدرسة بوب.

- مكنت العودة إلى سوسير في سياق المصادر المخطوطة من تقديم الأمثلة الملموسة على حجم الاختلالات الفيلولوجية التي وقع فيها الناشران، ورغم ذلك لا يمكن بحال من الأحوال التشكيك في صدقة نيتهما اتجاه المعلم الأول للدرس اللساني الحديث، ولا بد لمن أراد الاهتمام إلى صورة مقارنة للفكر السوسييري من قراءة النسخة الشائعة في سياق التحقيقات الفيلولوجية.

- ولقد سطرت هذه الاختلالات الفيلولوجية مسألة تلقي الكتاب من قبل المجتمع العلمي الغربي في المرحلة الأولى، التي عرفت جملة من النقود وعزوف الكثير من اللسانيين عن جملة من القضايا المركزية.

- عندما فرغنا من تعداد مجمل النقود التي وجهت للنشرة في هذه المرحلة، تقصينا عملية ترجمتها واستقبالها في دول الشرق الأقصى، التي عملت في إطار ما هو موجود في نص المحاضرات من التأسيس للدرس اللساني بشكل منهجي وموضوعي، وقد تسبب سوء الفهم لمقاصد النشرة من قبل المترجمين الأوائل، في سيل من النقد على النظرية السوسييرية، حتى ظهرت حقبة عرفت بتوكييدا ضد سوسير التي هي مبنية في الأساس على سوء فهم.

- في المرحلة التي عرف فيها الدرس اللساني التركي مضامين النشرة كان في حالة استنفار لتوحيد نظامه اللساني، وبفضل الجهود الكبيرة التي بذلها فاردار في التأسيس المتين

للمصطلحات التركية، تم تقديم وفي ظل هذه الظروف الصعبة نسخة مترجمة ونموذج تركي خالي من كل الشوائب للنص الفرنسي.

- كشفت المنشورات الجديدة عن تعددية فكر سوسير، فتناولت كتاباته مسائل في علم النحو المقارن، بالإضافة إلى مسائل أدبية وفلسفية، واتضح أن أغلب هذه المخطوطات عبارة عن ملاحظات متناثرة ومجموعة من القصاصات.

- رغم أن القضايا الأدبية جاءت مهمشة في نص الدروس، غير أن أغلب المسودات التي كانت تقدم صورة صادقة لاهتمامات الأستاذ خاصة في العقد الأخير من حياته، جاءت خارج مجال اللسانيات، وكانت في المقام الأول ذات طابع أدبي، عالج فيها سوسير الأدب القديم بشعره ونثره، كما تطرق إلى التاريخ والحضارة في سياق بحثه في الخرافة والأساطير، هذا المبحث الذي فعل فيه مبادئ المنهج السيميائي.

- افترض اللغوي في دفاتر ملاحظاته الغير منشورة حول الجنس التصحيفي، أن هنالك عملية استتساخ صوتي منظمة تبني هياكل التراكيب الشعرية القديمة، كأن هناك دفن مدون أو ومضات موسيقية ترغب في السطح، وسعى إلى إضفاء الشرعية على هذه النظرية، من خلال نهج حسابي يتوخى الشمول والتفصيل والدقة، فامتازت دراسته بالبراعة التحليلية والاستبصار الفكري، والتزم اللغوي بصمت مذهل حول هذا النموذج الشعري الغير مكتمل، لعدة أسباب، إلى أن جاء جان ساتروبنسكي وجعل صمته يتكلم، وأثار هذا البحث نقاشات محتدمة، فرفع البعض نظرية الجنس التصحيفي إلى مرتبة الثورة السوسيرية الثانية، بينما يذهب البعض الآخر إلى النظر إليها على أنها مجرد بحث مضلل، وفراغ كاذب.

- تعتبر كتابات مختار زواوي من الكتابات التمهيدية المبكرة التي عملت على مواكبة هذا التطور المعرفي في مجال اللسانيات، سواء بتمثيل المعرفة وتأويل الأفكار والوقوف على مختلف أبعادها، وتقويم ونقد ما وجب نقده، أو ترجمتها عن عدة باحثين غربيين من الذين اهتموا بالعودة إلى أصل التجربة السوسيرية بعد ظهور التوقعات الأصلية.

- الكتابان اللذان أفردهما مختار زواوي لتقديم أنموذج عربي مترجم من الكتب المهمة التي يحتاجها الباحثون في مجال اللسانيات، وأصبحت كتاباته مرجعا للطلاب المتخصصين في هذا المجال، كما أن المقالات التي انصرفت للتدوين في سياق المنشورات الجديدة كثيرة، عمل أغلبها على تيسير هذه الحركة وتبسيط أهم مفاهيمها للمتلقي العربي.
- لا زالت هناك جهود عربية راهنة تتلقى التصورات السوسيرية الجديدة عبر نشرة بالي، وهي إلى وقتنا الحالي لم تتمثل المعرفة الجديدة حول فحوى عبارة العودة إلى سوسير.
- تعتبر كتابات مصطفى غلفان من أهم ما كتبه عن السوسيرية الجديدة، وقد اتسمت كتاباته عن غيره في هذا المجال بالعمق المعرفي والإحاطة بكل المنشورات العلمية التي تناولت أفكار سوسير الحقيقي، هذا ما وفقه إلى عرض نظريته الخاصة بأسلوب سهل ودقيق ووفق عرض ممنهج ومنضبط.
- أفرد مصنفاتنا فيه أهم القضايا المنهجية العامة في ضوء الفيلولوجية السوسيرية، ركز فيه على ثلاثة مفاهيم رئيسية في اللسانيات الحديثة بشكل عام وهي اللغة واللسان والعلامة، دون التوغل في الجزئيات التفصيلية، وكانت الغاية التي يريد التأكيد عليها وإيصالها واضحة المعالم إلى القارئ العربي، وذلك بالتنويه على البساطة المفرطة التي تم فيها عرض نظرية الأستاذ في نشرة بالي، وأصبح من الإنصاف إعادة فهم وقراءة وتأويل سوسير وفقا للمصادر المكتشفة.
- لم يدرس حسين اسوداني حيثيات موضوع السوسيرية الجديدة وتفاصيل القضية بشكل معمق، لأنه اكتفى بالإطلاع على مصدر واحد فقط في ظل هذه الحركة الفيلولوجية، هذا المصدر الذي لم يهتم كثيرا بطبيعة التباين الحاصل بين الدروس ولا بمسألة ترتيبها وعلاقتها بالنسق التصوري العام عند سوسير، وإنما جعل كل موضوعات تحقيقه الموسوعي تدور حول نص دروس في اللسانيات العامة منه ينطلق وإليه يعود، ومنه يكون سوداني متأثر فيما ذهب إليه من تصريحات بطبعة دومورو التي تقلل من هفوات التعديلات التي قام بها

الناشران، ولو أنه اطلع على الأبحاث التي أنجزها غودل بشكل دقيق وتفحصي لأدرك أن النسخة الشائعة تمثل تحريفا دقيقا للسانيات السوسيرية.

- كتابه في سياق السوسيرية الجديدة لا يندرج بشكل دقيق، ولا يمكن أن يكون سنداً فكرياً أو مرجعاً في البحث لمن رام تمثيل الفكر السوسيري الحقيقي، وليس كما هو الشأن مع الكتب المتخصصة في هذه المسألة، لأنه يفترض أن ما صدر مؤخراً من دراسات عربية تعمل على التأصيل للسوسيرية الجديدة في سياق ما أصبح متوفر من وثائق نادرة ما هي سوى توسعة لما جاء في نشرة 1916 ولا يوجد فيها تقويض لمادة الكتاب، وسوداني بهذا الطرح يضرب عرض الحائط بجهود أعلام هذه الحركة ويقوّض مشروع مختار زواوي.

-لقد احتضنت العديد من المراكز العلمية والجامعات العربية نشاطات علمية للاحتفاء بمئوية سوسير، خلال أعوام 2013 و 2016 و 2017، ومن هذه المؤتمرات من وقف على حجم جناية بالي وزميله على فكر الأستاذ، وعملوا على تقديم نظريته وفق المخطوطات المكتشفة، في حين نجد أن هناك بعض الأوراق البحثية ما زالت تحت سطوة الكتاب المحرف، بمعزل عن الكشوفات الجديدة في الفضاء المعرفي الغربي.

-بعد تقصي جميع الكتابات سواء المغاربية أو الشرقية، اتضح أن قلة قليلة من اللسانيين الذين كانوا على إحاطة باللسان الفرنسي عملوا على تمثيل المعرفة اللسانية الجديدة، ورغم قلة الأبحاث غير أن الجهود مازالت مبذولة، وهذا التلقي للأنموذج السوسيري الجديد لم يكن إلا في السنوات الأخيرة مع مجموعة من الباحثين العرب أغلبهم مغاربة، من قبيل جيلي محمد الزين، عبد القادر فهم شيباني، مبارك حنون...إلخ.

التوصيات:

- العمل على تكاتف الجهود العربية والمجامع اللغوية لوضع معجم لساني يتقصى الجهاز المفاهيمي السوسيري كما هو مجسد في توقيعاته ودفاتر طلبته، يراعى فيه سياق لسانيات القرن التاسع عشر التي تشكل فكر الأستاذ، ، ومع إرفاق كل ذلك بالمفهوم الذي تواضعت

عليه المدارس اللسانية، ليستطيع القارئ والباحث اللساني من إقامة مسافة نقدية بين المفهوم السوسيري واللسانيات الحديثة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لابد من تكثيف الجهود للإلمام بالمصطلحات المستحدثة والتي شكلت لنا النسق الهندسي الجديد، وعلى الباحثين القائمين على هذا المشروع أن يكونوا ملمين بالفيلولوجيات السوسيرية لإدراك البعد المفاهيمي للمصطلح لديه، كما لابد أن تكون لديهم خلفية معرفية باللسان اليوناني واللاتيني والسنسكريتي.. إلخ، وعلى إطلاع بمنجزات فلسفة اللغة وعلم النفس.. إلخ، فكما نعلم فإن فكر سوسير كان مفتوحا وفي تلقح دائم مع جميع ميادين المعرفة.

- زاولت أغلب الجهود العربية على التعريف بالسوسيرية الجديدة وترجمت أهم الأعمال البحثية في هذا الميدان، مع مناقشة أهم الثنائيات والمفاهيم الرئيسية إلى جانب اللسانيات العامة، كما تم التطرق بشكل جزئي إلى اللسانيات التاريخية المقارنة، تم من خلالها توضيح الكثير من المسائل التي كانت مغيبة في الثقافة اللسانية الحديثة، لكن إذا حاولنا التعرف على الوجه الآخر من سوسير الذي له بحوث قيمة في مجال الأدب لا نكاد نجد غير ومضات لا تشفي فضول الباحث خاصة حول دقاتر الجنس التصحيفي، الذي وصل الجنون به لحد أن وصفه جاكبسون بأنه يمثل الثورة السوسيرية الثانية، هذه الأحجية التي شغلت فكر جميع الأقطاب، ودونت فيها الكثير من البحوث والمقالات، وعادت إلى الفتور في الثقافة الغربية بعد أن نفذت فرضيات الباحثين.

لا نجد من الباحثين العرب من سعى إلى تمثيل المعرفة بها، رغم أن زواوي أشار إلى تأجيله خطوة التدوين في هذا المشروع حاليا لعدم تحقيق كل مخطوطات الجنس التصحيفي، ولكن ما تم تحريره في الغرب وما نقش من مسائل في هذه القضية يستحق أن تفرد له كتب مستقلة، أما عن مسألة تحقيق المخطوط فإن مخطوطات 1996 لم يتم تحقيقها بشكل كلي ومع ذلك انبرت الأقلام العربية لمعالجة مضامينها على هدى مادون من قبل السوسيريين الجدد.

- هناك بعض الباحثين العرب يدعون إلى هجر كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" وقراءة الفكر السوسيري من المصادر الأصول، ولكن أي شخص اطلع على ترجمة كتاب نصوص في اللسانيات العامة، يدرك أنها مجرد مزحة، وحلم بعيد عن الواقع، لأن هذه النصوص عبارة عن تعريفات مختصرة، بالإضافة إلى سمة عدم الاكتمال التي تتخلل العديد من الفقرات، كما أنها تتألف من اثنين وثلاثين نصا، تم تقديمها في خمس مجموعات إذا قرنت من حيث الحجم بكتاب المحاضرات، فهي لا تمثل على أقل تقدير فصل منه، كما أن طبيعة الطبقات النقدية تمنع من تمثيل المعرفة اللسانية بشكل دقيق، والحل الأنسب هو قراءة النسخة الشائعة في سياق ما تم تحقيقه في مجال اللسانيات السوسيرية الجديدة، إلى غاية أن يتم تقديم نسخة منقحة تراعي ما هو موجود في مسودات الرجل وتستقي ممارستها المنهجية والإجرائية مما أصبح متوفر في خطاب شفوي.

- لإيفاء السوسيرية الجديدة حقها والكشف عن حجم التعديلات في النسخة الشائعة لابد من الإقدام على ترجمة الطبقات النقدية التي عملت على التحقيق الفيلولوجي لكل ما هو موجود في الكتاب، ونخص بالذكر هنا عمل غودل 1957، طبعة أنغلر 1967-1978، بالإضافة إلى طبعة دومور 1967.

- إن أغلب البحوث العربية التي تعمل على تمثيل الفكر السوسيري الأصيل لم تخرج عن إطار التقديم التاريخي التمهيدي، وإذا تطرقت إلى مناقشة المسألة فإنها تقدمها على ضوء ما توصل إليه الغرب، دون العمل على استثمار هذه المعرفة في تطوير الدرس اللساني العربي، أو محاولة البحث في التراث العربي عن ممارسات إجرائية لهذه القضايا المهمة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص:

أولاً: المصادر:

- 1) جبلي محمد الزين، البنية الحجاجية في الخطاب السوسيري - دراسة مقارنة بين المحاضرات والمخطوطات، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2016-2017.
- 2) حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي - التلقي العربي للسانيات - ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2019.
- 3) فردينان دو سوسير، في جوهر اللغة، تح: سيمون بوكي ورودلف أنغلر، تر: مختار زواوي، دار الروافد الثقافية ، ط1، 2019.
- 4) فردينان دو سوسير، نصوص في اللسانيات العامة، تر: مختار الزواوي، دار الروافد الثقافية، ط1، 2021.
- 5) لمية قداش، لسانيات دو سوسير بين التمثل الغربي والتلقي العربي، دراسات معاصرة، ع1، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، أفريل 2020، مج4.
- 6) مختار زواوي، دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2017.
- 7) مختار زواوي، فردينان دو سوسير والشعر العربي ومسائل أخرى في اللسانيات المعاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، ع110، لبنان، 2019.
- 8) مختار زواوي، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فرديناند دو سوسير، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2019.
- 9) مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر أصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2017.
- 10) مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول، أنساق، ع1، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، فبراير 2018، مج2.
- 11) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2017.

ثانياً) المراجع:

- (1) عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1987.
- (2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة، مصر، ط2، 1950.
- (3) أبو الحسن القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: خضر مهنيتها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.
- (4) أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1964.
- (5) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، نشرأدب الحوزة، قم، ايران، 1405-1363، مج15، مادة "لقا".
- (6) أحمد سمايلوقتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مصر، 1998.
- (7) احمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.
- (8) إسماعيل احمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، دار حنين، عمان، ط2.
- (9) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990.
- (10) جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، دار هنداوي، القاهرة، 2012.
- (11) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار هنداوي، القاهرة، مصر.
- (12) جمال الدين الشيال، رفاة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، دار هنداوي، القاهرة، مصر، 1945.
- (13) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته-، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2009، 1.
- (14) حسين بن عبد السلام، إشكاليات فلسفية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2007.
- (15) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، السطيف، الجزائر، 2009.

- (16) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، ط2، 2000.
- (17) رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1982.
- (18) ريم بنت ماجد بن أديب عنتابي، الثيوصوفيا (دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، السعودية، ط1، 2015.
- (19) سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011.
- (20) سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر.
- (21) عبد الجليل مرتاض، مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، منشورات ثلاثة، الأبيار، الجزائر.
- (22) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007.
- (23) عبد العزيز نوار، النهضة العربية الحديثة، دار عين، القاهرة، مصر، ط1، 2002.
- (24) علي عبد الوافي، علم اللغة، دار النهضة، مصر، ط9، 2004.
- (25) عمر الدوسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر، القاهرة، ط8، 1973، ج1.

- (26) محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، 2001.
 - (27) محمد حسن عبد العزيز، رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر، القاهرة.
 - (28) محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.
 - (29) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
 - (30) محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي-دراسة مقارنة-، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1996.
 - (31) مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010.
 - (32) مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.
 - (33) ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.
- ثالثاً - الكتب المترجمة:**
- (1) أ. وليام.ك. جودج، محيط الثيوصوفيا، تر: جهاد إلياس الخوري، ط1، 2018.
 - (2) برجشرار، التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994.
 - (3) بريجيت بارتشت، مناهج علم اللغة من هارمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، 2004.
 - (4) بيبيردوكاسي، الفلسفات الكبرى، تر: جورج يونس، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1977.
 - (5) ج. فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1950.
 - (6) جورج أنطونيوس، يقظة العرب-تاريخ حركة العرب القومية-، تر: إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1966.

- (7) جوناثان كللر، فردينان دو سوسير تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، تر: محمد حمدي عبد الغني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000.
- (8) جوورج موان، تاريخ علم اللغة حتى القرن العشرين، تر: بدر الدين قاسم، مطبعة جامعة دمشق، 1972.
- (9) جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة ملك سعود، السعودية، 1994.
- (10) دانييل مانيس، علم اللغة، تر: سهيل عثمان، عبدالرزاق الأصفر، الموقف الأدبي، ع135-136، 1982.
- (11) روجي البعلبكي، المورد قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1995.
- (12) روي هاريس، سوسير وفتجنشتين فلسفة اللغة ولعبة الكلمات، تر: فلاح رحيم، جامعة الكوفة، بيروت.
- (13) فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، درا أفاق عربية، بغداد، ط1، 1985.
- (14) فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: محمد عجينة ومحمد الشاوش، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1895.
- (15) فرديناند دو سوسير، فصول في علم اللغة العام، تر: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الإسكندرية.
- (16) لويك دوبيكير، فهم فرديناند دوسوسور وفقا لمخطوطاته مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، تر: ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2015م.
- (17) ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، تر: ثائر ديب، دار الفرق، دمشق، سوريا، ط2، 2008.
- (18) ماري آن بافو جورج إلياسر فاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.

- (19) ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، تر: محمد البكري، يمني العيد، دار توبقال، المغرب.
- (20) ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، تر: محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2009.
- (21) ميشال أريفيه، السيميولوجيا السوسيرية بين الدروس في اللسانيات العامة والبحث حول الخرافة، تر: رشيد بن مالك، مجلة الآداب، ع5، أبريل 2020.
- (22) ميلكا إفيش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2000.
- (23) يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014.

رابعاً الكتب الأجنبية:

- 1) Adrien Alp vaillant, observations sur quelques aspects de la planification linguistique turque, belleten, 2009.
- 2) Alessandro chidichimo et Daniel gambarara, trois chapitres de "l'essence double du langage, librairie, droz, N61, 2008.
- 3) André Martinet, éléments de linguistique générale, Armand colin, pairs, 1980
- 4) André Rousseau, Saussure a paris ((1880-1891: le cours de grammaire gotique, comptes rendus des Sémces de l' académie des inscriptions et Belle-lettres, N1, 2009.
- 5) ArchivesFerdinanddeSaussure, bibliothèquedeGenèvemanuscrits etarchivesprivées, fondshttps://archives.bge-geneve .
- 6) Armand colin, les manuscrits de Saussure: une révolution philologique, cairn.INFO matières Àréflescion, N185, 2012..
- 7) chiara romagnoli, new developments of chimese interpretation of Ferdinand de Saussure linguistic thought, creative commons, Roma university, romeitaly, 2019, vol4.
- 8) Chiaraa romagnoli and pei wen, anew Chinese tradition al of the "cours de linguistique générale, librairie Droz, N60..
- 9) Christos chairis, vers unelinguistique inachevée, Peeters, paris, 2005.

- 10) Claudia Mejia Quijano, linguistique général de Ferdinand de Saussure. El primer euros introducción, entornos, N02, Novembre 2016, Vol29.
- 11) Clemilton lopes pinheiro, Ferdinande de Saussure et Eugenio ----cosseriu: propositions pour une linguistique in tégraliste, mondial de linguistique française, CMLF, 2020.
- 12) CLUDIA MejiaQuijano, Sous Le Singe du Doute, Présentation des texte d'émile Constantin, in CFS N58 ,2005 .
- 13) Conrad Koerner,Meillet,Saussure et la linguistique générale histoire épistémologie langage, université d'ottaaw, N2,juillet1988,vol10.
- 14) Émile Constantine, linguistique générale, Cours de M.le professeure de Saussure 1910-1911texte édité par Danièle Bambara et Claudia mejia Quijano, langages, Genève, N58, 2005.
- 15) -Estanislao sofia,qui est l'auteur du cours de linguistique générale?,éditeur Association canadienne de sémiotique,N1-2-3,2014, vol34.
- 16) Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale (1916), publie par Charles Bally et Albert Sechehaye, Payot, paris, 1971.
- 17) Ferdinand de Saussure, deusceme course de linguistique générale (1908-1909) d' apres les cahiers d'Albert Riedinger et charles patois, edited and translated by eisuke Komotsu & george wolf, library of congress, Britain, first edition, 1997.
- 18) Ferdinand de Saussure, mémoire système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes, tuber, 1879
- 19) Ferdinand de Saussure, on the use of genitive absolute in Sanskrit, translated: Ananta ch sukla,common ground research networks,2018.
- 20) Ferdinand de Saussure, premier course de linguistique générale (1907) d' après les cahiers D'Albert Riedinger et Charles patois, edited translated by eisuke Komotsu& georgewolf, library of congress, Britain, first edition, 1996.
- 21) Ferdinand de Saussure, troisieme course de linguistique générale (1910-1911) d'apres les cahiers d'Albert Riedinger et charles patois, edited and translated by eisuke Komotsu &george wolf,library of congress, Britain, first edition, 1993.

- 22) François Rarstier, Saussure et les texte: de la philologie des texte saussuriennes et la théorie saussurienne des texte, texte (revie – texto . net), n3, 2009, vol xlv.
- 23) François Ratier, Saussure au futur, écrits retrouvés réceptions, langages, paris N1, 2006, vol42.
- 24) Françoise gadet, après Saussure, greative Commons, centre national de la recherche scientifique, N40, paris,1989.
- 25) Frideryk konrad, A critical evaluation of the evolution of saussurean principles and their relevance to contemporary linguistic theories, the degree of doctor, Simon Fraser universcty, 1971.
- 26) Guiseppe d ottavi genèse d un écrit Saussure: de la théosophie à une approche de la subjectivité, presse universitaires de paris Sorbonne(PUPS), 15-11-2012.
- 27) HermanPerret, Réfections saussuriennes sur le temps et le moi les manuscrits de la Houghton Library à Harvard, linx, paris, N1,1-12-1995.
- 28) HermanPerret, Réfections saussuriennes sur le temps et le moi les manuscrits de la Houghton Library à Harvard
- 29) Inna ageava, lagritique de Ferdinand de Saussure dans marscisme et philosophie du langage de V.N voloșonov et le conteste de la réception des idées saussuriennes dans les années1920-1930en Russie, cahiers de l'isls, n26, 2009.
- 30) Irina vilkou -poustovaïa, a propos de Ferdinand de Saussure écrit de linguistique générale, langages, N1, paris, 2003, vol 39
- 31) Irina vilkou -poustovaïa, a propos de Ferdinand de Saussure écrit de linguistique générale.
- 32) John E. Joseph, recherches sémiotiques semiotic inquiry Saussure, Association canadienne de sémiotique, value s, v34, N1,2, 3. Claudia Mejia Quijano, les cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure un projet de Paul - f.Regard et Antoine Meillet, universiade d'Antioquia, N02, Novembre 2016 vol29.
- 33) John E-Joseph, Saussure, Oxford University press, Certain, first Edition 2012.
- 34) K.Amacker René, en collaboration avec Bouquet Simon, Correspondance Bally-Meillet(1906-1932), cahiers Ferdinand de Saussure, N43, 1989.

- 35) Katarzyna grych, le cours de linguistique générale en chene: le cas de la terminologie Saussurienne traduite pargoo Mingkai, Krakow, avalon, 2020.
- 36) Kazuhiro Matsuzawa, puissance de l écriture fragmentaire et « cercle vicieux les manuscrits de l essence double du langage de Ferdinand de Saussure, universitaires de paris, N 11, Sorbonne, vol 15.
- 37) Mehmet, Ali Akinci, salih Akin, la réforme linguistique turque, glottopol revue de sociolinguistique, université de rouen, N1, janvier 2003.
- 38) Michel Arrivé, Un Moment important dans l'histoire des sciences Humaines: l'œuvre de Ferdinand de Saussure, HAL archive ouvertes. 2012..
- 39) Miwa Nobuharu, Saussure fuzai no Saussure rōnsō gengo kateisetu rōnsō nikeru Saussure.
- 40) Pierre swiggers, modeler l'étude des signes de la langue: Saussure et la place de la linguistique, modèles linguistiques, 31 juillet 2016.
- 41) quoted: k. Bourdaghs, the linguistic turning contemporary Japanese literary studies politics, language, textuality, university of Michigan center for japanese studies, the United states of America, 2010.
- 42) Quoted: Beata Stawarska, Saussure's philosophy of language as phenomenology undoing the doctrine of the course in general linguistic, university presses OX ford the United States of America, 2015.
- 43) quoted: Trubetzkoy. N.s, studies in général linguistics and language structure, edited buy Anato ly Lieberman translated by Marvin Taylor and Anatoly Lieberman, Durham: duke university press.
- 44) Quoted: Paul Bouissac, Saussure A. guide fof the perplesced, continuum, britain.
- 45) R .Godel, nouveaux do cuments saussuriens, langages, Genève, n16, 1958.
- 46) S. Bouquet, ontologie et épistémologie de la linguistique dans le texte original de Ferdinand de Saussure, Article, paris, N2, 2016, vol 29.
- 47) Simon Bouquet, la linguistique générale de Ferdinand de Saussure: texte et retour aux textes. 1 décembre 1999 (en

- Lyne) disponible sur: <http://www.revue-texte.net/Saussure/Bouquet-linguiste-gen.h.Tm>
- 48) Simon Bouquet, ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure, Paris, N3, 2008, vol xvll.
- 49) Sofia Estanislao, qu'est-ce qu'un brouillon en sciences du langage? Notes préalables à une édition numérique des manuscrits de Ferdinand de Saussure, Droz, Paris, 2010.
- 50) Sofia Estanislao, quelques problèmes philologiques posés par l'œuvre de Ferdinand de Saussure, langages, N185, mars 2012.
- 51) Sündüz öztürk kasar, traduire de l'essence double du langage de Ferdinand de Saussure, CRiT.
- 52) trabant jugen, faut – il défendre Saussure contre amateur? notes sur l'éty-mologie Saussurienne, langages, N159, 2005.
- 53) Tullio de Mauro, Ferdinand de Saussure cours de linguistique générale, Payot & Rivage, Saint-Germain, Paris, 1967.

خامسا - الرسائل الجامعية:

- 1 حمزة بريك، التقويم اللساني للكتابات اللسانية العربية الحديثة جهود مصطفى غلفان أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه، شعبة اللغة والأدب العربي، تخصص لسانيات عربية، جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، 2021-2022.

سادسا - المقالات والمجالات:

- 1) أبو عبد الرحمن عقيل الظاهري، ليس العبقرى معيارا للحقيقة، مجلة الفيصل، 30-2016-08.
- 2) أوغلي، العثمانيون اتخذوا من اللغة العربية لغة للعلم والثقافة، جريدة الرياض، ع14129، 1 مارس 2007.
- 3) توشيوكي تاكيد، جهود رواد النهضة والمجامع اللغوية في إحياء اللغة العربية وتحديثها في العالم العربي الحديث، مجلة دراسات العالم الإسلامي، ع1-2، جامعة أم درمان، السودان، فبراير 2012، مج5.

- (4) جبلي محمد الزين، البنية المفاهيمية للخطاب السوسيري المعقود لبيان موضوع اللسانيات-دراسة حجاجية-، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، ع12، جامعة 8ماي 1945، قالمة، ديسمبر 2015.
- (5) حليم عزوز، تلقي اللسانيات البنيوية في الدرس اللغوي العربي بين السياقات التاريخية وطبيعة المتلقي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع2، جامعة المسيلة، جوان 2021، مج5.
- (6) حسين سوداني، ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات: مثال الترجمات العربية الخمس لدروس فردينان دي سوسير، مجلة اللسانيات العربية، السعودية، ع7، يوليو 2018.
- (7) حسين سوداني، سوسير بعد مائة عام، مجلة المعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس، ع11، 2018.
- (8) ختم عزوز، تلقي اللسانيات البنيوية في الدرس اللغوي العربي بين السياقات التاريخية وطبيعة التلقي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع2، 021، مج5.
- (9) الخثير داودي، كيف تعرف اللغويين العرب على فردينان دي سوسير، دفاثر بحوث علمية، ع7، المركز الجامعي مرسلبي عبد الله، تيبازة، 2016.
- (10) شوقي بوعناني، عنوان الكتاب (أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي: التلقي العربي للسانيات)، مجلة تجسير، ع1، دار نشر جامعة قطر، 2020، مج1.
- (11) صلاح الدين يحيى، مخطوطات فردينان دوسوسير وأثرها في تأسيس اللسانيات السوسيرية الجديدة، مجلة استانبول للدراسات العربية، ع2، 2019.
- (12) عاشور تومة، بلاغة الخطاب القرآني وأثرها في المتلقي، مجلة قراءات، ع8، جامعة بسكرة، 2015، مج7.
- (13) عامر بن شتوح، الدرس اللساني ومساره التطوري، مجلة علوم اللسان، جامعة عمار ثيلجي، الأغواط، ع7، ديسمبر 2014.
- (14) عبد القادر فهم شيباني، أسرار التأليف "هكذا سمعنا المعلم في الكتاب: محاضرات في اللسانيات العامة"، مجلة أيقونات، ع6، الجزائر، 2018، مج6.
- (15) عبد الكريم أبرازي، مستويات التلقي اللساني في الثقافة العربية- الحدود والآفاق-، مجلة العلامة، ع3، ديسمبر 2016.

- (16) عبد الكريم جيدور، الجهود العربية الحديثة لنقل المعرفة اللسانية العالمية، مجلة الذاكرة، ع2، جوان، 2021، مج9.
- (17) عز الدين المجدوب، ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، حوليات الجامعة التونسية، ع26، 1987.
- (18) عز الدين المجدوب، حول ترجمة رابعة لفردينان دي سوسير، حوليات الجامعة التونسية، ع31، 1 يناير 1990.
- (19) عطاوي الطيب، اعتبارات العلامة اللغوية لفكرة عربية قبل دي سوسير، دراسات لسانية، ع12018/ مج2.
- (20) كافية بلهوشات، مفيدة بن وناس، مكانة لسانيات الكلام في الفكر السوسيري وفقا للمصادر الأصول، مجلة اللغة والوظيفة، 2022، مج9.
- (21) مبارك حنون، زعموا أن سوسير بنيوي، منشورات نزيان، 2019.
- (22) محروس السيد بريك، التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء المخطوطات المكتشفة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع2، غرداية، الجزائر، مج2017، 10.
- (23) محمد الغربي، آليات التجديد اللغوي من خلال دروس في اللسانيات العامة لفردينان دي سوسير، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع120، صفاقس، تونس، 2012، مج52.
- (24) محمد الملاح، راهنية سوسير من خلال برنامج السوسيرية الجديدة، مجلة اللسانيات العربية، ع8، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، 2019.
- (25) نسيم نابي، واقع اللغة العربية وأثر المستشرقين عليها، مجلة الممارسات اللغوية، ع1، الجزائر، مارس 2021، مج12.
- (26) نهاد عبد الفتاح فريح بدرية، فردينان دي سوسير وتأسيس المفاهيم الأمات للسانيات والإنسانيات رؤية نقدية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، ع2، 2020، مج29.
- هايدي وجيه معوض يوسف، تمارين تقنية لتعريف "الراجا الهندية Raja" لدارسي آلة البيانو/ مجلة علوم وفنون الموسيقى، الاسكندرية، ع6، 2019 مج41.
- (27) يمينه حاج هني، ترجمات كتاب دي سوسير في ميزان النقد، جسور المعرفة، الشلف، مج7، ع2، 2021، مج7.

(28) يونغ هوشي، العودة إلى سوسير، تر: محمد الملوخ، مجلة العمدة، المغرب، ع5، 2018.

سابعا - المحاضرات:

- (1) أزهرى مصطفى صادق، نظريات في علم الآثار، محاضرات، 2013-02-21
- (2) حليلة بن عزوز، محاضرات على الخط: "اللسانيات البنيوية"، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، العام الجامعي 2016-2017.

ثامنا - المواقع الإلكترونية:

- (1) إبراهيم العريس، ألف وجه لألف عام- " تريستان وإيزولده" : فاغر يغني لليل ويموت حبا، الحياة، 24-04-2001 [https:// www.sauress.com](https://www.sauress.com) < alhayat
- (2) أوشايت، ملحمتا الإلياذة والأوديسة لهوميروس، مجلة مدخل إلى الآداب العالمية، جامعة عبد الرحمن منير، بجاية، <https://Waelnajmy.blogspot.com>
- (3) حسين السوداني، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، تاريخ الاطلاع 12-10-2022 news.dohadictionary.org
- (4) حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية(ثلاث ترجمات لمحاضرات دي سوسير)، شبكة صوت العربية، 27-10-2009، www.voiceo.fara.bichet
- (5) ربعة العربي، سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة، 24 يونيو 2019، bilarabiya.net/7538.htm
- (6) زحل (شعر) - (Poetry) Saturnian ويكيبيديا، / ar.vvikipedia.com < [https:// wiki.](https://wiki/)
- (7) سعيد هادف، نصوص في اللسانيات العامة: إصدار جديد لمختار زواوي، بوابة إفريقيا الإخبارية، 27-06-2021، article
- (8) شايع بن هزال الوقيان، البنيوية ومبادئ الاختلاف، عكاظ، 05-02-2015، <https://www.okaz.com.sa>

- 9) صلاح كزارة، علم اللغة الحديث، بدايات وتطور، جامعة حلب، تاريخ النشر 2009-02-21،
- 10) ظافر يوسف، المستشرق الألماني دينريش فيشر عاشق العربية في بلاد الألمان، صوت العربية، 2021-01-29، www.voiceofarabic.net.
- 11) عبد الحكيم شباط، ملحمة النيبلونجن - ليد، منتدى العلاقات العربية والدولية <https://un.org.fairfor>
- 12) فريال أوصف وأمال رقيقة، فردينان دي سوسير (قراءة في سيرة الرجل العلمية وأهم طروحه الفكرية)، كلية علوم الإعلام والاتصال، فضاء أكاديمي، 2016-01-24، <http://academic-space.blogspot.com>
- 13) كاشكين، سياق النظرية السوسيرية ونتائجها، تر: تحسيت رزاق، مركز نور، 2018-01-30، www.alhoor.se article<
- 14) ماريا روزنفيلد، نقاشات وأراء حول كتاب فرديناند دي سوسير (دروس في علم اللغة العام)، تر: تحسين عزيز رزاق، مؤسسة نور للثقافة والإعلام، 2018-03-16، www.alhoor.se article.
- 15) نظرية الاحتمالات - مفهومها وأنواعها وقوانين حسابها-، مركز البحوث والدراسات متعددة التخصصات، 2022-05-20، <https://www.mdrscenter.com> .،
- 16) هاجر إدلبي، اللغة التركية أصولها عربية، ترك بلاس 50 فبراير 2015، <https://www.turkpress.com>
- 17) وائل نجمي، جذور الحداثة النقدية: مبادئ (دو سوسير) في الألسنية العامة، مدونة نجمي الثقافية، 2020-02-26، <https://www.aifaseeh.com>

الفهرس

الف ————— هرس	
ال ————— واجهة	
البسمة	
أ - ط	مقدمة
43 - 10	مدخل نظري: وقفة مع الأسس المعرفية وأسرار الحياة الفكرية عند سوسير
31 - 11	المبحث الأول : نبذة تاريخية فكرية عن حياة سوسير
43 - 31	المبحث الثاني : الفكر السوسيري بين جدلية الامتداد والقطيعة مع المحيط الثقافي
131 - 44	الفصل الأول: محاضرات سوسير في اللسانيات العامة وخلفيات نشرها وتلقيها
65 - 45	المبحث الأول: مشروع إخراج المحاضرات وخلفيات جمعها ونشرها
53 - 45	أولاً: مشروع أنطوان ميه وبول روغار
57 - 53	ثانياً: مصادر الكتاب وترتيبه
65 - 58	ثالثاً: الاختلالات التي وقع بها الناشران
85 - 65	المبحث الثاني: النقد الغربي لكتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"
68 - 66	أولاً: النقد السويسري
74 - 68	ثانياً: النقد الفرنسي
75 - 74	ثالثاً: النقد الألماني
76 - 75	رابعاً: النقد الانجليزي
81 - 76	خامساً: النقد الروسي

83 - 81	سادسا: النقد الدنماركي
85 - 83	سابعا: النقد الأمريكي
106 - 85	المبحث الثالث: تلقي كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة" في الشرق الأقصى
93 - 86	أولا: التلقي الياباني
95 - 93	ثانيا: التلقي الكوري
100- 96	ثالثا: التلقي الصيني
106-100	رابعا: التلقي التركي
117-107	المبحث الرابع: التلقي العربي لكتاب " محاضرات في اللسانيات العامة"
107	أولا: الحدود التاريخية والمرجعية الفكرية للسانيات العربية الحديثة
107	1- النهضة الفكرية العربية
109-107	1-1 النقل والترجمة
110 - 109	1-2 الجهود اللسانية الأولى في لبنان وسوريا
113 - 110	2- الحركة الاستشراقية ودورها في الخطاب العربي
117 - 113	3- تشكل الخطاب اللساني الحديث
131-117	المبحث الخامس: ترجمة الكتاب إلى العربية ومراجعات نقدية للترجمات
122-117	أولا: أسباب تأخر ترجمة الكتاب إلى العربية
127-122	ثانيا: الترجمات العربية التي اعتمدت النص الإنجليزي
124 - 122	1- الترجمة الفلسطينية
127-125	2- الترجمة العراقية
131-127	ثالثا: الترجمة العربية التي اعتمدت النص الفرنسي
127	1- الترجمة السورية
128	2- الترجمة المغربية
131-128	3- الترجمة التونسية
202 - 132	الفصل الثاني: العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات المكتشفة
154-134	المبحث الأول: العودة إلى سوسير في سياق المخطوطات

135-134	أولا: مفهوم العودة إلى سوسير
140-136	ثانيا: مخطوطات مكتبة جنيف وهارفارد
137-136	1-مخطوطات مكتبة جنيف
140-137	2-مخطوطات مكتبة هارفارد
154- 140	ثالثا: جهود رواد السوسيرية الجديدة
147-140	1- جهود روبرت غودل (Robert Godel)
149 -147	2-جهود رودلف أنغلر (Rudolf Engler)
154 -149	3-جهود توليو دو مورو (Tullio de Mauro)
165-154	المبحث الثاني:المخطوطات المكتشفة في بستان البرتقال (Les (manuscripts de lorangerie
156-154	أولا:اكتشاف المخطوطات
159-156	ثانيا:مخطوط "كتابات في اللسانيات العامة"
165-159	ثالثا:مخطوط "في الماهية المزدوجة للغة" (de l'essence double du (langage
196 -165	المبحث الثالث:الإرث الأدبي في الفكر السوسيري
175-167	أولا:الحكاية الخرافية والأسطورة
177-175	ثانيا:الموروث السوسيري وضبابية التفسير
180-178	ثالثا:سوسير والمشروع غير المكتمل
196-180	رابعا:الجناس التصحيفي
190-184	1- وجهة النظر السوسيرية في دفاتر الجنس التصحيفي
192 -190	2- الجنس التصحيفي بين جنون اليقين وصدق الوهم
195-193	3-سوسير وبحثه في الجنس التصحيفي
196-195	4- تلقي دفاتر الجنس التصحيفي
202 -197	المبحث الرابع: الثيوصوفيا والشعر العربي في مراسلات سوسير
199-197	أولا: الثيوصوفيا الكتابة المنسية من الفكر السوسيري
202 -199	ثانيا:الشعر العربي في مراسلات سوسير

290-203	الفصل الثالث: التلقي الجزائري للسانيات سوسير الجديدة
263-204	المبحث الأول: تجليات التلقي الجزائري للسانيات سوسير الجديدة
204	أولاً: مصطلح التلقي ودلالته في الثقافة العربية
204	ثانياً: مصطلح التلقي ودلالته في الثقافة الغربية
206-205	التلقي اصطلاحاً
211-206	ثانياً: قراءة كتابات مختار زواوي التي قدمت لسانيات سوسير الجديدة وفقاً لمخطوطاته.
206	1- السيرة العلمية لمختار زواوي
209-208	1-1 مؤلفات
210-209	1-2 مقالات عربية
211-210	1-3 مقالات فرنسية
211	2- قراءة في كتاب "دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات"
212-211	2-1 الوصف الخارجي
215-212	2-2 المقدمة العامة
224-215	2-3 قراءة في فصول الكتاب
224	2-4 الخاتمة العامة للكتاب
228-224	2-5 ملاحظات حول الكتاب
228	3- كتاب من المورفولوجيات إلى السيميائيات "مدخل إلى فكر فردينان دو سوسير".
229	3-1 الوصف الخارجي
231-229	3-2 المقدمة العامة
232-231	3-3 البحث عن مدخل
240-232	3-4 قراءة في فصول الكتاب
241-240	3-5 الخاتمة العامة للكتاب
242-241	3-6 ملاحظات حول الكتاب
242	4- قراءة في كتاب مسائل في تلقي النظرية السوسيرية

243-242	1-4 الوصف الخارجي للكتاب
255-243	2-4 قراءة في أقسام الكتاب
259-255	4-8 ملاحظات حول الكتاب
259	ثالثا: قراءة في كتابات محمد الزين جيلي
260-259	1-السيرة العلمية لجيلي محمد الزين
261	2-قراءة في أطروحة الدكتوراه
261	3- قراءة في المقال
262	رابعا- منشورات علمية ذات صلة باللسانيات السوسيرية الجديدة
263-262	1-مقالات علمية في مجالات مصنفة
263	2-رسائل جامعية
289-264	المبحث الثاني: الترجمة الجزائرية للسانيات السوسيرية الجديدة
265-264	أولا: ترجمة كتاب في جوهري اللغة
265-264	1-الوصف الخارجي للكتاب
265	2-مقدمة المترجم
272-271	6-ملاحظات حول الكتاب
272	ثانيا- ترجمة كتاب: نصوص في اللسانيات العامة
273-272	1-الوصف الخارجي
284-273	2-قراءة في أقسام الكتاب
288-284	5-ملاحظات حول الكتاب
289-288	ثالثا: المقالات المترجمة
-291	الفصل الرابع: التلقي المغربي والتونسي للسانيات السوسيرية الجديدة
340-292	المبحث الأول: الكتابات المغربية التي قدمت لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته
292	أولا: قراءة في كتابات مصطفى غلفان
293	1- السيرة العلمية لمصطفى غلفان
293	2- كتاب لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد

294	1-2 الوصف الخارجي
295	2-2 مقدمة
312-296	2-3 قراءة في فصول الكتاب
312	2-4 خاتمة
315-312	2-5 ملاحظات حول الكتاب
315	3- قراءة في كتاب "اللغة واللسان والعلامة في ضوء المصادر الأصول"
316-315	3-1 الوصف الخارجي
316	3-2 مقدمة
337-316	3-3 قراءة في أبواب الكتاب
337	3-5 الخاتمة
338-337	3-6 ملاحظات حول الكتاب
339-338	4- قراءة في مقال "دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول" لمصطفى غلفان
340-339	ثانيا- منشورات علمية قدمت لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته
344-340	المبحث الثاني: الكتابات المغربية التي عملت على ترجمة لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته
343-340	أولا: ترجمة مقالات ضمن كتاب العودة إلى سوسير
344-343	ثانيا- قراءة في مقال العودة إلى سوسير ليونغ هو شي
355-344	المبحث الثالث: إحتفاء المغرب بلسانيات سوسير الجديدة
345	1- الوصف الخارجي
353-345	2- ناصية التقديم
355-353	3- ملاحظات حول الكتاب
381-355	المبحث الرابع: الكتابات التونسية التي قدمت لسانيات سوسير وفقا لمخطوطاته
355	أولا: قراءة في كتابات حسين السوداني
355	1- السيرة العلمية لحسين السوداني

356	2-قراءة في كتاب أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي - التلقي العربي للسانيات-
357-356	2-1 الوصف الخارجي
358-357	2- 2 تقديم محتويات الكتاب
359-358	2-3 مقدمة عامة مدخل الى حوافر البحث وغاياته
360	2-4 قراءة في فصول الكتاب
376	2-5 خاتمة عامة
381-376	2-6 ملاحظات حول الكتاب
381	3- قراءة في مقال دروس سوسير بعد مائة عام لحسين السوداني
390-382	المبحث الخامس: جهود المشاركة في تمثيل برنامج السوسيرية الجديدة
383-382	أولاً: ترهين برنامج السوسيرية الجديدة في الخطاب اللساني المشرقي
385-383	ثانياً: كتابات المشاركة التي قدمت للأنموذج السوسييري
387-385	ثالثاً: جهود عربية مازالت في راهنية النسخة الشائعة
390-387	رابعاً: التجاهل العربي للمعرفة السوسيرية الجديدة:
395-390	المبحث السادس: حقيقة جنابة الناشران على فكر سوسير الحقيقي
392-390	أولاً: الناشران في قفص الاتهام
395-392	ثانياً: أين سوسير
405-396	خاتمة
421 -406	قائمة المصادر والمراجع
431-422	الفهرس
433-432	الملخص

ملخص :

تُقدم هذه الأطروحة لسانيات فردينان دو سوسير وفق ما استجد من قراءات وتأويلات غربية وعربية معاصرة، فما قدمه سوسير من محاضرات كان خلاصة فكره وتأمله في مسائل وقضايا اللسان، وقد نشرت هذه المحاضرات من قبل بالي وسيشهاي في كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" سنة 1916، فأحدث بذلك منعرجا حقيقيا في البحث اللساني، ونشأت عنه النظريات والمدارس اللسانية، وبفضل الأعمال التي قدمها غودل وانغلر تبلور وعي جديد حول إعادة قراءة سوسير وتأويله، وأحدث ظهور المخطوطات الجديدة عام 1996 تحولا جذريا، وأتاح تحقيقها ونشرها عام 2002، تعميق المعرفة في فكره، و في ضوء المخطوطات المكتشفة فرضت السوسيرية الجديدة نفسها على الكتابات اللسانية الغربية، وصل صداها وأثرها الساحة العربية ، والمتتبع للاصدارات الراهنة في المغرب العربي يكشف النفس التصاعدي في وعي اللسانيين المغاربة بأهمية الكشف عن الفكر السوسيري الأصيل في سياق التلقي الجديد لمخطوطاته، وقد تجلّى التلقي المغربي من خلال كتابات عربية وأخرى مترجمة، واحتفاء بلسانيات سوسير، هذا ما تم طرحه وتحليله.

الكلمات المفتاحية: لسانيات سوسير، المخطوطات المكتشفة، العودة إلى سوسير، التلقي المغربي.

Abstract:

This thesis is presented by linguistics Ferdinand de Saussure, according to the new readings and contemporary Arab and Arab readings, so what was presented by Susseir from lectures was the summary of his thought and his contemplation of the issues and issues of the tongue, and these lectures were published by Bali and Sishai in the book "Lectures in Public Linguistics" in 1916, so he made it Thus, it is true in the linguistic research, from which the theories and linguistic schools arisen, and thanks to the works presented by Godel, and the crystallization of a new awareness about the re -reading and interpretation of Soeser, and the latest appearance of new manuscripts in 1996 a radical shift, and allowed them to be achieved and published in 2002, and thanks to his deep knowledge idea that searches In the light of the discovered manuscripts, the new sociology imposed itself on Western linguistic writings, which resonated and imprisoned the Arab scene. And the follower of the current publications in the Maghreb reveals the upward soul in the awareness of Moroccan linguists of the importance of revealing the authentic soccer thought in the context of the new reception of its manuscripts, and the Maghreb reception was manifested through Arabic and translated writings, and the celebration of the Sussyer's tongues, and this is what was presented and analyzed.

Keywords: *Saussure linguistics, discovered manuscripts, back to Saussure, Maghrebi reception.*



جامعة الشاذلي بن جديد
UNIVERSITE CHADLI BENDJEDI

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Chadli ben JadidEltarf

College of Arts and Languages



جامعة الشاذلي بن جديد
UNIVERSITE CHADLI BENDJEDI

Department of Language and Arabic Literature

Saussure's linguistics in the light of the new receipt of manuscripts - A Study in Maghreb Reception-

A thesis submitted to obtain a doctorate degree (LMD) in Arabic language and literature

Division: Linguistic Studies **Specialization:** Arabic Linguistics

Student preparation:

Belhouchet Kafia

Thesis supervision:

BenOuanass Moufida

Discussion Committee

<i>Name</i>	<i>Rank</i>	<i>Universiy</i>	<i>Adjective</i>
Adjami Hassan	Lecturer Professor A	University of Chadli ben JadidEltarf	president
Ben Ounass Moufida	Lecturer Professor A	University of Chadli ben JadidEltarf	supervisor and rapporteur
kahala Kadour	Lecturer Professor A	University of Chadli ben Jadid Eltarf	Examiner
Sahalia Abd Elhakim	Lecturer Professor A	University of Chadli ben JadidEltarf	Examiner
Djouaame Reda	Lecturer Professor A	University of Mohamed El Sherif Msadiaa Souk Ahras	Examiner
Baadash Amar	Lecturer Professor A	University of May 08 1945 Guelma	Examiner

University year 2022-2023